

ديوان ابن خلدون



دار صادر

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

ديوان ابن حمديس

ديوان ابن حمديس

٥٢٧ - ٤٤٧

صححه وقدم له

الدكتور إيمان عباس
جائنة الفرطوس

دارصادر
بيروت

مقدمة

١ - تمهيد تاريخي

بدأ المسلمون فتح صقلية سنة ٢١١ هـ . على يد أسد بن الفرات أيام زيادة الله بن الأغلب والي إفريقية ، واستمرت أعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كل صقلية خضوعاً تاماً لحاكم عربي واحد إلا في أيام بني أبي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة . وقد بلغت بلرم Palermo في أيامهم مكانة حضارية عظيمة وشأت شأواً قرطبة وبغداد في خدمة العلوم والفنون . ثم هبت ريح الفتنة على صقلية وتجدد فيها صراع الجهنسيات المختلفة من إفريقية وصقلية أيام الأكل من بني أبي الحسين وأخيه حسن الصمصام ، وأخرج الصمصام آخر الكلبيين من الجزيرة وتوزع الأمراء البلاد فيما بينهم مثل ابن النعمة وابن منكود وابن الحواس وابن الثمنة ، وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانين من إيطاليا ليسلمهم الجزيرة على أثر ما قام بينه وبين ابن الحواس من حروب ، وجاء النورمان يفتحون الجزيرة فلم يجدوا فتحها سهلاً ولم يستطيعوا التغلب عليها جميعاً إلا عام ٤٨٤ هـ . ومنذ أن ابتدأ الفتح النورماني إلى أن انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم إلى مصر والقيروان والأندلس ، وكانت سرقوسة من البلاد التي قاومت طويلاً كما أن قصر يانة وجرجنت كانتا

آخر المدن استسلاماً للنورمان . وقد بقي كثير من المسلمين تحت الحكم النورماني أيام رجار وخلفائه ، وانتحل ملوك النورمان في صقلية نظم الحضارة العربية وطابعها العام ، وفي بلاط رجار Roger عاش الشعراء والعلماء العرب ينظمون ويؤلفون . ولكن لا بدّ أن نتذكر أن تلك العهود هي فترة الحروب الصليبية ، وكان موقف المسلمين في الجزيرة حرجاً لأن صاحب صقلية حاميمهم كان يتلقى الهجمات من سلطان المرابطين ومن أمير تونس ، وهم أنفسهم كانوا يخدمون في الأسطول الصقلي الذي يهاجم إخوانهم في سواحل افريقية ، أو يعيشون شبه أرقاء في أراضي السادة الجدد ، ولذلك أخذت الصبغة العربية في صقلية تتضاءل مع الزمن وضاعت حلقة التسامح حول أعناقهم مع الزمن أيضاً ، حتى مرت بهم أوقات طوردوا فيها كما تطارد الوحوش البرية ، واضطروا إلى الاعتصام بالجبال إلى أن واجهوا الفناء النهائي .

وقد شهدت صقلية أيام الحكم العربي والنورماني نشاطاً واسعاً في الآداب والعلوم واجتذبت إليها مهاجرين من علماء افريقية ومصر والأندلس وشعرائها ، وتمثّل صورتها الأدبية في كتابين أحدهما « الدرة الخطيرة » لابن القطاع وفيه تراجم للشعراء الذين عاشوا أيام الحكم العربي . والثاني « المختار من النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشرون المهدوي ، وفيه تراجم للشعراء والأدباء الذين كانوا بصقلية أيام الحكم النورماني . ولم يصلنا من دواوين الصقليين إلا اثنان : ديوان ابن حمديس وديوان البَلَنُوبِي ، وهو شاعر صقلي قضى أكثر أيامه بمصر والمشرق . ونحن نعلم أنّه كان لأبّي العرب الصقلي الذي هاجر إلى الأندلس ديوان متداول إلا أنّه لم يصلنا . ولهذه المكانة الأدبية والعلمية يمكن أن نعتبر صقلية حلقة من حلقات الوصل بين الشرق والغرب ، ونجد فيها منفذاً من المنافذ التي تسربت منها المؤثرات العربية إلى أوروبا وساعدت على يقظتها في عصر النهضة .

٢ - حياة ابن حمديس

في صقلية ٤٤٧ - ٤٧١

في مدينة سرقوسة الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية ولد عبد الجبار ابن حمديس سنة ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م من أصل عربي أزدي ، هكذا تنسبه المصادر إلا أنه لا يفتخر في شعره بهذا النسب مثلما يفتخر بأنه من « بني الثغر » أي يعتزّ بوطنه أكثر من اعتزازه بالقبيلة. وأبوه هو أبو بكر بن محمد، وقد عاش محمد - الجدّ - ثمانين عاماً ، أو حسبما يقول حفيده : « تنسك في بر ثمانين حجة » ومات في سرقوسة ، وابن حمديس موجود فيها ، وشيعه إلى قبره . وقد عاش والده أبو بكر إلى ما قبل سنة ٤٨٠ - على وجه التقدير - وربما توفي في سرقوسة. وكان فيما يبدو رجلاً تقيّاً محبّاً للخير ، مضى حين مضى « سالكاً سبل آبائه » . وكانت لمحمد أخت - وهي عمّة الشاعر - هاجرت هي وأبنائها إلى سفاقس ، وكان ابنها أبو الحسن متطبباً مثقفاً يصفه ابن حمديس بأن « بقراط دونه معرفة طبية وفكرة حسية » (ق : ٧٨) . وأبو الحسن هذا تزوّج أخت الشاعر ، ويبدو أنه كان من لدات ابن حمديس ، وأن النشأة وثقت بينهما عقداً من الصداقة أقوى من رابطة القرابة ، وقد ظلت المراسلات تدور بينهما مدة طويلة . بعد أن هاجر ابن حمديس من صقلية (ق : ٢١٥ ، ٢٨٢) .

وقد كان لهذه النشأة أثرها في نفس عبد الجبار، فهو من عائلة محافظة فيها وتر قويّ من التدين، ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمية ، ونحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلميّة والأدبيّة بسرقوسة، ولكننا نتصور أن عبد الجبار وجد فيها - من غير ريب - ثقافته الأدبيّة الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه ، وأن روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه شيء من الثقافة الحكمية الطبية ، جعله يتحدث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء وعن تصارع العنصرين

ويكثر من ذكر الجوهر والعرض ، ولا ريب في أن هذه الثقافة زادت مع الأيام وشملت فروعاً أخرى من المعرفة ، فيها العروض والنحو والتأريخ وطبائع الحيوان وزادتها التجربة عمقاً وصقلاً ، حتى وجهت اهتمام ابن حمديس في المستقبل إلى شيء من التأليف ، فكتب « تاريخ الجزيرة الخضراء »^١ .

إلا أن عبد الجبار في هذه المرحلة من حياته أخفت صوت التقوى وتسلسل من كهف التدين ، وسمح لنفسه بشيء من هو الشباب ، فارتاد الأديرة والحانات لشرب الخمر وعرف الحب والفتك ، ولعله شارك أيضاً في بعض الغزوات الحربية التي كانت تخرج فيها الجيوش إلى جنوب إيطاليا .

وفجأة نراه في أفريقية يصحب العرب ويتنقل في الصحراء وقد أصبح السيف في ثني ساعده « معاوضة من جيد غيداء كاعب » ، وأغلب الظن أنه كان قد انتوى الرحلة إلى الأندلس وآثر السفر البري على البحري كما آثره زميله الصقلي الشاعر أبو العرب الذي كتب إلى المعتمد حين استدعاه يقول :

البحر للروم لا تجري السفين به إلا على غرٍ والبر للعرب

وكانت الأساطيل الرومية قد استولت على السيادة البحرية في غرب البحر المتوسط ، وأصبح كل سفر بحري محفوفاً بالخطر ، فرأى ابن حمديس أن يتجه إلى الأندلس . لم اختار الأندلس ، وكثير من الصقليين ذهب إلى مصر ؟ لعل شيئاً من مكانة الأدب في بلاط المعتمد هو الذي اجتذبه ، أو لعل المعتمد كتب يشجعه على القدوم إليه كما كتب لأبي العرب ، والفرض الثاني مستبعد لأن عبد الجبار لم يكن قد أحرز شهرة أدبية . ولم لم يذهب إلى القيروان ؟ لأن شعراء القيروان قبل سنوات كانوا قد تشتتوا في البلاد حين خرب العرب الهلالية تلك المدينة وقضوا على سلطان المعز بن باديس ، فهاجر ابن رشيق إلى صقلية ، ولجأ

١ كشف الظنون ١ : ٢٩٠ وماري ٢ : ٥٩٦

ابن شرف إلى بلاط المعتمد بالأندلس . وها هو الخطب يلم بصقلية نفسها ،
فليس من المعقول أن يخذ شاعر طموح مبتغاه في القيروان ، وقد تعطلت فيها
سوق الأدب ، أو في مصر وهي معقل الفاطمية ؛ وللأندلس سحرها الخاص بها ،
فلتكن قبله لهذا الشاعر الشاب . ومرة ثالثة نساءل : ولماذا هاجر ابن حمديس
قبل أن تسقط سرقوسة ؟ بل هاجر والأمل قوي في تلك الحركة القوية التي حمل
لواءها قائد جديد يقاوم النورمان — قائد يسميه المؤرخ أماري « ابن عباد » ،
ولا تذكره المصادر العربية ؛ هاجر ابن حمديس وابن عباد هذا يكسب نصراً إثر
نصر . ويخيّل لمن يتطلع إلى الأحداث أن سرقوسة كانت تستطيع أن تتخذ موقف
المهجوم لا موقف الدفاع فحسب . — لماذا ؟ أكبر الظن أن سقوط بلرم والأجزاء
الأخرى من صقلية كان ناقوس الخطر الذي دقّ في نفس ابن حمديس ، وأنه
كان يحلم بالمجد الأدبي أكثر من تطلعه إلى الرفعة العسكرية . وربما حرّضه
أهله على الذهاب إلى إفريقية مفضلين نجاته على أن يبقى وديعة مؤقتة في يد الحياة
القصيرة . وودّع الشاب أهله ، وبكى حين عانقه أبوه مودعاً . ولعله لم يكن
يتصور أن تلك هي آخر وقفة له على أرض الوطن . وأياً كان الدافع حينئذ فقد
أحس من بعد إحساساً خفياً أنه تخلّى عن وطنه ، وظلّ هذا الإحساس شوكة
في ضميره تخزه على مر الأيام وتمثّل لخاطره أنه الفتى المذنب « كآدم الذي
أهبط من جنته » .

وكان ابن حمديس يوم فارق سرقوسة في ريعان الشباب . وقد اختزنت
ذاكرته ضروباً من الذكريات التي ظلت زاداً لنفسه الحاملة بالعودة ، وظلّ
يحنّ إلى ذكرياته في وطنه الجميل ذي المناظر الطبيعية الخلابة ، وظلّ يترع إلى
ليالي الحبّ والمغامرات والأديرة والحانات . ولما رأى النيلوفر مرة وهو مغترب
هتف يقول :

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه كلانا عن الأوطان أزعجه الدهر

وقد كان الشعور بالوطن من مآثر هذه المرحلة من حياته ، وظل هذا الشعور شيئاً فذّاً في إلهام ابن حمديس ، لأنه بقي يحسّ حتى آخر يوم من حياته أنّه غريب ، فلا عجب إن قدّرت أن الغربية هي أقوى قوة حرّكت شاعريّته الصحيحة ، وأن أيام صقلية هي التي كوّنّت منه شاعراً ولكن بعد أن ضاعت وأسلمته إلى ضياع .

في الأندلس — ٤٨٤

كانت إفريقية طريقاً إلى الأندلس في خطة ابن حمديس ، ولكننا لا ندري على وجه التحقيق كم أقام فيها أو متى وصل كعبة آماله . وهناك روايتان تتصلان بأول قدومه إلى إشبيلية : الأولى أنّه لما حل فيها أقام مدة مهملاً لا يلتفت إليه أحد حتى أدركه القنوط من لقاء صاحبها المعتمد بن عباد ، فهمّ أن ينكص على عقبيه ، وكان المعتمد قد سمع بقدومه ، وفيما كان ابن حمديس ضيق النفس لما لقيه من إهمال دخل عليه غلام معه شمعة ومركوب واستدعاه إلى مجلس المعتمد ، وهناك عقد له السلطان امتحاناً في الشعر فاجتاز الامتحان ونال الاستحسان . (ق : ٣٤٤) . والرواية الثانية أن المعتمد توجه إلى قرطبة وكتب إلى عبد الجبار بإشبيلية يأمره بالقدوم إليه ، فسافر ابن حمديس إلى قرطبة ووافق ذلك مجيء أبي بكر بن عمار أسيراً مقيداً ، فلم يطق ابن حمديس البقاء في قرطبة وعاد من توه إلى إشبيلية ، والشكّ ما يزال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في إقامته ، فكتب إليه قصيدة يقول فيها : « فوق ممسكاً أو مسرحاً » فوق له المعتمد : بل تمسك بمعروف ، ووصله بمائة دينار (ق : ٧١) . وإذا كانت هذه الرواية تشير إلى أول قدومه ، واتفق ذلك مع أسر ابن عمار ، فمعنى ذلك أنّه دخل الأندلس في تاريخ متأخر ، إذ ان ابن عمار أُسر سنة ٤٧٧ ، ومعنى ذلك أيضاً أنّه قضى مدة غير قصيرة وهو يتجول في افريقية . والأرجح أنّه قدم قبل حادثه

ابن عمار بسنوات ، وأنه عاش في إشبيلية مدة من الزمن ، أما هذه الرواية فتلمح إلى شيء من التخوف اعتراه بعد حادثة ابن عمار ، وخشي أن يكون المعتمد قد برم بمقامه ، فكتب إليه ما كتب .

واطمأنَّ ابن حمديس إلى أن صاحبه راغب في بقائه ، واستغرقت الحياة الأندلسية بعض استغراق ، وإن لم تنسه صقلية أبداً ، فكان يخرج في متزهات إشبيلية ، وقد حدثنا هو كيف شارك عبد الحليل بن وهبون في نزاهة صنعها لبعض أصحابه من الشعراء والمغنين في وادي إشبيلية ، وهناك قامت المساجلات الشعرية بينهم ، وكان من أقرب الشعراء إلى ابن حمديس الشاعر غالب بن رباح المشهور بالحجام ، وكان الشاعران يتعاوران المعنى الواحد ويغير كل منهما على ما يجيء به الآخر من المعاني ، ولم يذكر ابن حمديس كثيراً عن علاقاته بالشعراء الآخرين الذين عرفهم في بلاط المعتمد - وهم كثر - سوى ابن وهبون والحجام وشاعر ثالث هو عبد الله بن مالك القرطبي ، فقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حمديس أخبره أن هذا الشاعر عمل قصيدة يقول فيها :

أحييت إذ حيت حادي عيسهم فكأن عيسى من حداة العيس

فهجاه بعض الشعراء لأنه كره هذا التجنيس ، ولعلَّ ذلك يعبر عن كراهية ابن حمديس نفسه للمغالاة في الجناس ، ويدلُّ على شيء من ذوقه الأدبي^١ .
وكان ابن حمديس في إشبيلية يرتاد مجالس الشراب على السواقي ، وتدلُّ القصيدة : ١١٩ على لون من هذا اللون ، كما كان يشهد مجالس الرقص ، ولعلَّه عرف هذا اللون من الرقص التمثيلي التعبيري بصقلية نفسها ، حيث تشير الراقصة بأعمالها وهي تغني إلى كل عضو وما يحلُّ به من تعذيب الهوى ، فإذا ذكرت دمعاً أشارت إلى العين ، وإن وصفت وجداً أشارت إلى القلب ، ومثلت

تدلل المحبوب وتذلل المحبّ في حركاتها (ق : ٨٤) .

وأطال المدائح في المعتمد ، ولعل قصيدته (٨٦ - ٨٧) من أوائل مدائحه فيه ، وأشاد بجهاده ضد الروم وبشجاعته وانتصاراته وخاصة في معركة الزلاقة ، وعرّج يسيراً على مدح المرابطين ، ولم يكن يعلم أن الأيام تخبىء له ولصاحبه خبيثاً على أيديهم ، ومدح الرشيد ابن المعتمد (ق : ٥٨) ولم يمدح في الأندلس إلاّ هذين الأميرين طوال السنوات التي أقامها هناك . وارتاحت نفسه إلى ما حقّقه ، لأنّ صلته بالمعتمد حققت له المال والشهرة الأدبية ، ووجد الشاعر شخصاً عظيماً يستحقّ الجهد في الإبداع الفني كما وجد الحادثة الكبيرة التي تصل اسمه بالتاريخ المجيد ، هذا إلى أن بيئة الأندلس لا تقلّ في جمالها عن بيئة صقلية ، وليست اشبيلية دون سرقوسة جمالاً وحضارة ، وفيها مورد عذب كثير الزحام ، ومن لمع اسمه بين المتراحمين فذلك دليل على جودة الشاعرية لديه .

وفي هذا الدور من حياته كان واسع الآمال يتسمّع إلى أخبار صقلية وتملأ صدره أخبار البطولات فيها بهجة وسروراً ، وهو ينظم القصائد في تشجيع أهل بلده وإثارة حماسهم ويفتخر ببطولتهم : (ق : ٧٥)

زبانية خلّقوا للحروب يشبّون نيرانها بالوقود
مساعدهم مرهفات بنين لهدّ الجماجم من عهد هود
هم المخرجون خبايا الجسوم إذا ضربوا بخبايا الغمود

سقى الله منه الحمى عارضاً يقهقه ضاحكه بالرعود
مكر الطراد وثغر الجهاد ومجرى الجياد ومأوى الطريد

١ من الغريب أن مؤلف أخبار الملوك يسمي ابن حمديس « ذا الوزارتين » (انظر أماري ٢ : ٥٩٤ التعليقة : ٢) .

وفي (ق : ٢٧٠) نجده يحضّ أهل بلده على الجهاد ويأمرهم أن يتمسكوا بالوطن ويموتوا فيه ولا يطمثوا إلى الغربة لأنها ذلّ - أينما كان المغرب - :

ولله أرض إن عَدِمتم هواءها فأهواؤكم في الأرض منثورة النظم .
وعزكم يفضي إلى الذلّ والنوى من البين ترمي الشمل منكم بما ترمي
فإنّ بلاد الناس ليست ببلادكم ولا جارها وانحلم كالجار وانحلم
أخليّ الذي ودّي بودّ وصلته لديّ ، كما نبط الوليّ إلى الوسمي
تقيّد من القطر العزيز بموطنٍ ومتّ عند ربع من ربوعك أو رسم
وإياك يوماً أن تجرّب غربة فلن يستجير العقل تجربة السم

وأخف من هذا (ق : ٢٦٩) ففيها ما يشعر بأن المقاومة أخذت تضعف ،
حتى إذا سقطت سرقوسة انتفض منتجباً ، وعرف أن ما قدر عليه هو الغربة
المستمرة ، وأن الوطن قد غاب عن عينيه إلى الأبد : (ق : ١٥٧)

لقدّرت أرضي أن تعود لقومها فساءت ظنوني ثمّ أصبحت يائسا
صقليّة كاد الزمان بلادها وكانت على أهل الزمان محارسا

وهو يستغرب كيف يمكن أن يتم ذلك . كيف ، وقومه لم يتوانوا عن ضرب
المثل الأعلى في الجهاد ، ذهبت قصريني (قصريانة) وأصبحت سرقوسة دار
منعة للأعداء ؟ ولكن لا عجب فإن الذئب لا يستطيع أن يقتحم الغيل إلا إن غاب
الأسد ، وقد غاب كثير من الصقليين بالهجرة والموت ، فاستطاع الأعداء أن
يحتلوا أرض الوطن .

وأخذت دورة التراجع تجرّ ابن حمديس إلى حضيض اليأس بحادثة إثر
أخرى . سقطت مدن صقليّة . غرق ابن عباد الصقلي في إحدى المعارك البحرية
وهو ينتقل من سفينة إلى أخرى . مات والد الشاعر وجاءه نعيه في دار الغربة ،

وقد ترك له وصية يحضه فيها على البر وعمل الخير . واستعاد عبد الجبار صورة ذلك الشيخ التقى . وتمثل يوم الفراق وجدّد البكاء (ق : ٣٣٠)

وما أنس لا أنس يوم الفراق وأسرار أعيننا فاشيه
ومرت لتوديعنا ساعة بلؤلؤ أدمعنا حاله
ولي بالوقوف على جمرها وإنضاجها قدم حافيه
ورحت إلى غربة مرة وراح إلى غربة ساجيه
وقد أودعتني آراؤه نجوماً طوالعها هاديه
سمعت مقالة شيخي النصيح وأرضي عن داره نائيه
كأن بأذني لها صرخة أراد بها عمر ساريه

ومات أقرباؤه وأصدقائه في الحروب واحداً بعد آخر (ق : ١٠١)

وكم طوى الموت دوني من ذوي رحمي وما مقلت لبعدي عنهم أحدا
أين يذهب ؟ كان من الحق أن يعود ليري ما حلّ بالآخرين ، ولكن أين
ذهب هؤلاء أنفسهم وأي أرض احتوتهم ؟ وعجز عن أن يطوع نفسه للعودة ،
وأخذ يعلّل نفسه بأنه أثر صحبة رجل عظيم ورضي بخص (اشبيلية) موطناً له ،
حتى إنّه لم يذهب ليلقي نظرة على قبر أبيه (ق : ١٠١)

ولم يسرني من مثواك موت أبي وقد يقلقل موت الوالد الولدا
وما سدّدت سبيلي عن لقائهم لكن جعلت صفادي عنهم الصفدا
وحسن بر إذا فاضت حلاوته على فؤادي من حرّ الأسى بردا

وجاء دور المعتمد نفسه في دورة التراجع ، إذ كانت قمة النصر في الزلافة
بدء انحدار لمجده وأقول لعزّه ، وقيّده ابن تاشفين — حسبما هو مشهور في

التاريخ - وسجنه في اغمات بافريقية ، وتلفت ابن حمديس حوله كأنه لا يصدق ما حدث ، مرة أخرى تسقط صقلية الثانية ، ويضيع وطنه الحديد الذي ارتضاه . وكان ابن حمديس وفيئاً لصاحبه فأخذ يتردد عليه في محبسه ، وراثه وهو حي ، وتمثل « أشرار الساعة » قد أخذت تظهر . ولا تقل قصائده في نكبة ابن عباد (ق : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٣٣٥) من حيث الجودة عن قصائده في صقلية ، وهي تدلنا على أن جانب المأساة العامل الأكبر في إثارة شعر ابن حمديس ، فهي التي فجرت ينبوع الأصيل في تلك النفس الشاعرة . وقد نقول إن المنافسة في الأندلس قد حملته على تجويد قصائده الحمريات والوصفيات ومدائحه في المعتمد والرشيد - وهي حقاً مجودة في حوكها وبنائها - إلا أن حقيقة المأساة كانت أقوى في إثارة شاعريته . ولم تستطع الأندلس أن تحببه بالموشحات فديوانه خالٍ منها خلواً تاماً .

في افريقية ٤٨٤ - ٥٢٧

كادت الدائرة أن تكتمل : من صقلية إلى الأندلس ثم إلى افريقية ، وكان ابن حمديس يحاول دائماً أن يبقى طرفي تلك الدائرة متباعدين ، ما دامت صقلية قد ذهبت بقطاع من تلك الدائرة . وكان أهله يلحون عليه بالعودة ، وقد أصبح بعضهم في سفاقس وبعضهم تحت حكم النورمان . وأطاع داعي الشوق مرة ونزل على إلحاحهم ، واستجمع قوته وتغلب على خوفه القديم من البحر ، وركب السفينة عائداً . إلى أين ؟ هل من الممكن أن يكون قد حاول العودة إلى صقلية ؟ لا ندري شيئاً عن ذلك ، ولكني لا أعتقد أنه فعل ذلك . وكل ما نعرفه أن المركب الذي أقله انكسر ، وغرقت جاريته جوهرة (ق : ١٣١ ، ٢٠٦ ، ٣٢٥) وكان هو - لولا لطف الله - في الغرقى مشيراً براحته (ق : ٢٨٢) :

ألم أركب النفس اشتياقاً إليكم غوارب مخضر الغوارب طامي

ألم أكُ في الغرقى مُشيراً براحتي فلم أنج إلا من لقاء حِمامي
ألم أفقد الشمس التي كان ضوءها . يجلي عن الأجفان كلّ ظلام
طمعت بهذا كله في لقاءكم لتغرم نفسٌ أتلفت بغرام

وأياسته هذه الحادثة من أي محاولة أخرى بعد ذلك للقاء أهله . وبعد عشرين
سنة من إقامة ابن حمديس بأفريقية عاد ابن عمته أبو الحسن يسأله العودة وهو
يماطل ويتذرع بالعجز ، وكان قد أصبح في الستين من عمره ، يمشي بخطى
ضيق نحو السبعين (ق : ٢١٥) .

وأقام ابن حمديس في أفريقية — هذه المرة — بعد أن غادر الأندلس ما
يزيد على نصف عمره . وهذا دور فيه قسط كبير من الحمول وشكوى الكبر
وانتجال الحكمة والاقتراب من دائرة الزهد، وفيه عاش ابن حمديس متنقلاً
بين اغمات وسلا والمهدية وبجاية وبونة وتاجنة وقابس وسفاقس وميورقة وسبتة ،
يمدح ليعيش ، ويستشعر الاقلال وضيق الحال إذا امتنع عنه الرسم أو أبطأ عليه
العطاء . لازم المعتمد أولاً حتى أدركته منيته بأغمات، ثم اتصل ببني علناس
ورجال دولتهم وببني زيري وبني خراسان ، وأطال المدائح فيهم جميعاً ،
ولا بدّ لكي نفهم هذا الدور من حياته ، من أن نلمّ ببعض الأحوال في شمال
أفريقية حينئذ :

كان بنو زيري الصنهاجيون خلفاء للعبيديين في شمال أفريقية في القرن
الخامس ، إلى أن أبطل المعز بن باديس الدعاء لهم وتحول إلى العباسية وأظهر
السواد (٤٤١ هـ) فحرض الفاطميون العرب من بني هلال وسليم على الجواز
إلى أفريقية ، وكان من ذلك خراب القيروان واضمحلال شأن العلم والأدب بعد
أن بلغا الغاية في بلاط المعز ثم تدهور سلطان بني زيري ، ونافسهم بنو حماد
أبناء عمومتهم ، واستعان كل فريق بالعرب الغزاة أنفسهم . ونجم الخلاف على

بني زيري في مواطن متعددة فحاول بعض الطامحين الاستقلال بقابس وغيرها ، وكانت هذه الفرقة ذات أثر في تهوين الدفاع عن افريقية وعن الجزر مثل جربة وميورقة (وصاحب ميورقة هو مبشر الفتى غلام مجاهد العامري) أمام هجمات الأسطول النورماني بقيادة جرجي بن ميخائيل الذي رباه تميم بن المعز وهرب من كنفه والتجأ إلى رجار . وانقطعت تونس عن ملك بني زيري وفاوض أهلها عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان وولوه أمرهم ، ثم تصالح معه تميم وأبقاه على ما بيده ، وخلفه أحمد بن عبد العزيز الذي ظلّ والياً على تونس حتى سنة ٥٢٢ حين أخرج عنها وهاجر إلى الحجاز ، وتولى تونس بعده كرامة بن المنصور . فهاجماً هاجر ابن حمديس إلى افريقية لم يتصل بتميم بن المعز أقوى هؤلاء الحكام حينئذ ، وليس في ديوانه إلا قصيدة واحدة ذكر فيها أنه يمدح تميمًا والأرجح أنه قالها عندما مرّ بافريقية عام ٤٧١ ، وهو يشير في إحدى قصائده إلى أنه يمدح تميمًا ، إذ يقول للحسن بن علي بن يحيى بن تميم (ق : ٣٢٠)

ومدحتُ غلاماً جدّ أبيك وها أنا ذا شيخاً يفنى

كما أنه لم يتصل بالمرابطين ، إذ كانت صلته بالمعتمد تبعده عن التعرض لهم . ولكنه اتصل بعد وفاة المعتمد ببني حماد ، ومدح منهم المنصور بن الناصر بن علناس (٤٨٣ — ٤٩٨) (انظر ق : ٢٨٤ ، ٣١٤ ، ٣٤٩) وكان المنصور هذا مغرمًا بالمباني ، فصير بجاية دار ملكه ، وجدّد قصورها وبني فيها وفي القلعة قصر الملك وقصر المنار واللؤلؤة ، وقد وصف ابن حمديس أحد تلك القصور في إحدى قصائده . وكان لبني علناس ببجاية والقلعة وزراء يُعرفون ببني حمدون توارثوا وزارتهم ، منهم ميمون بن حمدون ومطرف وعلي وكلهم ذكرهم ابن حمديس في ق : ١٠٣ التي رثى فيها علياً ، كما رثاه في ق : ٣٠١ وهي من آخر ما قاله ، وتدلّ على أنه انتقل في أواخر عمره إلى بجاية ، وبها توفي .

وبعد وفاة تميم (٥٠١) أقبل ابن حمديس على ابنه يحيى (٥٠٩ - ٥٠١) ومدحه بقصائد كثيرة ، وكانت أيام يحيى هادئة نسبياً . وفي ق : ١٣٢ نرى ابن حمديس في سفاقس يبعث مديحه إلى يحيى بالمهدية . وتجدر الإشارة هنا إلى ق : ١٣٣ وفيها إشارة إلى نفر الثلاثة الذين أرادوا قتل يحيى ، وتتلخص القصة في أن ثلاثة أشخاص جاؤوا دسيسة من قبل أخٍ ليحيى ، وادعوا أنهم يعرفون الكيمياء ، وكان يحيى شغوفاً بها ، فطلب إليهم أن يروه شيئاً من صناعتهم فاشترطوا عليه ألا يحضر المجلس أحد إلا هو ووزيره ، فلم يحضر إلا يحيى والشريف أبو الحسن وقائد جيشه واسمه إبراهيم (لعله إبراهيم بن أحمد بن بريدة ق : ٢٥٧) فلما رأى الثلاثة المكان خالياً ثاروا بالموجودين فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين في عمامته ولم تحدث شيئاً ، وقيل بل جرح ومات متأثراً من جراحه ، وقتل الشريف الفهري أبو الحسن (ق : ٩٦ مرثية) وأخذ القائد إبراهيم السيف فقتلهم . وفي أيام يحيى هذا مدح ابن حمديس مبشراً صاحب ميورقة (ق : ٢١٣) .

وخلف يحيى ابنه علي (٥٠٩ - ٥١٥ هـ) فاهتم بالأسطول ليستطيع مقاومة الأساطيل الرومية . وحاصر جربة سنة ٥١٠ ، وقصائد ابن حمديس سجل لبعض الأحداث في زمانه ، من ذلك الحادثة التي تمت سنة ٥١١ وفيها تنبأ المنجمون بأن السلطان يموت إذا مضى عشر من رمضان (ق : ١٣٥) . وتبلغ مدائح ابن حمديس في علي أكثر من ضعف مدائحه في يحيى . وربما أحسن الشاعر في موقفه ذاك تعويضاً عما فاتته من الدفاع عن صقلية لأن علياً كان قد وقف بصلافة ضدّ حكام صقلية النورمانيين فتمثل الشاعر أنه في هذه الوقفة الباسلة يدافع عن وطنه .

وجاء حسن بن علي بعد أبيه وعمره اثنتا عشرة سنة ، وقد عاش ابن حمديس اثنتي عشرة سنة أخرى من حكمه ومدحه ببعض القصائد وتستوقف أنظارنا

(ق : ١٤٢) ففيها يتشفّع لأهل سفاقس :

وما سفاقس إلّا بلدة بعثت إليك عنها لسان الصدق تعتذر
وأهلها أهل طوع لا ذنوب لهم إني لأقسم ما خانوا وما غدروا
وإنما دافعوا عن حتف أنفسهم إذ خدمتهم به الهندية البر

وما ذلك إلا لأن روابطه بسفاقس كانت قوية ، وكان بعض أهله قد
استوطنها ، كما أنّه اتخذها أحياناً دار إقامة ، وهو يقول في قصيدة أخرى : (١٣٩)

فقل لأناس عرّسوا بسفاقس لطائر قلبي في معرّسكم وكر
وفرخ صغير لا نهوض مثله يراطن أشكالاً ملاقطها صفر
إذا ما رأى في الجوّ ظلّ مخلّقٍ ترتّم واهتزت قوادمه العشر
يظنّ أباه واقعاً فإذا أبى وقوعاً عليه شبّ في قلبه الجمر
يلذ بعيني أن ترى عينه وأن يلف بنحري في التلاقي له نحر

فهو يشير بهذا إلى ابنه ، وابتعاده عنه في بعض المدن الافريقية .
ويبدو أن اضطراب الأحوال من حول الحسن صرف ابن حمديس عنه
إلى غيره فاتصل بأحمد بن خراسان وبكرامة المنصور ، ثم أخيراً ببني حمدون
في بجاية ، وفيها ألقي عصا التسيار نهائياً .

وفقد ابن حمديس في هذا الدور الطويل من حياته أشياء كثيرة : فقد
شبابه ، واتخذ العصا ليهشّ بها على الأعوام ، وكان شديد الإحساس بمر السنين ،
ثم فقد بصره ، ولما دخل على كرامة بن المنصور بتونس (بعد سنة ٥٢٢) ذات
مرة ، سأله كرامة : كيف حال الشيخ؟ فقال : كيف حال من كان صاحب
عينين فصارتا غينين ؟ ! فاستحسن كرامة كلامه وقال له : خذ هذه العصا وتعكر

عليها ، فمدّ يده ، فوجده غلاماً باعه بعد ذلك بثلاثين ديناراً^١ ، كذلك فقد
الخمر وأفلح عن شربها . وماتت زوجته أم ولديه أبي بكر وعمر (ق : ٢٩٧)
فرثاها على لسان أحدهما ، وماتت ابنته (ق : ٢٤٥) وكان قد أرجف الناس
أنه مات ، وبلغ الخبر ابنته ، فأقامت مأتماً عليه وبكته « وكل على مقدار حسرته
بكى » . ولكن شاءت الأقدار أن تموت هي ، وهو حي ليرثها ، ويستشعر الغربة
لها ولنفسه بعد كل هذه الأعوام :

أراني غريباً قد بكيت غريبة كلانا مشوق للمواطن والأهل
بكنتي وظننت أنني متّ قبلها فعشت ، وماتت وهي محزونة قبلي

وتناقصت لديه شعلتان : شعلة الشاعرية التي أصبح يحاول تقويتها بالحيل
اللفظية ، وشعلة الحنين إلى صقلية ، فإنه لم يرثها إلا مرة واحدة ، وكان قد
بلغ الستين (أي حوالي ٥٠٧) وقال في ذلك قصيدة من أجمل ما عرف من
شعره وذاع له وهي (ق : ١١٠) :

قضت في الصبا النفس أوطارها وأبلغها الشيب مضمارها

ولم ينس صقلية ، ولكن الحياة كانت قد أخذت منه أكثر مما أعطت ،
ثم أخذ الموت كلّ ما تبقى في رمضان عام ٥٢٧ = تموز ١١٣٣ . ودفن ابن
حمديس ببجاية - في أصح القولين - لأن دفنه بميورقة أمر مستبعد ، وألحد
الرجل الغريب في أرض غريبة .

٣ - شعر ابن حمديس^١

لم تنجب مثله صقلية في الشعر ، ولم يقصر عن أجود ما وصلته الأندلس (باستثناء فن التوشيح) وربما لم ينشأ من شعراء المغرب من يضاهيه قوة وتنوعاً ، فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربية في أزهى عصور السيادة السياسية بالمغرب . وقد تأثر بالبيئات الثلاث وحكى أثرها في شعره بناءً وموضوعاً ، فقصائده ترقى حتى تشبه الطبيعة الصقلية والأندلسية الجميلة في رقعتها وعذوبتها وتستطيل حتى تحاكي مباني قرطبة والناصرية سموقاً وصناعة ، ويسيل فيها ماء الطبع ، وتخدم فيها حمية الجهاد .

وقد كان معاصروه ومن جاء بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه أو بناحية الدقة الجزئية في شعره الوصفي عامة ، أما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره - حسب الجودة الفنية - في الترتيب التالي :

١ - قصائده الصقلييات التي يصور فيها وطنه في صراعه مع الأعداء ثم ضياعه ، وذكريات الشاعر في ذلك الوطن : ويلحق بهذه القصائد ما قاله في أفول شمس المعتمد . ثم بعض الرسائل الشعرية التي تكشف أيضاً عن حنينه إلى وطنه ، ومراثيه في أقرب الناس إليه مثل والده وابنته وجوهرة جاريتها ، وتشترك هذه المجموعة كلها في طبيعة الحزن وفي مقدار صالح من الصديق العاطفي وإن كانت تتفاوت فيما بينها في ذلك . وأعلاها درجة قصائده الصقلييات التي تتجلى فيها قوة الحنين والتفجع على ضياع الوطن . وهذا هو أكبر موضوع شعري عاجله شعراء صقلية والقيروان والأندلس ، ويتميز عليهم ابن حمديس جميعاً بأن إحساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت ، وإن احتجبت صورته

١ الدراسة التفصيلية لشعر ابن حمديس بما لا تفي به هذه المقدمة ، وإنما أرسم هنا الخطوط الكبرى لهذه الدراسة .

بين الحين والحين فيما يعالجه الشاعر من شؤون الحياة . وليس بين شعراء الأندلس والقيروان من عاش على ذكرى وطنه كما عاش ابن حمديس لأن لوعة الفراق المباشر عند أولئك هي التي أذكت نار الشعر ثم خمدت النار وسارت الحياة بهم سيرها العادي ، أما ابن حمديس فظلّ غريباً حيث حلّ لا لنبوّ في طبعه وإنما لتجسّم في الوطن خلال مشاعره ، ولم يستطع أن يقول كما قال مواطنه أبو العرب الصقلي :

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي

ومن اللمحات الدالة أن نسمع ابن حمديس يقول في الغزل (ق : ٤٧)

رشاً أحنّ إلى هواه كأنّه وطن ولدت بأرضه ونشيت

وليس هذا من التلاعب بالمعنى أو عكسه وإنما هو ذلك التجسّم الذي أشرت إليه .

٢ - القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الإنشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي مثل (ق : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ والخمريتين : ٥٦ ، ٥٧) وتشترك هذه المجموعة مع المجموعة الأولى في صدق البواعث وتباينها في عدم تحدد الموضوع ، فالشاعر فيها خاضع لانفعال مبهم ، فهو يمزج فيها عواطف الحب والميل إلى الحمر والشكوى من الزمان وغير ذلك ، ونموذجها (ق : ٢٣٨) التي يعارض فيها المعري :

أجمّل على بخل الغواني وإجمال تفاءلت باسم لا يصحّ به الفصال

فقد مزج فيها الغزل وذكرىات الطفولة وتغير الحال والتشوّق إلى الأوطان ، ولم تكن المعارضة للمعري إلا أمراً عارضاً لم يؤثر كثيراً في طبيعة الدوافع الداخلية .

٣ - شعر الوصف وأكثره مقطعات وقصائد قصيرة . وإذا كانت القاعدة في المجموعتين السابقتين هي قوة العاطفة فإن القاعدة هنا هي إتقان الصورة أو درجة الصنعة الفنية . والوصف موضوع كبير جداً في ديوان ابن حمديس ، وللبيئة الصقلية أولاً والأندلسية ثانياً أثرهما في إبرازه على هذا النحو ، وهو يشمل عناصر كثيرة : فهناك وصف الطبيعة من أنهار وغدران وسواق وأشجار وأزهار كالنيلوفر والشقائق وفواكه كالنارنج وسحاب وبرق ورعد وبحار ، ووصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن ، ووصف الحيوانات والحشرات : كالأسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب ، ووصف مناظر الصيد ومجالس الشراب والخمر ، ووصف الأدوات الحضارية كالقلم والشمعة وثرى الجامع . وأتمودج وصف الطبيعة (ق : ٧٧) :

نثر الجوى على الأرض برد أي در لنحور لو جمد

فكلها قائمة على عنصرين : إيجاد الصورة وعذوبة الموسيقى . وليس في هذه المقطعات تعاطف بين الشاعر والطبيعة ، ويحس القارئ فيها بجمود شديد إذا هو قارنها بشعر المجموعتين السابقتين . ومن أعذبها موسيقى وأحفلها بالحركة قصيدته (٥٦ ، ٥٧) . ويقع غزله في هذا القسم أيضاً فهو أحياناً بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة .

٤ - الشعر الحكمي والتعليمي وهو قسمان : شعر زهدي فيه قسط من الذاتية يلحقه أحياناً في آخر المجموعة الأولى ، وشعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا مثل كتمان السر (ق : ١٤٥) والقصد في التدبير (ق : ٩٧) والصحة والمرض (ق : ١٥٥ ، ١٧٦) .

ويتصل بهذا الاتجاه مظهر سلبي وهو فقدان موضوع شعري كامل لديه أعني « الهجاء » . والشاعر يحدثنا أنه اختار هذا المذهب عامداً ، وهو مذهب

مرتبطة بمبدئه الخلقى وطبيعة نفسيته ، ففي نفسيته شيء من الترفع ، وفي خلقه تعفف عن هجر القول. وتدل (ق : ٦٠) على أن بعض الناس اتهمه بأنه يعجز عن الهجاء ، فحاجتهم بأنه يحسن المديح كأنه يعيد قول العجاج الراجز : « وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ » غير أنه عاد يربط الأمر بفلسفة خلقية ويقول :

عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقال القبيح
وما لي وما لامرئ مسلم يروح بسيف لساني جريح

وافتخر في (ق : ٣٢٨) بأنه قد آلى على نفسه ألا يهجو عفة لسان منه وعفواً عند المقدرة :

إني امرؤ لا ترى لساني منظماً ما حييت هجوا
كم شاتم لي عفوت عنه مصمماً في اللسان نهوا

وتندرج نظرفته إلى الحياة تحت قاعدة التسليم ، والإيمان بالحكمة الخفية وعجز العقل (ق : ٣٥٩)

ما أغفل الفيلسوف عن طرق ليست لأهل العقول منسلكه
من سلم الأمر لله نجاً ومن عدا القصد واقع الهلكه

وقد عاد إلى حظيرة التدين ومضى أيضاً « سالكاً سبل آبائه » كما مضى أبوه ، وارتفعت روح التدين عنده مع انحطاط العمر ، ووقفته ضدّ أطماع الفرنجة في الأندلس وشمالى افريقية ، وهو يرى أن الإنسان يجب أن يأخذ بالأشد من الشرع ولا يميل إلى الرخص . وفي بعض قصائده منهج خلقى نقدر أنه لم يأخذ به في حياته وهو قوله (ق : ٣٣٨) :

مَنْ سالم الضعفاء راموا حربه فالبس لكل الناس شكة محرب
كلٌّ لأشراك التحيّل ناصب فاخلب بني دنياك إن لم تغلب
لا يكذب الإنسان رائد عقله فامرر تمجّ وكن عذوباً تشرب

فمثل هذا المنهج لا يتفق وشخصية ابن حمديس العامة .
هذا هو شعره ونظراته الكونية ، أما أسلوبه الشعري فيتردّد بين البساطة البالغة
التي تشبه « العفوية » في مثل قوله :

بالله يا سمرات الحيّ هل هجعت في ظلّ أغصانك الغزلان عن سهري
وهل يراجع وكرأ فيك مغترب عزت جناحيه أشراك من القدر
ففيك قلبي ولو أستطيع من وله طارت إليك يجسمي لمحة البصر

وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة ؛ وتكرر لديه المعاني وبخاصة
في المدح ، وتشغفه ألفاظ معينة فلا يسأم تردادها ، ومن شاء شاهدأ على ذلك
فليستبع مثلاً لفظة « ذمر » في ديوانه . وهو يقرّ بأنه كان يغير على بعض المعاني
لغيره وكان يعارض بعض الشعراء ويختصر معاني شعراء آخرين .

ويبدو من بعض المساجلات الأدبية أنّه كان سريع البديهة ، يقترح عليه
الموضوع فيقول دون تباطؤ ؛ حدث أبو محمد عبد الله بن مروان بن الحجاج
ابن علي القضاعي قال : اقترحت على أبي محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن
حمديس وقد وقف ليودعني وكنت عازماً على سفر أن يصنع لي أحياناً غزلية في
الوداع فصنع في الحال وقال (ق : ١٨٧) :

ولما رأيت طير الفراق نواعباً وقد همّ بالتوديع كلّ مودع^١

٤ - ديوان ابن حمديس

يحدثنا ابن ظافر الأزدي أن ابن حمديس صنع ديوانه لنفسه وأنه كان في عهد ابن ظافر موجوداً في أيدي الناس^١. ويبدو أن ابن حمديس عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأمله على أحد الرواة ، فقد جاء في (ق : ١٧٠) : « أخبرني أبو محمد عبد الجبار وقد سأله عن التمثيل بالنسر . . الخ » وورد في (ق : ٩٩) : « وأبو تمام كان يغير عليّ في المعاني . . . وسيأتي بيان ذلك في موضعه » ولم يأت شيء مما يشير إليه في هذه العبارة ، مما يدل على أن بعض توضيحات ابن حمديس قد سقطت من هذه المجموعة التي وصلتنا . وقد ذكر حاجي خليفة ديوان ابن حمديس في كشف الظنون فقال : « ديوان عبد الجبار ابن محمد الصقلي المتوفى بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ أكثره جيد »^٢ ولم يزد على ذلك . وقد بقيت من ديوانه نسختان :

١ - نسخة الفاتيكان (رقم : ٤٤٧) وهي التي رمزت لها في الهوامش بالحرف (ف) وتحتوي ١١٨ ورقة بمقياس ٢٠٥ × ١٥٠ مم ومعدل الأسطر في الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً ، وبعض الأبيات مكتوبة على هامشها ، وخطها مغربي واضح أنيق مشكول ، والشعر فيها مرتب على الحروف خلا بعض مقطوعات في الورقة الأخيرة . وعلى الهامش تعليقات قليلة القيمة بخط مختلف عن خط الأصل ، والنسخة مليئة بالخط والتصحيف ، وتكتب الضاد فيها أحياناً ظاء . وقد جاء في آخرها : « تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه ، وكان الفراغ منه يوم الخميس ليومين بقيتا (كذا) من المحرم من سنة سبع وستمائة ، وكتب إبراهيم بن علي الشاطبي » . وعلى الصفحة الأولى منها بعض التملكات .

١ بدائع البداه : ٣٨

٢ كشف الظنون : ٧٩٩

٢ - نسخة المتحف الآسيوي، بيطرسبرج (ليننغراد) رقم : ٢٩٤ ورمزها (ب) ، وتبدأ بالقصيدة رقم : ٥٦ والشعر فيها غير مرتّب على القوافي ، وبعضه مكتوب في هوامشها . وجاء في الصفحة الأخيرة منها : « نجز ما وجد من شعر عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الصقلي السرقوسي ، رحمه الله تعالى ، يوم الجمعة قبل الظهر خامس عشر ذي القعدة سنة ست بعد الألف على يد الفقير الحقير زكرياء بن خضر بن علي بن طاهر البقاعي ثم اللباني ثم الدمشقي ثم الشافعي غفر الله له ولوالديه . واعلم أيها الناظر أنك إذا وجدت في هذه النسخة سقطاً أو نقصاً أو غلطاً فهو من أصل النسخة المنقول عنها هذه النسخة ، والله على ما أقول وكيل » . (وكتب هذه النسخة قد ترجم له المحجبي ٢ : ١٧٦) .

وبين هاتين النسختين مشاركة في بعض القصائد كما أن كلاً منهما تنفرد بعدد منها ، وعلى الجملة فإن نسخة « ف » أقدم من حيث التأريخ وأوفى من حيث عدد القصائد ، وتتميّز على « ب » بأنها تحوي مدائح ابن حمديس في أمراء إفريقية بينما تنفرد « ب » ببعض المقطعات وبأنها أصح نصّاً وأكثر ضبطاً . إذ يبدو أن الأصل الذي نقلت عنه صحيح في الجملة . وكلتا هاتين النسختين القصائد التي قيلت في الأندلس ، - أو أكثرها - . فإذا أضفنا إلى هاتين النسختين القصائد التي وردت في كتاب الذخيرة لابن بسام اجتمع لنا ثلاث روايات من شعر ابن حمديس تتباعد أحياناً حتى ليستغرب المرء كيف حدث بينها مثل هذا القدر من الاختلاف . وبالمقارنة مع الذخيرة نجد ما يلي :

أ - أن بعض قصائد الذخيرة أوفى روايةً من قصائد الديوان .

ب - أن هناك قصائد في الذخيرة لم ترد في نسختي الديوان .

ج - أن الرواية في الذخيرة تختلف عن بعض روايات الديوان في أكثر ألفاظ البيت الواحد .

د - أن مطلع إحدى القصائد في الذخيرة مطلع لقصيدة أخرى مختلفة عنها

في الديوان (انظر ق : ٣٣٩ و ق : ٣٥) .

ومن الممكن أن نفترض أن رواية الذخيرة هي ما أخذه ابن بسام من شعر ابن حمديس أثناء وجوده في الأندلس ، إما قبل أن يجمع لنفسه ديواناً معتمداً وإما من مجموعة لم تصلنا صنعها ابن حمديس في الأندلس أو بعيد فراقه لها . وتمثل « ب » الخطوة الثانية إذ ضمَّنها شعره في صقلية والأندلس وبعض أشعاره في إفريقية قبل أن يتصل بأمراء بني زيري . ثم كانت الخطوة الثالثة هي « ف » وهي تخلو من بعض المقطعات القديمة وتحوي ما جدَّ من شعر ابن حمديس بعد الخطوة الثانية . والسبب في هذا التفاوت يتصل بالتنقيح أولاً وبالنسيان ثانياً ، إذ يبدو أن الشاعر كان يملئ من حفظه فقد جاء عند نهاية (ق : ١٠٢) وهي مما انفردت به نسخة « ب » : « هذا ما تعلق عبد الجبار من القصيدة » . وكلّ هذا لا يعارض كلام ابن ظافر الذي سبقت الإشارة إليه لأن ابن ظافر إما رأى إحدى هذه النسخ — فالقصيدة التي يشير إليها تنفرد بها نسخة (ب) — وإما أن هناك خطوة رابعة وهي اعتماد ديوان يجمع « أكثر ما تعلق بحفظ » ابن حمديس ، صنعه لنفسه قبل وفاته .

وكان الأستاذ ميشيل أماري قد نشر بعض قصائد ابن حمديس في المكتبة الصقلية اعتماداً على المخطوطة (ب) . وترجم شاك بعض هذه القصائد في الجزء الثاني من كتابه *Poesi und Kunst ...* ثم تولى الأستاذ جلستينو سكيابارييلي ، تلميذ أماري ، نشر الديوان عن هاتين النسختين (نسخة الفاتيكان وبطرسبرج) ، واتخذ نسخة الفاتيكان أصلاً لقدمها واستيفائها أكثر القصائد ، واتباع الترتيب الأبجدي المشرقي للحروف ، وزاد في كل حرف ما وجدته في « ب » وعارض النسختين ، وأثبت الاختلافات في الهوامش وخرج بعض الشعر في المصادر مثل نهاية الأرب والخريدة ومطالع البدور والنفح والوفيات والوافي ، وطبع الديوان في رومية سنة ١٨٩٧ . وكان عمله من حيث المنهج التحقيقي جيداً . إلا أن انفرد

نسخة « ف » بكثير من القصائد وامتلاءها بالخط ، جعل الديوان المطبوع مليئاً بالأخطاء حتى أصبحت قراءة شعر ابن حمديس وفهم بعض أبياته أمراً عسيراً ، وكان سكياباريلي أميناً على الاحتفاظ برسم الكلمات كما وجدها في « ف » ولم يحاول أن يقيم من ترابطها معنى ، أو حاول ولم يوفق ، كما أنه لم يستغد في المتن من قراءات « ب » بحيث يقدم للقارئ نصاً صحيحاً بل اكتفى بإثبات قراءات « ب » في الحواشي .

وحين كنت أعمل في دراسة عن الأدب في صقلية الإسلامية كنت أحسّ دائماً أن الديوان يحتاج نشرًا جديدًا ، أولاً لأنه طبع منذ عهد بعيد، وثانياً لأنه في حاجة ماسة إلى تصحيح . وحين أتيح لي القيام بهذا العمل أبقيت الترتيب الذي اختاره الأستاذ سكياباريلي ، وحصلت على مخطوطة الفاتيكان وعارضت بها المطبوعة « م » فوجدت « م » صورة أمينة من « ف » ، وكلفت أحد تلامذتي عند سفره إلى موسكو إحضار صورة من نسخة « ب » غير أن الظروف حالت دون وصولها إليّ حتى الآن. ولذلك أثبت من قراءات « ب » التي أوردها الأستاذ سكياباريلي ما يفيد القارئ ويهديه إلى صورة أخرى مقبولة من القراءة ؛ وكان هدي الأول أن أوجد من شعر ابن حمديس نصاً صحيحاً ، فلم أتوفر على الشرح — إلا قليلاً — وأشارت إلى بعض التغيرات التي أجريتها في الهوامش ، وجمعت بعضها الآخر في جدول مستقل . وأضفت بعض القصائد التي عثرت عليها في مصادر لم يطلع عليها الناشر الأول ، وبذلت في هذا العمل من الجهد ما لا أمنّ باستكثاره حين أجده كثيراً . ولست أنكر أن التوفيق لم يحالفني دائماً في التصويب ، وبقيت بعض العبارات والألفاظ لغزاً مبهماً أمام عيني لا أستطيع حله .

وحين وقفت من التصحيح عند الحد الذي أرتضيه قدّمت الديوان إلى صديقيّ الأستاذ أنطون صادر والأستاذ محمود صفّيّ الدين فحملاً عبثه بإخلاص فذّ ، وبذلا فيه جهداً منقطع النظير ، وتقبلاً بصدر رحب كلّ ما كنت أرتأيه

من تغييرات جديدة - حين كانت الملازم تروح وتغدو بين بيروت والخرطوم .
فأشكرهما على ما يبذلانه في خدمة الأدب العربي وأعترف بجميلهما وأعتزّ
بصداقتهما ، وأتوجّه بالشكر الجزيل للمستشرق الكبير الأستاذ جبرائيلي الذي
أمدني - مدّ الله في عمره - بمخطوطة الفاتيكان ، وأقدم خالص الثناء والشكر
لصديقي الأديب الأستاذ صلاح أحمد ابراهيم الذي قاسمني جزءاً كبيراً من
العناء في إخراج هذا الديوان .

جامعة الخرطوم في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠

مراجع المقدمة والتخریجات

أ - ترجمة ابن حمديس :

- ١ - وفیات الأعيان لابن خلكان ط . ١٢٩٩
- ٢ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (مخطوطة جامعة القاهرة) .
- ٣ - النريدة (القسم الأندلسي) للعماد الأصفهاني (مخطوطة دار الكتب المصرية)
- ٤ - أخبار الملوك للملك الناصر (ضمن المكتبة الصقلية) .
- ٥ - مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة دار الكتب المصرية)
- ٦ - رايات المبرزين لابن سعيد (تحقيق الأستاذ غربية غومس)
- ٧ - الفكر الأندلسي لبالنثيا (ترجمة الدكتور حسين مؤنس)
- ٨ - ترجمة ابن حمديس - للأستاذين مصطفى السقا والمنشاوي ، المطبعة الرحمانية ١٩٢٩
- ٩ - بدائع البدائ لابن ظافر ط . بولاق .
- ١٠ - معجم السفر للسلفي (مخطوطة دار الكتب المصرية)
- ١١ - الوافي بالوفيات للصفدي (مخطوطة أحمد الثالث)
- ١٢ - عنوان الأريب ج ١ للشيخ محمد النيفر ط . تونس ١٣٥١
- ١٣ - المكتبة الصقلية جمع ميشيل أماري .
- ١٤ - أماري : Storia dei Musulmani Di Sicilia. vol. II p p. 592 - 602
- ١٥ - شاك : Poesi und kunst der Araber in Spanien und Sicilien : Schack : vol. II, 17 - 30
- ١٦ - Nykl : Hispano - Arabic Poetry, p. 168

ب - مراجع عامة أخرى :

- ١٧ - أعمال الأعلام لابن الخطيب في Centenario di M . Amari
- ١٨ - تاريخ ابن الأثير ج ٩ ، ١٠
- ١٩ - تاريخ ابن عذاري - أخبار المغرب ج ١

- ٢٠ - مطالع البدور للفرزولي .
- ٢١ - نهاية الأرب للنويري .
- ٢٢ - طراز المجالس للحفاجي .
- ٢٣ - الفيث الذي انسجم للصفدي .
- ٢٤ - تاريخ ابن خلدون ج ٦ .
- ٢٥ - شرح المقامات للشريشي .
- ٢٦ - معاهد التنصيص للعباسي ط . بولاق .
- ٢٧ - روض الآداب لشهاب الدين الحجازي (مخطوطة دار الكتب المصرية)
- ٢٨ - نفح الطيب للمقري ط . بولاق .

السلامة والسلامة

صلى الله على محمد وسلم

قال أبو محمد عبد الجبار بن حمديس عفا الله عنه

حرف الالف

١

قال

إلى متى منكم هَجْرِي وإقصائي ويلي وجدتُ أحبائي كأعدائي
هَمْ أَظْمَأُونِي إِلَى مَاءٍ اللّهُ ظَمًا تَرَحَّلَ الرَّيُّ بِي مِنْهُ عَنْ الْمَاءِ
وخالفتوني فيما كنتُ آمِلُهُ مِنْهُمْ وَرَبَّ دَوَاءٍ عَادَ كَالدَّاءِ
أعيا عليّ ، وعذري لا خفاءَ به ، رياضةُ الصَّعْبِ مِنْ أَخْلَاقِ عُدْرَاءِ

١ في ب : برد .

يا هذه ، هذه عيني التي نظرت
من مقلتيك كساني^١ ناظري سقما
وكلّ جَدَبٍ له الأنواءُ ماحية^٢
لاني لجمر^٣ وفاءٍ يُستضاءُ بهِ
حاشاكِ مما اقتضاهُ الدمُ في مثلِ
ما في عتابِكِ من عُتْبَى فارقبها
ولا لوعدكِ إنجازُ أفوزُ بهِ
مؤتبي في رصينِ الحلم حين هفّا
دع حيلةَ البرءِ في تبريح ذي سَقَمٍ^٤
مضني يردّ سلامَ العائداتِ له
كأنه حين يستشفي^٥ بغانيةٍ
ما في الكواكب من شمس الضحى عوّض^٥

تبلّ بالدمعِ إصباحي وإمساقي
فما لجسمي فيءٌ بينَ أفياء
وَجَدَبُ جسمي لا تمحوهُ أنوائِي
وأنتِ بالغدرِ تختارينَ إطفائي
قد عادَ بعدَ صَناعِ نقضٍ خرقاء
هل يُستَدَلُّ على سلمٍ بهيْجاء
وكيف يُروى غليلاً آلُ بيداء
لم يَهْفُ حلمي إلا عندَ هيفاء
إن المشارَ إليه ريقُ لمياء
مثلَ الغريقِ إذا صلتى بإيماء
غيرِ البخيلةِ يرمي الداءَ بالداء
ولا لأسماءَ في أترابِ أسماء

١ في ب : من ناظريك سقاني .

٢ في ب : لنجم .

٣ في ب : لولا خصر .

٤ في ب : ذي شغف .

٥ في ب : يستقي .

وقال أيضاً يصف الشيب ويذكر تشوقه إلى موطنه بصقلية :

نَفَى هُمٌ شَيْبِي سرورَ الشبابِ	لقد أظلمَ الشيبُ لما أضاءَ
قضيتُ لظلَّ الصبا بالزوالِ	لما تحوّلَ عني وفاءَ
أُتِعرفُ لي عن شبابي سلُوءاً	ومن يجدِ الداءَ ينجِ الدواءَ
أَكسو المشيبَ سوادَ الخضابِ	فأجعلَ للصبحَ ليلاً غطاءَ
وكيفَ أُرَجِّي وفاءَ الخضابِ	إذا لم أجِدْ لشبابي وفاءَ
وريجٍ خفيفةٍ رَوْحِ النَّسيمِ	أطتُ بليلاً وهبت رُخاءَ
سرت وحيها شقيقُ الحياةِ	على مَيّت الأرض تُبكي السماءَ
فمن صَوْتِ رَعْدٍ يسوق السحابَ	كما يسمعُ الفحلُ شولاً رغاءَ
وتُشعلُ في جانبيها البروقُ	بريقَ السيوفِ تُهزّ انتضاءَ ^١
فبت من الليل في ظلمةٍ	فيا غُرّةَ الصبحِ هاتي الضياءَ

١ في ب : كما أسمع .

٢ في ب : هزّون انتضاء .

ويا ربحُ إِمّا مَرَّيْتِ الحيا وروَّيْتِ مِنْهُ الربوعَ الظماء
فسوقِي إليَّ جهامَ السحاب لأملأهنَّ من الدمع ماءً^١
ويسقي بكائي ربح الصبا فما زالَ في المحل يسقي البكاء
ولا تُعْطِشِي طلالاً بالحمى تَدَانِي على مُزْنَةٍ أو تناءى
وإن تَجْهَلِيهِ فَعَيْسِدَانُهُ لظَى الشمس تَلْدَعُ منها الكباء
ولا تعجبي فمغاني الهوى يطيبُ طيبُ ثراها الهواءَ
ولي بينها^٢ مهجةٌ صَبَّةٌ تزودتُ^٣ في الجسم منها ذماء
ديارٌ نَمَشْتُ إليها الخطوبُ كما تَمْشِي الذئابُ الضراء
صَحَبْتُ بها في الغياض الأسودَ وزرتُ بها في الكناس الظباء
وراءك يا بحرُ لي جَنَّةٌ لبستُ النعيم بها لا الشقاء
إذا أنا حاولتُ منها صباحاً تعرضتُ من دونها لي مساء
فلو أَنتِي كُنتُ أعطى المني إذا مَنَعَ البحرُ منها اللقاء
رَكِبْتُ الهلالَ به زورقاً إلى أن أعانقَ فيها ذُكاء

١ في ب : جهام الغيوم لأملأها لك بالدمع ماء .

٢ في ب : ولي عندها .

٣ في ب : تذوب .

٤ في ب : طالمت .

وقال في النيلوفر :

تخریجها : ٢٠١ في نهاية الارب ١١ : ٢٢٢
ومطالع البدور ١ : ١١٢ والمسالك .

اشربْ على بركة نَيْلُوفَرٍ مُحْمَرَّةِ النَّوَارِ خُضْرَاءِ
كَأَنَّمَا أَزْهَارُهُمَا أَخْرَجَتْ أَلْسِنَةَ النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

حرف الباء

٤

وقال يتنزل

زارتُ على الخوفِ من رقيبٍ كظيةٍ رُوِّعتْ بذيبٍ
كافورةٌ في بياضِ لونٍ ومسكةٌ في ذكيٍّ طيبٍ
كادتُ^١ تروِّي غليلَ صبٍّ فواده منه في هيبٍ
من تُغَبِّ باردٍ حصاه منظم اللؤلؤ الشنيب^٢
حتى إذا ما طمعتُ منه بحسوة الطائر المريب
ولتُ فقلُّ في طلوع شمسٍ قد أخذت عنه في الغروب
كان زمان اللقاء منها أقصر من جلسة الخطيب

١ في ب : جاءت .

٢ في ب : الرطيب .

وقال أيضاً

وَدُجُنَّةٍ كَالنَّفْسِ صُبَّ عَلَى الثَّرَى مَزَقْتُ مِنْهَا بِالسَّرَى جَلْبَابَا
زَرْتُ الْحَبَائِبَ ، وَالْأَعَادِي دُونَهَا كَضِرَاعٍ تَذْكِي الْعِيُونَ ، غَضَابَا
وَوُطِئْتُ دُونَ الْحَيِّ نَارَ عداوَةٍ لَوْ كَانَ وَاطِئَهَا الْحَدِيدُ لَذَابَا
بِهَوًى أَشَابَ مَفَارِقِي وَلَوْ أَنَّهُ يُلْقَى عَلَى شَرْخِ الشَّبَابِ لَشَابَا
فِي مَتْنٍ نَاهِبَةٍ الْمَدَى يَجْرِي بِهَا عِرْقٌ تَمَكَّنَ فِي النَّجَارِ وَطَابَا
بِزَبَرْجَدِيَّاتٍ إِذَا عَمَلَتِ الصِّفَا وَقَعَتْ بِوَاطِئِهَا عَلَيْهِ صِلَابَا
وَنَكَادُ نَشْرَبُ مِنْ تَسَامِي جِيدِهَا مَاءٌ تَسُوقُ بِهِ الرِّيحُ سَحَابَا
ذَعَرْتُ غَرَابَ اللَّيْلِ بِي فَكَأَنِّي لِأَصِيدَهُ مِنْهَا رَكْبُ عُقَابَا
وَمُصَاحِبِي عَضْبٌ كَانَ فِرْنَدَهُ نَمَلٌ مُصَاحِبُهُ عَلَيْهِ ذَبَابَا
فَكَأَنَّ شَمْسًا فِي تَأَلُّقِ مَائِهِ مَجَّتْ عَلَيْهِ مَعَ الشَّعَاعِ رُضَابَا
وَالصَّبْحَ قَدْ دَفَعَ النُّجُومَ عُبَابَهُ رَأَتْهُ سَيْلٌ يَسُوقُ حَبَابَا

وقال يصف البحر

أراك ركبتَ في الأهوال بحراً عظيماً ليس يؤمن من خطوبه
تُسَيِّرُ فلكه شرقاً وغرباً^١ وتُدْفَعُ من صَبَاهُ إلى جنوبه
وأصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي أمورُ أَلْجَأَتْكَ إلى ركوبه

وقال يتغزل

فَارْقُتْكُمْ^١ وفراقكم صَعْبُ لا الجسمُ يحمله ولا القلبُ
قُتِلَ البعادُ فما أُشِيرَ به حتَّى تَمَزَّقَ بَيْنَنَا القرب
أُمُيِّمَةٌ^٢ والركبُ مُرْتَحِلٌ^٣ بالصبرِ عنك تَرَحَّلَ الركب
كم ذا يزورُ البحرَ بحرُ أَسَى في العينِ منك جُمانُهُ رطب
ما كان نأبِي عن ذراكِ قَلِيٍّ فيموتَ بعدَ حَيَاتِهِ الحبُّ
لإني لأرجو السلمَ من زمنٍ قامَتْ على ساقٍ له حربُ
والدهرِ إن يُسْعِدَ فَرَبَّتَمَا صَلَّحَ الجموحُ وذُلَّ الصعبُ

١ الطراز : غرباً وشرقاً .

وقال أيضاً

مَنْ لِي بِطَيْبِ الْوَصْلِ مِنْ غَادَةِ وَهِيَ كَعَابُ عِنْدِهَا الشَّيْبُ عَابُ
تُسَوِّدُ الْخَنَاءَ فِي كَفِّهَا عِشْقًا لِمَسْوَدِّ عِذَارِ الشَّبَابِ
كَفٌّ مِنْ الْكَافُورِ هَذِي الَّتِي أَرَى مِنَ الْمَسْكِ عَلَيْهَا خَضَابِ

وقال أيضاً

وَجِدُّ عَنْ الدَّمْعِ فَضَّ الْحَمَّ فَاَنْسَكِبَا بِهِ أَرَدْتُ خُمُودَ الْجَمْرِ فَالْتَهَبَا
وَمَا تَبَيَّنْتُ أَنْ الْمَاءَ قَبْلَهُمَا يَكُونُ لِلنَّارِ مَا بَيْنَ الْحَشَا حَطْبَا

وقال أيضاً

صبُّ يذوبُ إلى لقاءِ مُدِّيبِهِ يَسْتَعذِبُ الآلامَ مِنْ تَعَذُّبِهِ
 عَمِيَ هَوَاهُ عَنْ الوِشَاةِ مُكْتَمًا فَجَرَتْ مَدَامَعُهُ بِشَرْحِ غَرِيْبِهِ
 كَمْ لائِمٍ وَالسَّمْعُ يَدْفَعُ لَوْمَهُ وَالْقَلْبُ يَدْفَعُ قَلَسِيَهُ بِوَجِيْبِهِ
 مَلِكَ الْقُلُوبِ هَوَى الْحَسَانِ فَقُلْ لَنَا كَيْفَ انْتِفَاعُ جِسْمِنَا بِقُلُوبِهِ
 وَبِمِ السَّلْوِ إِذَا بَدَأَ لِي مُشْمِرًا خُوطُ يَمِيسُ عَلَى ارْتِجَاجِ كَثِيْبِهِ
 وَالشُّوقُ يَزْخَرُ بِحِرَّةٍ بِقَبُولِهِ وَدُبُورِهِ وَشِمَالِهِ وَجَنُوبِهِ
 وَبِنَفْسِي الْقَمَرُ الَّذِي أَحْيَا الْهَوَى وَأَمَاتَهُ بَطْلُوْعُهُ وَغُرُوبُهُ
 قَرَنُوا بَوْرِدِ الْخَدِّ عَقْرَبَ صُدُغِهِ وَذَرَوْا تَرَابَ الْمَسْكِ فَوْقَ تَزْيِيْبِهِ
 وَالْعَيْنُ حَيَّرَى مِنْ تَأَلَّقِ نُورِهِ وَالنَّفْسُ سَكَّرَى مِنْ تَضَوُّعِ طَيِّبِهِ
 فِي طَرَفِهِ مَرَضٌ ، مَلَا حَتَّهُ الَّتِي أَلْقَتْ عَلَيَّ أُنَيْنَهُ بِكَرُوبِهِ
 أَعْيَا الطَّيِّبَ عِلَاجُهُ ، يَا سِحْرَهُ أَلَدَيْكَ صَرْفٌ عَنْ عِلَاجِ طَيِّبِهِ
 إِنِّي لِأَذْكُرُهُ إِذَا أَنْسَى الْوَغَى قَلْبَ الْمَحَبِّ الْمُحْضِ ذَكَرَ حَيِّبِهِ
 وَالسَّيْفُ فِي ضَرْبِ السِّیُوفِ بَسْلَةً فِي ضَحْكِهِ ، وَالْمَوْتُ فِي تَقْطِيْبِهِ

وأَقْبَّ كَالْيَعْسُوبِ تَرْكَبُ مَتْنَهُ
مُتَقَمِّصٌ لَوْناً كَانَ سَوَادُهُ
يَرْمِيكَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ بِنَشَاطِهِ
بِقَدِيمٍ سَبَقَ يَسْتَقِلُّ بِبَعْضِهِ
وَبِأَرْبَعٍ جَاءَتْكَ فِي تَرْكِيبِهَا
فَكَانَ حِدَّةَ طَرْفِهِ وَفَوَادِهِ
أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ أَرْضَهُ
وَجَزَى فَفَاتَ الْبَرْقِ سَبْقاً وَانْتَهَى
فَلَيْشِبِهِ دُهُمَتِهِ بِدُهُمَةِ لَيْلِهِ
وَيُرْشُ سَيْفِي بِالنَّجِيعِ مَصَارِعاً
وَمَهْنَدٍ مِثْلَ الْخَلِيجِ تَصَفَّقَتْ
رَبَّتُهُ فِي النِّيرَانِ كَفّاً قَيْنِهِ
وَكَأَنَّمَا فِي مَائِهِ وَسْعِيرِهِ
وَإِذَا أَصَابَ قَذَالَ ذِمْرِ قَدَّهِ
وَكَأَنَّمَا اقْتَسَمَ الْكَمِيُّ مَعَ الرَّدَى

فَرْكُوبٌ مَتْنُ الْبَحْرِ دُونَ رُكُوبِهِ
غُمُصٌ الْغَرَابُ الْجَوُّ فِي غُرْبِيهِ
كَالْمَاءِ قُضَّ الْحَتَمُ عَنْ أَنْبُوبِهِ
وَكَرِيمٌ عَرَقَ فِي الْمَدَى يَجْرِي بِهِ
بِالطَّبْعِ مُفْرَعَةً عَلَى تَرْكِيبِهِ
مَنْ أَذْنُهُ نَقَلَتْ إِلَى عَرْقُوبِهِ
ثُمَّ اشْتَكَى ضَيْقاً لَهَا بِوَثُوبِهِ
مَنْ قَبْلَ خَطْفَتِهِ إِلَى مَطْلُوبِهِ
أَمْسَى يُفْتَشُهُ بِفَرْطٍ لَهْيِهِ
لِلْأَسَدِ يُسْكِنُهَا بِذَيْلِ عَسِيهِ
طُرُقُ النَّسِيمِ عَلَيْهِ مِنْ تَشْطِيبِهِ
فَهُوَ الزَّنَادُ لَهْنٌ يَوْمَ حُرُوبِهِ
نَمَلٌ يَسِيرُ بِسَبْحِهِ وَدِيْبِهِ
وَمَشَتْ يَدِي مَعَهُ إِلَى مَرْغُوبِهِ
لِيَكُونَ مِنْهُ نَصِيْبُهُ كَنْصِيْبِهِ

وقال أيضاً

طربتُ متى كنتُ غيرَ الطرُوبِ؟ فلم أعرِ طِرفَ الصَّبّاءِ من ركوبِ
 فيوماً إلى سبني زقّ رويّ ويوماً إلى صَيَدِ طَبِي ريبِ
 ومهما كبّا بي فمن نشوة يوافِقُها بين كأسٍ وكوبِ
 لياليَ بينَ المَهْمَا غَيِّرةٌ عليّ تخوضُ بها في حرُوبِ
 ولو أنّ قِدْحَ شبابي أُجِيلَ على الشمسِ لاخْتارَها في نصيبِ
 وتزَحَمُنِي كُلُّ فتّانةٍ بتفّاحةٍ غلَقَتْها بِطِيبِ
 وبُطْلِقَتُنِي من عقالِ العناقِ صباحٌ يُنبّهُ عينَ الرقيبِ
 وفي كَبِيدِي جرحٌ لحظٍ عليلٍ وفي عَضُدِي عضٌّ ثغرٍ شبيبِ
 وريحانةٍ أُمّها كَرَمَةٌ تَنفَسُ في كفٍّ غصنِ رطيبِ
 مُعْتَقَةٌ في يَدَيَّ راهبٍ على دنّها خَتَمُهُ بالصليبِ
 إذا أَمْرَضَتْكَ وخفتِ الصَّبُوحَ فَمُمِرْضُها لك غَيْرُ الطيبِ

١ في م : علقها ، واقرأ أيضاً : خلقتها .

تباكرُ من صرفها شربة فتاة الوثوب عجزَ الديب
كانَ الحبابَ لها جُمَّةٌ معمةٌ رأسها بالمشيب
إذا صبَّ ماءٌ على صرفها رأيتَ له غوصةً في اللهب
فتخرجُ من قعرها لؤلؤاً يُنظَّمُ للكأسِ فوقَ التريب
تناولتها ونسيمُ الرياضِ ذكيّ النسيمِ عليلُ الهبوب
وغيدٍ لطائفُ ألحانها تُنغمها لسرورِ الكئيب
فكلَّ مُقَمَّعةٍ بالعقيقِ من الدرِّ أغصانَ كفٍ خضيب
تُسبِّهُ مُطْرِقةً في الحجورِ تُغري الأكفَ بشقِّ الجيوب
إذا أسمعَت حسانَ الغناءِ شربنا عليها كؤوسَ الذنوب
وسودِ الذوائبِ يسحبُنها كَسَعني الأسودِ فوقَ الكئيب
توافقُ بالرقصِ أقدامهنَّ يطآنَ بها نغماتِ الذنوب
يُشِرْنَ إلى كلِّ عضوٍ بما يحلُّ به في الهوى من كروب
بسَّطنا لها - وهي مثل الغصونِ - تيمسُ بهبَّ الصبا والجنوب -
على الأرضِ منا خدودَ الوجوه وبين الضلوعِ خدودَ القلوب

وقال أيضاً

في الذخيرة منها الأبيات : ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ وجعل مطلعها قوله :
 شفاؤك في نوى تنضي الركابا ونجحك عن سرى تطوي البيابا
 وزاد بعده بيتين وهما :
 فلا تقنع من الدنيا بحظ إذا لم تحوه يدك اغتصابا
 فشر ليوث [] ليث يشارك في فريسته الذئبابا
 وانفردت الذخيرة بالبيت رقم : ٣٤

ألا كم تُسمعُ الزمن العتابا تخاطبُهُ ولا يدري الخطابا
 أتطمعُ أن يردَّ عليك ألفاً ويُسقي ما حييت لك الشبابا
 ألم ترَ صرفه يُبلي جديداً ويتركُ أهلَ الدنيا يبابا
 وإن كان الثواءُ عليك داءً فبرؤك في نوى تُمطي الركابا
 وهمك همَّ مرتقبٍ أموراً تسبحُ على غرائبها اغترابا
 وإن أخطأ الخزيمة من كراهٍ كحسِّ مروعِ الطيرِ الشَّبابا
 فتى يستطعمُ البيضَ المواضي ويستسقي اللهازمَ لا السحابا
 فصرَّفَ في العلى الأفعالَ حزمًا وعزماً إن نحوَّت بها الصَّوابا

وكن في جانب التحريض ناراً	تزيدُ بنفخةِ الرّيحِ التهابا
فلم يُمهِ الحسامَ القينُ إلّا	ليصرفَ عندَ سلّتهِ الرّقابا
ولا ترغّبُ بنفسك عن فلاةٍ	تخالُ سرّابَ قيّعتها شرابا
فكم مُلْكُ يُنالُ بخوضِ مُلْكٍ	فلا يُبهِمُ عليك الخوفُ بابا
وقفتُ من التناقضِ مُستريباً	وقد يقفُ الليبُ إذا استرابا
كأنّ الدهرَ مُحسّنهُ مُسيءٌ	فما يَجْزِي على عملٍ ثوابا
ولو أخذَ الزّمانُ بكفّ حرّ	لكانَ بطبعهِ أمراً عجابا
يَجْرُ عليّ شربُ الراحِ همّاً	ويورثُ قلبي الشّدو اكتئابا
وفي خُلُقِ الزّمانِ طباعُ خُلُقٍ	تُمرّرُ في فمي النّغسَ العذابا
وقد بدّلتُ بعدَ سرّاةِ قومي	ذئاباً في الصّحابةِ لا صحابا
وألفيتُ الجليسَ على خلافي	فلستُ مجاليساً إلّا كِتَابا
وما العنقاءُ أعوزُ من صديقٍ	إذا خبّثَ الزّمانُ عليك طابا
وما ضاقتُ عليّ الأرضُ إلّا	دَحَوْتُ مكانها خُلُقاً رحابا
سأعتسِفُ القفارَ بِمُرَقِلاتٍ	تجاوزني سباسبها انتهابا
تخالُ حديثُ أيديها سراعاً	حيثُ أنا ميلٌ لقطت حسابا
وتحسبُ خافقَ الهادي وجيفاً	يظنّ زمامَ مخطمه حُبابا

وأسري تحتَ نجمٍ من سناني إذا نجمٌ عن الأبصار غابا
 وإن الميئتَ في سَفَرِ المعالي كمن نالَ المني منها وآبا
 ويُنجدني على الحدَثانِ^١ غضبٌ يُدللُ^٢ قرعه النوبَ الصعابا
 يمانٍ كلما^٣ استمطرتُ صوباً به من عارض المهتجات صابا
 كأن عليه نارَ القينِ تُذكي فلولا ماءُ رَوْنَقِهِ لَذابا
 كأنَّ شعاعَ عينِ الشمسِ فيه وإن كان الفِرْنْدُ به ضبابا
 كأنَّ الدهرَ شَيَّبَهُ قديماً فما زالَ النجيعُ له خضابا
 كأنَّ ذُبابَهُ شادي صَبوحٍ يحركُ ، إن ضربتُ به رقابا
 وكنا في مواطننا كِراماً تعافُ الضيمَ أنفسنا وتابى
 [ونطلع في مطالعنا نجوماً] تعدُّ لكلِّ شيطانٍ شهابا
 صبرنا للخطوبِ على صُرُوفٍ^٤ إذا رُمِيَ الوليدُ بهنَّ شابا
 ولم تَسْلَمْ لنا إلا نفوسُ^٥ وأحسابُ نُكْرَمَها احتسابا
 ولم تخلُ الكواكبُ من سقوطٍ ولكن لا يُبلِّغُها الترابا

١ في الذخيرة : ويحدو بي على الجذباء .

٢ الذخيرة : يغفل .

٣ الذخيرة : يمانى إذا .

٤ المسالك والذخيرة : صروب .

٥ الذخيرة : تكرمنا .

وقال أيضاً

هل أقصّر الدهرُ عن تعنيتِ ذي أدبٍ أو قال حسبي من إخمالي ذي حسبٍ
 لا يلحظُ الحرَّ إلاّ مثلما وقعتُ على أخي سيئاتٍ عينُ ذي غضبٍ
 وكيف يصفو لنا دهرٌ مشاربُهُ يخوضُها كلُّ حينٍ جحفلُ النوبِ
 إنّ الزمانَ ، بما قاسيتُ ، شيبني ولم أشيبهُ ، هذا والزمانُ أبي
 ولو خلا الدهرُ ذو الأبناء من عجبٍ أكثرُ منه ومن أبنائه عجبِي
 قرأتُ وحدي على دهري غرائبهُ فما أعاشرُ قوماً غيرَ مغتربِ
 أحلّنتُ عزمي على همّي فقطعهُ كأنّ عزمي من صمصامي الدربِ
 ما قرّ بي السّيرُ في سهلٍ ولا جبلٍ إلاّ كما قرّ جاري الماء في صَبِ
 ولم أضيقُ في السرى ذرعاً بمعضلةٍ قد زاحمتني حتى ضاقَ مضطربي
 ويرتقي حرُّ أنفاسي فأبعثهُ برّداً وإنّ كان مُستبقّي من اللهبِ
 وأحرّ بالحرّ أنْ تلتقاهُ ذا جلدٍ وإنّ تبسّطنَ داءٌ قاتلَ الوصبِ

وقال أيضاً

أذبت فؤادي ، يا فديتك ، بالعتبِ ولو بتّ صبّاً ما عسُفتَ على صَبِّ
وقاتلتني بين الغواني كأنّها مصوِّرةٌ بالعينِ في حبةِ القلبِ
حياةٌ ، ولكنّ طرْفُها ذو منيةٍ أما يُتوقّى الموتُ من طرَفِ العُصبِ
شكوتُ إليها لوعةَ الحبِّ فانشئتُ تقولُ لتريها : وما لوعةُ الحبِّ ؟
فقل : عذابٌ لو أحطتِ بعلمه لحدثِ على الصّادي بماءِ اللَّمى العذبِ
وقاكِ الهوى ، إذ لم تذوقيه ، ضُرّةُ وهل تُحدِثُ الخمرُ الخُمارَ بلا شربِ

وقال يصف الخمر بعد مذاقها

وجسم له من غيرهِ رُوحٌ لذةٍ سليلِ ضروعٍ أُرْضِعَتْ حَلَبُ السُّحْبِ
 إذا قبضَ الابريقُ منه سُلَافَةٌ تَقَسَّمَهَا الشُّرَابُ^٢ حَوْلِيهِ بِالْقَعْبِ
 شربنا وللإصباحِ في الليلِ غُرَّةٌ تزيدُ اندباحتاً بينَ شرقٍ إلى غُربِ
 على روضةٍ تحيا بحيةٍ جَدُولِ يفِيءُ عليه ظلُّ أجنحةِ القُضْبِ
 بأزهرٍ يجلو اللهوُ فيه عرائساً كراسيها^٣ أيدي الكِرامِ من الشُّربِ
 كأنَّ لها في الخمرِ حُمُرَ غلائلِ مُزَرَّةَ الأطواقِ باللؤلؤِ الرطبِ
 وكم من كميِّ اللونِ نحسبُ كأسها لها شفةٌ لعساءُ ذاتِ لَمَى عَذْبِ
 إذا مُزِجَتِ لانتْ لنا وتحوَّلَتْ بأخلاقِها عن قَسْوَةِ الجامعِ الصَّعبِ
 جرى في عروقِ النارِ ماءٌ كأنما رَضِيَ السَّلمُ منها يَتَّقِي غُضَبَ الحَرْبِ
 وإن نالَ منها ذو الكأبةِ شربةً تسرَّبَتِ الأرواحُ منها إلى القلبِ

١ في ب : سبل .

٢ في ب : الندمان .

٣ في ف : كراسيه .

٤ في ب : تشربت الأفراح منها .

وقال أيضاً

أصبحتُ جذلانَ طيّبَ العَرَبَةِ^١ والكأسُ تهدي إلى الفتى طَرَبَهُ
 وذِي دلالٍ كأنَّ وجنَّتَهُ^٢ من خَجَلٍ بالشَّقِيقِ مُنْشَقِبَهُ
 في حِجْرِهِ أَجُوفٌ لَهُ عُنُقُ^٣ نِيطَتْ بِظَهْرِ تَخَالِهِ حَدَبَهُ
 يمدُّ كَفًّا إِلَيْهِ ضَارِبَةً^٤ أعناقَ أحزاننا إذا ضَرَبَهُ
 تحسُّ لفظاً بأختها نغمًا^٥ ويودعُ المِسْمَعِينَ ما حَسَبَهُ
 قلتُ ألا فانظروا^٦ إلى عجبٍ جاءَ بِسِحْرِ فأنطقَ الخَشَبَهُ
 وقهوةٍ في الزَّجاجِ تحسُّبُها^٧ شُعْلَةٌ بِرَقٍ فِي الغَيْمِ^٨ ملتَهَبَهُ
 كأنما الدهرُ من تقادُمِها^٩ أوْدَعَ في طولِ عمرها حِقَبَهُ
 ماءٌ عَقِيقٌ إذا ارتدى زبدًا حَسِبَتْهُ دُرًّا مَجُوفًا حَبِيبَهُ

١ في ب : العذبة . والعربة : النفس .

٢ في ب : ألا فاسمعوا .

٣ في ب : في الغيب .

٤ في ف : تقادمه .

٥ في ب : تحسب .

يُسْكِرُ مَنْ شَمَّهُ بِسَوْرَتِهِ^١ فكيف بالمتشي إذا شربه
 وذو حنين تحن أنفُسُنَا إليه مُنْقَادَةً ومنجذبه
 يُفْشِيهِ ذُو حَكْمَةٍ ، أَنَامِلُهُ مِنْغَمَاتُ بَزْمَرِهِ تُثْقِبُهُ
 يرسلُ عن منخريه من فمه ريحاً لها نغمةٌ من القصبة
 كأنَّ الحانَهُ الفصيحةَ من صريرِ بابِ الجِنانِ مُكْتَسِبَةً

١٧

وقال يصف ساقية كأس

يا حُسْنَ سَاقِيَةٍ تَمُدُّ أَنَامِلًا بِعُرُوسِ رَاحٍ فِي عَقُودِ حَبَابٍ
 تسقيكَ شمسَ سَلافةٍ عِنْبِيَّةٍ طَلَعَتْ عَلَى فَلَكٍ مِنَ الْعُنَابِ
 وَمُنْبَهُ فِي حِجْرِ مَنْ شَدَّ وَائِهَا تَشْنِي الهمومَ بها على الأعقابِ
 وكأنتما الأجسامُ من إحسانها مُلِثَتْ بِأرواحٍ من الإطرابِ
 وكأنتما يدها فمٌ متكلمٌ بالسحرِ فيه مِقْوَلُ المضربِ

١ في ف : لسورته .

وقال أيضاً

لعمري لقد ظنّوا الظنونَ وأيقنوا
وقالوا اكشفوا بالبحثِ عن أصلِ وجدهِ
سكّوهُ وراعوا لفظةً من خطابهِ
أناسٌ رأوا مني مخادعةَ الهوى
جعلتُ وشاتي مثلَ صحتي مخافةً
يقترّ قرارُ السرِّ عندي كأنه
ألا بأبي من جُمْلَةِ الغِيْدِ واحدٌ
قتلتُ ، ولا واللهِ أذكرُ قاتلي
إذا قيل لي : قلْ من هويتُ^٢ وما اسمه
ضربتُ لهم قوماً بقومٍ فصدّقوا
وهل يطمع الواشونَ في سرِّ كاتمٍ

ببعضِ إشاراتِ تنمٍّ على الصّبِّ
فلا فلّكُ إلا يدور على قُطْبِ
لتُعَلِّمَ^١ من نجواه ناجيةُ الحبِّ
أشدّ عليهم من مخادعةِ الحربِ
فلم يطلّعْ سرّي وشاتي ولا صحتي
غريبُ ديارٍ قال في وطنٍ : حسبني
فهل علموا ذاك الغزال من السربِ
لأخذِ قصاصٍ منه بينَ يديّ ربّي
وما سببُ الشكوى وما علّةُ الكربِ؟
ولفظُ لساني غيرُ معناهُ من قلبي
يريدُ السّهى إمّا أشارَ إلى التّربِ

١ في ب : لفظة عن جوابه ليعلم .

٢ في ب : من قد هويت .

وقال أيضاً

عَذَّبْتَ رِقَّةَ قَلْبِي ظَلَمْتُ بِقَسْوَةِ قَلْبِكَ
وَسَمِمْتَ جِسْمِي سَقَمًا وَمَا شَفَيْتِ بِطَبِّكَ
أَسْخَطْتُ كُلَّ عَدُوِّ رَضِيَّتِهِ لِمُحِبِّكَ
مَنْ لِي بِصَبْرِ جَمِيلٍ عَلَى رِيَاضَةِ صَعْبِكَ
فِيَا تَشْوَقَ بُعْدِي إِلَى تَنْسَمِّ قُرْبِكَ
أَمَّا وَمُرْسَلٍ وَحَفٍ يُغْرِي بِتَقْبِيلِ كَعْبِكَ
وَوَجَنَةٍ غَمَسَتْهَا فِي الْوَرْدِ صِبْغَةُ رَبِّكَ
لَقَدْ جَنَحْتُ لِسَلَمِي كَمَا جَنَحْتَ لِحَرْبِكَ
فَبِالدَّلَالِ الَّذِي زَا دَ فِي مَلَاةٍ عُجْبِكَ
فُكِّي مِنَ الْأَسْرِ قَلْبًا عَلَيْهِ طَابَعُ حُبِّكَ
وَنَعَمِينِي بَعَثِي فَقَدْ شَقِيْتُ بِعَيْتِكَ

١ رواية ب : فبالكمال الذي لا أراه في خلقك ربك .

٢ في ب : كما .

وقال في باقة يهجوها

وباقةٍ مُسْتَحْسَنٍ نَوْرُهَا وقد خلت في الشم من كل طيب
كعشرٍ راقَتْكَ أَثْوَابُهُمْ وليسَ في جُمْلَتِهِمْ من أديب

وقال في شمع

تخريجها : ١ - ٤ في الذخيرة والمسالك .

قناةٌ من الشَّمْعِ مَرَكُوزَةٌ لها حَرَبَةٌ طُبِعَتْ من لَهَبٍ^١
تُحَرِّقُ بالنَّارِ أَحْشَاءَهَا فتدمعُ مقلتها بالذهب^٢
تَمَشَّى لنا نُورُهَا في الدَّجَى كما يتمشى الرضى في الغضب
عجبتُ لآكلةٍ جِسْمَهَا بروحٍ تشاركها في العطب

١ في ب : ذهب .

٢ في ب : باللهب .

وقال في نهر

تخرجها : البيتان ٤ ، هـ في الوافي والخامس
في معاهد التنصيص : ٢٢٣

ولابسٍ نُقَبَ الأعراض ، جوهره له أنسيابٌ حُبَابٍ رَقَشُهُ الحَبَبُ
إذا الصَّبَا زَلَقَتْ فيه سَنَابِكُهَا حَسْبَتَهُ مُنْصَلَاً في مَتْنِهِ شُطَبُ
وَرَدْنُهُ وَنَجُومُ اللَّيْلِ^١ مَائِلَةٌ كَمَا تَدَحْرَجُ دُرٌّ مَا لَهُ ثُقَبُ
وَمَغْرَبٍ طَعْنَتِهِ غَيْرَ نَائِيَةٍ^٢ أَسْنَةً هِيَ إِنْ حَقَّقْتُهَا شَهَبُ
وَمَشْرِقٍ كَيْمِيَاءُ الشَّمْسِ فِي يَدِهِ فَفِضَّةُ الْمَاءِ مِنْ^٣ إِلْقَائِهَا ذَهَبُ

وقال يصف رحي

وَأَخَذَةٍ فِي دَوْرَةٍ فَلَكِيَّةٍ تَرَى الْقُطْبَ مِنْهَا ثَابِتاً وَهِيَ تَضْطَرِبُ
إِذَا أُطْعِمَتْ حَبّاً مِنَ الْبَرِّ أُطْعِمَتْ وَقَامَتْ بِأَمْرِ الْبَرِّ فَهُوَ كَمَا يَجِبُ
وَتَحْسِبُهَا تُلْقِي لَنَا رَمْلَ فِضَّةٍ إِذَا أَدْمَنَ الْإِلْقَاءُ فِيهَا حَصَى ذَهَبُ

١ هذه هي رواية ب وفي م : الجور .

٢ في الوافي : ثابتة .

٣ في ب : في .

وقال أيضاً

لم يَدْرِ ما أَلْقَى من الحبِّ لاحِ خِلِّي العَيْنِ وَالْقَلْبِ
شوقي وكربي ما درى بهما فالِله يا شوقي ولا كربي
حتى تُقَلِّبَ قَلْبَهُ حُرْقٌ ويفرّ من جنبٍ إلى جنبٍ

وقال أيضاً

كم غريبٍ حنَّتْ إليه غريبه وكثيبٍ شجاه شَجَوُ كَثيبه
سُلِّطَتْ كَرْبَةُ التَّنَائِي عَلَيْنَا فَعَسَى فَرْحَةُ التَّدَانِي قَرِيبه
فَمَتَى نَلْتَقِي فتصبحَ مِنَّا كلُّ نفسٍ لكلِّ نفسٍ طيبه

وقال مجاباً عن بيتي شعر كتبهما إليه بعض شعراء المغرب ، وكان
الرجل المذكور سافر إلى مصر ثم عاد إلى وطنه

كتابك راق الوشي^١ من خطّ كاتبه^٢ أم الروض فيه راضياً عن سحائبه^٣
أم الفلك الأعلى وفيه دليله نقلت إلى الأسطار^٤ زهر كواكبه
فانتي كحلت العين منه بفرقد توقّد نوراً وهو جار لصاحبه^٥
ظلمت على مصر ونورك ساطع فقالوا : هلال طالع من مغاربه
وفي المغرب البحر المحيط وقد علا على نيل مصر منه مدّ غواربه
ولما انثنى بالجزر^٦ أبقي لديهم^٧ أحاديث تروى من صنوف عجائبه
فيا فارس الشعر الذي مات قرئه بموت زهير في ارتجال غرائبه
لأصبحت مثل البحر يزخر وحده وإن كثر الأنهار من عن جوانبه

١ في ب : نقلت إلينا منه .

٢ أي أن صاحبه هو الفرقد الثاني فهو والكتاب « فرقدان » .

٣ في ب : بالخير .

٤ في ب : ضروب .

وقال في المغرب [ومدح بها تيمماً أمير المهديّة ، وتفجع على دخول
الروم صقلية]

تخرّيجها : منها في المسالك البيت : ٣٨ ،
٣٩ وفي الخريدة : ٤٦ والطراز ١٥ ، ١٦ ،
والذخيرة : ١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ،
١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ،
٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧
والمطالع ٢ : ٢٠١ البيتان : ١٧ ، ١٨

تَدَرَّعْتُ صَبْرِي جُنَّةً لِلنَّوَابِ
عَجَمَتْ حِصَاةً لَا تَلِينُ لِعَاجِمِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْنَعْ^٢ لِنَفْسِي بَغْرِبَةٍ
[بِلَادٍ جَرَى فَوْقَ الْبِلَادَةِ^٣ مَاوَهَا
فَطِمْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ كَأْسٍ وَلَذَّةٍ
فَلِنْ لَمْ تُسَلِّمْ يَا زَمَانُ^١ فَحَارِبِ
وَرَضْتَ شَمُوساً لَا يَذُلُّ لِرَاكِبِ
إِذَا لَمْ أَنْقَبْ فِي بِلَادِ الْمَغَارِبِ
فَأَصْبَحَ مِنْهُ نَاهِلاً^٤ كُلُّ شَارِبِ*
وَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْعَمْرِ^٥ فِي غَيْرِ وَاجِبِ

١ في ب : يا زماني .

٢ في ب : تسمع .

٣ البلادة : الحصة التي يتصافنون بها الماء حين تكون من ذهب أو نحوه .

* هذا البيت زيادة من الذخيرة وكذلك كل ما ورد بين معقفين .

٤ في ب : الصبر . وفي الذخيرة : جل العمر .

بيت رثاس^١ الغضب^١ في ثنني ساعدي
 وما ضاجع^٢ الهندي^٢ إلا مثلماً
 [إذا كان لي في السيف أنس ألفته
 فكنت ، وقدّي في الصبا مثل قدّه ،
 فإن تك لي^٣ في المشرفي^٣ مآرب^٣
 أحسبني أنسى ، وما زلت ذاكرأ^٤ ،
 تغدّي بأخلاق^٥ صغيرأه^٥ ولم تكن^٥
 ويا ربّ نبّيت^٦ تعتريه^٦ مرارة^٦
 علمت^٧ بتجريبي^٧ أموراً جهلتها^٧
 ومنّ ظنّ^٨ أمواه^٨ الحضارم^٨ عذبة^٨
 ركبْتُ النوى^٩ في رحل^٩ كل نجية^٩

معاوضة^١ من جيد غيسداء^١ كاعب
 مضاربه يوم الوغى في الضرائب
 فلا وحشة عندي لفقد الحبايب
 عهدت إليه أن منه^٢ مكاسب
 فكم في عصا موسى له من مآرب
 خيانة دهرى أو خيانة صاحبي
 ضرائبه^٣ إلا خـلاف^٣ ضرائبي
 وقد كان يُسقى عذب^٤ ماء^٤ السحاب
 وقد تُجهل^٥ الأشياء قبل التجارب
 قضى بخلاف^٦ الظنّ عند المشارب
 تواصل^٧ أسبابي بقطع^٧ السباب

١ الذخيرة : السيف .

٢ في ب : أنه من

٣ الذخيرة : فإن كان لي .

٤ في ب : أحسبني أنسى وقد كنت ذاكرأ . وفي الذخيرة : بعيشك أي الفجعتين استربتها .

٥ الذخيرة : قديماً .

٦ في ب : ماء عذب . وفي الذخيرة : حلوماء .

٧ الذخيرة : جهلت فجربت الذي أنا عالم .

٨ في ب : الزواجر .

قِلاصٌ حَناهُنَّ الهِزالَ كأنها حَنِيَّاتٌ نَبَّعَ في أَكفٍ جِواذِبِ
 إِذا وَرَدَتْ من زُرْقَةِ المِاءِ أَعِيناً وَقَفْنَ على أَرْجائِها كالحِواجِبِ
 بِصَادِقِ عِزْمٍ في الأَماني يُحِلِّتِي¹ على أَمَلٍ من هِمَّةِ النَفْسِ كاذِبِ
 ولا سَكَنٌ إلا مَناجاةَ فِكرَةٍ كأني بِها مُستَحضِرٌ كُلَّ غائِبِ
 ولما رَأَيْتُ الناسَ يُرْهَبُ شَرَهُم تَجَنَّبَتْهُمْ ، واخْتَرْتُ وَحْدَةَ رَاهِبِ
 أَحْتَسِي خَيالَ كَنتَ أَحْظِي بِزَوْرِهِ² لَه في الكَرى عَن مُضْجَعِي صَدَّ عَاتِبِ
 فَهَلْ حَالٌ من شَكْلِي عَلَيهِ فلم يَزُرْ قِضاةٌ جِسمي واِبْيَضاضُ ذِوائِبِي
 إِذا عَدَّ من غابِ الشُّهُورَ لِغُرْبَةٍ عَدَدْتُ لَها الأَحقابَ فِوقَ الحَقائِبِ
 [وَكَم عِزَماتُ كالسِيفِ صِوادِقِ تَجَرَّدا أَيْدِي الأَماني الكِواذِبِ]
 وَلِي في سَماءِ الشَّرْقِ مَطْلَعُ كَوَكَبِ جَلا من طُلُوعِي بَينَ زَهرِ الكِواكِبِ
 [أَلَفْتُ اغْتِرابِي عَنهُ حَتى تَكَاثَرَتْ لَه عُقْدُ الأَيامِ في كَفِّ حاسِبِ]
 مَتى تَسمَعُ الجِوزاءَ في الجِوِ مَنطَقي تَصْخُ في مَقالِي لارتِجالِ الغِرائِبِ
 وَكَم لي بِهِ من صَنوودٍ مَحافِظِ لِذي العِيبِ من أَعْدائِهِ غَيرَ غائِبِ
 أَخِي ثِقَةٌ نادَمَتُهُ³ الرَاحَ ، وَالصِبا لَه من يَدِ الأَيامِ غَيرَ سِوالِبِ

١ في ب : في البلاد يحيلني .

٢ في ب : بوصله .

٣ في ب : أخي صبوة . وكلمة « نادمته » غير واضحة في « م » .

معتقة^١ دُعْ ذكر أحقاب عمرها
إذا خاض منها الماءُ في مُضْمَرِ الحشا
[لياليّ بالمهديّتين كأنها اللاّ
ليالي لم يذهبن إلّا لآلئاً
[إذا شئتُ أنْ أُرْمِي الهِلَالَ بلحظةٍ
ولو أنّ أرضي حرّةً لَأَتَيْسُهَا
ولكنّ أرضي كيف لي بفكاكها
[لئن ظفرت تلك الكلاب بأكلها
أحينَ تفاني أهلها طَوْعَ فتنةٍ
[وأضحى بها أهواؤهم وكأنما
ولم يرحم الأرحامَ منهم أقاربٌ
وكان لهم جَدْبُ الأصابع لم يكن
حُماةً إذا أَبْصَرْتَهُمْ في كَرِهَةٍ
إذا ضاربوا في مأزق الضرب^٤ جرّدوا

فقد ملئتُ منها أنامل حاسب
بدا الدرّ منها بين طافٍ وراسب
لىءٍ مِنْ دُنْيَاكَ فوق ترائب [
نظمنَ عقوداً للستين الذواهب
لمحتُ (تيمماً) في سماءِ المناقب [
بِعَزْمٍ يَعُدُّ السيرةَ ضربةً لازب
من الأسر^٢ في أيدي العلوج الغواصب
فبعد سكون للعروق الضوارب [
يُضْرَمُ فيها نارَه كلُّ حاطب
مذاهبهم فيها اختلاف المذاهب [
تروّي سيوفاً من نجيع^٣ أقارب
رواجبُ منها حانياتٍ رواجب
وضيتَ من الآساد عن كلِّ غاضب
صواعقَ من أيديهم في سحائب

١ الذخيرة : لاتبعها .

٢ الذخيرة : لا عدت فكاكها من الأسر .

٣ في ب : من دماء .

٤ في ب : إذا جالدوا في مأزق الحرب .

لهم يومَ طَعَنَ السُّمُرُ أَيْدِيَّ مَيْبِحةً^١ كَلَّمَى الأسدِ في كَرَاتِهِم للثعالب
تَحَبَّ بِهِمْ قَبٌّ يُطِيلُ صَهِيلُهَا بِأَرْضِ أَعَادِيهِمْ نِيَّاحَ النَّوَادِبِ
مُؤَلَّلَةً^٢ الْآذَانُ تَحْتَ إِيْلَاهُمْ^٣ كَمَا حُرِّفَتْ بِالْبِرِّ أَقْلَامُ كَاتِبِ
إِذَا مَا أَدَارَتْهَا عَلَى الْهَامِ خَلَّتْهَا تَدُورُ لِسْمَعِ الذِّكْرِ^٤ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ
إِذَا سَكَنُوا فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنْطَقُوا عَلَى الْبَيْضِ بَيْضَ الْمَرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
تَرَى شَعْلَ النِّيرَانِ فِي خَلْجِ الظُّبَا تَذِيقُ الْمَنَايَا مِنْ أَكْفِ الْمَوَاهِبِ
أَوْلَيْكَ قَوْمٌ لَا يُخَافُ انْحِرَافُهُمْ^٥ عَنْ الْمَوْتِ إِنْ خَامَتْ أَسْوَدُ الْكَتَائِبِ
إِذَا ضَلَّ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى اهْتَدَوْا وَأَيَّ ضَلَالٍ لِلنَّجُومِ الثَّوَابِ
وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ صَادَقَ الْبَأْسَ مُفَكِّيرٍ إِذَا كَرَّ فِي الْأَقْدَامِ لَا فِي الْعَوَاقِبِ
لَهُ حَمَلَةٌ^٦ عَنْ فَتَكْتَيْنِ انْفِرَاجُهَا كَفْتَكِيكَ^٧ مِنْ وَجْهَيْنِ شَاهِ الْمَلَاعِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُّومِ كَانَ دُخُولُهُمْ^٨ بَطُونِ الْخِلَايَا فِي مُتُونِ^٩ السَّلَاحِ
يَمُوتُونَ مَوْتَ الْعِزِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْجَبَنِ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ^{١٠}
حَشَّوْا مِنْ عَجَاجَاتِ الْجِهَادِ وَسَائِلَهُ^{١١} تُعَدُّهُمْ^{١٢} فِي الدَّفْنِ تَحْتَ الْمَنَاقِبِ

١ في ب : تدور على الهامات .

٢ في ب : لها حملة بالسيف والرمح فتكها : كفتكك ، والخريدة : كضربك .

٣ في ب : بطون .

٤ في ف : موت الكواعب .

٥ في ب : أعدت .

فغاروا^١ أقولَ الشهب في حُفَرِ البلى وأُبَقِّوْا على الدنيا سوادَ الغياهب
ألا في ضمانٍ^٢ الله دار بنُوطَسٍ ودَرَّتْ عليها مُعْصِرَاتُ الهواضب
أُمَثِّلُهَا في خاطري كلَّ ساعةٍ وأمُري لها قَطَرُ الدَموعِ السواكب
أحنَّ حنينِ النيبِ للموطنِ الَّذي مغْناني غوانيه إليه جواذبي
ومن سار عن أرضٍ ثَوَى قلبُهُ بها^٣ تَمَنَّى له بالجسم أوبةَ آيب

١ في ب : فعادوا .

٢ في ب : أمان .

٣ هذه هي رواية ب وفي الأصل : ومن يك أبقي قلبه رسم منزل .

وقال يرثي عمته نصر الله وجهها ، وقد توفيت بسفاقس ، وكتب بها
إلى ابن عمته أبي الحسن علي بن حسين بن أبي الدار الصقلي

خطاب الرزايا [لأنه] جلل الخطب
تريد من الأيام كف صروفها
وتلقى المنايا وهي في عَرْض المني
تناوَمَ كلَّ الناس عما يصيبهم
بكأسِ أبينا آدمِ شُرْبنا الذي
إذا ورث المولودُ عِلَّةَ والدٍ
حُتوفٌ على سَرَحِ النفوسِ مغيرةٌ
يَسُنُّ عليه الذَّمُّ عذراءَ نثرةٍ
على الجسمِ منها الذوب إن فاض سرُّها
ويُصميه سَهْمٌ مُصَرَّدٌ ليس يُتَقَى
وليس بمعصومٍ من الموتِ مُخَدَّرٌ
كانَ سكاكيناً حداداً رووسها

وَسَلَّمَ الْمَنَايا كَالْحَدِيدَةِ فِي الْحَرْبِ
أَمْتَقْلٌ طَبَعُ الْأَفَاعِي عَنِ اللَّسْبِ
وَكَمْ أَجَلٌ لِلطَّيْرِ فِي مَلَقَطِ الْحَبِّ
وَهُمْ مِنْ رَزَايَا دَهْرِهِمْ سَلَّمَ الْعَصَبِ
تَضَمَّنَ سَكْرَ الْمَوْتِ يَا لَكَ مِنْ شَرْبِ!
فَعَدَّ بِهِ عَنْ حِيلَةِ الْبَرِّ وَالطَّبِّ
فَقُلْ كَيْفَ تَغْدُو وَهِيَ آمِنَةُ السَّرْبِ
تَخَالُ بِهَا التَّائِثُ فِي الذِّكْرِ الْعَضْبِ
كَفَيْضِ أَنْبِيٍّ وَالْجَمُودِ عَلَى الْكَعْبِ
لَهُ فِي الْحِشَا رَامٌ تَسْتَرَّ بِالْخَلْبِ
لَهُ غَضَبٌ يَدُو بِحِمْلَاقَةِ الْغَضْبِ
مَغْرَزَةٌ فِي فِيهِ فِي جَانِبِي وَقَبِ

فكيف نردّ الموت عنّ مهجّاتنا
وقاطعة طول السكّاك وعرضه
إذا برق الإصباح هزّ انتفاضها
مباكرة صيّد الطيور فما ترى
وعصم إذا استعصمن في شاق رقت
على أنها تنقض من رأس نيقها
سينسف أمر الله شمّ جبالها
لكل حياة ثم موت ومبعث
وتستوقف الأفلاك عن حركاتها
ألم تأت أهل الشرق صرخة نائح
سقى الله قبراً ثائراً بسفاقس
فقد عمّه الإعظام من قبر عمّة
بدمع يمدّ البحر في السيّف نحوه
ولو آمن الإغراق أضعفت سحّه
برغمي نعتّها ألسن الركب للعلی
غريبة قبر عن قبور بأرضها
إذا غلبت منه ضراغمة الغلب
تخلق من بُعد السماء على قرب
من الظلّ أشباه العوامل والقضب
طريدتها إلا مخضضة القعب
إليها بنات الدهر في المرتقى الصعب
على كل روق عند قرع الصفا صلب
كما تنسف الأرواح منهلّة الكتب
إذا ما التقى الخصمان بين يدي ربّي
ويسقط دريّ النجوم عن القطب
يفيض غروب الدمع من بلد الغرب
سواجم يرضى التراب فيها عن السحب
أنوح عليها بالنعيب إلى النخب
إذا الحزن منه واصل السكب بالسكب
ولكن قلبي الرطب رقّ على قلبي
فكيف أردّ النعيّ في ألسن الركب
مجاورة في خطّة الطعن والضرب

كريمةٌ تقوى في صلاة تقيمها وصومٍ يحُطّ الجسمُ منه على الجذب
 زكتُ في فروع المكرّمات فروعها وأنجيت الدنيا بآبائها النّجب
 ولما عدنا من بهاليل قومها ما تم تبكيها بكينا مع الشهب
 حمدنا بكاء الزُّهرِ بنتَ محمّد وهل ندبت إلاّ ابنةَ السيد الندب
 مضتُ ولها ذِكْرٌ من الدين والتقى تفسرُهُ للعُجم ألسنةُ العُرب
 أصبحُ قلبي بالأسى غيرَ ذائبٍ وقلبُ الثرى قاسٍ على قلبها الرطب
 وكنتُ إذا ما ضاق صدري بحادثٍ فزعتُ بنجواه إلى صدرها الرحب
 وتذهِبُ عني همّ نفسي كأنها شفتُ غلّةَ الظمآن بالبارد العذب
 أهاتفهُ باسمي عليّ تعطفاً حينَ عطوفٍ شقّ سامِعتي سَقَب
 أبوكِ الذي من غرسه طالت العلى وأسندَ عامُ المحلّ فيه إلى الخصب
 تنسكُ في برٍّ ثمانينَ حِجّةً فيا طولَ عُمرٍ فيه قرّ إلى الرّبِّ
 ضممتُ إلى صدري بكفتي جسمهُ وأسندتُ مخضراً الجَنابِ إلى الجنب
 تبرّكتِ الأيدي بتسوية الثرى على جبيلٍ راسي الأناةِ على هَضْب
 أغارَ لهم ماءُ الجمومِ بعبرة أم انبتَ في أيديهم كَرَبُ الغُربِ ؟
 فيا ليتني شاهدتُ نَعشكِ إذ مَشى حواليه : لا أهلي حفاةً ولا صحبي
 ودَفَنكِ بالأيدي الغريبةِ والتَقَتِ مع الموتِ في إخفاء شخصك في حذب

فأَبْطَ خَدَيَّ فَوْقَ لَحْدِكَ رَحْمَةً
أَرَى جِسْمَكَ الْمَرْمُوسَ مِنْ رُوحِهِ عَفَا
فَلَوْ أَنَّ رُوحِي كَانَ كَسْبِي وَهْبُهُ
وَلَوْ تُنْظَمُ الْأَحْصَابُ يَوْمًا قَمَلًا نِدَاءً
أَبَا الْحَسَنِ الْأَيَّامُ تَصْصِرُ بِالْغِنَى
مَصَابِكُ فِيهَا مِنْ مَصَابِي وَجَدْتَهُ
فَصَبْرًا فَلَيْسَ الْأَجْرُ إِلَّا لَصَابِرٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَا فِي نَوَى مُسْتَمِرَّةٍ
فَلَا وَصَلَ إِلَّا بَيْنَ أَسْمَانَا الَّتِي
فَدَائِمَةُ السَّقِيَا سَمَاءُ مَدَامَعِي
وَتُسْفِي عَلَيْهِ التُّرْبَ عَيْنَايَ بِالْهَدَبِ
وَأَصْبَحَ مَعْمُورًا بِهِ جَدَثُ التُّرْبِ
لِجِسْمِكَ، لَكِنْ لَيْسَ رُوحِي مِنْ كَسْبِي
لَقَدْ مِنْهَا جَوْهَرُ الْحَسْبِ اللَّبِّ
وَتُعْقِبُ بِالْبُلُوبِ وَتَخْدَعُ بِالْحُبِّ
وَحَزَنُكَ مِنْ حَزَنِي وَكَرْبُكَ مِنْ كَرْبِي
عَلَى الدَّهْرِ إِنْ الدَّهْرُ لَمْ يَخْلُ مِنْ خُطْبِ
نُورِهِ وَنَعْدُو كَالْمَصْرَ عَلَى الذَّنْبِ
تَسَافِرُ مِنَّا فِي مُعَنَّوَةِ الْكُتُبِ
لَحْدِي ، وَأَرْضُ الْخَدِّ دَائِمَةُ الشَّرْبِ

وقال أيضاً

فوادي نجيبٌ والجلالُ نجيبُ فأبعدُ مطلوبٍ عليَّ قريبُ
 وإنْ أجدبتُ عند الفتاةِ إقامتي فمُرْتُحلي عند الفلاةِ خصيبِ
 إذا كانَ عزمي مثلَ ما في حمائي فإنّي امرؤٌ بالصَّارِمَيْنِ ضَرُوبِ
 خُذِ العزمَ من بَرْدِ السَّلْوِ فإنّما هوَى الغيدِ عندي للهوانِ نسيبِ
 وبادرُ ولا تهملِ سُرَى العيسِ إنَّها لنا خبٌ في الشَّجَحِ ليسَ ينجِبِ
 فشهبُ الدَّارِي وهي علويّةٌ لها طلوعٌ على آفاقها وغروبِ
 ولو لم يكنِ في العزمِ إلّا تَقَلُّبٌ ترى النفسُ فيه سعيها فتطيبِ
 وإن ضاقَ بالحرِّ المجالُ ببلدةٍ فكمْ بلدةٍ فيها المجالُ رحبِ
 إذا أنْتَ لبَّتِ العزيمةَ واضعاً لها الرجلَ في غرِزٍ فأنْتَ لبيبِ
 ومنكرةٍ مني زماعاً عرفتهُ عدوكِ يا هذي إليَّ حبيبِ
 جرى دمعُها والكحلُ فيه كأنَّه جمانٌ بماءٍ اللازوردِ مشوبِ
 وقالت غرايبٌ دَرَجْنَ بِبَيْتِه¹ سيستدرجُ الأعوامَ وهو غريبِ

١ قالت إن الغربان قد أفذرت بأنه مفارق .

فما كان إلا ما قضى بالها به
لقد خمّس التأويب والعزم والسرى
رمى فأصاب الهم بالهم إذ رمى
وأجرى سفين البر في لُجّ زُبُقٍ
ومستعطفاتٍ بالحداء على السرى
إذا جُلِدَت ظمأً ببعض جلودها
فله أشطانُ الغروب التي حَكَتْ
ومشحونة بالخوف لا أمنَ عندها
كأنك في ذنبٍ عظيمٍ بقطعها
إذا الشمسُ أحمت فيحها خلت رملها
ترى رامحَ الرّمضاء فيه كأنه
كأنّ ارتفَاع الصوت منه تَضَرَّعٌ
وتحسب أن القفرَ حمٌّ فماؤه
وما كان إلا خيرَ دُخْرٍ تعدّه
وراعٍ سوامُ الشمس لم يشو وجهه
ولا لاح للتلويح منه شحوب^٢

١ أي هو العود الصليب الذي أصبح خامساً للأربعة السابقة : التأويب والعزم والسرى والجلل .

٢ من هنا حتى نهاية القصيدة يصف الحرباء .

له لَوَلَبٌ في العينِ ليس يديره لذي ظمأٍ حيث المياه تلوّب
 رقيبٌ على شمس النهار بفعله ، أحييٌ على شمسِ النهار رقيب ؟
 إذا نزل الركبانُ طابَ لنفسه على الجمر من حرِّ الهجير ركوب
 تَكُونُ وسط النار منه سبيكةٌ من التبر ليست بالوقاد تذوب
 خَرُوجٌ من الأدبانِ تحسبُ أنه على كلِّ عودٍ بالفلاة صليب

٣٠

وقال في معنى الزهد

وُعِظْتَ بلمَّتكَ الشائبةُ وفقد شبيبتك الزاهيةُ
 وسبعينَ عاماً ترى شمسها بعينك طالعةً غاربه
 فويلحك هل عَبَرَتْ ساعةٌ ونفسك عن زلّةٍ راغبه
 فرغت لصنعك ما لا يقيك كأنك عاملةٌ ناصبه
 وغرَّتكَ دنياك إذ فوّضت إليك أمانيتها الكاذبه
 أصاحبةٌ خلتها ؟ إنها باحداثها بثت الصّاحبه

أما سلبت منك بُرْدَ الشباب؟ فهل يُسْتَبَرَدُ من السالبه
وإنَّ دقائقَ ساعاتها لِعُمُرِكَ أَكَلَةٌ شاربِه
وإنَّ المنية من نحوها عليك بأظفارها واثبه
ألم تَرَها بِحصاةٍ الردى لِكُلِّ حميم لها حاصبه
كَأَنَّ لِنَفْسِكَ مغنيطساً غَدَتُ للذنوب به جاذبه
فيا حاضرأ أبدأ ذنبهُ وتوبتُهُ أبدأ غائبه
أذِيبْ مِنْكَ قَلْباً تُجَارِي به سوابقَ عبرتك الساكبه
على كُلِّ ذَنْبٍ مَضَى في الصبا وأنعبَ إثباتهُ كاتبه
عسى الله يدرأ عنك العقابَ وإلاَّ فقد ذُمَّتِ العاقبه

وقال يصف عقرباً

تخريجها : الايات ١ ، ٣ ، ٥ ،
٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ وردت
في نهاية الارب ١٠ : ١٥٠

ومشرعةٍ بالموتِ للطعنِ صَعْدَةً فلا قِرْنَ إِنْ نَادَتْهُ يَوْمًا يُجِيبُهَا
مُدَاخِلَةً فِي بَعْضِهَا خَلَقَ بَعْضُهَا كجوشنِ عَظَمٍ ثَلَمَتَهُ حُرُوبُهَا
تَذِيقُ خَفِيَ السَّمِّ^١ مِنْ وَخْزِ لِبَرَةٍ إِذَا لَسَبَتَ مَاذَا يَلَاقي لِسِيهَا
وَتَمَهِّلُ^٢ بِالرَّاحَاتِ مَنْ لَمْ يَمُتْ بِهَا إِلَى حِينَ خَاضَتْ فِي حِشَاهِ كُرُوبُهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَوْنُ الْبَهَارَةِ لَوْنَهَا فَمَنْ يَرْقَانِ دَبٌّ فِيهِ شَحُوبُهَا
لَهَا سَوْرَةٌ خُصَّتْ بِصُورَةٍ رَدَّةٍ^٣ تَرَى الْعَيْنُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ يَرِيهَا
وَقَدْ نَصَلَتْ لِلطَّعْنِ مَحْنِيَّ صَعْدَةً بِشُوكَةٍ عُنَابٍ قَتِيلٍ زَبِيهَا
وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ قَبْلَهَا سَمْنَهْرِيَّةً مَنْظَمَةً نَظَّمَ الْفَرَنْدُ كَعُوبُهَا

١ النهاية : تذيقك حر السم وفي ب : تذيق الذعاف السم في وخز .

٢ في ب : وتمطل .

٣ النهاية : بمنكر صورة .

٤ النهاية : فيها .

لها طعنة^١ لا تستبين لناظري^٢ ولا يرسل^٣ المسبار فيها طيبتها
نسيت^٤ بها قيساً وذكرى طعنه^٥ وقد دق^٦ معناها وجلت^٧ خطوبها^٨
يحمل منها مائع السم^٩ بغتة^{١٠} نجيع^{١١} قلوب في الضلوع^{١٢} دبيها
لها سقطة^{١٣} في الليل مؤذية^{١٤} بها ونقر^{١٥} خفي في الشخوص^{١٦} كأنه
ومن كل^{١٧} قطر يتقي شرها^{١٨} كما تذيب^{١٩} في جنح الدجنة^{٢٠} ذبيها
تجيء^{٢١} كأم الشبل^{٢٢} غضبي توقدت^{٢٣} وقد توج^{٢٤} اليافوخ^{٢٥} منها عسيها
بعين^{٢٦} ترى فيها بعينك^{٢٧} زرقة^{٢٨} وإن قل^{٢٩} منها في العيون^{٣٠} نصيبها
حكى سرطاناً خلقت^{٣١}ها إذ تقدمت^{٣٢} وقدّم^{٣٣} قرنيها^{٣٤} إليه دبيها
وتال^{٣٥} من القرآن « قل^{٣٦} لن يصيبنا » وقد حان^{٣٧} من زهر^{٣٨} النجوم غروبها
يقول^{٣٩} وسقف^{٤٠} البيت يحذفه^{٤١} بها حصاة^{٤٢} الردى^{٤٣} يا ويح^{٤٤} نفس^{٤٥} تصيبها

١ في ب : لا يستبين لها دم .

٢ النهاية : وجل ندوبها ؛ وقيس يعني قيس بن الخطيم في قوله « طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر » .

٣ في ب : مؤذنة بها ، إذا وجبت أضى .

٤ في ب : زمان .

٥ في ب : بأمر السيل .

٦ في ب : فيها النواظر .

٧ في ب : إذ تحركت .

فَصَبَّ عَلَيْهَا نَعْلَهُ فَتَكَسَّرَتْ من اليبس تكسيرَ الزجاج جنوبها^١
عدوّ من الانسان يَغْمُرُ بَيْتَهُ فكيف يوالي رقدة يستطيها^٢
ولولا دفاعُ الله عَنَّا بلطفِهِ لَصَبَّتْ من الدنيا علينا^٣ خطوبها

٣٢

وقال في معنى القناعة والثقة بالله

كُنْ وَاثِقاً بالله سبحانه فهو الذي يصرفُ عنك الخطوبُ
واصرفْ إليه الوجّه عن معشِرٍ قد صرفوا عنك وجوهَ القلوب

١ في ب : جيوبها .

٢ في ب : فكيف وأنى فكرة يستطيها .

٣ في ب : علي .

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز^١

أشهابٌ في دجى الليل ثَقَبَ أم سراجُ نارهُ ماءُ العِنَبِ
 أم عروسٌ فوق كرسى يدي يحتليها اللهو في عقدِ الحب
 يا شقيقَ النفس ، أنفاس الصبا برَدَت ، والصبح لا شك اقترَب
 قمُ أمتَعك^٢ بعيشٍ لم تَقَع في صفاءٍ منه أقداءُ التوب
 فلقد حانَ لضوءِ الفجر^٣ أن يضربَ السرحانُ فيه بذنب
 فأدرِها تحتَ ليلٍ سَقَفُهُ ظلمةٌ فيها من النورِ ثَقَبُ
 أو على برقِ سماءٍ ضاحكٍ غيمُهُ بالدَّمَعِ منه منسكب
 سَكِرَ الرّوضُ وغنى طيرهُ أفلا ترقصُ قاماتُ القُضْبِ
 هاتِ دُرّاً فيه ياقوتٌ وَخُذْ جسمَ ماءٍ حاملاً روحَ لَهَب
 قهوةٌ لو سَقَيْتَها صخرةٌ أورقتُ باللهو منها والطرب

١ في نسخة ب : وقال يمدح السلطان أبا الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية .

٢ في ب : قم بنا لنعم .

٣ في ب : الصبح .

٤ في ب : ثقب .

٥ في ب : ساء .

يَجْذِبُ الرُّوحَ إِلَيْهِ رَوْحُهَا
وُلِدَتْ بِالشَّيْبِ فِي عُنُقِهَا
كَلَّمَا مَوَّجَهَا الْمَزْنُ أَرَتْ
مَا دَرَى خَمَارُهَا عَاصِرَهَا
خَنْدَرِيسٌ عَشَّقَتْ فِي أَجْوَفِ
وَاضِعٌ كَفِّهِ فِي أَخْصَارِهِ
دَفَنُوا اللَّذَّةَ فِيهَا حَيَّةً
ظَنَّهُ كَنْزاً فَلَمَّا انْتَسَبَتْ
قُلْتُ إِذْ أُبْرَزَهَا فِي قَعْبِهِ :
قَتَلْتَنِي وَهِيَ بِي مَقْتُولَةٌ
كَيْفَ لَا تَصْرَعُنِي صَوَّالَةٌ
وَمَلِيحَ الدَّلِّ إِنْ غَلَّ بِهَا
شَعِشَعَ الْقَهْوَةَ فِي صُوبِ الْحَيَا
فَتَلَاقَى فِي فَمِي مِنْ كَأْسِهِ
وَشَدَا مِنْ مَدَحٍ يَحْيِي نَغْمًا
أَلْطَفَ الشَّيْثِينَ عِنْدِي مَا انْجَذَبَ
وَهِيَ الْيَوْمَ عَجُوزٌ لَمْ تَشَبْ
حَبَبَ الْفُضَّةِ فِي مَاءِ الذَّهَبِ
فَحَدِيثُ الصَّدَقِ فِيهَا كَالْكَذِبِ
مِنْ دَمِ الْعُنُقُودِ مَمْلُوءٍ نُخَبِ
وَقِيَامٌ فِي قَعُودٍ قَدْ وَجِبَ
وَأَتَى الدَّهْرُ عَلَيْهَا . . وَذَهَبَ
مِنْهُ لِلْأَنْفِ دَرَى ذَاكَ النِّسْبِ
أَهْمِي بِنْتَ الْكَرَمِ أَمْ أُمُّ الْحَقْبِ
صَوْلَةُ الْمَيْتِ عَلَى الْحَيِّ عَجَبُ
وَهِيَ مَنِّي فِي عُرُوقٍ وَعَصَبُ
قُلْتُ نَجْمٌ فِي فَمِ الْبَدْرِ غَرَبُ
وَسَقَانِي فَضْلَةً مِمَّا شَرِبُ
مَاءُ كَرَمٍ وَغَمَامٌ وَشَسَبُ
هَزَّ مِنْهُ الْمَلِكُ عِطْفِيهِ طَرَبُ

مِنْ مُعْزِرِ الدِّينِ فِي الْفَخْرِ لَهُ خَيْرُ جَدٍّ ، وَتَمِيمٌ خَيْرُ أَبٍ
 مَنْ لَهُ وَجْهُ سَمَاحٍ سَافِرًا^١ أَبَدًا لِلْمَجْتَدِي لَا يَنْتَقِبُ
 مَلِكٌ عَنْ ثَغْرَةِ الدِّينِ اتَّقَى وَرَمَى الْأَعْدَاءَ بِالْجَيْشِ اللَّجْبِ
 فِي سَرِيرِ الْمَلِكِ مِنْهُ قَمَرٌ يُجْتَسَلَى يَوْمَ الْعَطَايَا بِالسَّحْبِ
 طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ مَأْلُوفُ الْعُلَى طَيِّبُ الْأَعْرَاقِ مَصْقُولُ^٢ الْحَسْبِ
 عَادِلٌ تَعَكَّفَ بِالْحَمْدِ عَلَى ذَكَرَهُ أَفْوَاهُ عُجَمٍ وَعَرَبِ
 سَالِبٌ مِنْهُ النَّدَى مَا سَلَبَتْ مِنْ أَعْسَادِيهِ عَوَالِيهِ السُّلُبِ
 فِي نَصَابٍ لَمْ يَزَلْ مِنْ حِمِيرِ مُعْرِقًا فِي كُلِّ قَوْمٍ مُسْتَنْخَبِ
 بِهِمْ إِنْ ذُكِرَ الْجَيْشُ بِهِمْ هَالٍ مِنْهُ الرَّعْبُ وَاشْتَدَّ الرَّهْبُ
 وَالْحَدِيدُ الصَّلْبُ لَوْلَا بَأْسُهُ لَمْ يَخَفْ فِي الطَّعْنِ مِنْ لَيْنِ الْقَصْبِ^٣
 أَثْبَتُ الْإِقْدَامُ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنْ مَرَّ الضَّرْبُ حُلُوًّا كَالضَّرْبِ
 يَتَّقِي فَيْضَ النَّدَى مَنْ كَفَّهْهُ عِيلٌ مِنْهُ لَدَغٌ دَهْرٌ يَسْتَهَبِ
 وَإِذَا مَا ضَحَكَتْ سَنُّ الرِّضَى مِنْهُ لَمْ يُخْشَسَ عَبُوسٌ فِي الْغَضَبِ

١ في ب : سافر .

٢ في ب : مرفوع

٣ في ب : المصب .

٤ في ب : أثبت .

٥ في ب : عبوساً .

كلّ قطر منه يلقى مشرباً
يحسب الطودَ حصاةً حِلْمُهُ
نالَ أهلُ الفضلِ منه فضلَهُمْ
تتقي الأعداءُ منه سطوةً
والهصورُ الوردُ يُخشى وثبُهُ
كم فمٍ طابَ لنا من ذكره
وكانَ^١ الروضَ في أوصافِهِ
ثابتٌ كالطودِ في معركِ
ورؤوسٌ بالمواضي تُخشَلِ
كم شجاعٍ خاض في مهجته
قلمٌ يمشقُ في الطعنِ فقلْ
أيها الواصلُ من إحصانِهِ
ربّ رأيٍ لك جهّزتَ به
كنتَ يومَ الحربِ عنه غائباً
كالذي يلعّـبُ في شطرنجه
من جسداه ولقد كان سرب
وتظنّ البحرَ نعماءُ تُغيب
ومن الشمسِ سنا نور الشهب
وهو في ظلّ علاه مُحْتَجِب
وهو في الغيلِ مقيمٌ لم يثب
فهو كالمسكِ، وكم ثغر عذب
تُغمّسُ الأشعار فيه والخطب
جائلُ الأبطال خفاقِ العذب
ونفوسٌ بالعوالي تُتْهَب
بسنانٍ في الحيازيم رَسب
أَمَحّا العيشَ أم الموتَ كتب
سبباً من كلّ منبتِ السبب
جحفلاً ذاقَ العدى منه الشجب
وظبى نصركَ فيه لم تغيب
رأيهُ عنه تَخَطّى في اللعب

١ في ب : فكان .

أنا مَنْ صَاحَ بِهِ يَوْمَ النُّوَى عَنْ مَغَانِيهِ غَرَابٌ فَاغْتَرَبُ
طَفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى اكْتَهَلْتُ غُرُبَتِي وَاحْتَنَكْتُ^١ سَنَ الْأَدَبِ
ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي مَدَّ بِالطَّوْلِ عَلَى الدُّنْيَا طُنْبُ
مَنْحَ الْعِلْيَاءِ كَفَّيْ نَاقِدٍ فَانْتَقَى الدَّرَّ وَأَبْقَى^٢ الْمُخْشَلِبِ
فَلَسَعَلْتِي بِبَقَايَا عُمُرِي مِنْهُ أَقْضِي الْبَعْضَ مِنْ حَقِّ وَجِبِ

١ في ب : واكتهلت .

٢ في ب : وأبقى .

وقال يمدح [يحيى بن تميم بن المعز]

لها العُتْبُ ، هذا دأبها وليّ العُتْبَى
 رأى عاذليّ جسمي حديثاً فراه
 وكيف ونفسي تؤثرُ الغصنَ والنقا
 وتهوى الشقيقَ الغصنَ والعنيمَ الرطبا
 وذاتِ دلالٍ أعجَبَ الحسنَ خلقتُها
 فهزّ اختيالُ التّيه أعطافها عُجبا
 يكادُ وليدُ الدرّ يجرُحُ جسمها
 إذا صافحتُ منها أنامله الإتيابا
 فتاةٌ إذا أحسنتُ في الحبِّ أذنبتُ
 فمن أين لولا الجورُ تُلزِمُنِي الذنبا
 وإني لصعبٌ والهوى راضني لها
 وغيرُ عجيبٍ أن يروضَ الهوى الصعبا
 سريعةٌ غديرٍ سيفها في جفونها
 وهل لك سلمٌ عند من خلقتُ حربا
 وروضة حسنٍ غرّدت فوق نحرها
 عصافيرُ حلّني تَلْقُطُ الدرّ لا الحبّا
 وألحقها بالسرب جيدٌ ومقلّةٌ
 وإن لم يناسب دُرٌّ مبسمها السربا
 لها من فتونِ السحر عينٌ مريضةٌ
 تحلبُ من أجفانها الدمع والكربا
 شربتُ بلحظي سكرةً من لحاظها
 فلاقيت منها سَوْرَةَ تشربُ اللبا

وإني لصادٍ والزلالُ مبرّدٌ
فمن لي بودقٍ مُطْفِئٍ حرٍّ غُلَّتِي
وقالوا أما يسليكَ عن شَغَفِ الهوى
وأنفاسها أذكى إذا انصرف الدجى
وحمرءَ تُلْقَى الماء في قيد سكره
تَوَلَدَ في ما بين ماءٍ ونارِها
قستَ ما قستَ ثم اقتضى المزجُ لينها
وذي قتلةٍ بالراح أحيتُ سمعه
فهبَ نزيفاً والتسيمَ معطرٌ
شربنا على إيماضٍ برقٍ كأنه
سرى راحاً دُهمَ الدياجي كأبلى
كأنَّ سياطَ التبر منه تطايرتُ
إذ العيش يجري في الحياة نعيمه
لياليَ يندى بالمنى لي أمانها
سليلُ تميم بن المعز الذي له
هو الملك الحامي الهدى بقواضبٍ
لديّ ، وإن أكثرت من صفوه شرباً
أباكرُ طلاءً من أقاحيه عذبا
ومن ذا من السلوان يسسلُكُ بي شعباً
وريقتها أشهى ومقلتها أسبى
ويطلق من قيد الأسى شربها القلباً
مُجَوَّفٌ دُرٌّ لا تطيقُ له ثقباً
فكم شررٍ في الكأسِ رشتَ به الشرباً
بأجوفَ أحيته مُمَيِّتَشُهُ ضَرْباً
فما خلتهُ إلا النسيمَ الذي هباً
سنا قبسٍ في فحمةِ الليل قد شبتا
له وثبةٌ في الشرق يأتي به الغربا
لها قِطْعٌ مما يسوق بها السُحْبَا
وذيلُ الشبابِ الغضُّ أركضه سُحْبَا
كأيتام يحيى لا تخاف لها خطبها
مطالعُ فخرٍ في العلى تُطْلَعُ الشهباً
قلوبُ العدى منها مقلّبةٌ رعباً

إذا ما الحيا روى ليسكب صوبه
 رأيت ندى يمانه يتدر السكبا
 بنى من منار الجود ما جمده بنى
 وذب عن الإسلام بالسيف ما ذبا
 وجهز للأعداء كل عرمم
 يغادر بالأرماع أرواحهم
 كتائبُ يعلوها مشارُ قتامها
 كما نشرت أيدٍ مرسله كتبها
 وتفشي سريرات النفوس حماها
 بجهدٍ ضرابٍ يصرع الأسد الغلبا
 إذا ما بديع المدح ضاق بحاله
 على مآدح ألفاه في وصفه رحبها
 ثناءً تخال الشمس ناراً له وما
 على الأرض من نبت له منزلاً وطبا
 سميعُ سؤالِ المُجتدي غير سامع
 ومن ذا يرد البحر عن فيض مده
 إذا ما أديرت بالسيول من الظبى
 على بديل مالٍ من مُعاتبه عتبا
 شجاعٌ له في القرن نجلاء ثرة
 وإذا عبّ منه بالجنايب ما عبّا
 يُطير فراش الرأس مَضْرِبُ سيفه
 ربح الحرب في الهيجاء كان لها قطبا
 يُخوض دم الأبطال بالجرّد في الوغى
 شجاعٌ منها وهو كالشميل القُضبا
 عليمٌ بأسرار الزمان فِرَاسةٌ
 وعاملُهُ في القلب يحترش الضبّا
 قريبٌ إذا ساماه ذو رفعة نأى
 فيصدرها ورداً إذا وردت شهباً
 بعيدٌ إذا ناداه مستنصر لبي

يُشْرَدُ مِنْ آلَائِهِ الْفَقْرَ بِالْغِنَى وَيَقْصُدُ مِنْ آرَائِهِ بِالْهِنَا النُّقْبَا
يَطُوقُ ذَا الْجُرْمِ الْمَخَالِفِ مِثَّةً وَلَوْلَا مَكَانُ الْحَلَمِ طَوَّاقُهُ الْعَضْبَا
يَعُودُ مِنَ الْآبَاءِ كُلِّ مَتَوَجِّجٍ نَدِيمَ الْمَعَالِي مُلْكَ الْمَالِ وَالتَّوْبَا
لَهُمْ كُلِّ مَرْتَاعٍ بِهِ الرُّوعُ مُعْلَمٌ إِذَا الْحَرْبُ بِالْأَرْمَاحِ نَاجَزَتْ الْحَرْبَا
مُضَرَّمٌ هَيْجَا ، فِي طَوِيَّةٍ غَمْدُهُ مِنْ الْفَتَكِ مَا يَرْضِي مَنِئَتَهَا الْغَضْبَى
إِذَا حَاولُوا قَضَبَ الْجَمَاجِمِ جَرَدُوا لَهَا وَرَقًا يَسْتَبِنُ فِي النَّارِ أَوْ قَضْبَا
وإن رُفِعَتْ فَوْقَ الْمَقَارِقِ صَيَّرَتْ دَيْبَ الْمَنَآيَا مِنْ مُضَارِبِهَا وَثْبَا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ سَاحَاتُ يَحْيَى كَأَنَّمَا إِلَيْهِ نَفُوسُ الْخَلْقِ مَنْقَادَةٌ جَسَدَا
رَبُوعٌ بَعَثَ الطَّرْفَ فِيهِنَّ خَاشِعًا وَإِنْ كَانَ بُعْدَ الْعِزِّ يَمْتَنَحُ الْقُرْبَا
فَلَا هِمَّةٌ إِلَّا رَأَيْتُ لَهَا عُلَى وَلَا أُمَّةٌ إِلَّا لَقِيتُ لَهَا رَكْبَا

١ في م : بالمئى النعبا ؛ وقد غيرته استثناساً بقولهم في المثل : يضع الهناء مواضع النقب .

وقال يمدح أبا يحيى الحسن بن علي بن يحيى المتقدم ذكره

بَلَّيْ ، جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا وَتَصَابِي
وَأَوْجَفَ خَيْلاً فِي الْهَوَى وَرَكَابَا
وَهَزَّ قَنَاقَةً تَحْتَ بَرْدِيهِ لَدَنَةً
تَلِينُ وَتَنْسُدِي نَضْرَةً وَشِبَابَا
وَجَاوَلَتْهُ قِدْحُ الْهَوَى إِذْ أَجَالَهُ
مِنَ الرَّبْرِ السَّاجِي الْعَيُونِ وَثَابَا
قَطَعْتُ زَمَانِي بِالشَّمُولِ مُسِنَّةً ،
وَبِالرَّوْضِ كَهْلًا ، وَالْفَتَاةِ كَعَابَا
وَكُنْتُ أَعِيبُ الْهَوَى فِيهَا وَلَا أَرَى
عَلَيَّ هَوَاهَا فِي التَّعَفُّفِ عَابَا
وَأَرْكَبُ عِزًّا صَهَوْتِي وَهِيَ مَهْرَةٌ
أَسَاوِرُ مِنْهَا بِالشَّبَابِ شِبَابَا
وَعِغْدَاءَ رُؤْدٍ قَادِنِي نَحْوَهَا هَوَى
تَنْسَمْتُ مِنْهُ فِي الْهَوَاءِ مَلَابَا
مُضِئَّةً لِلطَّيِّبِ تَحْسِبُ أَنَّهَا
تُطَيِّبُ مِنْ مَسْكِ التَّرِيبِ تَرَابَا
وَمَا صَابِنِي إِلَّا مَرِيحٌ بِضَرْبَةٍ
تَكُونُ سُوءَالًا لِلرَّضَى وَجَوَابَا
فَبَتَّ كَسْرِي فِي حِشَا اللَّيْلِ دَاخِلٍ
عَلَى حَبَّةِ الْقَلْبِ الْمَصُونِ حَجَابَا
كَأَنَّ الدَّجَى مِنْ طَوْلِهِ كَانَ جَامِدًا
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا التَّحِيَةَ ذَابَا
فَقُلْ فِي ظِلَامٍ طَالَ ثُمَّ بَدَا لَهُ
فَقَدْ أَبْصَرَتْ مِنْهُ الْعَيُونُ عُجَابَا

١ المريح : النصف ، الضربة : المطرة الخفيفة .

كأنّي بشطيرٍ منسه ثوّرتُ باركاً
رعتُ الصّبّا حتى ذوى ورَقُ الصّبّا
وحتى اغتدّى زَندي شَحاحاً بقادحٍ
وقاطعٍ أجوازِ الفيافي مُرَوّعٍ
يناجي بها في الليل سيّداً [عملساً]
بريحٍ جنوحِ الرّحل يُمنسي هبوبها
أبنتَ الجديلِ القاطعِ البيدِ جدلي
إذا ما التّوى أَلقتُ عصايَ حِجّةً
وسُرّيلتُ إحساناً من الحَسَنِ الذي
هو الملكُ الحامي الهدى من ضلالةٍ
غدا كعبه في كَفّة الملكِ عاليًا
وأضحى لقومٍ مذعنينَ بعدلِهِ
إذا عُدّتِ الأحسابُ عُدّةَ نِجارِهِ
توقّدَ إقداماً وفاضَ سِماحةً
من السّادة الغُمرِ الأولى ملكوا الوري
غطارفةٌ مِثْلُ الجبالِ حُلومُهُمُ

كسيراً ، وشطراً قد أطرتُ غرابا
ولم يُبقِ في عمري المشيبُ شبابا
وأضحى جَناحي في النّهوض ذُبابا
بدهرٍ رماه بالخطوب ورايا
ويصحب هيقا بالنّهار وجابا
نِجاءً لها ملءَ الدّجى وهبّابا
سباسبَ من غَوَلِ الفلا وظرابا
تجنّبَ لي صرفُ الزّمان جنابا
هَمَمي الجودُ من كلتا يديه وطابا
فقلّ لها ظفراً وهَتَمَ نابا
وملّكَ من أهل الزّمان رقابا
نعيماً ، وقومٍ مجرمينَ عذابا
له حسباً بين الملوك لبابا
وهذّبَ أخلاقاً وطاب نصابا
وأعطاهم الدّهرُ الأبّي جَنابا
تكونُ لهم شَمُ الجبال هضابا

١ في م : صيل الجبال ، وفي الأصل الخطي : صيد جبال ، وهذه الثانية مقبولة .

إِذَا غَضِبُوا لِلَّهِ أَرْضَاكَ فَتَكُفُّهُمْ وَأَفْتِكَ مَا تَلْقَى الْأَسْوَدَ غَضَابَا
 وَإِنْ جَزَمُوا الْأَعْمَارَ فِي الْحَرْبِ صَبَرُوا عَوَامِلَهُمْ فِي السِّدَّارَيْنِ حَرَابَا
 وَتَحْسِبُهُمْ تَحْتَ السَّوَابِغِ وَالْقَنَا ضِرَاعِمَ شَقَّتْ فِي الْعَرِينِ سَرَابَا
 مُفِيدٌ مُبِيدٌ فِي سَبِيلِهِ جَاعِلٌ مَذَاقَهُ شَهْدٍ لِلْأَنَامِ وَصَابَا
 كَأَنَّ زَمَانًا تَائِبًا مِنْ ذُنُوبِهِ رَأَى عَدْلَهُ أَوْ خَافَ مِنْهُ فَتَابَا
 إِذَا مَنَعَ الْأَمْلَاكُ نَائِلَهُمْ سَخَا وَإِنْ أَخْطَأُوا وَجْهَ الصَّوَابِ أَصَابَا
 كَثِيرٌ وَفُودِ الْقَصْدِ لَمْ تَكْفِ دَجَلَةٌ بِسَاحَتِهِ لِلْأَكْلَيْنِ شَرَابَا
 تُفَيْضُ الْعَطَايَا بِالْأَمَانِي يَمِينُهُ فَتَحْسَبُ فِيهِنَّ الْبُحُورَ ثَغَابَا
 وَجَيْشٌ تَخَالُ الشَّدَوَ فِي جَنْبَاتِهِ إِذَا صَاهَلَتْ فِيهِ الْعِرَابُ عَرَابَا
 إِذَا أَسْفَرَتْ مِنْ نَقْعِهِ الشَّهْبُ فِي دَجَى رَأَيْتَ لُوجَهُ الشَّمْسِ مِنْهُ نَقَابَا
 تَحْطُمُ مُرَّانَ الرَّمَاكِ كَمَا تَهْ طَعَانًا وَأُورَاقَ الصَّفَاحِ ضَرَابَا
 وَتَحْسَبُ أَنْهَاءً^٢ مُلْتَنَ عَلَيْهِمْ حَبَائِكَ مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَحَبَابَا
 أُرُونِي مِنْكُمْ رَاجِيًا رَدَّ قَاصِدًا إِلَى قَصْدِهِ وَجْهَ الرِّجَاءِ فَخَابَا
 وَلَا تَعْتَبُوهُ فِي الشَّفَاعَةِ وَالنَّدَى فَلَنْ تَجْعَلُوا نَقْلَ الطَّبَاعِ عَتَابَا

١ الثغاب : بقايا المياه في الوادي .

٢ الأنهاء : جمع نهى وهو الغدير شبه الدروع بها .

ولو خضبَ الأيدي نداهُ رأيتُ
 يردّ لسانُ العضب عند سكوته
 فيا ابن عليّ أنت شبلٌ حمى الهدى
 جعلت نيوبَ الثغر زُرْقَ أسنةٍ
 ولو نظم الديماسُ منشورَ هامهم
 فللدين عيدانٌ من النبع جرّبتُ
 طلعت لنا بدرأ شمسٍ طلاقةٍ
 فحالفك النصرُ العزيزُ الذي بهِ
 ولا زلتَ عيداً للورى غيرَ ذاهبٍ
 لكلّ يدٍ بالتبرِ منه خضابا
 إلى هامةِ المقدام عنه خطابا
 وأنبتَ حوله الذوابلَ غابا
 فلم تجنِ زُرْقُ الروم منه رضابا
 لقلّدَ جيدَ القصرِ منه سخابا
 بينعجمٍ فألفاها الصليبُ صلابا
 تلفَ عليها راحتاه سحابا
 تغادرُ آسادَ الحروب ذئابا
 إذا العيدُ ولّى بالزمانِ ذهابا

وقال يمدح

تخریجها : فی الحریدة منها ٢٢ - ٢٧ ،
 ٣٠ - ٣٣ ، ٣٥ - ٤٤ ، ٤٦ - ٥٢ ،
 و بین ٣٩ - ٤٠ بیت زائد وهو :
 لما تفوز ونيله فوق المنى
 من حسن وجهك عينها بتصيب

من كان يَعْذُبُ عندها تعذبي أنى ترقّ لِعبرتي ونحيبي
 من أين يعلم من ينام مُسَلِّمًا حُمّةً توُرّق مقلّة الملسوب
 أتدبّ في جفنيه طائفة الكرى وعقاربُ الأصداغ ذاتُ ديب
 وتنام في ورد الحدود ولدغها متسرّب من أعينِ لقلوب
 وكأنّما سَمَّ مُذِيبٌ مِسْكُها أيذيني والمسكُ غير مُذِيب
 كيف السّيل إلى لقاء غريرة تلقى ابتسام الشّيب بالتقطيب
 من أين أرجو أن أفوز بسلامها والحرب بين شبابها ومشيمي
 ما حبّ شمس عنك تغرب في الفلا من أنجم طلعت بغير غروب
 قالت لمنشدها نسيبي : ما له ليس . النّسيب لثله بنسيب
 فإلام يُنشدني تغزّلَ شاعر ما كان أولاه بوعظٍ خطيب

يا هذه أصدى دعوت مُردّداً ليحيبَ منك فكان غير مجيب
ليت التفاتي في القريض أعرتِه حُسْنُ التفاتك رحمةً لكثيب
وذكرت من ضَرْبِ المرقل صيغةً بمرقل من ذلك المسحوب
وعسى وعيدك لا يضيرُ فلم أجِدْ في البحر ضرباً مؤلمَ المضروب
إنّ الزمانَ أصابني بزمّانةٍ أبلت بتجديد الحياة قشيب
ففنيتُ إلاّ ما تطالعُ فكرتي بالحدق من حِكَمي ومن تجريبي
ووجدتُ علم الشعر أخفى من هوّى لم تُفْشِه عينٌ لعين رقيب
ومدائحُ الحسنِ المبخرةُ التي فغَسَمَتْ بِطيبِ الفخر أنفَ الطيب
ذو همّةٍ بَدَلِ الندى وحمى الهدى بمهندٍ ذَرَبِ بكفٍ ضُروب
حامي الحقيقةِ عادلٌ لا تَتَّقِي في أرضه شاةٌ عداوةَ ذيب
ملكٌ غداً للعيد عيداً مُبْهَجاً همُّعُ العلى حوله ذات ضروب
وَرَدَ المصلّى في جلالٍ مُعَظَّمٍ ووقارٍ مختشعٍ وسمتٍ منيب
بعمرم ركب لإرجال العدى عقبانُ جرٍّ فيه أَسَدَ حروب
عُقِدَ اللواءُ به على ذي هبةٍ حالي المناسبِ بالكرامِ حبيب
والبُزْلُ تَجَنُّحُ بالقبابِ تهادياً عَوَمَ السفينِ بشمالٍ وجنوب

من كلّ رهوٍ في المقادة مَشْيُهُ
 وكأنّما تعلو غواربها رُبى
 ونجائبٍ مثلِ القسيّ ضوامِرُ
 من كلّ مختصرِ الفلاةِ بِمُعْجَلٍ
 يرعى الفلا بقمٍ وترعى نخضه
 ومطلة في الخافقين خوافقُ
 من كلّ منشورٍ على أفقِ الوغى
 جاءت تُشَرِّبه العتاقُ بِنَقْعِهَا^١
 أو كلّ ثعبانٍ يُنَاطُ بِقَسَورٍ
 صُورٍ خُلِعْنَ على الموات فخيَلت
 وفغرْنَ أفواهاً رحاباً عَطَلَتْ
 من كلّ شخصٍ يَحْتَشِي^٢ من ريحه
 وترى بها العنقاء تنفضُ سِقْطَها
 وصلتُ ذُرَى المَهْدِيَّتَيْنِ وهاجرتُ
 ونَقَلَ الخطى منه على ترتيب
 روضٍ بشجّاج الحيا مَهْضُوب
 وصلت بقطع^١ سباسب وسهوب
 فكأنها إيجازُ لفظٍ أديب
 من مِئْسَمٍ للمروِ ذي تشذيب
 كقلوب أعداء ذواتٍ وجيب^٢
 مسطوره كالْمُهْرَقِ المكتوب
 والريح تنفضه من التريب
 بين البنودِ كَمُحْنَقٍ وَغَضُوب
 فيها الحياة بسورةٍ ووُثُوب
 أشداقها من ألسُنٍ ونيوب
 روحاً يجرّك جسمه بهبوب
 في نَقْصَفٍ للحائِثات رحيب
 وكرأ لها بالهنسد غيرَ قريب

١ الخريدة : صوارم خلقت لقطع .

٢ في هذا البيت والأبيات التالية حتى البيت ٣٩ يصف الشاعر الرايات وما عليها من تصاوير .

٣ الخريدة : برقصها .

٤ الخريدة : جسم يحتشي .

وصواهلٍ مثلِ العواسلِ عَدُوَّهَما . أبداً لحربِ عدوكِ المحروب
 مِن كلِّ وَرْدٍ ما يشاكلُ^١ لونهُ . إلّا تورّدُ وجَنَّةِ المحبوب
 وكأنتما كَنَزَتُ ذخيرَةُ عِتْقِهِ منه عبابَ البحرِ في يعبوب
 أو أدهمِ داجي^٢ الإهابِ كأنتما صَبَغَ الغرابِ بلونه الغريب
 أرساغُهُ دُرٌّ على فيروزجِ لان الصفا من وَقْعِهِ لصليب
 يعدو ولا ظلُّ له فكأنتهُ برق فيا للبرق من مركوب
 أو أشهبٍ مثلِ الشهابِ ورجمِهِ شخصَ المریدِ بِمُحَرَّقِ مشبوب^٣
 لا فرقَ ما بينَ الصباحِ وبينه إلّا بَعْدُو منه أو تقريب
 أو أصفرٍ مثلِ البهارِ مغيّرٍ بسوادِ عَرَفٍ عن سوادِ عسيب
 أو أشعلٍ للونِ فيه شُعْلَةٌ تَذْكَى بريحٍ منه ذاتِ هبوب
 وكأنتهُ مِرْدَاةُ صخرٍ حَطَّه من علَو سِلٍّ^٤ ماجٍ في تصويب
 وكأنتما سَكِرَ الكميثُ بلونه فلهُ بمشيتهِ اختيالُ طروب
 وكانَ حِدةَ طرفه وفؤادِهِ من خَلْقِهِ في الأذن والعرقوب

١ الخريدة : يشابه .

٢ الخريدة : أحوى .

٣ الخريدة : ورحمه صاني الضلوع أقب كاليمسوب .

٤ الخريدة : النهار مغبر .

٥ الخريدة : للنار .

وَجَلَلَتْ سُرُوجُ الْحَلِيِّ فَوْقَ مَتُونِهَا سُرُجًا تَأَلَّقُ ، وَهِيَ ذَاتُ لَهَبٍ
صَدَرَتْ مِنَ الذَّهَبِ الثَّقِيلِ خَفَافُهَا وَنَشَاطُهَا مَتَخَثٌ بَلْغُوبٌ
وَكَأَنَّمَا مِنْ كُلِّ شَمْسٍ حَلِيَّةٌ صِيغَتْ لِكُلِّ مُسَوِّمٍ مَعْجُونُوبٌ
صَلَّيَتْ ثُمَّ قَفَوْتَ مِلَّةَ أَحْمَسِدٍ فِي نَحْرِ كُلِّ نَجِيَّةٍ وَنَجِيبٍ^١
مِنْ كُلِّ مَرْتَفَعِ السَّامِ تَحْمَلَتْ فِيهِ الْمُدَى بِالْفَرْيِ وَالتَّرْغِيبِ
حَيْثُ النَّدَى بِعَفَاتِهِ مَتَبَرَحٌ تُسْنِدُهُ كَفَّ مَتَوَّجٌ مَحْجُوبٌ
يَا مِنْ قَوَافِينَا مَخَافَةٍ نَقْدِهِ خَلَّصَتْ مِنَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ
لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا مَكَانٌ غَيْرُ ذَا يُجْرِي الْمَدِيحَ بِهِ ذُووُ التَّأْوِيبِ
خَذَهَا عُرُوسٌ مَحَافِلٌ لَا تَجْتَلِي إِلَّا بِحُلِيِّ عِلَاقٍ فَوْقَ تَرِيبِ
لَمْ يَخْرُجِ الدَّرُّ الَّذِي زِينَتْ بِهِ إِلَّا بِغُوصٍ فِي الْبُحُورِ قَرِيبِ
أَمَّا بَنَاتِي الْمَفْرَدَاتِ فَلِأَنَّهُمَا فِي الْحَسَنِ أَشْهَرُ مِنْ بَنَاتِ حَيِّبٍ^٢
لَا يَنْكَحُ الْعُرَاءَ إِلَّا مَا جَدُّ تَبْقَى بِعَصْمَتِهِ بَقَاءَ عَسِيبٍ^٣
وَأَنَا أَبُو الْحَسَنَاءِ وَالْغُرَاءِ إِنْ أَغْرِبُ فَمَا الْإِغْرَابُ لِي بِغَرِيبِ
يَدْعُو لَكَ الْحَجَّاجُ عِنْدَ عَجِيجِهِمْ وَصِيَا حِهِمُ بِالْبَيْتِ فِي تَرْجِيبٍ^٤

١ يذكر نحره الإبل في عيد النحر اتباعاً لسنة الرسول .

٢ حبيب : هو أبو تمام .

٣ عسيب : الذي ورد ذكره في قول امرئ القيس « وإني مقيم ما أقام عسيب » .

٤ ترجيب : تعظيم .

من كلَّ أشعثٍ مُحَرِّمٍ بلغَ المُسْنَى بِمِنَى وأدركَ غَايَةَ المطلوبِ
 يبيكي بمكة [والحج] ونِ مُرَدِّدَاً ويثربِ يدعو بلا ثريب
 فبقيتَ في العليا لتدميرِ العِدَى وغنى الفقير وفرجةِ المكروبِ

٣٧

وقال يمدح القائد مهيب بن عبد الحكم الصقلّي

غَيَّرَتْهُ غَيْرُ الدَّهْرِ فَشَابُ ورمتَه كلُّ خُودٍ باجْتِنَابُ
 فغداً عند الغواني ساقطاً كسقوط الصَّفْرِ من عدّ الحساب^١
 وتولى عنه شيطانُ الصبا إذ رماه الشيبُ رجماً بشهاب
 وكأنَّ الشَّعْرَ منه سَعَفٌ يلتظي فيه شواظُ ذو التهاب
 أيها المُغْرَى بِتَأْنِيْبٍ شَجٍ سُلْطَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ ، هل أناب؟
 هامَ ، لا همتَ ، من الغيد بمن حُبَّهَا عَذْبُ ، وإن كان عذاب
 لمتَ ، لا لمتَ ، عميداً قَلْبُهُ عَنْ سَمَاعِ الْيَوْمِ فِيهَا ذُو انْقِلَاب
 والهوى باقٍ مع المرءِ إذا كان من عَصْرِ الصَّبَا عنه ذهاب
 بأبي من أقبلتُ في صورةٍ ليس للتائب عنها مِنْ مَتَاب

١ في م : العجائب ، والقراءة المثبتة من اقتراح سكيا باريللي .

كُلُّ حُسْنٍ كَامِلٍ فِي خَلْقِهَا لَيْتَهَا تَنْجُو مِنَ الْعَيْنِ بِعَابٍ^١
فَالْقَوَامُ الْغُصْنُ ، وَالرَّدْفُ النَّقَا ، وَالْأَفَاحُ الشَّغَرُ ، وَالطَّلُّ الرُّضَابُ
ظَبِيَّةٌ فِي الْعَقْدِ إِمَّا التَّفَتَّتْ وَمِهَاءٌ حِينَ تَرْنُو فِي النِّقَابِ
ضَاعَ قَلْبِي فَالْتَمَسَهُ عِنْدَهَا تُلْفِيهِ فِي النَّحْرِ وَسُطَى بِسِخَابِ
رَوْضَةٌ تَعْبُقُ نَشْرًا مَا لَهَا غُمِسَتْ فِي مَاءٍ وَرَدٍ وَمَلَابِ
عَنَفَتِ رُسْلِي ، وَرَدَّتْ تُحَفِّي وَأَتَتْ تَقْرَعُ سَمْعِي بِالْعَتَابِ
وَحَتَّ أَسْطَرَّ شَوْقٍ كُتِبَتْ بَدْمُوعٌ ، نِقْسُهَا قَلْبٌ مَذَابِ
ثُمَّ غَطَّتْ بِنِقَابٍ خَدَّيْهَا مَنْ رَأَى الشَّمْسَ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ
بِكَلَامٍ يَسْتَبِي أَهْلَ النِّهْيِ وَيَحْطُ الْعُصْمَ مِنْ شَمِّ الْهَضَابِ
حَيْثُ أَخْلَاقِي رَوَاضٍ خَضَعَتْ فِي الْهَوَى مِنْهَا لِأَخْلَاقٍ صَعَابِ
كَيْفَ لَا أَبْكِي بِهَذَا كَلِّهِ وَأَنَا الْفَاقِدُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ
صَدَّتِ الْبَيْضُ عَنِ الْبَيْضِ أَمَا كَانَ مَا بَيْنَ الشَّيْهَيْنِ انْجَذَابِ^٢
أَفَلَا أَبْكِي شَبَابًا فَقَدَهُ قَلَبَ الْمَاءَ لَظْمَانَ سَرَابِ
أَخْطَأُ الشَّيْبُ ظَبَاءً ، وَالصَّبَا لَوْ رَمَاهَا خَدَفَاتِ^٣ لِأَصَابِ
خُذْ بَرَأِي فِي زِمَاعٍ وَاصِلٍ طَرَفَيْهِ : بَسْفِينِ وَرِكَابِ

١ أي ليت فيها عيباً لتنجو به من الحسد .

٢ أي صدت البيض عن الشرعات البيض .

٣ في م : خزوات ؛ أما خدفات فهي من الخذف ، وهو أن تأخذ حصاة أو نواة بين السبابة والابهام فتلقيا ؛ ولعل أن يكون ما قدرته ، حل هذا الوجه ، صواباً .

واغترب^١ وارج^٢ المني كم من فتني مُعْندِمٍ نالَ المني بعد اغتراب
 إن أتراح^١ النوى يعقبُها يجزِيلُ الحظَّ أفرأحُ الإياب
 وإذا نابك^١ خطبُ فآقره^٢ بمهيبٍ فهو للإسلام ناب
 إن للقائد عزاً ، جاره^١ في جوار النجم حمي الجناب
 أسدُ الرّوع الذي حملاقه^١ يُرْسِلُ اللحظة موتاً فيهب
 صارمٌ يُبكي دُمى الروم دماً إن تغنى منه في الهام ذباب
 في جهادٍ قرّن الله به عنده الزلّفى إلى حُسن المآب
 كم بأرضِ الشّرك من معمورة^١ أصبحت في غزوه وهي بسّاب
 في أساطيل ترى أحشاءها لبناتِ الرّوم فيهنّ انتحاب
 ككناسٍ بغممت غزلانته^١ من زئير راعها من أسد غاب
 كلّ مُسودّ قرّاه^١ خلقة^٢ لابساً من ذلك الليل إهاب
 إن ثعبان^١ سراه يقتدي في نعيب منه بالبرّ غراب
 شجرات^٢ حمّلها البيض^١ إذا نورّت بالمشرفيات العصاب
 أثمرت بالعين في الماء وإن ثورّت منه عجاجات العُباب

١ يصف المركب الذي ساء في البيت السابق « مسود القرا » فشه حركته في الماء بحركة الثعبان ، وصوت غره بالنعيب ، ويحبه الغراب في البر بالنميب أي ينذر الأعداء بالموت .

٢ أي تلك السفن شجرات ، ولعلها « سمرات » .

تقرأ الأعلاجُ منها للردى فوق طرسِ الماءِ أسطارَ كتاب
من صناديدهمُ إن ساوروا أسدَّ اليدِ وحياتِ الشعاب ؟
لست أدري أكلوبُ منهمُ أم صخورٌ في الحيازيمِ صلاب
بهمُ إن ثوبتَ حربٌ بهمُ أوجفوا البزلَ إليها والعراب
أيها العزمُ الذي منه زكا في المعالي عُنصرُ المجدِ وطاب
هاكها بنتَ ضميرٍ أعربتَ عن معاليك بألفاظٍ عذاب
يا لها من حكمةٍ بالغةٍ خاطبَ الفضلَ بها فصلُ الكتاب
وصيلَ الغزوِ بتدميرِ العدى واحيَ في العزِّ لتسهيلِ الصعاب

٣٨

وقال أيضاً

الصبح شرَّ بغيضٍ والليلُّ خيرُ حبيبٍ
فما أحدثُ إلا عن ممرضي وطبيبي
فالصبح أبعدَ مني قُربَ الغزالِ الربيبِ
فلو قضيتَ لقلبي لما شكَا من وجيبِ
أمتَ عينَ صباحي يوماً وعينَ رقيبِي

وقال أيضاً

وكنْتُ إذا مرضتُ رجوتُ عيشاً لياليَ كنتُ في شرحِ الشبابِ
فصرتُ إذا مرضتُ خشيتُ موتاً وقلتُ: قد انقضى عَدَدُ الحسابِ
فنفسُ الشيخِ تضعفُ كلَّ حينٍ وقوّتهُ على طَرَفِ الذَّهابِ
ولستُ مُصَدِّقاً خُدَعِ الأُماني وهل تُوكي المَزَادُ على السَّرابِ^١

وقال أيضاً في المعنى

نَعُوذُ مِنَ الشَّيْطَانِ بِاللَّهِ إِنَّهُ يُوَسَّسُ بِالْعَصِيَانِ فِي أذُنِ الْقَلْبِ
عَدُوٌّ أَيْنَا قَبْلُنَا وَالَّذِي لَهُ جُنُودٌ مَعَ الْأَيَّامِ دَائِمَةُ الْحَرْبِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ الشَّيَاطِينِ يُتَّقَى لَمَا احْتَرَسَتْ مِنْهَا الْمَلَائِكُ بِالشَّهْبِ

١ المَزَادُ : جمع مَزَادَة وهي القُرْبَة . توكى : تربط ، والمعنى أن المَزَاد لا توكى إلا على ماء ينتفع به ، فكيف احتقَب الأُماني وأصدق خُدعها ؟

وقال أيضاً

رُؤَيْدُكَ يَا مَعْدَبَةَ الْقُلُوبِ أَمَا تَخْشِينَ مِنْ كَسْبِ الذُّنُوبِ
 مَتَى يُجْزِي طُلُوعُكَ فِي جَفُونِي سَنَا شَمْسٍ مُوَاصِلَةِ الْغُرُوبِ
 وَكَمْ تُبْئِي الْكُرُوبُ عَلَيْكَ جَسْمِي أَلَا فَرَجٌ لَدَيْكَ مِنَ الْكُرُوبِ
 وَأَنْتِ قَدَحَتْ فِي أَعْشَارِ قَلْبِي بِسَهْمِيكَ : الْمَعْلَى وَالرَّقِيبِ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بِأَنَّ عَيُونََ عَيْنٍ تُفَيْضُ سَهَامَهُنَّ عَلَى الْقُلُوبِ

وقال أيضاً

أَسْهَامٌ مُفَوَّقَاتٌ لِرَمْيِي أَمْ قِدَاحٌ مَفَوَّقَاتٌ لَضَرْبِي
 صَائِبَاتٌ جَمِيعُهَا فَاتِرَاتٌ وَيَبْحَ قَلْبِي مَاذَا يُعِدُّ لِقَلْبِي
 تَلَكُمُ الْأَعْيُنُ الَّتِي خَذَلْتَنِي فِي التَّصَابِي بِهَا خَوَازِلُ سَرَبِ
 رَبَّةَ الْبُرْقُعِ الَّتِي فِيهِ تَحْمِي وَرَدَةَ الْخَدِّ عَقْرَبُ ذَاتُ لَسْبِ
 [قَدْ] مَزَجْتَ الْعَذَابَ لِي فَهُوَ عَذْبٌ بَزَلَالٍ مِنْ مَاءِ ثَغْرِكَ عَذْبِ

١ في م : متى تحوي ضلوعك من جنوبي ، ولا معنى له .

مرف الناء

٤٣

وقال أيضاً [في النارج]^١

باكر صبوحتك من سلاف القهوةِ وامزج بسمعك صِرْفَهَا بالنغمةِ
وانظر إلى النارج في الطبق الذي أبدى^٢ تدانيَ وجنةٍ من وجنة
ومن العجائب أن تضرّم^٣ بيننا جمراتُ نار تُجسّسنِي من جنة

١ ما بين معقنين زيادة من ب .

٢ في ب : يحكي .

٣ في ب : تلهب .

وقال أيضاً

ولقد سريتُ بفتيةٍ قطعوا الفلا بعزائمٍ مثلِ الصوارمِ سُلَّتِ
 وكانَ ليلةَ عزمهم زنجيةٌ زينتُ بحليِ نجومها فتجلَّتِ
 غمستهمُ في غمرةٍ من هولها صَبَرُوا لها بِسُراهمُ فتجلَّتِ
 وكأنما عَقَدُ الحنادسُ بُوكرتُ بيدٍ من الصبحِ المنيرِ فحلَّتِ
 وكانَ أنجمها على أعجازها دَرَقٌ على أكفالِ دُهمٍ ولَّتِ

وقال أيضاً

يا لَيْلَةَ فُزْتُ إِذْ ظَنَنْتُ بِهَا لَأَنْتِ صَفْوُ الْحَيَاةِ لو دُمْتُ
 هَزَمْتُ فَبِكَ الهمومَ فأنهَزَمْتُ بَكَرَ شُقْرِ الكؤوسِ والكُمْتُ
 وكادَ لَيْلي يكون من قِصَرٍ غَيْرَ زَمَانٍ مجدِّدٍ الوقتِ

١ الحنادس : الظلمات .

٢ اقرأ أيضاً : محدد .

وقال أيضاً

[وذى أربع] كخواني العقاب يطيرُ بها السبق عن حلبته^١
 كأن الصبأ قيّدتْ خالفه^٢ مقصّرة^٣ عن مدى وثبته
 ترى اللّيلَ يُغمّسُ في وجهه ويتسمُ الصبحُ من غرته
 يقدمه^٤ للوغى محرب^٥ كأن الغصنفرَ في نثله^٦
 كأن المدى منه^٧ في قبضة^٨ فأياك^٩ إياك^{١٠} من قبضته
 بأزرق^{١١} في أسمر^{١٢} لم يزل^{١٣} دم^{١٤} الذمّر^{١٥} كالكلح^{١٦} في زرقته
 وعضب^{١٧} لأنفُس^{١٨} أسد^{١٩} الكيفاح^{٢٠} معاطب^{٢١} ، تكمن^{٢٢} في سلته^{٢٣}
 ترى خضرة^{٢٤} الماء مشوبة^{٢٥} بها حمرة^{٢٦} النار في صفحته
 وتحسبه^{٢٧} وادياً مفعماً^{٢٨} سراياً^{٢٩} تموج^{٣٠} في قفرت^{٣١}
 ينال^{٣٢} به فُسحة^{٣٣} في العلى^{٣٤} من ازدحم^{٣٥} الهم^{٣٦} في هيمته^{٣٧}

١ المحرب : الشجاع ؛ النثلة : الدرع الواسعة .

٢ الذمّر : البطل الشجاع المحارب .

٣ في م : في لا خليل بجته ، وهو شديد التصحيف ، وما أثبتته مناسب للمعنى .

وقال أيضاً

الدمعُ ينطقُ واللسانُ صمُوتُ فأنظرُ إلى الحركاتِ كيف تموتُ
ما زالَ يَظْهَرُ كلَّ يومٍ بي ضَيُّ فلذاك عن عَيْنِ الحِمامِ خَفِيَتْ
صبُّ يَطالِبُ في صِبايَةِ نَفْسِهِ جسداً بمِديَةِ سقمِهِ منحوتِ
وأنا نذيرك إنْ تُلَاحِظَ صَبوَةً فاللَحْظُ منكَ لَنارِها كَبِريتِ
قد كنتُ في عهدِ النَصيحِ كآدمِ لكن ذَكَرتُ هوى الدَمَى فَنسِيتِ
كيف التَخَلُّصُ من فَوَائرِ أَعينِ يُلْقِي حِبالَ سحرِها هَاروتِ
ومعذبي مَن يَسْتَكِدُّ تَعذِيبِي لا باتَ من بلوَايَ كيفَ أبيتِ
رِشاً أَحَنَّ - إلى هَوَاهُ كَأَنَّهُ وَطَنٌ ، وَلَدْتُ بِأَرْضِهِ وَنَشِيتِ
في ليلٍ لَمَتَهُ ضَلَلْتُ عن الهوى وَبَنُورِ غُرَّتِهِ إِلَيْهِ هَدِيتِ
وَمَنَعَمَّ جَرَحَ الشَّبَابُ بِخَدِّهِ لَحْظِي فَسَالَ عَلَى المَها' الْباقوتِ
وأنا الذي ذَاقَتِ حِلاوَةَ حُسْنِهِ عيني فَسَاغَ لَطرفِها وَشَجِيتِ
قال الكَواعِبُ : قد سَعَدْتَ بِوَصْلِنَا فَأَجَبْتَهَا : وَبِهَجْرِكُنَّ شَقِيتِ

١ المَها' : الثغر النقي إذا أبيض وكثر ماؤه .

كُنْتُ الْمُحِبَّ كَرَامَةً لِشَيْبَتِي حَتَّى إِذَا وَخَطَ الْمَشِيبُ قُلَيْتِ
 مِنْ أَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى فَرْطِ الْأَسَى فَأَنَا الَّذِي بِجَنَائِي عَوْدِي
 كُنْتُ امْرَأً لَمْ أَلْقَ فِيهِ رَزِيَّةً حَتَّى سُلِبْتُ شَيْبَتِي فَرَزِيَّتِ
 تَهْدِي لِي الْمَرَاةُ سُخْطَ جَنَائِي فَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ عَنْهُ رَضِيَّتِ
 هَمِّي كَسَقِطِ الْقَبَسِ الْكَنْ طُعْمُهُ عُمُرٌ إِذَا أَفْنَاهُ فِي فَنِيَّتِ
 وَإِذَا الْمَشِيبُ بَدَأَ بِهِ كَافُورُهُ كَفَرَتْ بِهِ فَكَأَنَّهُ الطَّاغُوتُ
 وَلَرَبَّ مُنْشَهَبِ الْمَدَى يَجْرِي بِهِ عَرَقٌ عَرِيقٌ فِي الْجِيَادِ وَلَيْتُ^٢
 لَيْلٌ حَبَاهُ الصَّبْحُ دَرَاهِمَ غُرَّةٍ وَحَجُولَ أَرْبَعَةِ بَهَنٍ الْقُوتِ^٣
 مَتَفَنِّنٌ فِي الْجَرِيِّ يَتَّبِعُ اسْمَهُ مِنْهُ نَعُوتٌ بَعْدَهُنَّ نَعُوتُ
 أَطْلَقَتْهُ فَعَقَلْتُ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَبْغِي بِلِحْظِكَ صَيْدَهَا فَتَفُوتُ
 لَقَطْتُ قَوَائِمَهُ الْأَوَابِدَ ثُرْدَاً قَدْ كَانَ مِنْهُ لَجْمَعُهَا تَشْتِيَتْ
 فَكَأَنَّمَا جَسَدَ الصُّوَارِ لِدَوْمِهِ^٤ تَحْتِي فَلِي مِنْ صَيْدَهَا مَا شِيتُ

١ في م : العيش ؛ والقبس : مصدر من قبس ، والسقط : الشرارة ، يقول : إن همه صغير كالسقط ولكن طعمه - أي ما يأكله - شيء كبير هو عمره ، فإذا أتى على عمره كله في صاحبه .

٢ الليت : العتق أو صفحته .

٣ كذا هي في « م » ، ويمكن تأويلها ؛ ولعلها : « يفوت » أو « يخوت » بمعنى ينقض كالعقاب .

٤ دومه : طيرانه وتحليته .

وقال أيضاً

سارعْ إلى الحقِّ وعوّلْ على قولِ حكيمٍ بارعِ الحِكْمَةِ
 إنْ شئتَ أنْ تحيا فكنْ صادقاً فإنّما الكذابُ كالميتِ

حرف الجيم

٤٩

وقال أيضاً يذكر سرية خرجت من بلاد المسلمين إلى بلاد الروم فضربت
مغيرة [على العدو] فكسرتة وأخذت الغنائم وانصرفت إلى أرض المسلمين ،
وكان خروجها في عقب غيث من زمن الشتاء والقر والأرض مجلودة

ومسبلة دمعاً يسوغُ عذوبةً على أن دمع¹ المقلتين أجاجُ
مرتها² صباها حين درت فأرضعت³ بسائط⁴ ، من أخلاقها ، وفجاج
تخرق⁵ فيها لمعُ برقٍ كأنما يشب⁶ ويخبو⁷ من سنياه⁸ سراج
علت خيلنا منها جليداً فلم يشح⁹ بنا للعدى من عدوهن عجاج
وكم حافرٍ في الرسغ منه زبرجد¹⁰ كسير به ممّا¹¹ علاه زجاج

١ في ب : ماء .

٢ مرثها : مسعت عليها لتدر .

٣ في ب : فرويت .

٤ في م : يبح ، والمثبت مورواية ب .

٥ في ب : يسير به إما .

بأسدٍ وغيّكم قيل عوجوا، نُصِرْتُمْ^١ على الموت من حرب العداة^١، فعاجوا
فلا غنم^٢ إلا كلّ رأسٍ كأنه^٢ على الرمح من ضَرْبِ المهند تاج
وخُمْصَانَةٍ^٣ منقادةٍ بنوايبٍ لسائقيها خَلَفَ الجَوَادِ لجُحاج
كان وراءَ الخَيْلِ منها جاذراً تُرَوِّعُ أخصّارُ^٤ لهنّ دماج^٤؛
فكانَ لنا في الرومِ قتلٌ معجَلٌ^٥ وفينا لهم من الوشيح شجساج^٥

١ في ب : من حرب العلوج .

٢ هذه هي رواية ب وفي م : ولا عم .

٣ خمصانة : ضامرة الحشا ، ويعني بها السبية من الروم .

٤ في ب : دجاج ، وفي م « زجاج » .

٥ الوشيح : الرماح ؛ شجاسج : جراح .

وقال أيضاً يصف ثريا الجامع

ومشبهة في الجوّ أنواراً اختها يضيءُ سنّاهما كلّ أسحم داج
 كأنّ صلالاً وسطها في مكانٍ تحركُ فيها السنّ بلجاج
 ونحسبها تجلو على كلّ ناظرٍ كواكبَ نارٍ في بروج زجاج

وقال في سيف

قد أرانا مكافحُ الأسدِ سيّفاً حدّه في طلاء عِدهُ ولُوجُ
 فرأينا في دسّته بحرَ بأسٍ مدّه منه إلى الضرابِ خليجُ
 وحسبنا الفيرنّدَ أرجلَ نملٍ عبّرت منه جدّ ولا لا يَمْوجُ

حرف الحاء

٥٢

وقال أيضاً

وما روضةٌ حيّ ثرى أقحوانِها ، بضاحكُها في الغيم سينّ من الضحّ^١
كأنّ صبّاهما للعرانين فتتقتّ نداها بندٍ فهي طيّبةُ النفع
بأطيب من رياء لماها^٢ لراشفٍ إذا انتبهت في الشرقِ ناظرةُ الصبح

١ الضح : الضوء أو ما تطلع عليه الشمس .

٢ في ب : بأطيب رياء من لماها .

وقال أيضاً

يا لَيْلَ هَجَرَ الحَبِيبِ طُلْتَ عَلَى صَبٍّ مِنْ الشَّوْقِ^١ دَائِمِ الْبَرَحِ
 بِحُمُرَةٍ فِي الْجُفُونِ تحسبها نَدَرَتْهُمَا فِي الْفُؤَادِ عَنْ جَرَحِ
 هل جَمَدَ الْبَحْرُ مِنْ دَجَاكَ فَمَا يَتَقَلُّ الْحَوْتَ فِيهِ بِالسَّبْحِ
 أَمْ حَدَثَتْ حَيْرَةٌ^٢ مواصلة في الْجَوِّ بَيْنَ الْبُطَيْنِ^٣ وَالنَّطْحِ^٤
 لو كنت لَيْلَ الشَّابِ بَتَّ إِلَى الْ صَبَحٍ مِنْ الشَّيْبِ طَائِرَ الْجُنْحِ
 لو كنت لَيْلَ الشَّابِ فُتَّ وَلَمْ تَدْرِكِ النَّاطِرِينَ^٥ بِاللَّمَحِ
 متى أرى كلِّكلاً^٦ بركت به يَطْعَنُ فِيهِ السَّمَاءُ بِالرَّمَحِ
 وَللثَرَيَا^٧ جَنَاحُ قَاطِعَةٍ بِالْخَفَقِ مِنْهُ مَسَافَةٌ الْجَنَحِ
 وَأَشْهَبُ الصَّبْحِ فِي إِغَارَتِهِ يَسْتَاقُ مَا لِلنَّجُومِ مِنْ سَرَحِ
 فَاطُو رَوَاقَ الظَّلَامِ عَنْ أَفْقٍ^٨ تَنْشُرُ فِيهِ^٩ مُلَاءَةَ الصَّبْحِ

١ في ب : متيم فيك .

٢ البطين : منزل القمر بين الشرطين والثريا ؛ النطح : الشرطان وهما قرنا الحمل من منازل القمر .

٣ في ب : تنشر منه .

وقال أيضاً^١

يا ربّ مجلس لذّةٍ شاهدتها كرهها ، وجنّح الليل مدّ جناحاً
 جمّع الشبابُ به بنيه ، وبينهم شيخٌ غداً شيبٌ عليه وراحا
 وكأنّه في كلّ داجي شعرةٍ في الرأسِ منه مُوقِدٌ مصباحا
 أمسيتُ مقطوماً عن الكأسِ التي يراضعُ الندماءُ منها راحا
 إلّا شميماً كانَ همّاً سكرهٌ وغناؤهٌ في مسمعي نياحا
 جرّنا على^٢ زمن الصبا الزاهي الذي عزّلَ الهمومَ وملّكَ الأفراحا
 أبناءُ عصرٍ فتتقّوا من بينهم ميسكُ الشبيبةِ بالمدامِ ففاحا
 جعلوا حُداةَ همّ السماعِ وأوجفوا بدّلَ القلائصِ بينهم أقداحا
 وكأنّما نبّضتْ لهم أفواههم بالشرب من أجسامِها أرواحا
 حتّى إذا اصطبحوا فررتُ فلم يجد للشيب بينهم الصباحُ صباحا
 ما لي أكافحُ قرنَ كأسٍ جالٍ في ميدانِ نشوته وجمالِ كفاحا
 ومجدّلٌ شاكي السّلاحِ من الصّبا من لم يُبقَ له المشيبُ سلاحا

١ يصف فيها حضوره مجلس الندامى بعد إقلاعه عن الشرب وقد أصبح لا يذوق المدام إلا شميماً . وهي في « م » كثيرة التصحيف .

٢ اقرأ أيضاً : حزننا على .

وقال إذ شيبه الاغتراب ولم يكن فارقه الشباب

تقول وقد لاحت لها في مفارقي كواكبٌ، يخفى غيرها، وهي لائحته
أراكَ مُحِبًّا لا مُحَبَّبًا فعَدَّ عَنْ مكابدةٍ تشقى بها لا مسامحه
تروحُ وتغدو جانحاً عن محبَّةٍ إليّ، ونفسي عن وصالك جانحه
إذا ما شبابي نالَ شيبكَ عطفه فخاسرةٌ نَفْسِي ، ونفسك رابحه
ولو علّمتُ سني^١ لما كان لومُها عليّ سناناً جارحاً كلَّ جارحه
لشيبني^٢ في عنفوان شبيبي لقائي من الأيام دهياءَ فادِحِه^٣
وقطعي غولَ القفر في متنٍ سابحٍ وخوضي هَوْلَ البحر في بطنٍ سابحِه
وما ضرّها كافورُ شبيبي وتحتُه^٤ لمسك شبابي كلُّ فعلٍ ورائحه

١ في ب : لومي .

٢ في ب : يشيبي .

٣ في ب : دهماء قاده .

٤ في ب : وعندها .

وقال أيضاً

تخرّجها : في الحريرة منها ١ - ١٦ ، ١٩ -
 ٢٣ ، ٢٥ - ٣٤ ومنها في المسالك ٤ ، ٦ وفي الوافي
 ٢١ - ٢٣ ؛ وفي معاهد التنصيص منها البيت :
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ وفي الوفيات ١ : ٣٨٠
 البيتان : ٤ ، ٦ .

طَرَقَتْ وَاللَّيْلُ مَمْدُودُ الْجَنَاحِ مَرَحِبًا بِالشَّمْسِ فِي غَيْرِ صَبَاحٍ
 سَلَّمَ الْإِيْمَاءُ عَنْهَا خَجَلًا أَوْ مَا كَانَ لَهَا النَّطْقُ مُبْسَحًا
 غَادَةً تَحْمِلُ فِي أَجْفَانِهَا سَقْمًا^٢ فِيهِ مَنِيَّاتُ الصَّحَاحِ
 بَتْ مِنْهَا مُسْتَعِيدًا قُبْلًا^٣ كَانَ لِي مِنْهَا عَلَى الدَّهْرِ اقْتِرَاحُ
 [أَلَمْ] أَلَمْ دَرَّ حَصَى يَنْبَغُ لِي بَزَلَالٍ نَاقِعًا فِيهِ التِّيَاحُ^٤
 وَأَرْوِي غُلْلَ الشَّوْقِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَةِ الْمَاءِ الْقِرَاحُ
 بِاعْتِنَاقٍ ، مَا اعْتَنَقْنَاهُ خَتَى ، وَالتَّزَامِ ، مَا التَّزَمْنَاهُ سَفَاحُ

١ في ب : من غير .

٢ الحريرة : مرضاً .

٣ ب : كن .

٤ الالتياح : شدة الظلم .

ما على من صادَ في النوم لَهْ
 همتُ بالغيدِ فلو كنت الصِّبا
 ورددتُ الشيبَ عنها معرضاً^١
 عكَّلِ النفسَ بريحانٍ وراح
 وأدِرْ حمراءَ يسري لُطْفاً
 لا يغرَّتكَ منها خَجَلٌ^٢
 واعلمُها بالماءِ تعلَّمْ منهما
 وإذا الخمرُ حمأها صرْفُها
 خلتي أفنٍ شَبابي مَرَحاً
 إنما يَنْعَمُ في الدُّنيا فتى^٣
 فاسقني عن إذنِ سلطانِ الهوى
 وانتظرُ للحلمِ بعدي كُرَّةً^٤
 فالقَضيبُ اهْتَزَّ ، والبدرُ بدا ،
 شَرَكُ الحلمِ مهاةٌ ، من جُنَاح
 لم يَكُنْ مِنِّي عنهنَّ بَرَّاح
 بكلامِ السَّلمِ أو كلَّمِ الكفاح
 وأطِيعْ ساقِيها واعصِ اللّواح
 سَكَّرُها مِن شَمِّها في كلِّ صَاح
 إنَّها^٥ تُبديهِ في^٦ خَدِّ وقَاح
 أنَّ بينَ الماءِ والنَّارِ اصطِلاح
 تَرَكَ المَزْجَ حمأها مُسْتَبَاح
 لا يُردُّ المهرُ عن طَبَعِ المِراح
 يَدْفَعُ الجِدَّ إليها في المِزاج
 ليس يَشْفِي الرّوحَ إلا كَأْسُ راح
 كم فسادٍ كانَ عَقْبَاهُ صلاح
 والكثيبُ ارتَجَّ ، والغبرُ فاح

١ الخريدة : جاهداً .

٢ ب : إنما .

٣ الخريدة : عن .

٤ الخريدة : مني .

والثريّا رَجَحَ الحَوّ بها كابنِ ماءٍ ضمّ للوكرِ جناح
وكانَ الغربَ منها ناشِقٌ باقّةٌ من ياسمينٍ أو أقاح
وكانَ الصبحَ ذا الأنوارِ^١ من ظلّمَ الليلِ على الظلماءِ صاح
فاشربِ الراحَ ولا تُخلِ يَدَا من يدِ اللهوِ غُدُوّاً ورواح
ثقلِ الرَّاحَةَ مِنْ كاساتِها برداحٍ من يدِ الخودِ الرّdach^٢
في حديقِ غرَسَ الغيثُ بهِ عبق^٣ الأرواحِ مَوْشيّ البطاح
تعقلُ^٤ الطّرفَ أزاهيرَ بهِ ثمّ تعطيه أزاهيرَ صراح
أرضَعَ الغنيمُ لبناً بانهُ فتربتُ فيه قاماتُ الملاح
كلّ غصنٍ^٥ تعري أعطافهُ رِعْدَةُ النشوان من كأسِ اصطباح
يكتسي^٦ صبغةَ ورَسٍ كلّما ودّعت في طرفِ اليومِ^٧ براح
فكانَ التّربَ مِسْكٌ أذفرُ وكانَ الطلّ كافورُ رباح^٨

١ ب : بالأنوار .

٢ الرdach : الثقيلة ، والمرأة ذات العجز الضخم .

٣ الخريدة : غدق .

٤ الخريدة : تعقد .

٥ ب : لنا باناته .

٦ ب : كلّ خوط .

٧ الخريدة : لابس .

٨ الخريدة : النوم .

٩ يقال كافور رباحي نسبة إلى رباح ، قيل هو البلد الذي يجلب منه .

وكانَ الرّوضَ رَشَتْ زَهْرَهُ بِمِياهِ الوردِ أَفواهُ الرّياحِ
أَفْلا تَغْنَمُ عَيْشاً يَقْتَضِي سَيْرُهُ عَنْكَ غَدُوءاً ورواح
وَإِذا فَارَقْتَ رِيعانَ الصِّبَا فاللّيلِ بِأَمانيكِ شِحا

٥٧

وقال أيضاً

تخرجها : في المسالك منها البيتان : ٢٤ ، ٢٥
وفي الذخيرة : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥

أَيَّ نَعِيمٍ فِي الصِّبَا وَالْمُقْتَرَحِ وَشغلُ كَفِّي بِكُوبٍ وَقَدَحِ^١
فَلا تَلْمِني إِنّني مُغْتَنِمٌ من السَّرُورِ فِي زَمَاني ما مَنَحِ^٢
فإنَّهُ مُسْتَرْجِعٌ هِباتِهِ وَباخِلٌ من الصِّبَا بما سَمَحِ^٣
وَسَقَّني من قَهْوَةٍ كاساتُها تُسْرِجُ في الأيدي مِصابيحَ الصَّبَحِ^٤

-
- | | | |
|-----------------|---------------------------|---------------------------|
| ١ روايته في ب : | كل نديم ناعم بما اقترح | فسقني بكل كوب وقح |
| ٢ روايته في ب : | فلا تلمني لأنني في زمن | مغتئم من السرور ما منح |
| ٣ روايته في ب : | كم رد من أيدي الهوى هباته | وحن بالأعلاق بعدما سمح |
| ٤ روايته في ب : | فسقني عمرة إن مزجت | حسبتها معنى غريباً قد شرح |

لو شَمَّهَا صَاحٍ عَسِيرٌ سَكْرُهُ^١ تَحْتَ لَثَامٍ فِي فِدَامٍ^١ لَتَطَفَّحَ
 وَلَا تَسَوْفَنِي^٢ إِلَى تَرْوِيقِهَا لَا يَشْتَوِي اللَّيْثُ إِذَا اللَّيْثُ ذَبَحَ
 حَتَّى أَقُولَ زَاحِفًا مِنْ نَشَوَاتِي يَحْسُنُ بِالْتَرَحِيفِ بَيْتُ الْمُنْشَرَحِ
 وَمَالِي زَقًا وَكَاهُ مُرْدِيَا سَمَّ الْأَسَى مِنْهُ بِدُرِّيَاقِ الْفَرَحِ
 وَجَائِمْ بَيْنَ النَّدَامَتِي تَرْتَوِي أَشْبَاهُهُمْ مِنْهُ بِمَا يَرَوِي شَبَّحَ
 كَأَنَّمَا رَدَّتْ عَلَيْهِ رُوحَهُ^٣ سُلَافَةُ الرَّاحِ فَإِنْ مُسَّرَ رَمَحَ
 غَضَّ الصَّبَا كَأَنَّمَا حَدِيثُهُ^٤ يَمَازِجُ النَّفْسَ بِأَنْفَاسِ الْمَلَحِ^٥
 حَلَّ وَكَاءَ شَدَّةً عَنْ مُدْمَجٍ^٤ طَلَّ دَمَ الْعَنْقُودِ مِنْهُ وَسَفَحَ
 حَتَّى إِذَا مَا صَبَّ مِنْهُ رَيِّقًا^٥ سَدَّ عَلَى ذَوْبِ الْعَقِيقِ مَا فَتَحَ^٦
 تَرَى نَجِيعَ الزُّوقِ^٧ مِنْهُ رَاشِحًا كَأَنَّهُ مِنْ وَدَجِ اللَّيْلِ رَشَّحَ
 مُدَامَةً لِلرُّوحِ أَخُتْ بَرَّةً^٨ يَسْنَأُ بِهَا سُرُورُنَا عَنِ التَّرَحِ^٨

١ في ف : تحت فدام في لثام .

٢ في ب : ولا تشوقني .

٣ روايته في ب : يحنو عليه شادن حديثه يجري مع الأنفاس أنفاس الملح

وفي الذخيرة : جاء به ملاك من صافية معمورة منها أقاليم الفرح

٤ الذخيرة : مذبح ؛ والوكاء : رباط عنق القربة ؛ والمدمج : الزق المحكم .

٥ الذخيرة : ريناً ، وفي ب : عليه ماء .

٦ الذخيرة : سد على التبر الذي كان فتح .

٧ الذخيرة : البرق .

٨ الذخيرة : آخذة ثاراتها من الترح .

قد عَلِمَتْ مزاجَهُ فَشُرِبُهَا يَجْرَحُهُ تُمِتَ يَأْسُو مَا جَرَحَ^١
 وتَجْعَلُ القَارَ الذي بَاشَرَهَا في الدنّ مسكاً للعرانينِ نَفَحَ
 يحجب جسمُ الكاسِ من سَعِيرِهَا نَفَحاً عن الكاسِ ولولاه نَفَحُ^٢
 والشمسُ منها في بَقَابِ غَيْمِهَا مخافةً من نورها أن تَفْتَضَحَ
 يومٌ كأنَّ القَطَرِ فِيهِ لَوْلُو^٣ يَنْظِمُ للرّوضِ عُقُوداً وَوُشَحَ
 يَقْدَحُ ناراً من زِنَادِ بَرْقِهِ ويطفئُ الغيثُ^٤ سريعاً ما قَدَحَ
 لما جَرَتْ فِيهِ الصَّبَا عَليّةُ رقّ الهواءُ فيه للنفسِ وَصَحَ
 كأنّما الكافورُ نَشْرُ ثُلُجِنَا^٥ أو نَدَفَ البُرْسِ لنا قوسُ قُزَحِ •
 حتّى علا الجوّ دَجَى لم يَغْتَبِقِ^٦ فيه الثرى من الحيا كما اصْطَبَحَ^٧
 غرابُ ليل فوقنا مُحَلِّقُ يَتَقَبَّضُ عَنّا ظِلُّهُ إذا جَنَحَ^٨
 وقد مَحَا صَبْغَ الدِّيَاجِي قَمَرُ^٩ دِينَارُهُ^٩ في كَفَّةِ الغَرْبِ رَجَحَ

١ الذخيرة : قد علمت مزاجها فصرفها يجبر ما هاض ويأسو ما جرح

٢ في ب : أو فاوحت مسكاً يفض خاتم عنه لقلنا ففحت وما نفح

٣ الذخيرة : الماء .

٤ في ب : ريح الصبا .

٥ في ب : ثلجه .

٦ في ب : حتّى ملا الأفق دجى لم يغتبق .

٧ في الذخيرة والمسالك : حتّى أتى الليل بصحو لم يكن يغتبق الغيث به كما اصطبح

٨ في الذخيرة والمسالك : كأنّما خلق منه قشعر يندى علينا ريشه إذا جنح

٩ هكذا في ب والذخيرة ، وفي م : ديباجه .

[حتى إذا رَدَّ حُدَا عَدُوَّهُمْ^١ من كان في وادي الرقادِ قد سَرَحَ^٢]
[نَبَّهَ ذَا هَذَا وَكَلَّ طَرْفُهُ^٣ يَلْمَحُ طَرْفَ الشَّكْرِ مِنْ حَيْثُ لَمَحَ]
[يَسْأَلُ فِي تَقْوِيمٍ جَيِّدٍ مَائِلٍ^٤ لو لم يَسَامَحْ فِي الْحَمِيَا لَسَمَّحَ]
أَضَارِبُ كَفِّهِ يَشْدُو سَحَرًا أم نَافِضٌ سَقَطِيهِ فِيهِ قَدْ صَدَحَ
نَبَّهَ لِلْقَهْوَةِ كُلَّ طَافِحٍ فِي مَصْرَعِ السَّكْرِ قَتِيلًا مُطْرَحَ
مِنْ كُلِّ جَذَلَانٍ^٥ كَأَنَّ رُوحَهُ عَنْ جِسْمِهِ مِنْ شِدَّةِ^٦ السَّكْرِ نَزَحَ
إِنَّ الَّذِي شَحَّ عَلَى إِيْقَاضِهِ سَامَحَ فِي الشُّهْبِ نَدَامَاهُ فَشَحَّ
وَجَاءَنَا السَّاقِي بِصَحْنٍ^٧ مُفْعَمٍ لَوْ شَاءَ أَنْ يَسْبَحَ فِيهِ لَسَبَحَ
يَا لَائِمِي^٨ فِي الرَّاحِ كَمْ سَيْئَةٍ تَجَاوَزَ الْغَفَارُ^٩ عَنْهَا وَصَفَحَ
مَاذَا تُرِيدُ مِنْ سَبِّوقٍ^{١٠} كُلَّمَا رُمْتَ وَقُوفًا مِنْهُ بِاللَّيْلِ جَمَحَ
أَغْشَى خَلْقَ اللَّهِ عِنْدَ ذِي هَوًى^{١١} مِنْ عَرَضِ الرُّشْدِ عَلَيْهِ وَنَصَحَ
حَتَّى إِذَا فَكَّرَ عَنْ بَصِيرَةٍ^{١٢} ذَمَّ مِنَ الْأَفْعَالِ مَا كَانَ مَدَحَ

١ ما بين معقنين من الذخيرة .

٢ في ب : نشوان

٣ في ب : من خدر .

٤ في ب والذخيرة : وجاءه .

٥ في الذخيرة : بكوب .

٦ في الذخيرة : يا عاذلي .

٧ في الذخيرة : الرحمن .

٨ في ب : ماذا تريد من مجار .

٩ في ب : عندي ذو هوى .

وقال يمدح الرشيد عبيد الله بن المعتمد

تخرجهما : منها في الذخيرة البيتان : ٦ ، ٥ ،
وفي الحريدة ٦ ، ٢ ، ١ والوافي : ٢ ، ١ ،
٣ ، ٥ ، ٦ والمسالك : ٦ ، ٥ ، ٦ والمطالع : ١ ،
٦ والبيتان ٦ ، ٥ في معاهد التنصيص : ٢٥١
منسويين لابن رثيق والبيتان ٦ ، ٥ في
الحلبة : ٢٤٠ .

قُسمْ هَاتِيهَا^١ مِنْ كَفِّ ذَاتِ الْوِشَاحِ فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بِشِيرِ الصَّبَاحِ
وَاحْلُلْ عُرَى نَوْمِكَ عَنْ مُقْلَةٍ تَمْتَقِلُ أَحْدَاقاً مِرَاضاً صَحَاحِ
خَلَّ الْكَرَى عَنْكَ وَخُذْ قَهْوَةً تُهْدِي إِلَى الرُّوحِ نَسِيمَ ارْتِيَاحِ
هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ فَمَا عُدْرُكَ فِي تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ
بَاكِراً إِلَى اللَّذَاتِ^٢ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاكِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرُشِّفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الْغَوَادِي مِنْ ثُغُورِ الْأَقَاكِ
أَوْ يَطْوِيَ الظِّلُّ بَسَاطاً إِذَا مَا بَرَحَ الظِّلُّ لَهُ عَنِّ بَرَاحِ

١ كذلك هي في جميع المصادر ونسخة ب ، وفي م : هاكها .

٢ المسالك والوافي : اللذة .

يا حَبَّذا ما تُبْصِرُ العَيْنُ مِنْ^١ أَنْجُمٍ رَاحٍ فَوْقَ أَفلاكِ رَاح
 فِي رَوْضَةٍ غَنَاءَ غَنَّتْ بِهَا فِي قُضْبِ الْأوراقِ وَرُقٍ فِصَاح
 لَا يَعْرِفُ النَّاظِرُ أَغْصَانَهَا إِذَا تَنَّتْ مِنْ قُدُودِ الْمَلاح
 كَأَنَّ مَفْتُوتَ عَبِيرٍ بِهَا مُطَيَّبٌ مِنْهُ هُبُوبُ الرِّياح
 مِنْ كُلِّ مَقْصُورٍ عَلَى رَتَسَةٍ لَوْ دَمَعَتْ عَيْنٌ لَهُ قَلَتْ: نَاح
 أَوْ سَاجِعٍ تَحْسِبُ الْحَانَةَ^٢ مِنْ كُلِّ نَدْمَانٍ عَلَيْهِ اقْتِراح
 إِنَّ قِيلَ بَدَلٌ بَدَلَتْ نَغْمَةٌ مِنْهُ كَأَنَّ الْجِدَّةَ مِنْهَا مُزاح
 يَا صَاحٍ لَا تَصْحُ فِكْمٌ لَذَّةٍ فِي السَّكْرِ لَمْ يَدْرِ بِهَا عِشْرُ صَاح
 وَأَوْكَبُ زَمَانًا لَا جَمَاحَ لَهُ^٣ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَحْدَثَ فِيهِ الْجَمَاح
 قَلْتُ لِحَادِينَا وَكَأْسُ السَّرَى دَائِرَةٌ مِنْ كَفِّ عَزْمٍ صُرَاح
 وَالْعِيسُ فِي شِرَّةٍ^١ إِرْقَالِهَا تَلْطِمْ بِالْأَيْدِي خُدُودَ الْبَطَاح
 لَا تُطْمِئِعِ الْأَنْضَاءَ فِي رَاحَةٍ وَإِنْ وَصَلْنَا بَغْدُوَ رَواح
 مِنْ كُلِّ مِثْلِ الْغَرْبِ^٢ مَسْلُوءَةٍ أَيْنًا فَمَا تَنْشِطُ عِنْدَ امْتِياح
 فَهِيَ سَخِيَّاتٌ وَإِنْ خَلَّتْهَا بِمَا^٣ أُنَالَتْ مِنْ ذَمِيلٍ شَاح

١ في ب : شدة .

٢ الغرب : الدلو العظيمة .

٣ هكذا في ب ، وفي م « فما » .

تَمْنَحُ^١ بِالْأَرْسَانِ أَرْمَاقَهَا
 إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ مِنْهُ انْتَضَتْ
 مَلِكٌ بِهِ تُخَشَّمُ أَهْلُ الْعُلَى
 وَعَمَّ مِنْهُ الذَّلُّ أَهْلَ الْخَى
 مُسْتَهْدِفُ الْمَعْرُوفِ سَمَحٌ ، لَهُ^٢
 يَخْفَضُ فِي الْمُلْكِ جَنَاحَ الْعُلَى
 تَمَهُرُ أَرْوَاحَ الْعَدَى بَيْضُهُ^٣
 فَكَلَّمَا غَنَّتْهُ فِي هَامِهِمْ
 كَمْ لَسِيلَةٍ أَشْرَقَ فِي جُنْحِهَا
 تَسْرِي بِهَا عَقَبَانُ رَايَاتِهِ
 حَوَائِمًا تَحْسُبُ فِي أَفْقِهِ
 كَأَنَّهَا وَالرَّيْحُ تَهْفُو بِهَا
 كَمْ مَازِقٍ أَصْدَرَتْ عَنْ أَسَدِهِ
 إِلَى الرَّشِيدِ^٤ الْمَلِكِ الْمُسْتَمَاحِ
 يَمَانِي الْبَاسِ يَمِينُ السَّمَاحِ
 إِذَا بَدَا فَبَيَّاهِ افْتِتاحِ
 وَعَمَّ مِنْهُ الْعِزُّ أَهْلَ الصَّلَاحِ
 عِرْضُ مَصُونٌ ، وَثَنَاءُ^٥ مَبَاحِ
 لَمْ يَرْفَعِ الْقَدَرُ كَخَفَضِ الْجَنَاحِ
 إِذَا أَرَادَتْ مِنْ حُرُوبٍ نِكَاحِ
 أَبْقَتْ عَلَى إِثْرِ الْغَنَاءِ النَّيَاحُ^٤
 بِخَضَرِ الْجَيْشِ لِإِلَالِ الصَّبَاحِ
 مَهْتَدِيَاتٍ بِسُجُومِ الرَّمَاكِ
 مَجَرَّةَ الْخَضِرَاءِ مَاءٌ قَرَاكِ
 قُلُوبُ أَعْدَائِكَ يَوْمَ الْكِفَاحِ
 حُمُرًا خَيَاشِيمَ الْقَنَا وَالصَّفَاحِ

١ في م : تَمْنَحُ وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ رَوَايَةُ ب .

٢ في ب : إِلَى نَوَال .

٣ في ب : وَنَوَال .

٤ في ب : أَبْقَتْ عَلَى الْآثَارِ مِنْهَا نِيَاح .

٥ في ب : جَنَحَ لَهَا ؛ وَإِلَالِ الصَّبَاحِ : بَرِيقُهُ وَلَمَعَانُهُ .

يَفْتَحُ فِي سَوَسَانِ لَبَاتِهِمْ بِنَفْسِ الزَّرْقِ شَقِيقَ الْحَرَاكِ
كَأَنَّ أَطْرَافَ الظُّبَى بَيْنَهُمْ تَفْلُقُ فَوْقَ الْخَامِ بَيْضَ الْأَدَاكِ
أَقْبَلْتَهُمْ كُلَّ وَجِيهَةٍ^١ تَضِيقُ الْعُمُرَ خَطَاها الْفَسَاحِ
كَأَنَّمَا تَرَشَّحُ أَبْصَارُهُمَا بِمَا اغْتَدَّتْهُ مِنْ ضَرْبِ^٢ اللَّقَاحِ
لَوْلَاكَ يَا ابْنَ الْعِزِّ مَنْ يَعْرُبُ^٣ لَمْ تَلْجِ الْأَمْسَالُ بَابَ النِّجَاحِ
وَلَا تَلْتَقَى الْقَمُوزَ إِذْ سُوهُمُوا بَنُو الْقَوَافِي مِنْ مُعَلِّي الْقَدَاحِ
فَانْعَمُ بَعِيدٍ قَدْ أَتَى نَاطِمًا^٤ كُلُّ لِسَانٍ لَكَ فِيهِ امْتِدَاحِ
فَقَدْ أَرْتَنَّا فِي ابْتِذَالِ اللَّهِى كَفُّكَ^٥ أَفْعَالَ الْمُدَى فِي الْأَضْحَاكِ

١ وجيهية : فرس منسوبة إلى الفعل « وجيه » .

٢ في ب : غريب .

٣ في ب : ناطقاً .

٤ في ب : أرانا .

٥ في ب : جودك .

وقال أيضاً

أشارتُ وسُحِبُ الدمعُ دائمةُ السَّقْفِ
فقلتُ أقيمي من عِقَاصِكَ صِبْغَةً
عسى طوله يَنثني عن البَيْنِ عَزْمَةً
وبَيْنَ خِلَالِ الدُّرِّ من ظبيةِ اللّوَى
مُسْنَعَمَةً في الحَيِّ نِيطَتْ لَصُونِهَا
فَقِفْ بِحَيَاةِ النَّفْسِ عن مصرعِ الرّدى
فكمْ مُهْجَةً قد غَرَّها الحبُّ بالْمُنَى
بأنَّ غرابَ البَيْنِ يَنْعَبُ في الصَّبْحِ
على اللَّيْلِ تَهْدِي منه جناحاً إلى جَنحٍ
وتُفْضِي به حَرْبُ الفِراقِ إلى الصَّلَحِ
رضابٌ قراحٌ لا يُدَاوِي به قَرْحِي
جهازاً بحدِ السَّيْفِ عاليةُ الرَّمَحِ
فمن لا يدانِ النَّارَ يَنْجُ من اللَّفْحِ
فأسلفها الحُسرانَ في طَلَبِ الرِّيحِ

وقال أيضاً

يقولون لي : لا تجيدُ الهجاءَ . فقلتُ : وما لي أُجيدُ المديحُ ؟
فقالوا : لأنكَ تَرْجو الثَّوابَ . وهذا القياسُ لعمري صحيح
فقلتُ : صفائي . فقالوا : حسان . فقلتُ : نسيبي . فقالوا : مليح
فقلتُ : إليكم . فلي حُجَّةٌ . وللحقَّ فيها مجالٌ فسيح
عفافُ اللسانِ مقالُ الحميلِ وفِسْقُ اللسانِ مقالُ القبيحِ
وما لي وما لامرئٍ مسلمٍ يَرُوحُ بِسَيْفٍ لساني جَرِيح

وقال يصف سيفاً

ومهندٍ عَجَنَ الحَديدَ لقينهِ في الطَّبعِ ، نيرانٌ مُلِشْنَ رباحاً
رُوحٌ إذا أخرجتَهُ من جسمه دخلَ الجسومَ فأخرجَ الأرواحا
وكأنه قَفَرٌ لعينكَ موحشٌ أبداً تَمُرُّ ببابه ضحضاحا
وكأنما جنٌ تُرِيكَ نُحَيْلاً فيه الحسانَ من الوجوه قباحا
وكانَ كلَّ ذبابةٍ غرقتَ به رَفَعْتَ مكانَ الأثرِ منه جَسَاحا

قال يمدح يحيى بن تميم بن المعز

ليَ سَمِعُ صَدَّةً عَنْ قَوْلِ اللّٰوْحِ وفُوَادٌ هَامَ بِالْغَيْدِ الْمَلَا حُ
أَحْدَقَ الْوَجْدُ بِهِ مِنْ حَدَقِ كَحَلَّتْ بِالْحَسَنِ مَرْضَاهَا الصَّحَا حُ
وَبِحَ قَلْبٍ ضَاقَ مِنْ أَصْهْمَهَا عَنْ جِرَاحٍ وَقَعَهَا فَوْقَ جِرَاحِ
مَا أَرَى دَمْعِي إِلَّا دَمَهَا رَبَّمَا أَحْمَرَ عَلَى خَدَّيْ وَسَاحِ
كَمْ أُسِيرَ مِنْ أَسَارَى قَيْدِهِ فِي وَثَاقِ الْحَبِّ لَا يَرْجُو سَرَاحِ
وَعَلِيلٍ لَا يَدَاوِي قَرْحُهُ مِنْ جَنِيّ الرِّشْفِ بِالْعَذْبِ الْقِرَاحِ
وَالْغَوَانِي لَا غَنَى عَنْ وَصْلَهَا أَبْغَيْرِ الْمَاءِ يَرْوَى ذُو التِّيَاحِ
صَفِرَتْ كَفَّائِي مِنْ صِفْرِ الْوَشَاحِ وَهَفَا حَلْمِي بِهَيْفَاءِ رِدَاحِ
طَفَلَةٌ تَسْرَحُ^١ فِي أُعْطَافِهَا لِلْأُطَانِينَ وَاللِّدَلِ مِرَاحِ
لَوْ هَفَمَا مِنْ أَذْنِهَا الْقَرْطُ عَلَى حَبْلِهَا مِنْ بُعْدِ مَهْوَاهُ لَطَاحِ^٢
تُورِدُ الْمِسْوَكَ عَذْبًا خَصِيرًا كَمُجَاجِ النَّحْلِ قَدْ شَيَّبَ بَرَا حِ
وَإِذَا مَا لَئِيمٌ قَبَّلَهَا شَوْ بِاللَّئِيمِ شَقِيقًا عَنْ أَقْصَا حِ

١ قرأ أيضاً : تمرح .

٢ حبلها : يعني حبل عاتقها ، أي هي بعيدة مهوى القُرْطِ ، طويلة العنق .

طَارَ قَلْبِي نَحْوَهَا ، لَمَّا مَشَى حَسْنُهَا نَحْوِي لِلْقَلْبِ ، جُنَاحَ
 مَا رَأَتْ عَيْنٌ قِطَاعًا قَبْلَهَا تَتَهَادَى فِي قُلُوبٍ لَا بَطَاحَ
 [لا و] لَا شَمْسًا بَدَتْ فِي غُصْنٍ وَهُوَ فِي حَقْفٍ يُنْدَى وَيَرَاحُ
 وَكَأَنَّ الْحُسْنَ مِنْهَا قَائِلٌ : مَا عَلَى مَنْ عَبَدَ الْحُسْنَ جُنَاحَ
 [فِي] اقْتِرَابُ الدَّارِ أَشْكُو بَعْدَهَا واقْتِرَابُ الدَّارِ بِالْهَجْرِ انْتِزَاحَ
 وَكَأَنِّي لَعِبَةٌ فِي يَدِهَا مَا لَهَا تُتْلَفُ جِدِّي بِالْمَزَاحِ
 أَوْ هَذَا كُلُّهُ مِنْ لِمَّةٍ أَبْصَرْتُ فِيهَا بَيَاضَ الشَّيْبِ لَاحِ
 مَا تَرِيدُ الْخُودَ مِنْ شَيْخٍ غَدَا فِي مَدَى السَّبْعِينَ بِالْعُمُرِ وَرَاحِ
 كَانَ مِسْكُ اللَّيْلِ فِي مَفْرَقِهِ فَانْجَلَى عَنْهُ بِكَافُورِ الصَّبَاحِ
 يَا بَنِي الْأَمْجَادِ هَذَا زَمَنٌ رَفَعَ الْأَدَابَ مِنْ بَعْدِ اطِّرَاحِ
 فَسَحَابُ الْجُودِ وَكَافُ الْحَيَا وَمَرَادُ الْعَيْشِ مُخْضَرُّ النَّوَاحِ
 وَيَمِينُ ابْنِ تَمِيمٍ عَلِمْتُ صِنْعَةَ الْمَعْرُوفِ أَيَّمَانِ الشَّحَاحِ
 مَلِكٌ فِي الْبُهِوِّ مِنْهُ أَسَدٌ يَضَعُ التَّاجَ عَلَى الْبَدْرِ اللَّيَاحِ
 حَالَفَ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ فَلِإِنْ لَقِيَ الْأَعْدَاءَ لَأَقَاهُ النَّجَاحِ
 كُلَّمَا هَمَّ بِأَمْرِ جَلَلٍ أَتَعَبَ الْأَيَّامَ فِيهِ ، وَاسْتَرَاحَ

١ يراح : يجد راحة طيبة .

٢ اللياح : الأبيض .

يَهْبُ الْآلَافَ ، هَذِي هِمَّةٌ ضَاقَ عَنْهَا دَهْرُهُ وَهِيَ فَيَاحُ^١
لَسْتُ أَدْرِي نَشْوَةً فِي عَظْفِهِ لِلْقَاءِ الْوَفْدِ أَمْ هَزْ أَرْتِيَا
لَوْ غَدَتِ جَدْوَى يَدِيهِ قَهْوَةٌ مَا مَشَى مِنْ سَكْرِهَا فِي الْأَرْضِ صَاحُ
مِنْ مَلُوكٍ شُنُفَّتْ آذَانُهُمْ بِأَغَارِيدَ مِنَ الْمَسَدِ فِصَّاحُ
تَكْحَلُ الْأَبْصَارُ مِنْهُمْ بِسَنَا أَوْجِهِ مِثْلَ الدَّانَائِرِ صَبَاحُ
قَرَّ طَبْعُ الْجُودِ فِي شَيْمَتِهِ مَا لَطِيعَ الْمَرْءِ عَنْهُ مِنْ بَرَاكِ
بَعْضُ مَا يَسْدِيهِ مِنْ إِحْسَانِهِ جَلَّ عَنْ كُلِّ تَمَنٍّ وَاقْتِرَاحُ
مِحْرَبٌ يَخْرُجُ مِنْ أَغْمَادِهِ خُلُجًا تَوْقَدُ نِيرَانُ الْكَفَاحِ
يَتَحَفُّ الْحَرْبَ جَنَاحِي جَحْفَلٍ يَقْذِفُ الْأَعْدَاءَ بِالْمَوْتِ الذَّبَاحِ
كُسَيْتَ قُمْصَ الْأَفَاعِي أَسَدُ تَوَجَّتْ فِيهِ بَيِضَاتُ الْأَدَاحِ^٢
تَحْسَبُ الْوَرْدَ نَثِيرًا حَوْلَهُ وَهُوَ مُحْمَرٌّ مُجَاجِمَاتِ الرِّمَاحِ
بَطَلٌ تَشْهَقُ مِنْ لَهْذَمِهِ فِي جِبَاهِ الرَّوْعِ أَفْوَاهُ الْجِرَاحِ
جَاعِلٌ لِلْقِرْنِ إِنْ عَانَقَهُ سَيْفُهُ طَوْقًا وَكَفِيَّتُهُ وَشَاحُ
يَا وَهُوبَ الْعِيدِ فِي بَعْضِ النَّدَى وَالْغَنَى وَالْجُودِ وَالْكُومِ اللَّقَاحِ^٣

١ فَيَاحُ : واسعة .

٢ أي الأداسي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

٣ الكروم : جمع كوماه وهي الناقة ذات السنام الضخم .

إن بحرينك على عظمهما حسدا كفيك في فيض السّماح
 فإذا موجّ هذا ، وطما برباخ ، جاش هذا برباخ
 حكيا جودك جهلاً فهما لا يزيدان به إلاّ افتضاح
 كشر الخلف ومن دان به وعلى فضلك للناس اصطلاح
 وإذا الفخر تسمى أهلّسه كنت منهم في فم الفخر افتتاح

٦٣

تخرجها : في الحريدة منها البيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

وقال يمدح الأمير عليّ بن يحيى المذكور

من شاء أن تسكر راح براح فليسقيها خمّر العيون الملاح
 فإنتهها بالسحر ممزوجة أمّا تراهها أسكرت كلّ صاح
 فما ترى من شربها في الصبا في ربقّة السكر فهل من سراح
 يا من لموصول الشجا بالشجا فليس للتبريح عنه براح
 تُشرق حوله الوجوه التي للبدر والشمس بهنّ افتضاح
 وارحمنا للصبّ من لسوعة بكلّ ربا الحقف صفر الوشاح

يمشي اختيالُ التيه في مشيها
 ألقى الهوى العذريُّ في حجره
 لو حملت منه قلوبُ العدى
 وجدي غريبٌ ما أرى شَرَحَهُ
 وإنَّما يُحسِنُ تفسيره
 إنَّ مَسَنِي الضَّرَّ بِقَرَحِ الهوى
 من ظيِّية تنفُرُ من ظلِّها
 ففي ثناياها جنَى ريقه
 كم من يدٍ قد أطلعت في يدي
 من قهوة في الكأسِ لماعة
 سخيّة بالسكر مرّت على
 وهي جَمُوحٌ كلِّما ألجمت
 كأنَّما الكأسُ طلا مُغزِلٍ
 كأنَّما الإبريقُ في جسمها
 فعدَّ عن مَشْيِي قطاة البطاح
 حرب الغواني والعدى والّواح^١
 جراح قلبٍ ما حَمَلَنَ الجراح
 يُوجَدُ في العينِ ولا في الصَّحاح^٢
 دَمَعٌ حَمَى السرَّ به مُسْتَباح
 فبرءُ دائي في الشرابِ القراح
 وإن غدا الظلَّ عليها وراح
 يا هل ترشفت الندى من أقاح
 نجم اغتباقٍ بعد نجمِ اصطباح
 كالبرقِ شقَّ الغيمُ عنه فلاح
 دنائِها بالختم أبديّ شحاح
 بالماءِ كَفَّتْ من غلَوِّ الجحاح
 مُرويةٌ بالدَّرِّ منه التياح^٣
 يَنْفُخُ للندمانِ رُوحَ ارتياح

١ الواحي : اللذات .

٢ العين والصحاح معجمان ، ذكرهما لذكره « الغريب » في أول البيت .

٣ شبه الكأس بابن الظبية وأنها تقطع ظمأه بلبنها .

في روضةٍ نَفَحَتْهَا مِسْكَةٌ تُهْدِي إلينا في جيوب الرياح
 تَمِيسُ سُكْرًا فَكَأَنَ الحَيَا باتَ يُحَيِّيها بكاساتِ راح
 كَأَنما أَشجارُها مَسْدَلٌ إن لَدَعَتَهُ جَمْرَةُ الشمسِ فاح
 كَأَنما القَطْرُ به لَوْلُوٌ لم يجرِ منه ثُقْبٌ في نِصاحٍ
 كَأَنَ خُرْسَ الطيرِ قد لُقِنَتْ مَدَحَ عَلِيٍّ فَتَفَتَتْ فِصاحٍ
 أَرْوَعُ وَضاحُ المَحْيَا كما قابَلَتْ في الإِشراقِ بَشَرَ الصِّباحِ
 مُعْظَمُ المَلِكِ مُقِرٌّ لَهُ بالملكِ حَتَّى كُلِّ حَيٍّ لَفَّاحٍ
 جَمْعُ الطَّعْمينِ ، في طبعه تَوَقَّدُ البأسِ وَفَيْضُ السَّماحِ
 يَضْحِكُ في الغُربِ ثُغورَ الظُّبا وَهَنَ يُسْكِينُ عَيُونََ الجِراحِ
 مَهْدَ في المَهْدَينِ العَلَى وَعَمَّ مِنْهُ العَدْلُ كُلَّ النِّواحِ
 وَالْمُلُوكُ إن قامَ بِهِ حازِمٌ أَضْحى حِمَىً ، والجَدَّةُ غَيْرُ المِزاحِ
 في سِرْجِه اللَّيْثُ الَّذِي لا يُرَى مَفْتَرَسًا إِلَّا لِبُوثِ الكِفِّاحِ
 كَأَنما سَلَّ على قِرْنِهِ مِنْ غَمْدِهِ سَيْفَ القِضاءِ المُتَّاحِ
 ذُو هِمَّةٍ شَطَّتْ عُلاهُ فما تُدْرِكُ بالأَبصارِ إِلَّا التَّماحِ

١ النصح : الخيط .

٢ حي لفاح : أي لا يدينون للملوك .

٣ في الحريدة : في الحرب .

من حَمِيرِ الْأُمْلَاكِ فِي مَنْصَبِ
 أَعْظَمُ لَمْ يَمْحُ آثَارَهُمْ
 هُمُ الْيَعَاسِبُ لَدَى طَعْنِهِمْ
 كَمْ لَهُمْ فِي الْأُسْدِ مِنْ ضَرْبَةٍ
 إِنْ ابْنَ يَحْيَى قَدْ بَنَى لِلْعُلَى
 وَصَالَ بِالْجِدِّ مَنْوِطًا بِهِ
 وَالصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ يَسْقِي الرَّدَى
 آرَاؤُهُ فِي الرُّوعِ أَعْدَى عَلَى
 وَبَطْشُهُ مَا زَالَ عَنْ قُدْرَةٍ
 لَا تَصْدُرُ الْأَنْفُسُ عَنْ حُبِّهِ
 كَمْ طَامَحَ الْأَلْحَاطِ نَحْوَ الْعُلَى
 وَرَبِّ ذَنْبٍ ذِي مِرَاحٍ فَإِنْ
 يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ أَلْمِمْ بِهِ
 نِدَاهُ يُغْنِي لَا نَدَى غَيْرِهِ
 فَخَلَّ مَنْ شَحَّ عَلَى وَفَرِهِ
 فَالرَّبْعُ رَحْبٌ، وَالنَّدَى سَاكِبٌ،
 ذُو حَسْبٍ زَاكِ وَمَجْدٍ صِرَاحٍ
 دَهْرٌ لَمْ يَخْطُتْهُ يَمَانُهُ مَاحٍ
 إِنْ شَوَّكُوا أَيْمَانَهُمْ بِالرَّمَاكِ
 كَمَا سَجَايَاهُ قَرِيعَ اللَّقَاحِ
 بَيْتًا فَأَمْسَى وَهُوَ جَارُ الضَّرَاحِ
 جَدُّ لَهُ الْفُوزُ بِضَرْبِ الْقَدَاحِ
 فَكَيْفَ إِنْ سُقِيَ مَوْتًا ذَبَاحٍ
 أَعْدَائِهِ مِنْ مُرْهَفَاتِ السِّلَاحِ
 يُغْمِدُ فِي الصَّفْحِ شِفَارَ الصَّفَاحِ
 فَإِنَّهُ لِلْسَيْثَاتِ اجْتِرَاحِ
 إِذَا رَأَاهُ غَضَّ لِحَظَ الطَّمَّاحِ
 عَنْ لَهُ الضَّرْغَامُ خَلَّى الْمِرَاحِ
 تَخْلَعُ عَلَى الْمَطْلُوبِ مِنْكَ النِّجَاحِ
 مِنَ اللَّذْئَابِ بِيغْنَاءِ الْجَنَاحِ
 لَا تُقْدَحُ النَّارُ بِزَنْدٍ شَحَاحِ
 وَالْعَيْشُ رَغْدٌ، وَالْأَمَانِي قَمَاحُ^٢

١ الضراح : بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض .

٢ قماح : مرتوية قد نقت ظمأها .

وقال يمدحه ويهنئه بالعيد

ما لاوشاة غَدَوَا عليّ وراحوا أعليّ في حُبِّ الحسانِ جُنَاحُ
وبمهجتي عُرْبٌ كأنّ قدودها قُضِبُ تقومُ بميلهنّ رياح
مهترّةٌ بقوانلِ الثَّمَرِ التي أسماؤها الرُّمَّانُ والتَّفَّاح
غيدُ زَرَيْنَ على القطا في مشيها فلهنّ ساحاتُ القلوب بطاح
من كلِّ مُصْبيّةٍ بِضِدِّي حسنّها: فالفرْعُ ليلٌ ، والحينُ صباح
تفتّر عن برَدٍ ، فراشف دُرّه يَحلو له شَهْدٌ وتُسْكِرُ راح
لا تقبّسُ من نور وجتتها سناً إنّ الفراشة حتفها المصباح
نُجْلُ العيونِ جراحها نُجْلُ أما تصفُ الأسنّةَ في الطعين جراح
يا وَيَحَ قتلِ العاشقين وإنّ هُمُ شهدوا حروباً ما هنّ جراح
أوما علمت بأنّ فُتّالك الهوى حورٌ تكافحُ بالعيون مِلاح
من كلِّ خودٍ كالغزاةِ ، قِرْنُها أسدٌ أذِلّ ، وإنّها لردّاح
فالرّمحُ قدّ ، والحدادُ تدلّلُ ، والسيفُ لحظ . والنجادُ وشاح

١ أي ان سعة الجرح في المطعون دالة على السنن وكذلك العيون النجل فإن الطعنة منها تكون نجلاء .

ودماءُ أهل العشق في وجنّاتها فكأنّ قتلاهم عليها طاحوا
 وسبيّةٍ بصوارمٍ من عسجدٍ قد صافحت منها العلوجَ صفاح
 حمراءَ يُسلي شربُها ، وبشرها تُنسي الهموم وتذكرُ الأفراح
 رجحتُ يدي منها بحمّلٍ زجاجةٍ خفتُ بها خودٌ إليّ رجّاح
 وكأنّ للياقوتِ ماءً مزبداً فالدرُّ فيه بكأسها سبّاح
 ومجوفٍ لم تُحْنِ أضلعهُ على قلبٍ ، وقلبك نحوه مُرتاح
 نبضتُ دفاقُ عروقه فكأنها في النقرِ السينةُ عليه فصاح
 مسّتهُ للإصلاحِ أتملُ قيسنةٍ ففضى بإفسادٍ له إصلاح
 وفدّ السرورُ على النفوس بشدوها وتمايلتُ طرباً بنا الأقداح
 وكأنّما ذكرُ ابن يحيى بيننا ميسكٌ تَضَوّعَ عرفهُ النفاح
 ملكٌ رعى الدنيا رعايةَ حازمٍ وأظّلَ دينَ الله منه جناح
 متأصلٌ في الملك ذو فخر ، له حسَبٌ زكا في الأكرمين صراح
 وسِعَ البسيطةَ عدلُهُ وتضاعفت عن طوله الآمال وهي فساح
 ذو همّةٍ علويّةٍ علويّةٍ فلها على همم الملوك طماح
 وإشارةً باللحظ يخدم أمرهما زمنٌ له سلم به وكفاح

يَقِظُ إِذَا التَّبَسُّتْ أُمُورُ زَمَانِهِ فَلَرَأَيْهِ فِي لَبْسِهَا إِيْضَاحُ
فَكَأَنَّهَا يَبْدُو لَهُ مَتَبَرَّجًا مَا يَحْجِبُ الْإِمْسَاءُ وَالْإِصْبَاحُ
رَاضٍ الزَّمَانَ فَلَمْ يَزَلْ مِنْهُ أَخَا ذُلٍّ ، وَقَدْ مَأْكَانُ فِيهِ جَمَاحُ
وَرَمَى الْعَدَى بِضِرَاحِمٍ أَظْفَارُهَا وَنِيَابُهَا الْأَسْيَافُ وَالْأَرْمَاحُ
نَصَحَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَلَا غَشٍّ لَهَا وَسَخَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَهِيَ شَحَاحُ
فَتَرَاهُ يَوْرَقُ فِي إِرَادَتِهِ الصَّفَا صَلْدًا ، وَيُورِي الزَّنْدَ وَهُوَ شَحَاحُ
مَنْ ذَا يَجَاوِدُ مِنْهُ كَفًّا كَفُّهُ وَالْبَحْرُ فِي مَعْرُوفِهِ ضَحْضَاحُ
زَهْدُ الْغِنَا مِنْ الْغِنَى فِي جُودِهِ وَلِرَاحَتِهِ بَسْلُكُهُ الْخَاحُ
كَمْ قِيلَ بَرَّاحٍ فِي الْعَطَاءِ بِمَالِهِ فَأَجَبَتْ : هَلْ لِلطَّبْعِ عَنْهُ بَرَّاحُ
ذِمْرُ تَرُوحٍ شَمُوسُهُ وَبِدَوْرُهُ وَبِرُوجِهَا مِنْ مَعْتَفِيهِ الرَّاحُ^١
وَإِذَا بَنُو الْأَمَالِ أَخْصَرَ وَسَعَّيَهُمْ^٢ أَضْحَى لَهُمْ فِي الْقَصْدِ مِنْهُ جَنَاحُ
وَلَكِنْ مَحَا الْأَعْدَامَ صَوْبُ يَمِينِهِ فَالْجَدْبُ يَمْحُوهُ الْحَيَا السِّيَاحُ
شَهْمٌ^٣ إِذَا مَا الْحَرْبُ أَضْحَتْ حَائِلًا^٢ أَمْسَى لَهَا بِذِكُورِهِ الْقَاحُ
تَطَوَّى عَلَى سُودِ الْخُتُوفِ بِعَزْمِهِ مَلْمُومَةٌ^٣ مَلَأَ الْفَضَاءَ رَدَاحُ^٣
أَفَلَا تُبَيِّدُ مِنَ الْعَدَى أَرْوَاحَهُمْ^٣ وَلَهَا غُدُوٌّ نَحْوَهُمْ^٣ وَرَوَاحُ

١ الراح : جمع راحة وهي الكف .

٢ حائلا : لا تحمل .

٣ ملومة : وصف للكتيبة . والرداح : الكتيبة الضخمة البطيئة في سيرها .

متناولٌ قُمْحَ الكِماءِ بأسْمِرٍ لدم الأسود سنانهُ سَقَّاح
وكانَ طعنته وِجَسارٌ واسِعٌ فلتعلبِ الخطيَّ فيه ضُبَّاح
وكانتما حَبَّ القلوب لرحمهِ جِرْعٌ يُنْظَمُ فيه وهو نِصَّاح
في مأزِقِ ضنكِ سماءٍ عِجاجهِ تعلو ، وأرضُ حِمامِهِ تَنَداح
أنتم من الأملِكِ أرواحُ العُلَى شَرَفًا ، وغيركمُ لها أشباح
هذا عليٌّ وهو بَدْرٌ مَهابةٍ كَلِيفٌ به بصرُ العُلَى اللَّمَّاح
هذا الذي نَصَرَ الهدى بسيفهِ ورماحِهِ ، فَحِماءُ لَيْسَ بِبَاح
هذا الذي فازتْ بما فوقَ المَنى من جودهِ للمعتفين قِداح
مَنْ حُبَّه النُهْجُ القويمُ إلى الهدى فصلاحُ مَبْغِضِهِ الشَّقِيَّ صلاح
من صَوْنُهُ قُفْلٌ لِكُلِّ مَدِينَةٍ فإذا عَصَّتْهُ فسيْفُهُ المِفْتَاح
يا صارمَ الدِّينِ الذي في حَدِّهِ مَوْتُ يُبِيدُ به عِداهُ ذُبَّاح
طَوَّقْتَنِي مِئْنًا فَرُحْنْتُ كَأَنِّي بالمدحِ قُمْرِيٌّ لَهُ إِفْصاح
وسَقَبْتَنِي من صَوْبِ مَزلِكِ فَوْقِ ما يَرَوِي به قلبُ الثرى المِلْتاح
فَفَدَاكَ مَنْ لِلْمالِ أَسْرٌ عِنْدَهُ إذْ لم يَزَلْ لِلْمالِ مِنْكَ سَراح
وبقيتَ للأعيادِ عيداً مَبْهَجاً ما لاجَ في انبيلِ البهيمِ صَبَّاح

وقال

وأشقرّ من خيل الدنانِ ركبتهُ^١ فأصبحَ بي في غايةِ السكرِ يَحْمَحُ
 فألحمتُهُ^٢ بالمزجِ حتى وَجَدْتُه^٣ بما شحّ من حسنِ الرياضةِ يَسْمَحُ
 فيا عجباً من روضِ نارٍ مَكْلَلُ^١ بنوَّارِ ماءٍ في الزجاجةِ يَسْبَحُ
 فحرّ لظاها يلدغُ^٢ الهمَّ^٣ في الخشا وطيب^٢ شذاها للعرانينِ يَسْتَفْحُ

١ في ب : فواعجباً من بعضِ نارٍ تكلت .

٢ في ب : تلفح النار .

٣ في ب : وريا .

وقال

تخریجها : البيت السادس في معاهد التنصيص : ٢٢٧

خَلَّ شَيْبِي فَلَسْتُ أَدْمِلُ جُرْحًا بخضابٍ منه فَيَسْتَنْغَرُ جُرْحِي^١
 وإذا ما خسرت يوماً من العمه ر فبهيات أن يُردَّ بربح
 عَيْبُ شَيْبٍ يَجْلُوهُ عَيْبُ خِضَابٍ إن هذا كنكءٍ قَرَحٍ بِقَرَحِ
 صبغةُ الله لستُ أستر منها بيدي في القذال قُبْحاً بَقِيعِ
 كم مُعْنَى منه وكم من غريبٍ بالليالي ما بين قَوْلٍ وشرح
 وكأنَّ الخضابَ دُهمَةً ليلٍ تحتها للمشيبِ غُرَّةٌ صَبِيعِ

وقال في الزهد

أبيعُ من الأيام عمري وأشتري ذنباً كَأَنِّي حينَ أَحْسَرْتُ أربحُ
 فهلاً أذبتُ القلبَ من حُرْقِ الأسمى وصَيَّرْتُهُ دمعاً من العينِ يُسْفَحُ
 وأنتى وفي عُقْبَى الشبابِ عقوبةٌ أَسَرَّ بها - بشس السرور - وأفرحُ

١ نفر الجرح : تفجر بالدم .

وقال وقد مشط لحيته بمشط عاج

مَشَطْتُ بِالصَبْحِ صُبْحًا فزدتُ في الشرح شرحاً
وقد خسرتُ حياةً غَدَتُ من الربح ربحاً

وقال أيضاً

لحظتك بالعلی بالفوزِ قِدْحُ وذكرك في غريب المجد شَرْحُ
رأيتُ عمداً والناسَ طرّاً شكاً وشكوا ، فلما صحَّ صحوا
مُحِبِّكَ في التقى بهداك يُهْدَى وينحو في العلى ما أنْتَ تنحو
فَبَلُغْتَ المُنَى فيه ومَرَّتْ به تلك الليالي وهي صلُح
ونلتَ سعادةً ، ما اسودَّ ليلُ وعينَ كرامةٍ ، ما ابيضَّ صبح
فَرَفَعُ النجمِ في عليك خَفَضُ وَقَيْضُ البحرِ في نعماك رشح

وقال أيضاً

رقيقة ماء الحسن يجري بخدّها كجري الندى في غصن وردٍ مُفْتَحِ
 تنبت بعطفها عن العطف وانثنت كنشوان في برد الصبا مُتَرَحِّحِ
 فتحسب منها الرجلَ جاذباً أخصاً فليس بمعقولٍ ولا بمسرحٍ
 فقلت لها : يا أملح العينِ مشيةً أمزنةً جَوِّ أنتِ أم سَيْلٌ أبطح
 لقد أشقت الأضدادُ منك ملاحهً فتي ، روحه في الحبِّ غيرُ مَرُوحِ
 سخاءٌ بهجرٍ من سمينٍ مُدَمَلَجِ وشحٌ بوصلٍ من هزِيلٍ مُوَشَّحِ

١ الرجل : أي شعرها المسترسل ، جاذب أخصص قدمها من طوله .

وكتب المعتمد يأمر عبد الجبار بالقدوم إليه من إشبيلية إلى قرطبة ،
فوافق ذلك مجيء أبي بكر بن عمار من سفره أسيراً مقيداً ،
فنزّل به المعتمد في الوادي إلى إشبيلية وكان منهما ما كان ،
فرجع عبد الجبار إلى إشبيلية وكتب إلى المعتمد بهذه القطعة

تخريجها : « جميع أبياتها في الذخيرة ما عدا الثالث »

أيا مُؤلي الصنّع الجميل إذا انتشى	ويا مُبْسِدي النّيلِ الجميل إذا صاح
وفي كلّ أرضٍ من نداه حديقةٌ	تَضَوّعَ مسكاً نورُها وتفتّحا
عطاؤك ينعفو المحلّ صوباً فنعيسُهُ	تخطّ على آثاره كلّ ما محّا
[أفرد بالحرمان من كلّ عاطلٍ	تَطَوّقَ من نعماك ثم توشّحا]²
أتستني على بُعد النوى منك دَعْوَةٌ	قطعتُ لها بالعزم نَجْداً وصحصحاً³
ويحتال من أهل القريض مُصَرِّفٌ⁴	يُهادي القوافي⁵ في امتداحك قُرّحاً

١ الذخيرة : ويا مسدي .

٢ زيادة من الذخيرة .

٣ الذخيرة : أثارَت بنات السير حولاً ولقحا .

٤ الذخيرة : فجاك من أهل البديع مصرف .

٥ الذخيرة : مهار القوافي .

وكان عليه الحق^١ ليلاً يخوبه^٢ إليك فلما لاح وجهك أصبحا
رفعت^٣ وأصحابي إلى ما بسجده^٢ علاك. فوقع^٣ ممسكاً أو مسترحاً^٣
فوقع له - رحمه الله - بل تمسكت^٣ بمعروف^٣ . ووصله بمائة دينار .

٧٢

وقال أيضاً

سلا أي سلواني أرى مَصْرَعَ ابْنِهِ وطالَ لفقد المسالِ طولُ نيساحه
كذلك حمّامُ البرُجِ يذُبَحُ فَرَحُهُ فيسلو ويأسى عندَ قصّ جناحه

١ الذخيرة : الخلق .

٢ الذخيرة : رفعت بأظعاني إلى ما تحده .

٣ في « م » : مصرحاً ، وما أثبتته هو رواية الذخيرة .

حرف الخاء

٧٣

وقال أيضاً يصف رواقص

ومن راقصاتٍ ساحباتٍ ذيولَها شوادٍ ، بمسكِ في العبير تَضَمَّخُ
كما جَرَّرتْ أذيالَها في هديلها حمائمٌ أينكٍ أو طَواويسٌ تُبَذَخُ

حرف الـ دال

٧٤

وقال أيضاً

يا جَنَّةَ الوَصْلِ التي حَفَّتْ بها نَارُ الصَّدودِ
مَنْ لي بِرِيَّالِكِ التي فَتِقَتْ بِرِيحَانِ الخلودِ
وَمُجَاجَةٍ شَهْدِيَةِ تُعْجِنِي مِنَ البَرْدِ البَرُودِ
وَارْحَمْتَا . وَأَنَا العُيُودُ ، من الهوى لِشَجِّ عَمِيدِ
يَرْمِي وَلَكِنْ لَا يَنْفِي بِرْمَايَةِ الغَرَضِ البَعِيدِ
مَنْ لِلْمَقِيمِ عَلَى الصَّعِيدِ دُ إِلَى الغَزَالَةِ بالصُّعُودِ

وقال أيضاً

هفا القلبُ عن وَصلِ هيفِ القدودِ وماءُ الصِّبا مُورِقٌ منه عُودي
فُطِمتُ ولي وَلَعٌ بالعلَى أَجاري الصِّبا في مداها المديدِ
وما زلتُ وطأً فُوَيْتَقَ السَّمَاكَ إلى قُطْبِهَا ناظراً في صعودِ
وما يُورِدُ الشَّيخَ إلَّا الَّذِي تلوحُ شمائلُهُ في الوليدِ
حفظتُ الدُّمَى لهوى دُمَيْةٍ ويُحَفِّظُ للبيتِ كلَّ القصيدِ
ولكنْ رَأَيْتُ العلى ضَرَّةً تُنْأَفِرُ كلَّ فتاةٍ خروودِ
فثرتُ وثارَتْ معي هِمَّةٌ قيامي لها فارغٌ مِنْ قعودِ
وما نَوَمْتُ عَزَمَتِي بِلَدَةٍ تُنْبِئُهُ في الغمرِ عَجَزَ البليدِ
ولا طَفَلَةٌ العيشِ وهنانةٌ أروجٌ بنفحةٍ مِسْكٍ وعودِ
تُودِّعُ اللَّيْلَ كَفّاً بكَفٍّ ونحراً بنَحْرٍِ وجيداً بجيدِ
ومَنْ يَطْلُبِ المجدَ يَنْزِلُ إلى قَرَأَ النّهدِ عن نَهْدِ عذراءِ رودِ^٢

١ الطفلة : المرأة الرخصة الناعمة ؛ الوهانة : الكسل عن العمل .

٢ القرا : الظهر . والنهد : الفرس الجسيم المشرف .

وَيَرْمِ عَلَى الْخَوْفِ عَزْماً بَعَزْماً وَلَيْلاً بَلِيلَ وَبَيْساً بَيْساً

* * *

وَلِلَّهِ أَرْضِي الَّتِي لَمْ تَزَلْ كُنَّاسَ الظُّبَاءِ وَغِيلَ الْأَسْوَدِ
فَمَنْ شَادَنْ بَابِلَى الْجَفُونَ نَفُورِ الْوَصَالِ أَنْيَسِ الصَّدُودِ
يَدِيرُ الْهَوَى مِنْهُ طَرْفٌ كَلِيلٌ يَنْقُلُ ذَلَاقَةَ طَرْفِي الْحَدِيدِ
وَمَنْ قَسَّوَرَ شَائِكِ الْبُرْثُنَيْنِ لَهُ لِبْدَةٌ سُرِدَتْ مِنْ حَدِيدِ
يَصُولُ بِمَثَلِ لِسَانِ الشَّوَاظِ فَيُولِغُهُ فِي نَجِيمِ الْوَرِيدِ
زَبَانِيَّةٌ خَلِقُوا لِلْحُرُوبِ يَشْبُونَ نِيرَانَهَا بِالْوَقُودِ
مَسَاعِيرُهُمْ مُرْهَفَاتٌ بُنِينَ لَهْدَ الْجَمَاجِمِ مِنْ عَهْدِ هُودِ
هُمْ الْمَخْرُجُونَ خَبَايَا الْجُسُومِ إِذَا ضَرَبُوا بِخَبَايَا الْغَمُودِ
هُمْ الْمَائِلُونَ عَلَى الْحَاقِدِينَ صُدُورَ رِمَاحِهِمْ بِالْحَقُودِ
نَجُومٌ مَطَالِعُهَا فِي الْقَنَاسِ وَلَكِنْ مِغَارِبُهَا فِي الْكَبُودِ
تَخْطُ الْخَوَافِرُ مِنْ جُرْدِهِمْ مُحَارِبَ مَبْثُوثَةٍ فِي الصَّعِيدِ
تَخْرُ رُؤُوسُ الْعَدَى فِي الْوَعَى لَهَا سُجْدٌ ، يَا لَهُ مِنْ سَجُودِ

* * *

وَبَرَقَ تَأَلَّقَ إِيْمَاضُهُ كَخَفَقِ جَنَاحِ فَوَادٍ عَمِيدِ

١ خبايا الغمود : السيوف .

يريكَ التواءَ قسيّ الرماة إذا ما جُذِبْنَ بِنَزَعٍ شديد
سَقَى اللهُ منه الحمى عارضاً يُقَهِّقُهُ ضاحكُهُ بالرعود
مُسَكَّرَ الطرادِ، وثَغَرَ الجهادِ، ومُجَرَى الجيادِ، ومَأْوَى الطريد
بحيثُ تقابلُ شوساً بشوسٍ وغراً بغراً وصيداً بصيد
وأجسامُ أحيائهم في التعيمِ وأرواحُ أمواتهم في الخلود

٧٦

وقال أيضاً

حَسَنَ غِذَاءَكَ واعتمدُ منه على وقتٍ وحدُ
فالتنفسُ تهزلُ بالما كلِّ كلما سَمِنَ الجسدُ

وقال أيضاً

[ونقل المعنى من الماء إلى السماء ومن البرودة إلى البرد]*

تخریجها : البيت ١ : في بدائع البدائيه : ٣٨ . والأبيات ١ ، ٢ ، ٢١ ، ٢٢ في معاهد التنصيص : ٢٢٢ والنفع .

نَشَرَ الجَوُّ على الأرضِ ١ بَرَدَ . أَي دُرِّ لنحورٍ لو جَمَدَ
 لَوُلُوْهُ أَصْدَافُهُ السُّحُبُ التي أَنْجَزَ البَارِقُ منها ما وَعَدَ
 مِنْحَتَهُ ٢ عَارِياً مِنْ نَكَدٍ . واكْتَسَابَ ٣ الدَّرَّ بالغوص نَكَدَ
 وَلَقَدْ كَادَتْ تَعَاطَى لِقْطَةً رَغْبَةً فِيهِ كَرِيْمَاتُ الخُرْدِ
 وَتَحَلَّى مِنْهُ أَجِيَاداً إِذَا عَطَلَتْ رَاقَتَكَ فِي حَلِي الغَيْدِ
 ذَوَّبَتْهُ مِنْ سَمَاءٍ أَدْمَعُ فَوْقَ أَرْضٍ تَتَلَقَّاهُ ٤ بِخَدِ
 فَجَرَّتْ مِنْهُ سَيُولُ حَوْلَنَا كَثْعَابِينَ عَجَالَ تَطْرِدُ

* زيادة من ب .

١ في بدائع البدائيه : ٣٨ ومعاهد التنصيص : ٢٢٢ ، والنفع : الترب .

٢ ب : لقطته .

٣ ب : واقتناء .

٤ ب : تتلقاها .

٥ ب : فتجارت حولنا أرساله .

وترى كل غدير متأقٍ سبَحَتْ فيه قواريرُ الزبدِ
من يعاليلَ كبيضٍ وُضِعَتْ في اشتباكِ الماءِ^٢ من فوق زرد
أرق^٣ الأجفانَ رعدٌ صوتهُ كهديرِ القرمِ في الشؤلِ حَفْدٌ
باتَ يجتابُ بأبكارِ الحيا بلدًا يُرويه مِنْ بَعْدِ بَلَدِ
فهو كالحادي روايا^٤ إن وَنَتْ في السرى صاحَ عليها وجلَدِ
وكانَ البرقَ فيها حاذفٌ بضرامٍ كلما شَبَّ خَمَدِ
تارةً يخفونَ ويخفى تارةً كحسامٍ كلما سُلَّ غُمِدِ
يَدْعُرُ الأبصارَ محمراً كما قَلَبَ الحلاقَ في الليلِ الأسدِ
وعليلِ النَّبْتِ ظمآنِ الثرى عرجَ الرائدِ عنه فزهدِ
خلَعَ الحصبُ عليه حُللاً لبديعِ الرقمِ فيهنَّ جُدُدُ^٥
وسقاهُ الريَّ من وكافةٍ^٦ فَتَحَ البرقُ بها الليلَ وسَدِ

١ رواية ب : فيرى كل عزيز متقى
والمثاق : الملائن .

٢ ب : رصعت في أنسيال . واليعاليل : الحباب .

٣ ب : أزرق .

٤ ب : الفحل في السوق جعد . وفي ف : حقد ؛ وحقد البعير : أسرع في السير . والقرم : فحل الإبل . الشؤل : القطيع .

٥ الروايا : الإبل التي تحمل الماء .

٦ في ب : يبدو . ويخفون البرق : يلمع .

٧ جدد : طرائق وخطوط .

٨ وكافة : سحابة مطرة .

ذاتِ قطرٍ داخلٍ جَوْفَ الثرى كحياة^١ الروح في موت الجسد
فتمثنتي الغصنُ سكرًا بالندى^٢ وتغنى ساجعُ الطيرِ غرد^٣
وكانَ الصبحُ كفَّ حَلَلَتْ من ظلامِ الليلِ بالنورِ عَقَدَ
وكانَ الشمسَ تجري ذهباً طائراً في صيده^٤ من كلِّ يد

٧٨

وقال يرثي [ابن أخته]

خَطَبُ يَهزَّ شواهِقَ الأطوادِ صَدَعَ الزَّمانُ به حِصاةَ فَوادي^٥
ومصيبةٌ حرَّ المصائبِ عندها بَرَدٌ بِحَرِّقَتِها على الأكبادِ
وكانتِ الأحشاءُ من حَسَرَاتِها يُجَدِّبُنَ بينَ براثينِ الآسادِ
كَبُرُ الدَّواهي رَحَلَتْ بخلوها قَرَمًا . لقد قَرَعَتْ قَريعَ أعادي
سكنتُ شَقاشِقَهُ وكان هديرُهُ يَسْتَكُ منه مَسامِعُ الحَسادِ
وكانتِما في التَّربِ غَيَضَ غيضاها لَحْداهُ وَرَدًا عن وَرودِ صَوادِ

١ في ب : بحياة .

٢ في ب : بالحيا .

٣ في ب : الغرد .

٤ في المعاهد : من جده .

٥ حِصاة الفؤاد : تماسكه وقدرته على الصبر .

٦ الورد : الأسد .

نُحِرَتْ شُؤُونِي بِالْبِكَاءِ عَلَيْهِ أُمٌ
لَمْ أَنْتَفِيعْ بِالنَفْسِ عِنْدَ عِزَائِهَا
هَذَا الزَّمَانُ عَلَى خِلَاتِقِهِ الَّتِي
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَبِي لِقَرَرِهِ
يَفْتَنِي وَيُفْتِنِي دَهْرُنَا وَصُرُوفُهُ
فَكَأَنَّ عَيْنَكَ مِنْهُ وَاقِعَةٌ عَلَى
وَالنَّاسُ كَالْأَحْلَامِ عِنْدَ نَوَاطِرِ
سَهَرٍ كَرَى مُقَلَّ تَخَافُ مِنَ الرَّدَى
وَالْعَمْرِ يُحْفَظُ بَيْنَ يَوْمٍ سَابِقٍ
دُنْيَا إِلَى أُخْرَى تُنْقَلُ أَهْلُهَا
وَكَأَنَّهُنَّ صَوَارِمٌ ، مَا فَعَلَهَا
حَتَّى إِذَا فُجِعَتْ بِهَا أَشْبَاحُهَا
وَالْمَوْتُ يُدْرِكُ وَالْفَرَارُ مُعْقَلٌ
وَيَسْأَلُ مَا صَدَعَ الْهَوَاءَ بِخَافِقٍ
وَيَسُومُ ضَيْمًا كُلَّ أَعْصَمٍ ٢ شَاهِقٍ
عُصِرَتْ مَدَامِعُهَا مِنَ الْفِرْصَادِ ١
فَكَأَنَّهَا عَيْنٌ بَغِيرُ سَوَادِ
طَوَتْ الْخَلَائِقَ مِنْ ثُمُودٍ وَعَادِ
بِيَدِهِ سِقْطًا مِنْ قَدَاحِ زَنَادِ
مِنْ طَارِقٍ أَوْ رَائِحٍ أَوْ غَادِ
بَطَلٍ مُسَيِّدٍ فِي الْحُرُوبِ مُبَادِ
تَرْنُو إِلَيْهِمْ ، وَهِيَ دَارُ سَهَادِ
لِلْخَوْفِ هَجَرُ الطَّيْرِ مَاءَ ثَمَادِ
لَا يَسْتَقِرُّ ، وَبَيْنَ يَوْمٍ حَادِ
هَلْ تُتْرَكُ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ
إِلَّا مِنَ الْأَجْسَامِ فِي أَغْمَادِ
بَقِيَتْ لِفَقْدِ حَيَاتِهَا كَجَمَادِ
مَنْ فَرَّ عَنْهُ عَلَى سَرَّاءِ جَوَادِ
مَوْتُ ، وَمَنْ قَطَعَ الْفَلَاحُ بِسَهَادِ
رَيْبُ الْمَنُونِ ، وَكُلُّ حَيَةٍ وَادِ

١ الفرصاد : التوت الأحمر .

٢ الأعصم : الوعل المتأبد .

وهزبرَ غابٍ يحتمي بمخالبٍ يسري إلى وجه الصباح .. وإنما
يرْهَقْن من غير الحديد ، حداد مصباحهُ من طَرْفِهِ الوقاد
وعنادُهُ بالدلّ غيرُ عناد أو لا ولم يُبَلِّ الحِمَامُ بشبله
زاداً له فَتَقَّاهُ أَفْضَلُ زاد وأخو الهدايةِ راحلٌ جَعَلَ التقي
حتى أَوْسَدَ في الضريحِ وسادي أنا يا ابن أختي لا أزالُ أُنْخَا أَسَى
بفراقِ أهلي وانتزاحِ بلادي إني امرؤ مما طُرقت مُهَيِّدٌ^١
بالكرب . وهي غريبة العواد أودى الغريبُ بعلّةٍ تعاده
فبِهِ يُجَدِّدُ الوعدُ بالإيعاد أملٌ وعدت به . وأوعدني الردى
شَتَانٌ بين بَعاده وبعادي حيٌّ ومَيِّتٌ بالخطوب تباعدا
خلفَ المنون فلم أعش بمرادي نعيٌ دُمِيتُ به فمتَّ وإنْ أعِشْ
أَمْسَى له جفنًا بغيرِ نجاد ما ثُلِمَ السيفُ الذي جَسَدُ الثرى
ما سلتهُ . والعضبُ غيرُ عتاد عَضْبٌ يكون عتادَ فارسِهِ إذا
يعتدهُ يومَ الوغى بالجلاد قد كان في يُمْنَى أبيه مصمماً
بتواترِ الأزمان والآباد أعزُّ عليّ برونقٍ يبكي دماً
إنّ الكمالِ إليه غيرُ مُعَاد وأقول بَدْرٌ دبّ فيه مُحَاقُهُ

١ مهيد : مروع مفزع .

إن غابَ في جدّثٍ أنارَ بنوره
 واستعذبته العضلاتُ لأنها
 لو أخرتَهُ منيَّةٌ لتقدّمتْ
 ولكانَ في درّسِ العلومِ وحفظها
 إنَّ المفاخرَ والمحامدَ ، سرّها
 زَيْنُ الحضورِ ذوي الفضائلِ غائبٌ
 هلاًّ حمّتهُ عناصرُ المجدِ التي
 ومكارمٌ بذلتْ لصونِ نفوسهم
 ونجاةٌ وقفتْ عليهم فضلّها
 مِن مُعْرِقِ الطرفين ، مركزُ فخره
 المنفقون بأرضهم أعمارهم
 أذمارُ حربٍ في سماءِ قتاتهم
 وبوارقُ تنسلّ مِن أجفانها
 فزعَ الصرِيخُ إليهمُ مستنجداً
 أسدٌ لبؤسهمُ جلودُ أراقمِ

يا عابدَ الرحمنِ حسبك رحمةٌ وفى لها بالعهدِ صوبِ عهدِ

بجلاوة اسمك للمنون مرارة
 إني أنادي منك غير مُجْأوبٍ
 في جوف قبر مفرد من زائر :
 ما [بينَ] مَوْتِي في صباح عَرَّسُوا
 بين الألوف عَقِيَّةً أرسامهم
 أو لم يكن بقراطُ دونَ أبيك في
 وأدقَّ منه فكرةً حسيَّةً
 هلاً شَفَى سَقَمًا فوقَّ بروهُ
 هيهاتِ كان مماتُ نفسك مثبتاً
 قصرتك كالممدود قصَّرت ضرورة
 وشربت كأساً نحن في إِيراقها
 وتركت عِرْسَكَ، وهي منك جنازة
 أهدى إليك مكانها حوريَّة
 عندي عليك من البكاء بِحَسْرَةٍ
 ونياحُ ذي كَمَدٍ يذوبُ به إذا
 طُرِحَتْ بِعَذْبِ الوَرْدِ للوراد
 ميتاً ، وعن شوقٍ إليك أنادي
 قبرُ الغريب يُخَصَّ بالإفراد
 لإعادةٍ بالبعث يومَ مَعَاد
 ولرسمه قبر من الآحاد
 داءٌ يُعَادُ لَهُ المريضُ عِدَاداً
 حَكِيمَةً الإصدارِ والإيراد
 موتاً تَمْشِي منك في الأبراد
 بيدِ القضاء عليك في الميلاد
 وَعَدَّتْكَ عن مَدِّ الحياةِ عَوَاد
 إذ أنْتَ منها في طويل رِقَاد
 ولباسَ عرسك، وهو ثوبُ حداد
 مُهْنِدٍ ، وذلك الفضل فَضْلُ الهادي
 ماءً لِنارِ الحزنِ ذو إيقاد
 رفع الرثاءُ عَقِيرَةَ الإنشاد

١ الداء العداد : هو الذي يدع صاحبه زماناً ثم يعاوده .

وَتَحْيَلُ بِحَيْكٍ فِي فِكْرِي ، فَذَا
قَدْ كَانَ عَيْدُكَ ، وَالْحَيَاةُ عَلَى شِفَا
أَرْثِيكَ عَنْ طَبْعٍ تَجَدُّوْلَ بَحْرُهُ
أَنَا فِي الثَّمَانِينَ الَّتِي فَتَلَسْتُ بِهَا
أَمْشِي دَيْبًا كَالْكَسِيرِ وَأَتَقِي
ذَبَلْتُ مِنَ الْآدَابِ رَوْضَتِي الَّتِي
لَوْ كُنْتُ بَعْدِي لَافْتَدَيْتُ بَأَنْفُسِي
فَاصْبِرْ أَبَا الْحَسَنِ احْتِسَابَ مُسَلِّمٍ
فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
أَوَّلَيْسَ إِبْرَاهِيمَ ، نَجْلُ مُحَمَّدٍ ،
رَدَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ تَرْبَةً لِحَدِّهِ
فَتَأْسَ فِي ابْنِكَ بَابْنَهُ ، وَخِلَالِهِ ،
مَسْنَعَكَ فِي بَرِّي وَمَحْضِ وَدَادِي
مِنْ قَطْعِ عَمْرِكَ ، آخِرَ الْأَعْيَادِ
بَعْدَ الْغِيَابِ وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ
قَيْدِي الزَّمَانَةُ ، عِنْدَ ذَلِكَ قِيَادِي
وَثْبًا عَلَى مِنَ الْحِمَامِ الْعَادِي
جُلَيْتُ نَضَارَتِهَا عَلَى الرُّوَادِ
وَبِمَا حَوَتْ مِنْ طَارِفٍ وَتَلَادِ
لِلَّهِ أَمْرَ خَوَاتِمٍ وَمَبَادِي
وَشَدَادُ هُنَّ عَلَيْكَ غَيْرُ شَدَادِ
بِالْدَفْنِ صَارَ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ
بِيَدِ النَّبْوَةِ ، وَهِيَ ذَاتُ أَيْبَادِي
تَسْلُوكُ بِأُسُوتِهِ سَبِيلَ رِشَادِ

وقال أيضاً

نحنُ في جَنَّةٍ نُبَاكِرُ منها ساحِلَيَّ جَدَّوْلٍ كَسَيْفٍ مُجَرَّدُ
صَقَلْتُ مَسْنَهُ مَدَاوِسُ شَمْسٍ^١ من خلال الغصون صقلاً مجدّد
ومدامٍ تطيرُ في الصحن سُكْرًا فتُحَلِّ العُقُودُ منها وتُعقد
جسمها بالبقاء في الدنّ يبلّ وقُواها مع اللَّبالي تَجَدّد
وإذا الماءُ غاصَ في النَّارِ منها أخرجَ الدُّرَّ من حبابٍ منضد
يا لها من عصيرٍ أوّلٍ كَرَمٍ سكر الدنّ منه قدماً وعربد
جَنَّةٌ مَجَّتِ الحيا إذ سقاها مُصْلِحٌ من غَمَامِهِ غيرُ مُفسد
قد لبسنا غلائلَ الظلّ فيها مُعَلِّمَاتٍ من الشعاع بعسجد
ورأينا نارنجها في غصون هَزَّتِ الرِّيحُ خُضْرَها فهي مُيد
ككراتٍ مُحْمَرَّةٍ من عقيق تدْرِها صوالجٌ من زبرجد
وكانَ الأنوارَ فيها ذُبَالٌ^٢ بسليطٍ من الندى تتوقّد
وكانَ التَّسِيمَ بالفرجِ^٣ يُفْشِي

١ المداوس : جمع مدوس وهو أداة الصقل .

٢ فرج الوادي : بطنه .

حَيْثُ نُسْقَى مِنَ السَّرُورِ كَوْسًا وَنُغْنَى مِنَ الطُّيُورِ وَنُنَشَّدُ
 ذُو صَفِيرٍ مَرْجَعٍ أَوْ هَدِيلٍ أَسْمِعْتُمْ عَنِ الْغُرُورِ وَمَعْبَدُ
 شَادِيَاتٍ تَمْسِي الْغُصُونُ وَتَضْحِي رُكْعًا لِلصَّبَا بَهْنٍ وَسَجْدُ
 كَانَ ذَا وَالزَّمَانُ سَمَّحُ السَّجَايَا بِيَوَادٍ مِنَ الْأُمَانِي وَعُودُ
 وَالصَّبَا فِي مَعَاطِفِي ، وَكَأَنِّي غُصْنٌ فِي يَدِ الصَّبَا يَتَأَوَّدُ

٨٠

وقال أيضاً

وَمُضْمَنٍ رَاحًا يَشْفَى زَجَاجُهُ عَنْ مَاءِ يَاقُوتٍ بِدُرٍّ يُزْبِدُ
 جَامٌ يَجْمَعُ شَرْبُهُ لَذَائِنَا وَعَقُولُنَا بِالسُّكْرِ مِنْهُ تَبْسَدُ
 وَيَخْفَ مَلَانًا وَيَثْقُلُ فَارغًا كَالْجَسْمِ تُعَدَمُ رُوحُهُ أَوْ تُوجَدُ

وقال أيضاً في الصيد

لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْحَ قَدْ تَبَدَّى
كَأَنَّهُ فِي الشَّرْقِ سَيْلٌ مَدًّا
وَحَاجِبُ الْجَوْنَةِ قَدْ تَصَدَّى
شَهْبًا فَأَطْبَقْنَ عَيُونًا رَمَدًا
أَرْكَبْتُ نَفْسِي شَوْذَقًا مُعَدًّا^١
يَهْدِي أَرْكَانَ الطَّيُورِ هَدًّا
بِمُخْلِيبٍ تَبْصَرُهُ مَسُودًّا
كَأَنَّهُ مِنْ خِنْجَرٍ قَدْ قُدًّا
حَرَصًا عَلَى الصَّيْدِ بَنَّا فِي الرَّمَدَا
فِي لَعِبٍ مِنْكَ يَرِيكَ الْجِدًّا
وَفَتِيصَةٍ يَكْتَسِبُونَ الْمَجْدَا
وَيَرْكَبُونَ السَّابِحَاتِ الْجُرْدَا
وَيَلْبَسُونَ مِنْ حَدِيدٍ سَرْدَا
وَيُشْرَعُونَ الذَّابِلَاتِ الْمُئَلَّدَا

١ في ب : شوذقاً مفدى ، والشوذق : الصقر ، يصاد به .

وَيَصْرَعُونَ فِي الْحُرُوبِ الْإِسْدَا
وَيَقْنَصُونَ حُمْرًا وَرُبْدَا^١

.

صَادُوا وَصَادُوا مَا يَجُوزِ الْعَدَا
فَمَنْ قَتَى يَقْدَحُ مِنْهُ زَنْدَا
وَحَاطِبٍ طَلْحًا لَهُ وَرَنْدَا
وَمَشْتَرٍ يَوْسَعُ نَارًا وَقَدْ
وَفَاتِحٍ عَنِ لَذَّةٍ مَا سَدَا
عَنْ ذَاتِ عَرَفٍ أَعْرِفَتْهُ^٢ النَّدَا
يَاقُوتَةً تَلْبَسُ دُرًّا عِقْدَا
مَطِيئَةً مِنَ السَّرُورِ تُحْبِي
بِمَسْمَعٍ شَدَّوْا يَثِيرُ الْوَجْدَا^٣
وَقَدْ أَعِيرَ مِنْ فَتَاةٍ نَهْدَا
وَمِنْ قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ قَدْ
فَعَلُ الْهَوَى مِنْ ظَرْفِهِ مُعَدَّى^٤

.....

١ الربد : النعام ، أو ما لونه أربد من الطيور .

٢ في ب : عرفتنا .

٣ في ب : من كف ذي شدو .

٤ في ب : ريم .

٥ في ب : من فعله تعدى . ومعلى أي جعل متعدياً بعد لزومه .

والوردُ في وجنته منسدى
يصونُ منه في لَمَاهِ شَهْدَا
عِشْ "قطعتُ" العِشَ فيه رَغْدَا
مواصلاً منه شَبَاباً صَدَا
كَانَ مُعَارَا ثوبُهُ فَرْدَا

٨٢

وقال يمدح أحمد بن عبد العزيز بن خراسان

هل أنتِ فاديةٌ فَوَادَ عَمِيدِ من لوعةٍ في الصَّدْرِ ذاتِ وَقُودِ
أم أنتِ في الفَتَكَاتِ لا تخشينَ في قتلِ العبادِ عقوبةَ المعبودِ
إن كان لا تنبو سيوفُك عن حشا صبَّ فليس حدادُها بحديدِ
قلْ كيف تعطفُ بالوصلِ لعاشق من لا تجودُ له بِعِطْفَةٍ جيدِ
لو بتَ مغتبقاً مدامةَ ريقها لخشيتُ صارمَ جَفَنها العريدِ
إن شئتَ أن تَطْوِي على ظمإِ فَرْدِ ماءَ المحاسنِ فوقَ وَجْنةِ رُودِ
غيداءُ يُسَقِّمُ بالصلاحِ دَلَّهَا جسمَ العميدِ ، كذاك دلَّ الغيسِدِ
كَتَبَتْ لها وصلاً إشارةً ناظري فمحاها ناظرُ طرفها بصدودِ

١ في ب : عمر لبست .

ولقد يَهيجُ ليَ البكاءَ صباةٌ شادِ مطوقُ آلةِ التَّغريدِ
هانت سوارِي الطلّ تضرب ريشهُ بجواهرٍ لم تَدْرِ سِلْكَ فريدِ
غنى على عودٍ يمينُ به كَمَا غنى التَّقابُلِ مَعْبَدُ في العُودِ
والليل قَوْضَ رافعاً من شبهه بيضَ القبابِ على نجائبِ سودِ
والصبحُ يلقط من جُسمانِ نجومِهِ ما كانَ في الآفاقِ ذا تبديدِ
زُهرٌ خَبَتْ أنوارُها فكأنَّها سُرجُ المَشَاكِي عولجت بِجُمُودِ^١
كَأزاهرِ النّوّارِ تقطفها مَهْأً من كلِّ مخضِرِّ البقاعِ مَجُودِ^٢
كَأسنّةٍ طَمَعَتْ بِها فرسانُها ثم امتسكن عن القنا بكبودِ
كعيونِ عُشّاقٍ أَباحَ لها الكرى مَنْ كانَ عَدْبَ بَهْنٍ بالتَّسْهِيدِ
والصبحُ يبرقُ كَرَّةً في كَرَّةٍ مثلَ استلالِ الصّارمِ المغمودِ
وتفرقت تلك الغياهُبُ عن سنا فلقٍ يُفَلِّقُ هامِها بِعَمُودِ

* * *

إني خبرتُ السّديرَ خُيْبَرَ مُجَرَّبٍ وكلمتُ غارِبَهُ بِحَمَلٍ قَتُودِ
فالخطّ فيه طَوْعُ كَفِّي مُظْلِمٍ بالجهلِ ، من نورِ العلومِ بليدِ
والحمدُ في الأَقْوامِ غيرِ مُسَلَّمٍ إلّا لأحمدَ ذي العلى والجودِ

١ المشاكي : جمع مشكاة وهي الكوة التي يكون فيها السراج .

٢ مجود : مطور .

من لا يجودُ على العفاة بطارفٍ حتى يجودَ عليهم بتلبد
 خرقَ العوائد منه خرقٌ، سببهُ ثرُّ الغنائم موركُ الجلمود
 يأوي إلى شرفٍ تقادمَ بيتهُ أزمانَ عادٍ في العلى وثمود
 مترددٌ في سامياتٍ مراتبٍ والبدْرُ في الأبراج ذو تغريد
 كالشمسِ يبتعدُ في السماء محلّها وشعاعها في الأرض غيرُ بعيد
 يلقي وجوهَ المعتفين بغرةٍ بسامةٍ ويدٍ تسحّ بجود
 ما زال يشردُ عرضه عن ذمةٍ وعطاؤه بالمطل غيرُ شريد
 في ربه روضٌ مرودٌ خصبهُ أبداً مُصاقِبُ منهلٍ مورود
 وكأنما للليل فيه مدارجٌ عند التقاء وفوده بوفود
 سبقَ الكرامَ وأقبلوا في إثره كسنانَ مطرِدِ الكعُوبِ مديد
 متصرفُ الكفّين في شغلِ العلى لم يخلُ من بذلٍ ومن تشيد
 والمجدُ لا تعلّي يداك بناءهُ إلاّ بمالٍ بالندی مهدود
 يا ابن السيادةِ والرياسةِ والعلى وعظيمِ آباءٍ ، عظيمِ جودود
 خذْها كمتنظمِ الجمانِ غرائباً تُروى قصيدتها بكلّ قصيد
 نيطتْ عليك عقودُها ولطالما نُظِمتْ لأجيارِ الملوك عقودي

وقال أيضاً

ولما تلاقينا وأثبّتَ عندها نحولي وتبريحي من الحبِّ ما عندي
 خلعنا على الأجياد أطواقَ أذرعٍ كأنّ لنا روحين في جسدي فرد
 كأنّ عناقَ الوصل لاجمَ بيننا بريحٍ ونارٍ من زفيري ومن وجدي
 ولما أتاني الصبحُ ذُبْتُ ولم تَدُبْ فيا لك من شوقٍ خُصِصْتُ به وحدي

وقال أيضاً ، وقد سأله رجل أديب من الأندلس أن يصف له راقصة على مذهبهم في رقص قيناتهم ، وذلك أن الراقصة منهم تشير بأنمائها ، وهي تغني ، إلى كل عضو ، وما يحلّ به من تعذيب الهوى ، فإن ذكرت دمعاً أشارت إلى العين ، وإن وصفت وجداً أشارت إلى القلب ، وهي مع ذلك تعبر عن تدلل المحبوب وتذلل المحب بما يليق بهما من الاشارات الحسنة والحركات المنبهة على ما أرادت :

وراقصةٍ بالسحر في حركاتها	تقيمُ به وَزْنَ الغناءِ على حدةٍ
مُنْغَمَّةٌ أَلْفَاظُهَا بَرْنَمٌ	كسا معبدًا من عزّه ذلّة العبد
تدوسُ قلوبَ السامعينَ برخصةٍ	بها لَقَطَطَتْ ما لِلْحَوْنِ من العَدّةِ
بِقَدِّ يَمُوتُ الغُصْنُ من حركاته	سكونًا ، وأين الغُصْنُ من بَرّه القُدا
وتحسبها عمّا تشيرُ بأنملي	إلى ما يلاقي كلّ عضوٍ من الوجد
بنا لا بها ما تشتكي من جوى الهوى	وأدمع أشواقٍ مُخَدِّدَةً الحسد

١ البرء : التراءة أو البضاغة والامتلاء . وفي « م » نزعة القد .

وقال يصف الذباب الذي يقع على الإبل

تخريجها : ١ - ٣ في الوافي

ومودع في المطايا لَسْعَةً حمة فيزعج^١ الروح تعذيباً من الجسد
يُغْشِي السوامَ مناقيراً فتحسبها مباضعاً مدمياتٍ كلّ مفتصد
يحكّ من دمها القاني يداً بيدٍ حكّ الظريف بجناءٍ بنانٍ يد^٢

وقال أيضاً يمدح المعتمد

تَنَهَّدَ لما عَن سِرْبِ النواهدِ على بُعْدِ عَهْدٍ بالصبا والمعاهدِ
وَعَطَفُ قلوبٍ من دُمَاهَا بمنطقٍ كفيلٍ بتأنيسِ الطباءِ الشواردِ
ذَكَرْتُ الصبا والحانياتِ على الصبا وهنّ لأجساد الصبّا كالمجاسد^٣
فَبَرَحَ بي شوقٌ إليها مُعَاوِدٌ وناهيك من تبريحِ شوقٍ معاودِ

١ في ب : فيزعج .

٢ في ب : كما تحك بجناء يد بيد ، والوافي : كما تحك محياها يد بيد .

٣ في ب : ونظم الزمان الشمل نظم الفرائد .

على حين لم أركب عتاق صبابتي ولا ذُعِرَت في سِرْبهن طرائدي
متى تصدر الأحلام من غير فتنة ومن غَرَضِ الأحداق^١ بيض الخرائد
لقد رادني روضاً من الحسن ناظري فلي محل جسم جرّه خِصْبُ رائدي^٢
وأصبحت من مسك الدواب ذائباً أما يَقْتُلُ الآسادَ سمُّ الأسود^٣
وإني لنو قلب أبيّ حملته ليحمل عني مثقلات الشدائد
فلا غرو إن لانت لظبي عريكتي أنا صائدُ الضرغام والظبي صائدي
أيا هذه استبقي على الجسم، إنني كثيرٌ سقامي حيث^٤ قلت عوائدي
مُسَاءً بين فرقتنا صروفه عبايد إلا في علو المقاصد
ظلمنا المطايا ظلم أيامنا لنا لكل على الساري به صدر حاقد
تكلفنا المهمات^٥ نيل مرادها ومن للمطايا باتصال الفراق^٦
مقاودها تفني قواها كأنها مكاحل يفنى كحلها بالمراد

١ في ب : ومن عرض الأيام .

٢ رواية ب : سفت عن الروض المتورع زهره فأجذب جسمي حين أنصب رائدي

٣ رواية ب : أذبت بترجيل الذواب لوعة وقد يقتل الإنسان سم الأسود

٤ في ب : حين .

٥ في ب : قدفنا بين حرقتنا .

٦ في ب : تكلفها الأيام .

٧ في ب : في السرى بالفراق .

وليلة أعطينا الحشاشات^١ فضلة
 وقد وردت ماء الصباح بأعين^٢
 فقلت لأصحابي ارفعوا من صدورهما
 إذا نظمت شمل المني بمحمد
 وأضحت لديه معتقات^٣ ومتعت
 همام^٤ يهزّ الملك عطفه كلما
 وأكبر^٥ يأوي من ذوابة^٦ يعرب
 تلاقى الملوك الغرّ حول سريره
 يكفون^٧ أبصاراً لهم عن سميع^٨
 إذا اقتاد جيشاً ساطع النقع أنذرت^٩
 ومن يك^{١٠} بالنصر العزيز مؤبداً

من النوم صرعى بين غُبر الفدافد
 نوائم^{١١} في رأي العيون . سواهد^{١٢}
 فقد رفع الإصباح راية عاقد
 نثرنا على علياه درّ المحامد
 بخضر المراعي بين زرق الموارد
 علا الناس منه كعب^{١٣} أروع ماجد^{١٤}
 إلى ذروة البيت الرفيع القواعد
 فمن راع^{١٥} مغضي^{١٦} الجفون وساجد
 تديم^{١٧} إليه الشمس نظرة حاسد
 طلائع^{١٨} جيش العدو المكابد
 من^{١٩} الله لا ينصب^{٢٠} جبال^{٢١} المكابد

١ في ب : أعطتنا الحشاشات .

٢ في ب : كرائم في ظن العيون شواهد .

٣ في ب : علا البأس منه .

٤ في ب : الملوك الصيد .

٥ في ب : يغضي

٦ في ب : عن ملك .

ومنها في صفة فرس أدهم كان يوثر ركوبه * على غيره

ومنغمس في صبغة الليل يَمَشْطِي إلى آجل الآساد قَيْدَ الأوابد
يَخْتَمُ يَمْنَاهُ قَبِيعةُ صَارِمٍ لما قد طغى من سُنْبُلِ الهام حاصد
يَكْرَ فكم جسم على الأرض ساقطٍ صريعٍ وكم روح إلى الجوّ صاعد
وَأَسْدٍ تصيرُ الأُسْدُ كالبهائمِ عندها إذا ما الظبي خَطَّتْ ربوعَ القلائد
أَطْلَتْ ، وقد حانَ الجِلادُ ، سكونها بقولك للأبطال : هل من مجالد ؟
وردت فكم حظّ من الفضلِ باهرٍ لديك وكم خفضٍ من العيش بارد
ثناؤك في الآفاق أركبني المُنَى وَغَرَبَتِي عَنْ موطني المتباعد
وقد قِستُ أعوامي التي سلفت فما وَفَيْنَ يومٍ من لقاءك واحد

* يبدو أن الضمير في « يوثر » يعود إلى المعتمد لا إلى الشاعر .

١ قبعة السيف : ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد .

وقال أيضاً يمدح المعتمد

أَنْكَرْتَ سُقْمَ مُذَابِ الْجَسَدِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ عَيُونِ الْخُرْدِ^١
 وَبَكَتْ فَالْدَمْعُ فِي وَجْنَتِهَا كَجَمَانِ الطَّلِّ فِي الْوَرْدِ الْوَدِيِّ
 مَا الَّذِي يُبْكِ بِحُزْنٍ ظِيَّةٌ فَتَكَتْ مَقْلَتُهَا بِالْأَسَدِ
 وَالظُّبَاءُ الْخُورُ ، إِمَّا قَتَلَتْ لِحَظَاتِ الْعَيْنِ مِنْهَا ، لَا تَدِي
 غَادَةً^٢ إِنْ نِيطَ مِنْهَا مَوْعِدٌ بِغَدٍ فَرَّ إِلَى بَعْدِ غَدِ
 هَكَذَا عِنْدِي يَجْرِي مَطْلُهَا بِخِلَافٍ^٣ عِنْدَهَا مُطَرِدِ
 وَهِيَ مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ تِيهِ لَهَا^٤ كَبِدٌ تَرْحُمُ^٥ مِنْهَا كَبِدِي
 ذَاتَ عَيْنٍ بِالْهَوَى نَابِعَةٌ ضَلَّ فِي الْحَبِّ بِهَا مِنْ يَهْتَدِي
 وَهِيَ نَجْلَاءُ حَكَاهَا سَعَةٌ جَرَحَهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ مَكْمَدِ
 لَا يَذُوقُ الْمِيلُ فِيهَا إِثْمَدًا مَا لِأَحْدَاقِ الْمَهَا وَالْإِثْمَدِ

١ أي جسده سقيم ، كما أن عيون الملاح سقيمة .

٢ ب : بقياس .

٣ ب : وهي من كبر ومن عجب بها .

٤ ب : أرحم .

٥ ب : ضل والله .

قدفت حبة قلبي^١ في الهوى هل رأيت الجمر في المفتاد^٢
 سحرها وحي بنجوى ناظر ذو نفث للنهي في عقد^٣
 ما لآس في محبة عمّل غير داء الروح داء الجسد^٤
 خفي البرء على الطافه وهو في بعض ثايا العود
 إن في ظلم ظلموم لحنى شهيد ، واهما لذلك الشهد
 ذاب لي بالراح منها برء هل يكون الراح ذوب البرد

* * *

هاتها صفراء ما اخترت لها أفق الشمس على أفق يدي
 خارج في راحتي مقتنص كل هم كامن في خلدي^٥
 جرد المزج عليها صارماً فاتقته بدموع الزبد
 عتقت ما عتقت في خرف برداء القار فيه ترندي
 حيث أبلى جسمها لا روحها مر أيام الزمان الجسد
 ما أطاق الدهر أن يسلبها أرج المسك ولون العسجد

١ في ب : قلبي عتوا .

٢ المفتاد : الموقد .

٣ في ب : للمنى في العقد .

٤ استأنف في الشطر الثاني فقال إن داء الجسد مخالف داء الروح ، ولذلك لا ينفع في الحب عمل الطبيب .

لأنه داء الروح .

٥ في ب : جسدي .

٦ في ب : بدروع .

فأقْصِرْ أَوْطَارَ اللِّذَازَاتِ^١ عَلَى نَقَرِ أَوْتَارِ الْغَزَالِ الْغَرْدِ
فَلْحُونُ الْعُودِ وَالْكَاسُ لَنَا وَالنَّدَى وَالْبَاسُ لِلْمَعْتَمِدِ

* * *

مَلِكٌ^٢ إِنْ بَدَأَ الْحَمْدُ بِهِ خَتَمَ الْفَخْرُ بِهِ مَا يَبْتَدِي
مَعْرَقٌ^٣ فِي الْمَلِكِ مَوْصُولًا بِهِ شَرَفُ الْمَجْدِ وَمَحْضُ السَّوْدِ
مِنْ غَدَا فِي كُلِّ فَضْلٍ أَوْحَدًا ذَلِكَ الْأَوْحَدُ كُلَّ الْعَدَدِ
مِنْ حَمَى الْإِسْلَامِ مِنْ طَاغِيَةٍ كَانَ مِنْهُ فِي الْمَقِيمِ الْمَقْعَدِ
وَكَسَتْ أَسْيَافُهُ عَارِيَةً ذَلَّ أَهْلُ السَّبْتِ أَهْلَ الْأَحَدِ
ذُو يَدٍ حِمْرَاءَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ بِيضَاءُ الْيَسَدِ
تَقْتَدِي الْأَمْلاكَ فِي الْعَدْلِ بِهِ^٢ وَهُوَ فِيهِ بِأَيِّهِ يَقْتَدِي
كَيْفَ لَا يَسْمُو عَلَى النَّاسِ الْعُلَى مُسْتَسْمِدٌ^٣ مِنْ عُلَى الْمَعْتَصِدِ
عَارِضٌ^٢ يَنْهَلُ بِالْوَبْلِ إِذَا كَانَ لِلْعَارِضِ كَفَّ الْجَلْمَدِ
وَهَصُورٌ^٢ بِفَرَسٍ الْقِرْنَ إِذَا جَرَّدَ الْمَرْهَفَ فَوْقَ الْأَجْرَدِ
قَوَّمتْ عَزْمَتُهُ عَنْ نَيْسَةٍ مِنْ مَنَارِ الدِّينِ^٣ مَيْلَ الْعَمْسَدِ

١ في ب : أوطاري ولذاقي .

٢ في ب : بالعدل .

٣ في ب : من منار الدهر .

لا تلمهُ في عطاياه التي^١ إن تَرُمُ منهنّ نقصاً تردد
 فنداهُ البحرُ ، والبحر متى تعصفِ الرّيحُ عليه^٢ يُزْبَدُ
 ومحالٌ نَقْلُكَ الطّبعَ الذي كان منه في كريم المولد
 كم لُهامٍ جرّ في أوْلِهِ رَحْمَهُ فهو له كالمقود
 وليوث صال فيهم فانشؤا وضواربهم له كالنَّقْدِ^٣
 بحسام مطفيءٍ^٤ أرواحهم بشواظ البارق المتقد
 لِغِرَارِيهِ على هاماتهم من شرار القدح ما في الزند
 كم تغنى بالنايا في الطلا ظبناه ، عن أغاني معبد
 وسان مشرّع في صَعْدَةٍ كلسانٍ في فم الأيم الصدي
 في سماء النقع منه كوكب طالعٌ في يَزَنِيٍّ أُمْلَدُ
 أبداً يدعو إلى مأدبةٍ حوُمُ الوحش عليها تغتدي
 يا بني البأس: من الدّمُرُ الذي جاء في كاهل عزم أيد؟
 شيبَ الحرب اقتحاماً بعدما رَبِيَتْ في حجره كالولد
 يرعفُ اللّهمُّ في راحته كلما شمّ قلوب الأُسْدِ

١ في ب : من عطايا راحة .

٢ في ب : تصل الرّيح إليه .

٣ في ب : وضواربهم كمثل النقد ، والنقد : صفار الغنم .

٤ في ب : يصطفي .

سمهريّ أحرقتْ شُعْلَتُهُ
أنت ذاك الأسدُ الوردُ فهل
أعناقُ البُهَمِ استحسنته
وهو برْدٌ أم عِناقُ الجُرْدِ
كلّ روحٍ في غدير الزرد
ينظم الفخر ، وجدوى مجند
وبنات من فصيح مُفْلِقِ
يَشْهَدُ الفضلُ له في المشهد
دمت في الملك لمعنى مادم
فهو بالاحسانِ في ألفاظها
محسنٌ صَيَدَ المعاني الشرْدِ
في بيوتٍ أذنت فيها العلى
لك بالتقريظ في كلّ ند
قد تناهى في عَرُوضٍ فهي لا
يعرضُ الهدْمُ لها في المُسْنَدِ
فإذا أثنتَ عليكم فتفت
لكم مِسْكُ الثَنَاءِ الأبدى
وإذا استحييت من المجدِ أتى
مُعْرِباً عنها لسانُ المنشد

وله في خسوف القمر

[صَدَّتْ وَبَدُرُ التَّمِّ مَكْسُوفٌ بِهِ فَحَسِبْتُ أَنْ كَسُوفَهُ مِنْ صَدِّهَا^١]
 وَالبَدْرُ قَدْ ذَهَبَ الْخُسُوفُ بِنُورِهِ فِي لَيْلَةٍ حَسَرَتْ أَوَاخِرَ مَسَدِّهَا
 فَكَأَنَّهُ مُرَاةٌ قَيَيْنٍ أَحْمِيَّتْ فَمَشَى أَحْمَارُ النَّارِ فِي مُسْوَدِّهَا

وقال في الشيب من قصيدة

قَدَحَ الْمَشِيبُ بِمُفْرِقِهِ زَنَادَا لَا يَسْتَطِيعُ لِنَارِهِ إِخْمَادَا
 وَثَنَتْ مَلِیْحَاتُ التَّلَفَّتِ سَلْوَةٌ عَنْ شَخْصِهِ الْأَلْحَاطِ وَالْأَجْيَادَا
 وَلرَبَّمَا فَرَشَتْ لَزَائِرَ لَحْظِهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ مَحَبَّةً وَوَدَادَا
 إِنْ صَادَقَتْهُ زَمَانٌ صَادَقَهُ الصَّبَا فَهِيَ الَّتِي عَادَتْهُ لَمَّا عَادَى

١ زيادة من المسالك والذخيرة وفيهما مع البيت الثالث .

أَتَرَى بِيَاضَ الشَّيْبِ مَاءً غَاسِلًا فِي الْعَارِضِينَ وَلِلشَّبَابِ سُودًا
بَخَانَتْ سَعَادُ ، وَقَدْ وَفَى لَكَ لَوْنُهَا ، لَوْ خَانَ مَا وَفَى مَلَكْتَ سَعَادًا^١
أَكْثَرَتْ مِنْ ذِكْرِ الْفَتَاءِ وَقَلَّمَا تُعْطِي لَذِي الذِّكْرِ الْفَتَاةُ قِيَادًا^٢

٩١

وقال يصف فرساً

تخریجها : فی الخریدة منها البیتان الثانی والثالث

وَمِنْقَطَعٍ بِالسَّبْقِ مِنْ كُلِّ حَلْبَةٍ فَتَحْسِبُهُ يَجْرِي إِلَى الرَّهْنِ مُفْرَدًا
كَأَنَّ لَهُ فِي أُذُنِهِ مُقْلَمَةً يَسْرَى^٢ بِهَا الْيَوْمَ أَشْخَاصًا تَمَرُّ بِهِ غَسَدًا
تُقْسِدُ بِالسَّبْقِ الْأَوَابِدُ فَوَقَهُ وَلَوْ مَرَّ فِي آثَارِهِنَّ مُقْسِدًا

١ لونها أي البياض ، وفى لك ، وجاء ولم يخلف موعده ، يعني الشيب ، ولو أن هذا الوفي خان ،
لملكت سعاد .

٢ أي قلما تسمح الفتاة لمن يمشي على الذكريات ، أي الذي أصبح شيخاً .

٣ الخريدة : في الأذن عيناً بصيرة .

٤ الخريدة : أشباهاً و ب : أشباحاً .

وقال يمدح الأمير أبا الحسن عليّ بن يحيى

تُفَشِّي يَدَاكَ سِرَائِرَ الْأَعْمَادِ لِقِطَافِ هَامٍ وَاخْتِلَاءِ هَوَادٍ^١
 إِلَّا عَلَى غَزْوٍ يَبِيدُ بِهِ الْعَدَى . اللَّهُ مِنْ غَزْوٍ لَهُ وَجْهَاد
 وَعِزَائِمٍ تَرْمِيهِمْ بِضُرَاغِمٍ تَسْتَأْصِلُ^٢ الْآلَافَ بِالْأَحَادِ
 مِنْ كُلِّ ذِمِّرٍ فِي الْكَرْيَةِ مُقَدِّمٍ . صَالٍ لِحَرْثٍ سَعِيرِهَا الْوَقْدَاد
 كَسَنَادٍ مَسْمُورَةٍ^٣ وَقَسُورٍ غَيْضَةٍ وَعُقَابٍ مَرْقَبَةٍ ، وَحِيَّةٍ وَادٍ
 وَكَأَنَّهُمْ فِي السَّابِغَاتِ صَوَارِمٍ وَالسَّابِغَاتِ لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَادِ
 أَسَدٌ عَلَيْهِمْ مِنْ جُلُودٍ أَرَاقِمٍ قَمُصٌ^٤ أَزْرَتْهَا عَيُونُ جَرَادٍ
 مَا صَوْنُ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ ضَيْمِهِ إِلَّا بِسَيْفِكَ يَوْمَ كُلِّ جَلَادٍ
 وَطُلُوعِ رَايَاتٍ ، وَقُودِ جِحَافِلٍ وَقِرَاعِ أَبْطَالٍ ، وَكَرَّ جِيَادٍ
 وَلَدَيْكَ هَذَا كُلُّهُ عَنْ رَائِحٍ مِنْ نَصْرِ رَبِّكَ فِي الْحُرُوبِ ، وَغَادٍ
 إِنْ اهْتَمَامَكَ بِالْهَدَى عَنْ هَمَّةٍ عَلَوِيَّةٍ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ

١ اختلاء : قطع ؛ الهوادي : الأعناق .

٢ السناد : الناقة الصلبة . والمسورة : الأرض التي يكثر فيها شجر السمر وترعاه الإبل وتسمى التي ترعاه السمرية .

* ورد هذا البيت في الخريدة .

وإقامة الأسطول تؤذنُ بَغْثَةٍ
 والحربُ في حريّةٍ نيرانُها
 ترمي بنفط كيف يُسقي لَفْحُهُ
 وكأنما فيها دخانُ صواعقٍ
 لا تسكنُ الحركاتُ عندكُ إنّها
 وأشدُّ مَنْ قَهَرَ الأعادي مُحَرَّبٌ
 سيثِرُ منكُ العزمُ بأساً مهلكاً
 وغرارُ سيفكُ ساهرٌ لم تكتحلْ
 وزمانُكُ العاصي لغيركُ ، طائعٌ
 ونرى يمينكُ ، والمنى في لثمها ،
 من كان عن سنن الشجاعة والندى
 هل تذكرُ الأعلاجُ سببي بناتِها
 من كلِّ بيضاءِ الترائبِ عادةٍ
 مجذوبةٍ بدوائٍ كأساودٍ
 من كلِّ ذي زبدٍ علته سُفْهُهُ
 ثعبانُ بحريٍّ ، عَضُّهُ بنواجذٍ
 بقيامةِ الأعداءِ والحسادِ
 تطأُ المياهَ بشدةٍ الإبعادِ
 والشمُّ منه مُحَرَّقُ الأكبادِ
 ملئتُ من الإبراقِ والإرعادِ
 لخواتمِ الأعمالِ خيرُ مَبَادِي
 في سلمه للحربِ ذو استعدادِ
 والنارُ تنبعُ عن قِداحِ زنادِ
 عينُ الردى في جَفْنِهِ برقادِ
 لك ، طاعةُ المنقادِ للمقتادِ
 في كلِّ أفقٍ بالجنودِ تُسَادِي
 بنسِ المضلِّ فأنتَ نعم الهادي
 بظُبأٍ جُعِلْنَ قلائدَ الأجيادِ
 تمشي كَغُصْنِ البانَةِ الميادِ
 عبستُ بهنَّ برائنُ الآسادِ
 يَخْرُجْنَ من جَسَدٍ بغيرِ قِوَادِ
 خُلِعَتْ عليه من الحديدِ حِدَادِ

يُسْـبِـدِيْ غِرَابٌ مِنْهُ سَقَطَ حَمَامَةٌ ۚ بِيَاضِهِ فِي الْبَحْرِ جَرَّيْ سَوَاد
وَكَاثِمًا الرِّيحُ الَّتِي تَجْرِي بِهِ رَوْحٌ يَحْرُكُ مِنْهُ جَسَمَ جَمَادٍ
يَا أَيُّهَا الْمَاضِي قَوَاهُ وَحَزْمَهُ وَمُخَالَفَ التَّأْوِيْبِ وَالْإِسَادِ
هَذَا ابْنُ يُحْيَى ذُو السَّمَاحِ جَنَابُهُ مُسْتَهْدَفٌ بِعِزَائِمِ الْقَصَادِ
فَرَّغَ مِنَ السَّيْرِ الرَّذِيَّةَ عِنْدَهُ تَمْلَأُ يَدَيْكَ بِطَارِفٍ وَتِلَادِ
مَلِكٌ مَفَاخِرُهُ تُعَدُّ مَفَاخِرًا لِمَا كَرِهَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادِ
وَمَرَاتِعُ الرُّوَادِ بَيْنَ رُبُوعِهِ مَخْفُوفَةٌ بِمَنَاهِلِ الْوَرَادِ
ثَبَتَ قَوَاعِدُ مُلْكِهِ فَكَأَنَّمَا أَرْسَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْأَطْوَادِ
وَطَرِيدُهُ، مِنْ حَيْثُ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى فِي قَبْضَةٍ مِنْهُ بِغَيْرِ طَرَادِ
وَالْأَرْضُ فِي يُمْنَاهُ حَلِيقَةٌ خَاتَمُ وَالْبَحْرُ فِي جَدَوَاهُ رَشْحُ ثِمَادِ
لَا تَسْأَلُنَّ عَمَّا يَصِيبُ بَرَأْيَهُ وَطَعَانِيهِ بِمَقُومٍ مَتِيَادِ
يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثَّقَبِ الَّذِي يَضَعُ السَّنَانَ مَوَاضِعَ الْأَحْقَادِ^١

١ التأويب : سير النهار ؛ والاساد : سير الليل .

٢ فرغ الرذية : أي أرح الناقة التي هزلت من شدة المشي . والفريغ : الواسع المشي . والمعنى أن الناقة استفرغت مجهودها ، والطباق في فرغ . . . تملأ .

٣ الهناء : القطران ، والنقب - بفتح القاف وسكونها - قطع متفرقة من الحرب ؛ وهو من قول دريد بن الصمة :

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وهو كناية عن سداد الرأي واليد وحسن الإصلاح .

كالبدْرِ يومَ الطَّعْنِ يُطْفِئُ رُوحَهُ
 تَبْنِي سَلاهِبُهُ^١ سَمَاءَ عِجَاجَةٍ
 وَيَرُدُّ سُمْرَ الطَّعْنِ عَنِ أَرْضِ الْعَدَى
 وَسَقُوطَ هَامَاتٍ بِضَرْبِ مَنَاصِلِ
 أَمَّا شِدَادُ الْمَجْرِمِينَ فَعَزُّهُ
 وَالنَّارُ تَأْخُذُ فِي تَضَرُّعِهَا
 يَا مَنْ إِلَيْهِ بَانْتِجَاعِ مُؤْمَلٍ
 أَلْقَيْتُ مِنْ نَيْلِ الْمَنَى عَنْ عَاتِقِ
 مَا لِي بِأَرْضِكَ يَوْمَ جَوْدِكَ مُعَرِّبُ
 إِلَّا قَصَائِدُ بِالْمَحَامِدِ صُغْتُهَا
 خَلَعَتْ مَعَانِيهَا عَلَى أَلْفَافِهَا
 رَجَحَتْ بِقِسْطَاسِ الْبَدِيعِ وَإِنِّهَا
 تَبْقَى كَنَقْشِ الصَّخْرِ وَهِيَ شَوَارِدُ
 رُوحِ الْكَمِيِّ بِكُوكَبِ وَقَادِ
 مِنْ ذُبُلِ الْأَرْمَاحِ ، ذَاتَ عِمَادِ
 وَكَأَنَّهَا فِي صِبْغَةِ الْفِرْصَادِ
 وَصُعُودُ أَرْوَاحِ بَطْنِ صِعَادِ
 أَبْقَاهُمْ بِالذَّلِّ غَيْرَ شِدَادِ
 جَزَلًا ، وَتَرَكُهُ مَهِيلَ رِمَادِ
 مَسْتَمْطِرٌ مِنْهُ سَمَاءَ أَيَْادِي
 فَكَأَنِّي سَيْفٌ بِغَيْرِ نَجَادِ
 بِلِسَانِهِ عَنْ خِدْمَتِي وَوَدَادِي
 غُرًّا تَهَزُّ مَحَافِلَ الْإِنْشَادِ
 أَلْحَانَ أَشْعَارٍ وَنَقَرَ شَوَادِ
 لَخْفِيفَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
 مَثَلُ الْمُقِيمِ بِهَا وَحَدُّ الْحَادِي

١ السلاهبة : جمع سلهب وسلهبة وهو الفرس الذي طالت عظامه .

وقال أيضاً يمدحه

أَمْسَكَ الصَّبَا أَهْدَتْ لِي صَبَا نَجْدٍ وَقَدْ مَلِئْتَ أَنْفَاسَهُ لِي بِالْوَجْدِ
 رَمَانِي بِحَرِّ الشُّوقِ بَرْدٌ نَسِيمُهَا أَحْدَثْتَ عَنْ حَرِّ مَذِيبٍ مِنَ الْبَرْدِ
 وَمَا طَابَ عَرَفٌ مِنْ سَرَاها وَإِنَّمَا تَطَيَّبُ فِي جَنَحِ الدَّجَى بِسُرَى هِنْدِ
 حَذَا بِالْأَسَى شَوْقِي رَوَاحِلَ أَدْمَعِي فَكَمْ خَدَّدَ الْخَدَّ الَّذِي فَوْقَهُ تَخْضُدِي^١
 وَلِي ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ عِنْدَ عَبْرَةٍ تُوَاصِلُ وَدِّي فِي فِرَاقِ ذَوِي الْوَدِ
 أَحِبَّ حَيِّياً نَجْلَ أَوْسٍ لِقَوْلِهِ : « فَيَا دَمْعُ أُنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ »^٢
 نَوَى أَسْلَمَتْ مِنَّا خَلِيّاً إِلَى شَجَى وَوَصَلَاً إِلَى هَجْرٍ . وَقُرْبَاً إِلَى بَعْدِ
 وَأَسَدٍ عَلَى مِثْلِ السَّعَالِي عَوَابِسِ لَهَا لَبَدٌ مِنْ صَنْعَةِ الْخَلْقِ السَّرْدِ
 كُفْسَاةٌ وَغَيْدٌ ، أَهْدَتْ الرِّيحُ مِنْهُمَا لَنَا سَهَاكَ الْمَازِي فِي أَرْجِ النَّدَى^٣
 سَرُوا بِأَلْمَا وَهَنًا وَمِنْ وَرَقِ الظُّبَا كَنَاسَ عَلَيْهَا حُفَّ بِالْقَصَبِ الْمُلْدِ

١ تخدي : تسرع في جريها .

٢ عجز بيت لأبي تمام حبيب بن أوس ، وصدره « وأنجدم من بعد إتهام داركم » . ديوانه : ١٢٧ ط . الحياط .

٣ اقرأ أيضاً : كماء وغيد ؛ والسبك : رائحة متغيرة من لبهم الدروع ، كرائحة صلب الحديد .
 والمآذي : الحديد كله من دروع وبغافر وغيرها .

تدير عيوناً شيبَ بالحسن حُسْنُهَا فله منها ما تُسِرّ وما تبدي
وتحسبُ منها في البراقع نرجساً تخطّ الأسي بالطلّ في صفحة الحد
وكم غادةٍ لا يعرفُ الرثمُ مثلها رمّني بِسَهْمَيّ مقلّتيها على عمد
فريدةٌ حسن ، تُخجِلُ البدرَ بالسّنا ودِ عصّ النقا بالرّدْفِ، والغصنَ بالقَد
إذا عقدت، عَقْدَ الخيول، وشاحها على خصرها المجدول [أوهت] من العقد
مهةٌ تكاد العين من لين جسمها ترى الورقَ المخضّرَ في الحجر الصلّد
يَظِيلُ سُرَى المُشْطِ المُسْرَحِ فَرْعَهَا إذا ما سرى في ليلٍ فاحمه الجعد
وتندى بمفتوتٍ من المسكِ صائِكٍ قديرٍ إلى عصر الشبابِ على ردّ
فلا تكُ منها ظالماً لصفاتها على الثغرِ بالإغريض^٢ والريقِ بالشهد
إذا باتَ قلبي بالصبابةِ عندها ففي أيّ قلبٍ باتَ وجدي بما عندي
وليلٍ هَوَتْ فيه نجومٌ كأنّها يعاليلُ بحرٍ مُضمِرٍ الخزر في المد
كأنّ الثريّا فيه باقةٌ نرجسٍ من الشرق يُهديها إلى مغربٍ مُهْد
أردتُ به صَيْدَ الخيالِ ففاتني كما فرّ عن وَصْلِ المتيسّمِ ذو صد
فكيفَ يصيدُ الطيفَ في الحلم ساهرٌ أقلّ كَرَى من حسّوة الطائر الفرد
أخو عَزَمَاتٍ باتَ يعتسفُ الفسلا بَعِيرَانَةٍ تَرْدِي وخيفانة تَخْذِي

١ صائك : لاق .

٢ الاغريض : الطلع والبرد ، ويوصف به كل أبيض ، والمعنى لا تشبه الثغر بالاغريض والريق بالشهد فذلك ظلم هما .

قفارٌ نجت منها الصَّبا إذ تعلقْتَ حُشاشَتَهُمَا مِنِّي بِحَاشِيَةِ الْبَرْدِ
 وَقَدْ شُقَّ خَيْطُ الْفَجْرِ فِي جَنَحِ لَيْلِنَا كَمَا شُقَّ حَدُّ السِّيفِ فِي جَانِبِ الْغَمْدِ
 وَأَهْدَتْ لَنَا الْأَنْوَارُ فِي أَرْضِ حَمَّةٍ مِنْ ابْنِ عَلِيٍّ غُرَّةَ الْقَمَرِ السَّعْدِ
 هَنَّاكَ أَلْقَى الْمُجْتَدُونَ عَصِيَّتَهُمْ بَحِثِ اسْتِرَاحُوا مِنْ مَطَاوِعَةِ الْكَدِ
 لَدَى مَلِكٍ يُرَبِّي عَلَى الْغَيْثِ جُودَهُ وَيَغْفِرُ مَنْهُ الْبَحْرُ فِي طَرْفِ الشَّمْسِ
 مَنَدَى الْأَمَانِي فِي مَرَاتِعِ رُبْعِهِ وَمُسْتَمَطَّرُ الْجُدَى ، وَمُتَجَعِّعُ الْوَفْدِ
 يَنْبِرُ سَرِيرُ الْمَلِكِ مِنْهُ بِأَرْوَعِ سَنَا نُورِهِ يَجْلُو قَذَى الْأَعْيُنِ الرَّمْدِ
 غَنِيٌّ ، بَلَا فَقْرَ لَذَكْرَى قَدِيمَةٍ ، بِمُفَخَّرِهِ عَنْ مُفَخَّرِ الْأَبِ وَالْجَدِ
 إِذَا السَّبْعَةُ الشَّهْبُ الْعَلِيَّةُ مُثَلَّتْ بِمَنْظُومٍ عَقِيدٍ كَانَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ
 جَوَادٌ بِمَا قَدْ شَتَّتَ مِنْ بَذَلٍ نَائِلٍ وَمَنْ كَرَّمَ مُحَضٍّ ، وَمَنْ حَسَبَ عِدَّةَ
 يَجُودُ ارْتِجَالًا بِالْمَنَى لَا رُويَّةَ فَلَا حُكْمَ تَسْوِيفٍ عَلَيْهِ وَلَا وَعْدَ
 تَعَوَّدَ ظَهَرَ الْحُجُرِ فِي الْحِجْرِ مَرْكَبًا وَمَهَّدَتِ الْعُلْيَا لِسَهْلِ الْمَلِكِ فِي الْمَهْدِ
 وَقَالَتْ لَقَدْ السِّيفُ نَبْعُهُ قَدَّهُ سَتَعْلَمُ مَا يَلْقَاهُ حَدَّكَ مِنْ حَدِّي
 تَرَى الْمَلِكَ يَسْتَخْذِي لَشْدَةَ بَأْسِهِ خَضُوعَ ابْنِ آوَى لِلْغَضْغَضَةِ الْوَرْدِ
 تَقُومُ عَلَى سَاقٍ بِهِ الْحَرْبُ فِي الْعَسَدِ وَمَجْلِسُهُ فِي صَهْوَةِ الْفَرَسِ النَّهْدِ
 وَيَمْتَحُ تَنْفَسَ الْقِرْنِ عَامِلٌ رُمُوحِهِ كَمَا يَمْتَحُ الْمَاءَ الرِّشَاءُ مِنَ الْجُدِّ ٢

١ الحجر : جمع حجرة وهي الفرس .

٢ الجُد : البئر القليلة الماء .

إذا شرع الخطيَّ أغرَى سنانَه
سليلُ الملوك الغر يؤنسُه الندى
وما حَمِيرٌ إلّا الغطارفة الألى
يصولون صولَ الذائدين عن الهدى
وتسلب تيجانَ الملوك أكفُّهُمُ
وحربٍ كأنَّ البأسَ يَسْقُدُ جَمْعَهُمَا
ويقدح ، قرعَ البيض في البيض ، نارها
ضحوكٌ عبوسٌ في مراحٍ ، مُسَقَّلٌ
حشوها على الأعداء بالبيض والقنا
أقول لك القولَ الكريم الذي به
وإن كنتُ عن عليك فيه مُقْصِراً
لك الفخر في جهر المقال كأنما
تولّى عليٌّ عَهْدَ يحيى وبعده
وتوجَّ يحيى قبل ذلك بتأججه
وقال معزّ الدين ذو الفخر لابنه
ولو عدّ ذو علمٍ جدودك لانتهى
وأنت على أعمارهم سوف تغتالي

١ الموضوعون : المنسوج حلقتين حلقتين .

بِكفلكَ سَلَّ الدِّينُ للضرب سيفهُ
سددت بأقنالِ الأسودِ ثُغورهُ
وجيشٍ عريضٍ بالشَّيَاحِ طريقهُ
كَأَنَّ المنايا في الكريهة ألفت
وحربيَّةٍ في طالع السعد أنشيت
جبالٌ طَفَّتْ فوق المياهِ وغِيضَتْ
وَدَهُمٌ بفرسانِ الكفاحِ سوابحُ
فمن كلِّ ذي قوسين يرسل عنهما
وترمي بنفطٍ نارهُ في دخانهِ
وتحسبُ فيه زفرةً من جهنم
عرائسُ أغوالٍ تهادى وإنها
قلوبٌ عداةٍ الله منها خوافقُ
أبوك أصابَ الرشدَ فيها برأيه
وأصبحتَ منه في سجايا مُعَظَّمٍ
ولو كان يُسْتَجَدُّ الغمامُ بزعمهمُ
فلا زالت الأعيادُ تلفيكَ سيِّداً

وأضحى على أعدائه بك يستعدي
وحقَّ بها فتح الثغور من السد
يموجُ كسيلٍ فاض منخرقَ السدِ
على خلقها من خلقه صُورُ الجندِ
فنزائنها للحرب دائمةُ الوقْدِ
بسمر القنا والمرهفات على الأسدِ
تجافيفها في الروع منسدل اللبدِ
سهامَ المنايا فهي مُصْحِيَّةٌ تُرْدِي
به الموتُ محمراً يؤوب بمسودِ
تَصَعَّدُ عن فتيلِ اللوالب بالشدِ
لتُتهدي، إذا صالت، من الموت ما تهدي
كما قلبت فيها الصَّبا عَدَبَ البندِ
وهذا بها رُكْنُ العِدَى أيَّما هَدَا
وحدُّ معاليك التَّعَالِي عن الخدِ
من البحر أضحى منك في المجد يسْتَجَدِي
يهنِّي النَّدَى في صونه رَمَثُ ٣ المجدِ

١ الشياح : القتال ، ومن معانيه أيضاً الجد والحذر .

٢ التجافيف : ما جلل به الفرس ليقية الجراح .

٣ الرمث : البقية من الشيء .

وقال أيضاً يمدحه

أين منّي عَتَبُ أَحبابٍ هجودُ قَتَلُوا [نومي] بإحياءِ الصلودُ
 وخليّ لم تَبِتْ أَحشاؤهُ آه من وصلٍ عن القرب يزود
 وخليّ لم تَبِتْ أَحشاؤهُ وهي بالتبريح لل نار وقود
 قال : كم-تظما من الظلّمِ إلى مَوْرِدٍ لم تَرَوْ منه بورود
 شَيْبَ بالمسك وبالشهد معاً والمساويكُ على ذاك شهود
 أو ترجي نيلَ صَادٍ للمي قلتُ : لولا الماء ما أَوْرَقَ عود
 قال : إن البيض لا تحظى بها أو ترى بيضَ ذوآباتكَ سود
 قلت : عندي يومَ أصطاد المني جَدَعُ يُحْنِكِمُ تَأْنِيسَ الشَّرُود
 كم مُلِيمٍ قد نَضًا ثَوْبَ الصَّبَا عنه ، رَدَّتْهُ إلى الصَّبْوَةِ رُود
 بحديثٍ يُسْحَرُ السحر به يتمناه مُعَاداً أن يعود
 تُنْزَلُ الطيرُ من الجوّ به وَتُحَطَّ العَصْمُ من شَمِّ الرُّيُود
 وَسَبَّيْتُهُ قُضْبٌ في كُشْبٍ مالت الأكفالُ منها بالقُدود
 وثمارُ نَطَقَتْ أوصافها بإشاراتٍ إلى صخر النهود
 عَدَّ بي عن كلِّ هذا إنني لا أرى الدهر لإحساني كَنُود

لي هوى آوي إليه مرحاً غير أني بالنهى عنه حيود
 إن همي همة أسمرها ولها قُمتُ فما لي والقعود
 وفلاة أبداً ظامئة مُشْفِقٌ من قطعها العودُ عنود
 حمل الماء ولا يَشْرِبُهُ فهو للمرؤى به عينُ الحسود
 جُبِشْهُمَا في متنٍ ربح تنبري للسرى بين سيّوعٍ وقتود^١
 في ظلامٍ طَنَبَتْ أكنافُهُ فوق أرجاءٍ وهادي ونجود
 وكأنّ البدر فيه ملك والنجومُ الزُّهرُ حوله وفود
 وكأنّ الشَّهْبَ شُهْبٌ قَيَّدَتْ أَيْدِيًا منها على الجري قيود
 ولقد قلتُ لحادي عيسنا وهي بالبخل عن البخل تجود
 أنجاءٌ تخرق الخرقَ به كابدته منك أم مضغُ الكبود
 فمَنى يَفْلُقُ عن أبصارها هامة الليل من الصبح عمود
 وأرى ما اسودّ من قار الدجى ذابَ منه بلظى الشمس جُمُود
 جالياً أقذاء عين مَقَلَّتْ من حياءٍ حَسَنٍ بَدَرُ السعود
 أروعٌ إن سَخُسَتْ عَيْنُ العلي كَحَلَسَتْهُمَا مِن سناه ببرود
 في رُواقِ المُلْكِ منه مَلِكٌ مُلْكُهُ من قبلٍ عادٍ وُثُود

١ السيوع: الناقة التي أسنلت رعيتهما، والقتود التي اشتكت من أكل القناد، وفي المطبوعة: سبوع وهو جمع سبوع، وقد تقرأ «سبوع وفهود» والمعنى أنه اجتاز أخطار الصحراء وواجه ضواريها. وقد تقرأ «نسوع وقتود» أي راكباً ناقة.

بَسَطَ الكَفَّ بِجودٍ غَدَقِ قُبِضَتْ عَنْ بذله كَفَّ الصَّوْدُ
كَمْ سَبِيلٍ نَحْوَهُ مَسْلُوكَةٍ فَهِيَ لِلْقُصَادِ كَالْأَمِّ الْوَلُودُ
ذُو سَجَايَا فِي الْمَعَالِي خُلِقَتْ كَنْظِيرِ الزَّهْرِ فِي الرُّوضِ الْمَجُودُ
وَأَنَاةٍ أُرْسِيَتْ فِي خُلُقٍ وَمَصُونُ الْعَرَضِ مَبْدُولُ النَّدَى
ثَابِتٌ عِنْدَ الْمَعَالِي فَضْلُهُ مُقَدِّمٌ يَصْطَادُ أَبْطَالَ الْوَغَى
ذُو ابْتِدَارٍ فِي وَقَارٍ كَامِنٍ : لِلسَّطَى الزَّنْدِ وَقُودٌ مِنْ خَمُودِ
أَلِفَتْ يَمْنَاهُ إِسْدَاءَ الْغَنَى وَالْغَنَى تُسَدِّيه يُمْنَى مِنْ يَسُودِ
كَمْ عَفَاةٍ فِي بِلَادٍ نَزَحَتْ فَسَبَّحَتْ مِنْهُمْ أَيَادِيهِ وَفُودِ
مِنْ مَلُوكٍ نَظَّمَتْ مَدَاحَهُمْ فِيقَرَ الْمَدْحِ لَهُمْ نَظْمَ الْعُقُودِ
فِي بَيُوتٍ بُنِيَتْ شِعْرِيَّةٍ لِنِشَاءِ الْمَرْءِ فِيهِنَّ خَلُودِ
كُلِّ رَاسِي الْحَلَمِ حَامٍ مُلْكَةٍ عَادِلِ السَّيْرِ وَافٍ بِالْعُهودِ
أَسَدٍ نَحَسْبُ فِي عَامِلِهِ أَسْوَدًا يَنْهَشُ أَعْضَاءَ الْحَقُودِ
نَشَأُوا فِي مَنَعَةٍ مِنْ عَزْمِهِمْ لِّلْمَعَالِي فِي حَجُورِ وَبَنُودِ
بَيْتٌ مَجْدٍ جَاوَزَتْ أَرْبَعُهُ أَرْبَعُ الشُّهُبِ حُدُودًا بِحُدُودِ

١ أربعة : أي أركانه الأربعة .

يقذف الحرب بجيشٍ لـحِبٍ مُشْرِعٍ الأرماع مقدامِ الجنود
 ذي موازيبٍ حديدٍ فَهَقَّتْ بصيبِ الدم من طعن الكبود
 ونسورٍ تغتدي أحشاؤها من بني الهيجاء للقتلى لحدود
 زاحفٌ كالبحر مدًّا بالصبا بحرور الموت في ظل البنود
 نَقَعُهُ كالنيمٍ ملتفًّا على صَعِقاتٍ من بروق ورعود
 وإذا ما ركعت أسيفه فوق هاماتِ العدى خَرَّتْ سجود
 للمنايا عنده ألسِنَةٌ قلما تَعْمُرُ أفواهَ الغمود
 كلَّ غضبٍ يحسبُ الناظرُ في مَتْنِهِ للنارِ بالماءِ وقود
 ونعوتُ البيضِ حُمْرٌ عنده لِدَمٍ تُكْسَاهُ من قتل الأسود
 وكأنَّ الأثرَ فيها نَمَشٌ كاد أن يَخْفَى بتوريد الحدود
 وكأنَّ الفتكَ فيها أبدأ ذو حياةٍ للعدا منه همود
 دُمٌ لنا يا ابنَ عليٍّ ملكاً في عُلَى ذاتِ سعود وصعود
 ودنا منك بتقبيل الثرى كلَّ قَرمٍ سيدٍ ، وهو مسود

وقال يمدحه

صادتك مهاة^١ لم تُصدِ فلو احيطها شرك^٢ الأسدِ
 من^٣ توحى السحرَ بناظرةٍ لا تُنفث^٤ منه في العقَدِ
 لمياء^٥ تنضحك^٦ عن دُررٍ وبروق^٧ حيا ، وحصي^٨ برد
 يندى بالمسك لراشفه وسلاف^٩ ، القهوة والشهد
 وذمء^{١٠} الليل على طرف^{١١} كترحل^{١٢} روح عن جسَدِ
 ورضاب^{١٣} الماء^{١٤} بفيك^{١٥} جرى في جوهره عرض^{١٦} الصرد^{١٧}
 وكان^{١٨} كلیم الله بدا منه في الأفق^{١٩} بياض^{٢٠} يد
 أسفي لفراق^{٢١} زمان^{٢٢} صبا وركوبي قيد^{٢٣} مَهَا الخرد^{٢٤}
 من كل مطابقة^{٢٥} خلقي بوفاء^{٢٦} سروري أو كدي
 هيفاء^{٢٧} يُعجزها^{٢٨} كفَل^{٢٩} فتقوم^{٣٠} وتقعُد^{٣١} بالرُفد^{٣٢}
 لون^{٣٣} الياقوت^{٣٤} ، وقسوته^{٣٥} في الوجنة^{٣٦} منها ، والكبد
 ولها في جيد^{٣٧} مروعة^{٣٨} حلتي^{٣٩} صاغته^{٤٠} من الغيَد^{٤١}

١ الصرد : البرد الشديد

٢ قاس على قيد الأوابد فقال: قيد مها، وهو يعني به الشباب، الذي كان يعينه على صيد طياء الأنيس .

نَقَضَتْ وَصَلِي بَتِّيْعَهَا ۱
وَأَصَابَ السُّودَ سَهَامٌ إِلَيَّ
عَجَبِي لِإِصَابَةِ مُرْسَلِيهَا
يَا نَارَ نَشَاطِي أَيْنَ سَنَا
زَنْدِي وَلَدَتِكَ ، وَقَدْ عَقِمَتْ
أَحْيَيْتِ بَذَكْرِي مَيِّتَ صَبَا
وَطَلَبْتَ الضَّدَّ لِأَوْجِدَةٍ ۲
وَلَوْ أَنَّ كَرِيمًا تَفْقَدُهُ
أَذْهَبْتُ الْحُزْنَ بِمُذْهِبَةٍ
وَلَقَدْ نَادَمْتُ نَدَامِي الرَّاحِ
بِمَعْتَقَةٍ قَدُمْتُ فَأَتَتْ
سُبَيْتَ بِسُيُوفٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَإِذَا مَا عُدَّ لَهَا عُمُرٌ
يُطْفَوُ فِي الْكَاسِ لَهَا حَبِيبٌ
وَإِذَا مَا غَاصَ الْمَاءُ بِهَا

١ التتبع بالهجر : اللجاج والامعان فيه .

٢ المفتاد : موقد النار .

٣ السقط : الشرر وفيه تلاعب لفظي لأن السقط أيضاً هو الذي يولد لنير تمام .

ونفيتُ الحسمَ بنتَ الكر م ونقرِ العود ، فلم يعدِ
ولبثُ مُشَنَّفَةٌ أذني بترنم ذي النغمِ الغرد
فالآن صدتُ كسدي حذرٍ عن وردِ اللهو فلم أريدِ
وطردتُ منامَ الغيِّ عن الـ أجفانِ بإيقاظِ الرشد
ونقضتُ عهدَ الشربِ فلا ودَّ أصفيه لأهلِ ددٍ^١
لا أشربُ ما أنا واصفه فكأنِّي بينهمُ قَعَدِي^٢
ونَقَلْتُ بعزمي من بلكِ قَدَمَ الإسرائِ إلى بلدِ
في بطنِ الفلكِ مصارعةً زَمَنِي ، وعلى ظَهْرِ الأُجْدِ^٣
ووجدتُ الدينَ له حسناً سَنَدًا فلجأتُ إلى السندِ
صَمَدَ اللاجونِ إلى مَلِكِ منصورٍ بالأحدِ الصمدِ
كالشمسِ سناها مُقْتَرِبٌ وذراها منك على بُعْدِ
وإذا ما آنسَ منه سناً مَنْ ضَلَّ بجَنحِ الليلِ هُدًى
خُصَّتْ بنوالِ شيمتهُ عَجَلٍ ، وكلامِ مُشَدِّدِ
لا وَعِنْدَ له بالجودِ وَمَنْ يبدأ بعطاءٍ لا يَعِدِ

١ الدد : اللعب واللهو .

٢ القعدي من الخوارج الذي يرى القعود عن الحرب ويرضاها لغيره ، والمعنى من قول أبي نواس :

فكأنِّي وما أزين منها قعدي يزِين التحكيما

٣ الأجد : الناقة القوية .

وَبَيْنِيَّةٍ شَهْمٍ مُنْتَصِرٍ لله جميلِ الْمُعْتَقَدِ
فِيصُونُ الْعَرْضَ بِمَا بَدَلَتْ للوفد يداه من الصَّفَدِ
وَيَسْدُ الثَّغَرَ ، وَسِيرَتُهُ تجري في الملك على سَدَدِ
وَيَسْلُ ظُبَاهُ بِكُلِّ وَغَى ويسيلُ نَسْدَاهُ بِكُلِّ يَدِ
وَتَرِيكَ الْيَوْمَ بِصِيرَتُهُ ما يُخْفِي عَنْكَ ضَمِيرُ غَدِ
وَلَهُ هَمٌّ تَبَنَّى رُتَبًا خُصَّتْ بِعَلَاءٍ مِنْفَرِدِ
إِلْهَامَ الدِّينِ وَحَامِيَهُ قَوْمٍ بِسُطَاكِ ذَوِي الْأَوَدِ
فَتَّ السَّبَّاقَ بِمَا كَحَلُّوْا بَغِبَارِكَ عَيْنًا فِي الْأَمَدِ
وَالرَّيْحُ وَرَاءَكَ عَائِثَةٌ فِي الْأَيْنِ تُكَبِّ وَفِي النُّجُودِ
نَصْرٌ أُيِّدَتْ بِهِ ظَفَرًا وَالسَّاعِدُ يُنْجِدُ بِالْعُضْدِ
يَا غَيْثَ الْمَحَلِّ بَلَا كَذِبٍ وَشَجَاعَ الْحَرْبِ بَلَا فَنَدِ
لِحَظَاتِ أَنْاتِكَ جَانِبُهَا أُرْسَى فِي غِيظِكَ مِنْ أَحَدِ
وَلَوْ أَوْكَ تَقْدُمُ هَيْبَتُهُ بِعَدِيدِ يُلْبِكُ فِي الْعُدَدِ
وَكَأَنَّ عَدُوَّكَ ، خَافِقُهُ بِجَنَاحِ فَوَادٍ مَرْتَعَدِ
إِنْ كُنْتُ قَصَرْتُ مُحِبَّةً بِسَهْمِ الْمَحْكَمِ ذِي الْجُدَدِ^٢

١ أي يميز حصره فيختلط أمره على من يريد عده .

٢ محبرة : يعني قصيدته ؛ التسليم : التخطيط ، الجدد : الطرائق في الثوب .

فالعذبُ يَجِلُّ بقلته وعليه عماد المعتمد
 وأجاجُ الماء بكثرته لا ريّ به لغليل صد
 والشعرُ أجدتُ بمعرفتي تأنيسَ غرائبهُ الشُّردُ
 لو شئتُ لقلتُ لقافيةٍ في الوزن تحبّ إليك : خدي¹
 بصقيلِ اللفظِ مُنقَّحِهِ لا سمعَ يمرّ به بصَدٍ²
 لا زيفَ به فريكَ قذّي في عَيْنِ بصيرةٍ منتقد
 لا يسمعُ فيه مستمعٌ زفواتٍ أسيّ كالمنتقد
 فصفيرُ البلبلِ مُطَرَحٌ في الأيكنِ له صوتُ الصُّردِ
 تستحبُّ عودهَ منشده وتقولُ إذا ما زادَ : زدِ
 فبغامُ الرئمِ حلاوتهُ ، وجزالتُهُ زارُ الأسدِ
 وبذلةِ أهلِ السبتِ قضَى ويذلّ له أهلُ الأحَدِ
 فأنصرُ وافخرُ وأدِرُ وأشِرُ وأبِرُ وأجِرُ وأغِرُ وسُدِ

١ خدي : أمر من وخذ ، والوخد نوع من السير السريع
 ٢ أي ليس سمع مر به هذا اللفظ بصد ، والباء زائدة في جواب لا .

وقال يرثي الشريف الفهري علي بن أحمد الصقلي

أذا البدرُ يُطَوَّى في ربوعِ البلى لَحْنُدا
كسوفٌ وهدىٌ تحسبُ الدهرَ منهما
تولّى عن الدنيا عليّ بن أحمدٍ
حملنا على التكذيبِ تصديقَ نَعْيِهِ
وقال لمن أدّى المصائبَ مُعَنَّفٌ :
إلى أنْ نَعاهُ الدَّهْرُ ملءَ لسانِهِ
هنالكَ خَضُّنا في العويلِ ولم نَجِدْ
وقال الوري ، والأرضُ مائدةٌ بهم ،
أرى الشرفَ الفهريّ يبكي ابنَ بيته
فيا معشراً حشّوا به نحو قبره
حملتمْ على الأعوادِ مَنْ قَدِ حملتمْ
لقد دفعتْ أيديكمْ منهُ للبلى
أم الطودَ حطّوا في ثرى القبرِ إذ هُدّا
لعين وأذن : ظلمةٌ مُلِئَتْ رعدا
وأبقى لها من ذكره الفخرَ والحمدا
وَسُدَّتْ له الأسماعُ وانصرفتْ صدّا
فظيحٌ من الأنباءِ جئتَ به إذا
ومن ذا الذي يُخفي من الرزءِ ما أبدى
على الكره ، من تصديق ما قاله بُدّا
أَمِنْ سِيرها في الحشرِ قد ذكرت وعدا
عليّاً ، أما يبكي فتى راضعَ المجدا
مطيّةَ حَتَفٍ فوقَ أيديهمْ تُحدى
فكلّ جلالٍ قد وجدتمْ له فَتَقْدّا
بدأً بجديد العُرفِ كانتْ لكم تندى

تَجَمَّعَتِ الْأَحْزَانُ فِي عَقْرِ دَارِهِ
وَسُدَّ عَنْ الْعَافِينَ مَهَيِّعُهُمْ إِلَى
فَقْلٍ لِبَنِي الْأَمَالِ أَخْفَقَ سَعْيُكُمْ
وَكَمْ مِنْ ظَبَاءٍ بَعْدَ غَارِ عِزِّهِ
لَتَبِكْ عَلَيَّا هِمَّةٌ كَرَمِيَّةٌ
وَمَلْتَحَفٌ بِالْأَثَرِ أَصْبَحَ عَارِيًّا
وَأَسْمُرُ خَطِيَّ أَمَامَ كَعُوبِهِ
وَحَصْدَاءُ^١ فَوَلَاذِيَةُ النَّسَجِ لَمْ تَزَلْ
وَأَجْرَدُ يُبْكِي الْجَرْدَ يَوْمَ صَهِيلِهِ
وَدَاعٍ دَعَا لِلْمَعْضَلَاتِ ابْنَ أَحْمَدٍ
وَنَاهِيكَ فِي الْإِعْظَامِ مِنْ مَاجِدٍ بِهِ
حَيَاةٌ نَعَمٌ الْأَوْلِيَاءَ هَنِيئَةً
وَقَسُورَةُ الْحَرْبِ الَّذِي يُرْجِعُ الْقَنَا
وَفِي بَنْصَحِ الْمَلِكِ مَا ذُمَّ رَأْيُهُ
وَمَا يَسْتَطِيرُ الْحَلْمُ فِي حَلْمِهِ وَلَا
إِذَا عَلِمَ^٢ بِالنَّارِ أَعْلِمَ رَأْسُهُ

١ الحصداء : الدرع المحكمة .

أَلَا فَجِئْتَ أَبْنَاءُ فَهَرِ بِأَرْوَعِ
 فَلَا قَابِلُ هَجْرًا ، وَلَا مَضْمَرٌ أَذَى ،
 إِذَا مَا عَدَا مَعَ قُرْحِ السَّبْقِ فَاتَهَا
 وَمَا قَصَرَ اللَّهُ الْمَدَى إِذْ جَرَى بِهِ
 وَلَكِنْ حُدُودُ الْعِتْقِ تَجْرِي بِسَابِقِ
 نَمَاهُ مِنْ الْأَشْرَافِ أَهْلُ مَفَاخِرِ
 إِذَا وَقَفَ الْأَبْطَالُ عَنْ غَمْرَةِ الرَّدَى
 وَتَحْسَبُهُمْ قَدْ سُرُّبَلُوا مِنْ عِيَابِهِمْ
 فَمَا عُدَّ أَهْلُ الرَّأْيِ وَالْبَاسِ وَالنَدَى
 إِذَا جُمِعَتْ هَذِي السَّجَايَا لِأَوْحَدِ
 فَمَا ظَنِّكُمْ فِي وَصْفِنَا بِمَمْلَكِ
 عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ بَكْتَهُ كِرَائِمُ
 يَسْتَحْنُ مَعَ الْأَشْجَارِ نَوْحَ حَمَائِمِ
 وَكَمْ فِي مَدِيمَاتِ الْأَسَى مِنْ خَبِيئَةِ
 فَلَوْ رُدَّ مِنْ كَفِّ الْمَنِيَةِ هَالِكُ
 إِذَا انْتَسَبُوا عَدَّوَا لَهُ الْحَسْبُ الْعَدَا
 وَلَا مَخْلَفٌ وَعَدًّا ، وَلَا مَانِعٌ رَفْدَا
 وَجَاءَ بِفَضْلِ الشَّدِّ يَنْتَهَبُ الْمَعْدَى
 وَلَا مَدَّةً فِيهِ لِلَسَّابِقِ فَاْمَتْدَا
 فَلَا طَلَقٌ إِلَّا أَعَدَّ لَهُ حَدًّا
 يُدِيرُونَ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَةً لُدًّا
 مَشَى بِأَسْهُمِهِمْ نَحْوَ الْحَتُوفِ بِهِمْ أُسْدَا
 سَيْوَفًا ، وَسَلَّوَا مِنْ سَيْوِفِهِمُ الْهِنْدَا
 وَإِنْ كَثُرُوا إِلَّا وَوَفَّى بِهِمْ عَدَا
 فَمَا الْحَقُّ إِلَّا أَنْ يَرَاهُ الْوَرَى فَرْدَا
 يَكُونُ عَلِيًّا ذُو الْمَعَالِي لَهُ عِبْدَا
 تَذِيبُ قُلُوبًا فِي مَدَامِعِهَا وَجَدَا
 تَهَزُّ بِهَا الْأَحْزَانُ أَغْصَانَهَا الْمُتَلَدَا
 مَعَ الصَّوْنِ أَبْقَى الدَّمْعُ فِي خَدَّهَا خَدًّا
 بَنُوْحَ بَنَاتٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رُدَّا

مضى بمضاءِ السيفِ جُرْبَ حَدّه
 وما ماتَ مُبْقِي أَحْمَدٍ ومحمّدٍ
 بَنَى لهما مجدينِ يَحْيَى بعِزّةٍ
 بدأ منهما حزمٌ يسيرٌ تَمَامُهُ
 ومن لحظته عينٌ يحْيَى برفعَةٍ
 فيا ساكنَ القبرِ الذي ضَمَّ تُرْبُهُ
 لئن فَاحَ طيبٌ من ثراهُ لَنَاشِقٍ
 وَقَيْتَ جلالَ الخطبِ، ما جلَّ خطبه،
 ورحمتَ بعضِ الرّوحِ فيك مودّعاً
 رثيتكَ حزناً بالقوافي التي بها
 وما المدحُ إلّا كالثويّ نسامعٍ
 ودنياكَ كالخرباءِ ذاتُ تلونٍ
 أردنا لكَ الدّنيا القليلَ بقاؤها
 فلا بَرَحَتْ ، من رحمةِ الله دائباً
 فألنّفي في أفعاله جاوزَ الحدّ
 فإنّهما سداً المكانَ الذي سداً
 وإن كانَ مجدُّ واحدٌ لهما هُداً
 وقد يثقبُ النّارَ الذي يقدحُ الزندا
 فقد ركبَ الأيّامَ واستخدمَ السّعدا
 شهيداً كأنّ الموتَ كانَ له شهدا
 ففخرُكَ فيه فتقّ المسكِ والنّسدا
 وقمتَ كريمَ النّفسِ من دونه سداً
 بمؤنسةِ العوَادِ زُرْتَ بها اللّحدَا
 مدَحْتُكَ وُدّاً ، فاعتقدتَ لي الودّا
 ولكن بذكرِ الموتِ عادَ له ضدّا
 ومُبَيِّنُضّها في العينِ أَصْبَحَ مسودّا
 وربّكَ في الأخرى أرادَ لك الخلدَا
 تزورُ ندى كفّيكَ، في قبرِكَ الأنّدا

وقال أيضاً

لا تُخْرِجِ الشَّيْءَ عَنْ شَيْءٍ يُوَافِقُهُ واقصدُ بأمرِكَ في التدبير مقصدهُ
نالدمنُ فيه لنبتِ الأرضِ مصلحةُ ولو خلطتَ به الكافورَ أفسدهُ

[وتوجه] عبد الجبار من صقلية إلى إفريقية سنة إحدى وسبعين
وأربعمائة وهو في سن الحداثة وصحب العرب ، وأشعارها
تعرب عن نفسها إذا أثبتت في مواضعها [كذا] فقال :

تخرجهما : في الحريدة منها البيت التاسع ،
وفي الطراز : ٢٢٦ الأبيات ٤٠١ - ٩

إني لأبسطُ للقبولِ إذا سَرَتْ خدِّي وألقاها بتقبيلِ اليَدِ
وأضمُّ أحنائي على أنفاسها كيما تُبَرِّدَ حرَّ قلبِ مُكَمِّدِ
مَسَحَتْ كِراقِيهَ عليَّ بكفِّها ونقابُها نَدُّ من الزَّهرِ النَّدِي
وعرفتُ في الأرواحِ مسراها كما عَرَفَ المريضُ طبيبَه في العُودِ

ما لي أطيلُ عن الديارِ تغرباً أقبالِ تغربٍ كانَ طالعُ مولدي
أبدأُ أبَدَدُ بالنوى^١ عزمي إلى أملٍ بأطرافِ البلادِ مُبَدَّدُ
كم من فلاةٍ جُبَّتْهَا بنجيصةٍ عن منسمٍ دامٍ وخطُسمٍ مزبدٍ
أبقى الجزيلُ^٢ لها جميلَ ثنائه في العيس موصولاً بقطع الفدقد
ضربَت مع^٣ الأعناقِ أعناقَ الفلا بحسامٍ ماءٍ في حشاها مغمسد

٩٩*

وقال عبد الجبار : صنع لنا الشاعر أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي
باشييلية نزاها في الوادي شهدها جماعة من الشعراء والأدباء والمغنيين فأقمنا بها
من بكرة إلى العشي فبرد الهواء وهبَّت ريح لطيفة النسيم صنعت في الماء حبهكاً
جميلاً فقلت عند ذلك للجماعة : أجزوا

١ الطراز : بالوى .

٢ الطراز : أبدى الدليل .

٣ الخريدة : لدى .

* انظر النفع ومعاهد التنصيص : ٢٢٢ وبدائع البداهة : ٣٧ . وروى ابن ظافر بسند متصل بأحمد
ابن عبد الكريم بن مقاتل الصنهاجي أن أبا محمد بن حمديس قال : كنا مع المعتد بن عباد بحمص الأندلس
فمر على أضاة قد راح عليها الصبا ، فأنبت على وجه الماء مثل الزرد فقال : « نسج الريح على الماء
زرد » وطلب الإجازة من شعرائه فلم يجبه أحد فقلت أنا : أي درع لقتال لو جمد ، فاستحسن
ذلك مني وكنت وقت الإنشاد رابعا فجعلني ثانياً وأمر لي بجائزة سنية . قال ابن ظافر : والحكاية
الأولى منصوطة في ديوان ابن حمديس « الذي دونه لنفسه » وهو موجود في أيدي الناس . قلت
انظر مطلع القصيدة رقم ٧٧ فإنه شبيه بما جاء في هذا الموضع .

حاكت الريح من الموج زرد

فأجاز هذا القسم كل إنسان بما سنع في خاطره ، وكان في القوم الشاعر
أبو تمام غالب بن رباح ، الغالب على اسمه الحجاج ، فلما سمع ما أتى به كل
واحد منهم قال : لم يصنعوا شيئاً ؛ ثم التفت إلي وقال : كيف قلت أنت
يا أبا محمد ؟ قلت :

حاكت الريح من الموج زرد

فقال مجيزاً :

أي درع لقتال لو جمـد

فلم نحفظ لأحد منهم مع هذا شيئاً ؛ ومن أهل الأندلس من يثبت هذا البيت لأبي
القاسم بن عباد المعتمد ولم نسمع به ، وقد وقع لي مثل هذا في صفة زراقة الماء وهو :

ولربما سلّت لنا من مسائها سيفاً وكان عن النواظر منغمداً

طبعته بلحياً فذابت صفحة منه ونو جمدت لكان مهنداً

وأبو تمام كان يغير عليّ في المعاني وأنتزعها منه وينتزعها مني ، بوجه من
الوجوه ، التي تسلم المعنى لقائله ، وسيأتي ذلك في موضعه .

١٠٠

وقال في مثل ذلك [أي في الشيب]

وجدت النوى إذ فقدت الشباب فيا ليتني لم أكن فاقده

فصرت أحاول صيد الحسان وأتعب فيه بلا فائده

وحال أثافيك مختالة إذا ما عديمت لها واحده

وقال يمدح المعتمد

جلا مُحيّاكَ عن أبصارنا الرّمدا وقربَ الله من مرآكَ ما بَعُدَا
وجاءَ بِحِمْلٍ مِنْكَ الطَّرْفُ أربَعَة ¹: البدرَ والطودَ والدّمَاءَ ² والأَسدا
تَكَادُ تَبْذُلُ عَيْنُ المِرْيَةِ أَسْوَدَهَا في نَظَرَةٍ مِنْكَ تنفي الهم والكَمدا
كلُّ مِسْرٍ بِوَجْهِهِ في أَسْرَتِهِ نورٌ إذا ما رماه أكبرُ سَجدا
ظُبَاكَ بالردِّ عن دين الهُدَى انْفَرَدَتْ وأنتَ ما زِلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُنْفَرِدا
ليثٌ تَخَالُ سِوْفًا في بِرَائِثِهِ وتحسبُ الرِّغْفَ ³ منه الشَّعْرَ واللبدا
كَأَنَّ أَجْفَانَهُ في الحربِ قد وردت مع الدّمَاءِ من الهنديِّ ما وردا
لشِدَّةِ البأسِ في يَمَانِهِ ، ضَرْبَتِهِ ⁴ إنْ أَسْكَرَ السِّيفُ مِنْهَا بِالنَّجِيعِ شِدا
وللردينيِّ يَوْمَ الطَّعْنِ عَالِيَةً تَلُوكُ بَيْنَ حِشَا الضَّرْغَامَةِ الكَبِدا
فَالدِّينُ مَعْتَمِدٌ مِنْهُ عَلَى مَلِكٍ يَمْسِي وَيَضْحِي عَلَى الرَّحْمَنِ مَعْتَمِدا
كَأَنَّ شُهْبَ رَجُومٍ في أَسْنَتِهِ يَرُدِّي بِهَا مِنْ طَغَاةِ الْكُفْرِ مِنْ وَردَا
وَكَلَّمَا عَقَدَ الرِّايَاتِ مَعْتَرِماً حَمَلَتْ أَيَادِيهِ مِنْ آرَائِهِ عُقُودَا

١ الدماء : البحر .

٢ الرغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة .

٣ في « م » مرتبة ، ولعل ما أثبتته هو الصواب .

شهم صبورٌ إذا ما القرمُ زاحمهُ
وقرَّح بكِماءِ الرّوع مُقَدِّمَةً
إذا تُبَيَّنُ سماءٌ عن عجاجتها
من كلِّ ذِمِرٍ من الفولاذِ غاصَ به
يَسْطُو بعُضْبٍ إذا ما هَزَّ مَضْرِبَهُ
لا يشربُ الرّوحَ من جُشمانِ ذي زردٍ
أَسَلْتُ سَيْلَ نَجِيعٍ من عِدَاكَ بهم
يا مَنْ عليه مَدَارُ المَكْرَماتِ وَمَنْ
ظارتُ إِلَيْكَ بنو الآمالِ وانتشقتُ
فما انحرَفَتْ بَراجٍ عن بلوغِ مُنى
لا نأَيَ لي بَتْنائِي السَّيرِ عن بِلْسَدِي
بُدَلْتُ من معشري الأَدْنينِ معشرها
وكم حوى التُّرْبُ دَوْنِي من ذَوِي رَحْمِي
ولم يُسِرَّنِي من مَثْواكَ مَوْتُ أَبِي
وما سَدَدَتْ سَبِيلِي عَنْ لِقائِهِمْ
وحسنَ بَرٍّ إذا فاضَتْ حِلَاوتُهُ

مزاحماً في كفاحٍ ظنَّهُ أَحَدًا
كَأَنَّهُنَّ سَعَالٍ تَحْمِلُ الأُسْدَا
كانت لهُم سَمَهِياتُ القنسا عَمدا
يُجَمِّدُ القَرُّ مِنْهُ فَوْقَهُ زَبِدا
يَوْمَ الضَّرَابِ لِعَيْنِي سَاهِدٍ رَقَدا
حَتَّى يَرى الحَدَّ مِنْهُ يَأْكُلُ الزَّرَدا
في الأرضِ مِنْهُم فغادرتُ الثرى عَمِدا
بِعَدْلِهِ ' كلِّ مَضْطَرٍّ لَهُ سُنِدا
من ذَكَرَكَ النَّدَّ واستشفينِ مِنْكَ يدا
ولا تَرَكْتَ لَصَادٍ بِالْعِطاءِ صَدا
فقد رَضِيتُ بِحَمَصٍ بَعْدَهُ بِلَدا
لا فَرَّقَ اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدا
وما مَقَلْتُ لِبُعْدِي مِنْهُمُ أَحَدا
وقد يَقلُّلُ مَوْتُ الوالِدِ الوَلِدا
لَكنْ جَعَلْتُ صِفادِي عَنْهُمْ الصَّفَدا^٢
على فَوادِيٍّ مِنْ حَرِّ الأَسَى بَرِدا

١ في م : لا باب لي تنأث السيور ؛ وهو مصحف ، وقد اخترت من القراءة ما يقارب هذا الشكل .

٢ الصفا : القيد ، الصفا : العطاء .

وقال من قصيدة تهنته بسلامة المعتمد أبي القاسم بن عباد وقد ورد عليه
كتابه بما فتح الله عليه وظهور المسلمين على الروم وفرار الفئش
ليلاً بعد قتل كماته ومن كان يعول عليه من صناديده

الآن أفرخ روع كل مهيد
إن كان نصر الله فتح بابيه
وافتاد حزب الله نحو عدوه
في جحفل يعلمو عليه قنائه
صدمت جفون الفئش منه بمفعم
وكانما احتطب العلوج وساقهم
صدعت كتابه الظبا حتى إذا
في ليلة لبست لتستر شخصه
أمسى يكذب مائناً في ظلمة
ولتى ، يحاكي البرق لمع مجرد
يعلو الجواد به على فرسانه
وأعز دين محمد بمحمد
فأبوك بادر قرعه بمهند
فالحرب تجدع معطيس المتمرد
كبخار أخضر بالعواصف مزبد
بالأسد في غيل القنا المتأود
بحريق ضرب بالصوارم موقد
همت به أعطى قذال معرد
عنا فلم تلاحظه عين الفرقد
خفرتة فهي لديه بيضاء اليد
والرعد في حذر تحمحم أجرد
صرعى كأنهم نشاوى مرقداً

١ المهيد : المفزع الخائف .

٢ المرقد : شيء يشرب فينوم من شربه ويرقده .

من كل ذي سكرين من خمر ومن حدّ لذي فتكٍ عليه معربد
تُبسّنى الصّوامع من روّوسهمُ بما كانت على هدم الصّوامع تغتدي
والحربُ من بيضِ الذكور كأنّما باضتُ بهنّ رقائدُ في الفدفد

هذا ما تعلق بحفظ عبد الجبار من القصيدة .

١٠٣

وقال أيضاً يرثي القائد أبا الحسن علي بن حمدون الصنهاجي

بكى فَقَدْكَ العزّ المؤيدُ والمجدُ وناحتُ عليك الحَرْفُ والضميرُ الجرد
وقد ندبتك البيضُ والسمرُ في الوغى وعدّ ذلك التأييدُ والحسبُ العِدّ
وما فقدت إلاّ عظيماً وفقدُ به بين أحشاءِ العلى يُوجدُ الوجد
وكنتَ أمينَ الملكِ حقاً وسيفه ومن حسّساتِ البرّ كان لك الغمد
وأنتَ ابن حمدونَ الذي كانَ حمده يُعبّرُ عن ناديه في عرفه النصد
همامٌ إليه كانَ تقربُ غربتي يبرزُ خفيفٍ بين أخفافِها الوخذ
بأرضٍ فلا تَنكِرُ الأُسْدُ وحشَها ويرتدّ في اللَّحْظِ العيونُ بها الرمد
وناجيةٌ تنجو بهم همومهم تولّى بها عن جسمها اللحم والجلد

قتل الأمانى من عليّ ولم أزل
 بكيت عليه والدموع سواكب
 وذلك قليل قدّره في معظّم
 فلو صحّ في الدنيا الخلود لما جد
 ومختلف الطعمين من طبع عادل
 وقد كان في عليائه مترفعاً
 وكان أبيعاً ذا أباد غمامتها
 وحل الردى من كفه عقده راية
 وما هو إلا حازم ذو كفاية
 تقدّم من صنهاجة كلّ مقدّم
 بأيديهم نور البنفسج في ظبّا
 وقد لبسوا من نسج داود أعيناً
 يسدونّ خلاّت الحروب إذا طمّت
 ويقتادهم منه شهامة قائد
 جواد عميم الجود ، بيت عطائه
 مُفدّى لديه ، حيث يعذب لي الورد
 تحدد من طول البكاء بها الخلد
 له حسب ما ان يعدّ له عدّ
 لأبقيّ فيها ثمّ صحّ له الخلد
 فطعم له سمّ وطعم له شهيد
 يلين به الدهر الذي كان يشتدّ
 ندى ماجد في قبره قبّر المجيد
 ومن كفّ ميمون لها جدد العقد
 يناقض هزل الرّوع من بأسه الجدد
 فريسته من قرنيه أسدّ ورد
 ينور من نار ، لها حطّب الهند
 مُداخلة خصوصاً هي الحلق السرّ
 بشوك الردى حتى كأنّهم السدّ
 به جملة الجيش العرم تعتدّ
 لقاصده بالنيل طيّبته القصد

له همّةٌ في أفقها فرقديةٌ كواكبها زُهرٌ أحاطَ بها السَّعدُ
 وأثبتَ للعلياءِ منهم قواعداً لأعدائِهِ منها قواعدُ تنهَدُ
 أرى يُمْنٌ ميمونٍ تعاظَمَ في العلى بنيلِ مَعَالٍ لا يُحدّ لها حدّ
 وهمّةٌ يحيى شرفه بخلسةٍ بها يُسَعَفُ المولى ويتهجُّ العبدُ
 كأنّ نُضاراً ذائباً عمّ جسمها وإنّ رامَ حُسناً في العيون له حمدُ
 وما مُطَرَفٌ إلّا أُنْبِي بحُرْمَةٍ عُبَابُ خضمّ حُلٍّ عن حشره المدُ
 إذا أعملَ الآراءَ عَنّ له الهدى سدادٌ هو الفتحُ الذي ما له سدُ
 يروحُ ويغدو في المنى ، وحسودُهُ بعيدُ رشادٍ : لا يروحُ ولا يغدو
 ومن حيثُ ما ساورتُهُ خفتَ بأسُهُ وللنارِ من حيثِ انشيتَ لها وقدُ
 وإن جادَ كانَ الجودُ منه مهناً كغَيْثِ هَمَمَى : ما فيه برقٌ ولا رعدُ
 وللهِ في الإجلالِ ذكرُ محمد بكلِّ لسانٍ في الثناءِ له حمدُ
 هم السّادةُ الأجدادُ والقادةُ الألى تُعدّ المعالي منهمُ كلما عُدّوا
 ويأمرهم بالصّبرِ والحزمِ خاذِلُ لهم صبر [. . .] ووجداءُ فقدُ
 وأيّ اضطبارٍ فيه للنفسِ رحمةٌ عن القائدِ الأعلى الذي ضمّه اللّحدُ

حرف الراء

١٠٤

وقال أيضاً

بأبي مُنْطَقَةُ الْقَوَامِ مَشَتْ كَالْغَصْنِ ، بَيْنَ الْحَقْفِ ، وَالْقَمَرِ
لِمَاءُ تَنْطِقُ عَنْ مُوشَرَةٍ خُسِمَ الْعَقِيقُ بِهَا عَلَى الدَّرَرِ
كَيْفَ السَّوِّ وَسَحَرُ مُقْلَسَتِهَا قَبْدُ الْحَيَاةِ وَمَقْوَدُ النِّظَرِ

١٠٥

وقال أيضاً

كَمْ تَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ صَيْدٍ وَلَا شَرَكٍ يَصِيدُ رَثْمٌ بِهِ قَلْبِي سِوَى نَظَرِي
وَكَمْ يَقُولُونَ : مَجْنُونٌ ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْجَنُونَ الَّذِي بِي مِنْ هَوَى بَشَرِ
لَا عَذَابَ اللَّهِ مِنْ أَجَلِي مُعَذِّبَةً تُشَرِّدُ النَّوْمَ عَنْ عَيْنِي بِالسَّهَرِ
يَبِيتُ فِي ثَغَرِهَا بَرْدُ الشَّبَابِ كَمَا بَاتَ النَّدَى مِنْ أَقْاحِي الرُّوْضِ فِي زَهَرِ
يَا لَيْتَنِي ، وَالْأَمَانِي رَبِّمَا بُلِغْتَ ، نَقَعْتُ حَرَّ غَلِيلِي مِنْهُ فِي الْخَصَرِ

وقال في الصقور والكلاب

وساميةِ الأَحاظِ للصيدِ قُرِّبَتْ وقد نامَ عَنَّا اللَّيْلُ وانتَبَهَ الفجرُ
بكرنا على أَكتادها نَدَّري بها طرائدَ معموراً بها البلدُ القفرا
تسائل عنها السحبَ والتربَ جرأةً جوارحُ فوقَ الرّاحِ أعينها خُزُرُ
فوارسُ أَفدُ أَقبلتُ في جواشنِ من الرّقمِ، لم تخلق لها البيضَ والسمرُ^٢
وَعُضِفُ تَرى آذانهن لواحظاً بهنَّ صُرُورُ، وهي من هبوة غُبُرُ^٣
ومروِ علا عند التّاجِ حديدَةً نتائجها منه إذا وضعتُ شقراً
هفا بيننا منها جناح بُؤِيزَةٍ كقادمة العصفور طار بها الذعرُ
أقام عليها موقدٌ كبيرَ سَحَرِهِ ليصلي لها حرّاً ، وقد ثلج الصدرُ^٤
رددنا بها روحاً على شلو أوزقِ يبلبله ريحٌ ويضربه قطرُ

١ الأكتاد : جمع كتد وهو الكامل .

٢ أفد : جمع أفد وهو المستعجل المريع .

٣ الصرور : تحديد الأذن للاستماع . وفي ف و م : لمن حدود ، وليس بشيء .

العضف : جمع أغضف وهو الكلب الذي استرخت أذناه .

٤ في هذا البيت وما يليه يتحدث عن إيقادهم النار ، محاكياً ذا الرمة . والمراد : الحجر .

٥ السحر : الصدر ، أي نفخ عليها لترداد الثّبابِ فيستدفيء بها .

أقامت أضافيه من الدهر برهةً عواريَ لم تركبُ رواحِلَها قِدر
ولما تَلَطَّى جمرُها وتجدَّلَتْ وَقُصَّتْ بأيدينا ذوائبها الحمرُ^١

١٠٧

وقال أيضاً

شوقي إليك مُجَدِّدٌ يُبْئلي جديد تصبري
وجوانحي ينجح من حُرْقِ الهوى المتسعر
نَقَلْت من الدرر الدموعَ إلى العقيقِ الأحمر
ولبستُ فيه من الضنى عَرَضاً يلازمُ جوهري
كَحَلِّ الهوى والسحرُ من ك جفونَ رئمِ أحور
فجوارحي مجروحةٌ منها بسيفٍ مضمّر
كم ذا يُغَيِّرُنِي هواك بخلقك المتغيّر
نَقَضْتَ حلاوةَ موردي منه مرارةً مصدري
ومنعتني من لثم فيك جَنَى الرضاب المسكر
أبجئةِ الفردوسِ أُحْرِمُ شُرْبَ ماءِ الكوثر

١ إما أن القصيدة ناقصة أو أن البيت التاسع يجب أن يقع آخرًا .

وقال أيضاً

وناهدة تَرَبَّتْ كَفُّهَا ترائبها بسحيق العبير
 تصونُ على القطفِ رُمَانَةٌ من النهد في غُصْنِ بَانٍ نضير
 لها وجنةٌ صُقِلَتْ بالنعيم وناظرةٌ كُحِلَتْ بالفتور
 وتبسمُ عن أقحوان تريكَ على نَوْرِهِ الشمسُ إشراقَ نور
 كأنَّ غدائرها المرسلاتِ أساودُ سابجةٌ في غدير
 فبتُ أَلَاطِفُ أَخْلَاقِهَا كما رُمَتْ تَأْنِيسَ ظبي نفور
 وما قهوةٌ صَفَّقَتْ للصَّبوح بمسكٍ ذكيٍّ وشَهْدٍ مَشُور^١
 بأطيبَ من فمها ريقةٌ إذا بَرَدَ الدُّرُّ فوق النحور^٢

١ صفقت : مزجت . شار العسل : جنّاه ، فهو مشور .

٢ برد الدر فوق النحور : أي في وقت الفجر ، وهو وقت تنغير فيه رائحة الأنواء ، إلا فمها فإنه يظل طيب الريق .

وقال أيضاً

لله دَرٌّ عصابة نزلوا بين الرياض مجالساً خُضُصُرا
 شربوا بكاساتٍ مُعْتَقَّةً شَرِبْتُ عقولُهُمْ بها سَكُرا
 وكأنَّما الأَقمارُ تَلُمُّ من أَيْدِي السِّقَاةِ كواكباً زُهْرا
 وكأنَّما صُورُ القِنانِ ١ وقد مُلِيتُ إلى هَواثِها خُمُرا
 بيضُ الحِسانِ وَقَفْنَ في عُرُسٍ لَمَّا لَبِسْنَ غَلائِلًا حُمُرا

وقال أيضاً

تخریجها : ابن خلكان (١ : ٣٨٠) ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ والخريدة
 ١ ، ٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ وكلها في الوافي إلا البيت ١٥
 وغير موضع البيتين ١٨ ، ١٩ ومعجم البلدان : (صقلية) : ٣٢ ، ٣٤ .

قَضَتْ في الصِّبَا النفسُ أوطارَها وأبلغها الشيبُ إنذارَها
 نَعَمُ ١ وأجِيلَتِ قِدَاحُ الهوى عليها فَقَسَمْنَ أعشارها
 وما غَرَسَ الدهرُ في تربةٍ غراساً ولم يَجْنِ أثمارَها

١ هذه هي رواية ب وفي ف وم : وكان فياشاتهن ؛ والقنان : جمع قنينة . ولعل فياشاتهن أن
 تقرأ : كاساتهن .

فَأَفْنَيْتُ فِي الْحَرْبِ^١ آلَاتَهَا وَأَعَدَدْتُ لِلسُّلَمِ أَوْزَارَهَا
كَمَيْتًا لَهَا مَرَحٌ بِالْفَتَى إِذَا حَتَّ بِاللَّهِوِ أَدْوَارَهَا
تَنَاوَلَهَا الْكُوبُ مِنْ دَنِّهَا فَتَحَسِبُهُ كَانَ مَضْمَارَهَا
وَسَاقِيَةً زَرَّرَتْ كَفُّهَا عَلَى عُنُقِ الطَّبِيِّ أَزْرَارَهَا
تَسْدِيرُ بِيَاقُوتَةٍ دُرَّةً^٢ فَتَغْمَسُ فِي مَائِهَا نَارَهَا
وَفَتْيَانِ صَدَقِ كَنْزُ هَرِيرِ النُّجُومِ النَّحَائِرِ^٣ أَحْرَارَهَا^٤
يَدِيرُونَ رَاحًا تَفِيضُ الْكُؤُوسُ^٥ عَلَى ظُلُمِ اللَّيْلِ أَنْوَارَهَا
كَأَنَّ لَهَا مِنْ نَسِيجِ الْحَبَابِ شَبَاكَ تُمَعَّقِلُ^٦ أَطْيَارَهَا
وَرَاهِبَةٍ أَغْلَقَتْ دَيْرَهَا فَكُنَّا مَعَ اللَّيْلِ زُؤَارَهَا
هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَا قَهْوَةٍ تَذْبَعُ^٧ لِأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا
فَمَا فَازَ بِالْمَسْكِ إِلَّا فَتًى^٦ تَيَسَّمَمَ دَارِينَ أَوْ دَارَهَا
كَأَنَّ نَوَافِجَهُ عِنْدَهَا دَنَانٌ مُضْمَمِّنَةٌ قَارَهَا
طَرَحْتُ بِمِيزَانِهَا دَرْهَمِي فَأَجَرَتْ^٧ مِنَ الدَّنِّ دِينَارَهَا^٧

١ في ب : وأقبلت للحرب .

٢ في ب : فضة .

٣ النحائر : الطبائع والأخلاق .

٤ في ب : كأساً تفيض .

٥ في ب : غلقت .

٦ الخريدة : إلا امرؤ .

٧ في ف : فسيل في الكاس .

خطبنا بناتٍ لها أربعاً ليفترع اللهو أبكارها
من اللائي أعصارُ زُهرِ النجوم تكادُ تُطاولُ^١ أعمارها
تريك عرائسُها أيدياً طوالاً تصافحُ أخصارها
تفرسَ في شَمِّه طيِّها مجيدُ الفراسة فاختارها
فتى دارسِ الحمرة^٢ حتى درى عصيرَ الخمر وأعصارها
يَعُدُّ لما شئتَ من قهوةٍ سنيها ويعرفُ خَمَّارها
وعدنا إلى هالةٍ أَطْلَعَتْ على قُضْبِ البان أقمارها
يرى مَلِكُ اللهو فيها الهمومَ ثورُ فيقتلُ ثوارها^٣
وقد سَكَنْتَ حركاتِ الأسي قيانُ تُحَرِّكُ أوتارها
فهذي تعانقُ^٤ لي عودها^٥ وتلك تقبلُ مزارها
وراقصةٍ لَتَقَطَّتْ رِجْلُها حسابَ يدٍ نَقَرَتْ طارها
وقضبٍ من الشمعِ مُصْفَرَّةٍ تريك من النارِ نوارها
كَأَنَّ لها عمداً صُفِّتْ وقد وزن العدلُ أقطارها

١ في ف : تطارد .

٢ في ب : الكأس .

٣ في ب : ولو ثرن قتل ثوارها .

٤ الخريدة : تنازل .

٥ وفي ب : عوداً لها .

٦ الخريدة : من النور

ثقلٌ الدياجي على هامها وتهتك بالنور أشتارها
 كأننا نسلطُ آجالها عليها فتُمحَقُ أعمارها
 ذكرتُ صِغْلِيَّةً والأسي يُهَيِّجُ^١ لانسفس تذكّارها^٢
 ومنزلةً للتّصابي خلّت^٣ وكان بنو الظرف عُمّارها
 فإن كنتُ أخرجت من جنةٍ فإني أحدث أخبارها
 ولولا ملوحةُ ماءِ البكا حَسِبْتُ^٤ دموعي أنهارها
 ضحكتُ ابنَ عشرين من صبوةٍ بكيت ابنَ ستين أوزارها
 فلا تعظمن^٥ لديك^٦ الذنوب فما زال ربك^٧ غفارها

١١١

وقال أيضاً

وصفراء كالشمس^٧ تبدو لنا من الكأسِ في هالةٍ مستديرة^٥

١ الوافي : يحدد وفي ب : تهيج .

٢ الخريدة : والمثى يهيج للانسفس أوطارها .

٣ الوافي : للصبا قد خلّت .

٤ في ب : خلّت . .

٥ الوافي : عليك .

٦ في ب والوافي : إذا كان ربك .

٧ في ب : في الكأس .

يلاعبها الماءُ في مزجِهما^١ فيضحكها عن نُجُومٍ منيره
إذا جار همُّ الفتي واعتدى رأيتَ بها نَفْسَهُ مستجيرَه
فَسُرُّوي صداه، وتُدني مناه^٢ وتُردي أساه، وتُحني سروره
زجاجٌ وخمرٌ وماءٌ كما تقولُ هيُولى وتَنفَسُ صورَه
أطِرُ عنك نَوْمَكَ وانظرُ إلى نهارٍ أفاضَ على اللَّيلِ نوره
كَأَنَّ دُجَى اللَّيلِ لما استرقَ نَمُومٌ من الصبحِ يُنْشِي سُريره
شَرِبْنَا على وَجْهِهِ بدرِ السَّماءِ^٣ وتُسْقَى على وجهِ شَمْسِ الظَّهيرَه
بفَواحِشِ النُّورِ ، مُكَاوِها يُرَجِّعُ في كُلِّ غُصْنٍ صفيِرَه
مرت فوقها حَلَبَ الْمُعْصِرَاتِ رِياحٌ لِكُلِّ سحابٍ مثيرَه
كَأَنَّ الفَرزدَقَ في طيرها يَجِيبُ على كُلِّ شِعْرِ جَريِرَه
قَصَرْنَا بها طَوَلَ لَيْلِ التَّمَامِ^٤ بَعِشْ هنيءٌ عَدِمْنَا نَظيرَه
كَأَنَّ الكَوْوَسَ بِأَيْدِي السَّقَاةِ خِيُولٌ على الهمِّ مَناءٌ مَغيرَه
وطيبُ النعيمِ له سَاعَةٌ تُعَدُّ، وإن هي طالتْ ، قَصرَه^٥

١ في ب : المزج في مائها .

٢ في ب : نداه .

٣ في ب : نَوم من الفجر ينشئ .

٤ في ب : الدجى .

٥ في ب : نصير .

٦ في ب : منها .

وقال أيضاً

تخریجها : ١ - ٤ في معاهد التنصيص : ١١٤

غَشِيَتْ حِجْرَهَا دُمُوعِي حُمْرًا وَهَمِي مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى تَتَحَدَّرُ
فَانزَوْتُ بِالشَّهيقِ خَوْفًا وَظَنَنْتُ حَبَّ رَمَانٍ صَدْرَهَا قَدْ تَنَشَّرُ
قَلْتُ عِنْدَ اخْتِبَارِهَا بِيَدَيْهَا ثَمَرًا صَانَتُهُنَّ جَنِيْبُ مُزَرَّرُ
لَمْ يَكُنْ مَا ظَنَنْتُ حَقًّا وَلَكِنْ صِبْغَةَ الْوَجْدِ صَبِغُ دُمُعِي أَحْمَرُ

وقال أيضاً

وَتَبِيلُوفَرٍ أَوْ رَأْفَهُ مُسْتَدِيرَةٌ تَفْتَحُ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَهُ زَهْرُ
كَمَا اعْتَرَضْتُ خَضِرُ التَّرَاسِ وَبَيْنَهَا عَوَامِلُ أَرْمَاحٍ أَسْتَشْهَى حَمْرُ
هُوَ ابْنُ بِلَادِي كَاغْتَرَابِي اغْتَرَابُهُ كَلَانَا عَنِ الْأَوْطَانِ أَرْعَجَهُ الدَّهْرُ

وقد لأح نجمٌ الصبح حتى كأنه مطرق^١ جيش مؤذن بأمره
 كلفت بكاسات الصبوح^٢ مبكراً وكم بركات للفتى في بكوره
 هو العيش فاغنم من زمانك صفوه^٣ وصيد قنص اللذات قبل مشيره

١١٥

وقال بصف بركة شقها^٤ نهر

وزرقاء في لون السماء تنبّهت^٥ لتحريكها ريح تهب مع الفجر
 يشق حشاها جدول^٦ متكفل بسقي رياض البست حلال الزهر
 كما طعن المقدام في الحرب دارعاً بعضب فشق الحصر منه إلى الحصر
 يريك رؤوساً منه في جسم حية^٦ سعت من حياة في حدائقه الخضر
 فلا روضة إلا استعارت لشكره لسان صبا تسري مطيبة النشر

١ في ب : مقدم .

٢ الذخيرة : بشربي للصبح .

٣ في ف : غديراً شقه .

٤ في ب : في الدرع .

٥ في ب : تعطيف حية .

٦ وفي ب : من جنان في حدائقه .

وقال يصف الصيد وغير ذلك

وليلةٍ حالكةٍ الإزارِ
مدّت جناحاً كسوادِ القارِ
يَحْجُبُ عَنَّا غُرَّةَ النهارِ
عَقَرْتُ فِيهَا الهمَّ بالعقارِ
يَجْمُ ماءٍ فِيهِ رُوحُ نارِ
فِي مَجْلَسٍ ضَمَّ بَنِي الْفَخَارِ
كِهَالَةٍ تَضْحَكُ عَنْ أَعْيُنِ
تَرَا حَمَتٌ^٢ بِأَنْجُمٍ دَوَارِ
مِنْ كُلِّ ذِمْرٍ فِي حِمَى الدَّمَارِ
مُهَيِّنٍ مَالٍ وَمَعَزٍّ جَارِ
يُسْقَوْنَ مِنْ سَاطِعَةِ الْأَنْوَارِ
كَثِيرَةٍ الْأَسْمَاءِ وَالْأَعْمَارِ
أَعْبَقَ مِنْ نَفْحَةٍ^٣ مِسْكِ دَارِ

١ في ف : الفجار .

٢ في ف : تراجمت .

٣ في ب : من مسكة .

أرقّ في حُسْنٍ وفي احمرار
من ماءٍ خَدَّ راقٍ^١ في عجار
تكادُ ذات القُرط والسوار
والنغم^٢ الرطب على الأوتار^٣
إذ أسمعنا نغم الهزار
يجري مع الأرواح في المجاري
حتى إذا ما غنَّتِ القَمَّاري
مناعمات^٤ حَزَقَ الأطيّار
صوافرأه^٥ والصبحُ في الاسفار^٦
قمنا لننفي عَرَضَ الحُمار
عن جوهر الأنفس في الصحاري
بكلّ طِرْفٍ سَلَّهَبٍ مُطَّار
مُوجَّهٍ الإقبال والإدبار
إن بادر السبقَ مع المجاري
طارَتْ به قوادمُ النجار

١ في ب : من وجنة راقتك .

٢ في ب : والنغم .

٣ في ب : السوار .

٤ في ف : منغيات .

٥ في ب : منغيات فرق الأطيّار ، صوافرأ .

٦ في ب : اسفار .

يتبعه كلَّ صيودٍ ضار
 ظامي الضلوعِ ضامرُ الأخصار
 كأنَّه في عقدة الزنار
 بأعينٍ لم تُغضِ من عُوَّار
 كالجمر بين الهدب والأشجار
 تكادُ ترمي الصيد بالشرار
 كأنَّما يكشر عن جِمار^١
 يُعَقِّفُ^٢ الأذئاب للصوار
 كأنَّها عقارب القفار
 وحاكم في الوحش بالتبار^٣
 أسرعُ من برقٍ ومن إعصارٍ
 ولحظةٍ الصبِّ على حذار
 أصفرُ من لون جنَى بهار
 كأنَّما صيغَ من النصار
 أسدته^٤ والطبي في نفار
 ما بين حشجاث إلى عرار^٥

١ في ف وم: جوار .

٢ في ب : تعقرب .

٣ في ب : بالبتار .

٤ في ب : أرسلته . وآسدته : هيجهته وأغريته .

٥ في ف وم : حشجاث إلى عوار .

فمرّ في غيمٍ من الغبار
يُشكِّلُ منه أحرفَ الآثارِ
كأنّما يطلُّبُهُ بشار
ماذا يريدُ الظبي بالفرار
من ابن ريحٍ في قميص نار
وهو مع الإجهاد والاضرار
يحذفه بيسرٍ مع صغار^١
حذفَ المؤلّي باليد اليسار
فلو ترانا في انتزاح الدار
في روضةٍ كالغادةٍ المعطار
نأكل من صيد أبي العقّار
ونشربُ الصهباءَ بالكبار
ما كنت إلا خالعَ العذار^٢

١ اليرمع : الحصى الصغار .

٢ في ب : كنت مديم الخلع للذار .

وقال في قمر آخر الشهر

تخریجها : ١ ، ٢ في الوافي .

وربَّ صُبْحِ رَقَبِنَاهُ^١ وقد طَلَعَتْ بِقِيَّةُ الْبَدْرِ في أُولَى بَشَائِرِهِ
كَأَنَّمَا أَدَهْمُ الظُّلَمَاءُ^٢ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ^٣ الصَّبْحِ الْفَقَى نَعْلَ حَافِرِهِ

وقال في الشقائق

نَظَرْتُ إِلَى حُسْنِ الرِّيَاضِ، وَغِيَمِهَا جَرَى دَمْعُهُ مِنْهُنَّ^١ فِي أَعْيُنِ الزَّهْرِ
فَلَسَمْتُ تَرَ عَيْنِي بَيْنَهَا كَشَاقِقِ^٢ تَبْلُبُهَا^٣ الْأَرْوَاحُ فِي الْقَضْبِ الْخَضِرِ
كَمَا مَشَّطَتْ غَيْدُ الْقِيَانِ شَعُورَهَا وَقَامَتْ لِرَقْصٍ^٤ فِي غَلَاثِلِهَا الْخُمْرِ

١ في ب والوافي : ورب ليل سريناه .

٢ في ف : الاظلام .

٣ الوافي : شهب .

٤ في ف : تبللها .

٥ في ب : في الورق .

وقال في ساقية ماء مستديرة في بستان، والندامي على جوانبها متقابلون، بحيث يضع ساقبهم لمن أراد أن يسقيه منهم في مائها زجاجة مضمنة خمرًا ويقول : كاسك يابا فلان، فيجري بها الماء إلى يده فيتناولها ويشرب ما فيها ويرسلها في الماء إلى ذلك فتعود إلى يد الساقى من ناحية أخرى :

وساقيةٌ تَسْقِي النَّدَامَى بِمَدِّهَا كَوْسًا من الصَّهْبَاءِ طَاقِيَةَ السَّكْرِ
يَعُومُ فِيهَا كُلُّ جَاسِمٍ كَأَنَّمَا تَضُمَّنَ رُوحَ الشَّمْسِ فِي جَسَدِ الْبَدْرِ
إِذَا قَصَدْتُ مَنَا نَدِيمًا زَجَاجَةً^١ تَنَاسَوْهَا رَفَقًا بِأَنَمَلِهِ الْعَشْرِ
فِي شَرْبِ مَنَافِي سَكْرَةٍ عَنِيبِيَّةٍ^٢ تَنُومُ عَيْنِ الصَّحْوِ مِنْهُ وَمَا يَدْرِي
وَيُرْسِلُهَا فِي مَائِهَا فَيُعِيدُهَا إِلَى رَاحَتِي سَاقٍ عَلَى حَكْمِهِ تَجْرِي^٣
جَعَلْنَا عَلَى شَرْبِ الْعُقَّارِ^٤ سَمَاعِنَا لَحُونًا تَغْنِيهَا الطُّيُورُ بِلَا شَعْرِ
وَسَاقِيَنَا مَاءً^٥ يَنْبِلُ بِلَا يَدٍ وَمَشْرُوبَنَا نَارًا تَضِيءُ بِلَا جَمْرِ
سَقَانَا مَسَرَّاتٍ فَكَانَ جَزَاؤُهُ عَلَيْهَا لَدِينَا أَنْ سَقِينَاهُ لِلْبَحْرِ
كَأَنَّا عَلَى شَطْرِ الْخَلِيجِ مَدَائِنُ^٦ تَسَافَرُ فِيمَا بَيْنَنَا سُفُنُ الْخَمْرِ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي تَطَرُّفٍ لَذَّةٍ وَخَلْعٍ عِذَارٍ فِيهِ مُسْتَحْسَنُ الْعَذْرِ

١ في ب : حكمها يجري .

٢ في ب : المدام .

٣ نصبت على المفمولية للفعل « جعلنا » في البيت السابق .

وقال أيضاً يمدح المعتمد ويذكر رجوعه من على لبيط، وهو حصن بقرب من المرية، نجا إليه قومس من الروم ومعه جماعة من قبل الفنش، وكان المعتمد بن عباد نزل عليه مع المرابطين وأقام محاصراً زماناً ثم دخل الشتاء فقام عنه. أنشده هذه القصيدة بإشبيلية يوم دخول الناس عليه للسلام .

تخریجها : فی الواقی منها الآیات ٨ ، ١٩ ، ٢٠

فِي كُنْهِ قَدْرِكَ لِلْعُقُولِ تَحْيِيرُ فَلِلذِّكَ عَنْهُ النِّسْرَاتُ تُقْصَرُ
والواصفونَ عُلَاكَ مِنَّا قَرَّبُوا ما تَرَجَمُوا لِلنَّاسِ عَنْهُ وَعَبَّرُوا
أَلْقَيْتَ عِزْمَكَ بَيْنَ عَيْنَيْ ضَيْغَمٍ وَأَبَاتَ طَيْفُكَ كُلَّ شَيْءٍ يُذْعَرُ
وَرَحَلْتَ فِي جَوْنِ الْقِتَامِ عَرْمَرُ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ بِوَجْهِكَ مَقْمَرُ
وَلَثْنٌ قَدِيمَتَ وَفِي اعْتِقَادِكَ عَوْدَةٌ فَالْبَحْرُ مِنْ عَظَمٍ يَمُودُ وَيَجْزُرُ
وَالْفَتْحُ مِنْ فَضْلِ الْإِلَهِ، وَيَوْمُهُ مُتَقَدِّمٌ بِالنَّصْرِ أَوْ مُتَأَخِّرُ
لَوْلَا اقْتِرَابُ الْوَقْتِ عَنْ قَدْرِ لَمَّا فَتُحِثَّ عَلَى حَالٍ لِأَحْمَدَ خَيْرُ
وَفَوَارِسٍ يَحْمَرُّ مِنْ ضَرْبِ الطَّلَا بِأَكْفِهِمْ وَرَقُّ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرُ
لَا غَشَّ جُبْنَ^١ فِيهِمْ فَكَأَنَّهُمْ سُبُكُوا بَنِيرَانَ الْحُرُوبِ وَسُجِّرُوا
وَمِنَ الرِّجَالِ^٢ مُرَوِّعٌ^٣ وَمَشْجَعٌ

١ في ف : لا عيس حر .

٢ في ف : ومن الجبال .

٣ في ب : مشجع ومجن .

أَلِفَتْ قُلُوبُهُمْ^١ الْخُضُوعَ لِرَبِّهِمْ
 يَرْمُونَ^٢ أَغْرَاضَ^٣ الْخُتُوفِ^٤ بِأَنْفُسِهِ
 وَتَغَوْرُ^٥ فِي هَامِ الْعُلُوجِ جَدَاوِلُ^٦
 مِنْ كُلِّ وَحْشِي^٧ الطَّبَاعِ كَأَنَّهُ
 مُتَقَدِّمٌ^٨ مِنْ صَبْرِهِ ، وَلِثَامُهُ^٩
 صَحِبَتْ جِيوشَهُمْ^{١٠} جِيوشًا يَأْهِيهَا
 وَيَلُ^{١١} لِحْصَنَ لَبِيطَ^{١٢} مِنْ يَوْمٍ عَلَى
 وَالرَّوْعُ تَشْقُلُ^{١٣} بِالرَّدَى سَاعَاتُهُ^{١٤}
 يُشْنَى^{١٥} النَّهَارُ^{١٦} بِهِ عَلَى أَعْقَابِهِ
 وَالنَّقْعُ فِيهِ دُجْنَةٌ^{١٧} لَا تَنْجِي
 وَلَقَدْ شَدَدَتْ عَلَى خَنَاقِ عُلُوجِهِمْ

١ في ب : الحروب .

٢ في ب : ووجوههم .

٣ في ب : بالضرب من اغمادها .

٤ في ب : متوقد .

٥ في ب : الكفاح .

٦ في ب : قد ناوحتها .

٧ الوافي : نكص النهار .

٨ في ب : حتى تخال ، والوافي : حتى حسبت .

واستعصموا بندى أشم^١ كأنهم
 قتلوا لَدَيْكَ غَنِيمةً فكأنما
 ولقلماً يبقى رمادُهُمْ إذا
 قامَ الدليلُ، وما الدليلُ بكاذِبٍ
 سكنتَ في الآفاقِ من حركاتهم
 هلاً أطاقَ الكفرُ جرَّ قناته
 يومَ العروبةِ، والعِرابُ لواعبُ
 والفنشُ يحصبُ ناظريه وقلبه
 ركبَ الغوايةَ واستبدَّ برأيه
 خذ في عزائمك^٢ التي تركتهمُ
 بالخليل تحت الليلِ يُسْرَجُ حولها
 وتلوكُ من فقْدِ القُضيمِ^٣ شكائماً
 عَرَكَتْ أديم الأرضِ تحت حوافِرِ
 عَصَمُ^٤ أُتِيحَ لها هزبراً قَسَوَرُ
 أَبْقَتَهُمُ الأيَّامُ فيه ليكثروا
 طارتْ به في الجَوِّ رِيحُ صَرَصَرُ
 أن النصارى يُخَذَلُونَ وتُنْصَرُ
 والنْبَضُ من خَوَرِ الطبيعةِ يَفْشُرُ
 لما تركتَ كُعُوبَهَا تَتَكَسَّرُ
 تكبو على هامِ العلوجِ وتعرُ
 بقوارِعِ الأحزانِ يومُ مَعُورُ
 جهلاً ليعبرَ خضرمًا لا يُعبرُ
 خَبَرًا مع الأيَّامِ لا يتغيرُ
 في كلِّ ذابِلَةٍ سِنانُ^٣ أزهر
 تُنْهَى بها أفواهُهُنَّ وتُؤَمَّرُ
 صَخْرُ البلادِ بوطنهنَّ مسخَرُ

١ في ب : عصم دهاما منك ليث .

٢ في ب : غرائبك .

٣ في ب : شهاب .

٤ القُضيم : ما تقضمه الدابة من شجير وغيره ، وفي ف وم : العُضيم وهو تصحيف .

حَتَّى تُغْنِيَهُمْ^١ ظُبَّكَ مِنَ الرَّدَى نَغَمًا ، وَتُسْقِيَهُمْ كَوْسًا تُسْكِرُ
 جَاهَدْتَ فِي الرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ وَجَرَى الْمُلُوكُ كَمَا جَرِيَتْ فَقَصَّرُوا
 فَبَيَّتُ نَاجُودًا^٢ وَعُودًا^٣ حَوْلَهُمْ وَبَيَّتُ حَوْلَكَ شَرْبًا^٤ وَسَنُورًا^٥
 وَتَفُوحُ غَالِيَةً^٦ بِهِمْ وَذَرِيرَةً^٧ وَهُمَا دَمٌ فِي بَرْدَتِكَ وَعِشِيرَةً^٨
 أَعْطَيْتَكَ رِيحَانَ الثَّنَاءِ حَدِيقَةً^٩ ظَمِئْتَ وَلَكِنْ قَلَمَا تَسْتَمْطِرُ
 وَأَنَا الْعَلِيمُ بِأَنْ طَوَّلَكَ شَامِلًا^{١٠} وَذَرَاكَ رَحْرَاحًا وَجُودَكَ كَوَثْرًا^{١١}

١٢١

وقال أيضاً

حَبَا فَنِيَانُ صَدَقٍ أَعْرَسُوا بَعْدَارَى مِنْ سُلَافَاتِ الْخُمُورِ
 عَرَبَدَ الصَّحُوفُ عَلَيْهِمْ بِالْأَسَى فَاتَّقَاهُ السُّكْرُ عَنْهُمْ بِالسُّرُورِ
 عَمَرُوا رِبْعَ الصَّبَا مِنْ قَبْلِ أَنْ^١ يَتَمَشَّى فِيهِ بِالشَّيْبِ دُثُورُ
 إِنْ^٢ لِلْأَعْمَارِ أَعْجَازًا إِذَا بُلِغَتْ لَمْ تُشْنِ مِنْهُمْ صُدُورُ

١ في ب : شيطم ..

٢ يعني أن الملوك الآخرين أصحاب لهو أما المدح فصاحب جد وحرب وجهاد ، والناجود : الباطية . والشرب : الخيول الضوامر . والسنور : آلة السلاح .

كلُّ نافي^١ العمر ، في شِرَّتِه ِ للصَّبَا نَارٌ ، وفي الوجْنةِ نور
يقتنون العيشَ من قانيةِ ذاتِ 'عمر' كثرت فيها الدهور
أطلع الساقى عشاءً منهمُ أنجمَ الكاساتِ في أيدي البدور
عدُّ بالأكواب عني إن لي في يد الأنسِ عنهنَّ نفور
غمَرَ الشيبُ الدجى من لتي بنجوم طُلِعَ ليست تغور
لا نشورُ لشبابي بعد ما مات من عمري إلى يوم النشور
وخضابُ الشيب لا أقبله إنّه في شعَري شاهدُ زور
أنا مِنْ وَجْدِي بأيام الصبا أذرفُ الدمعَ رَواحاً وبُكُور
فكأنّني ذو غليلٍ تلتظي لوعةً منه إلى ماءِ الثغور
أصِفُ الراحَ ولا أشربُهَا وهي بالشَّدْوِ على الشَّرْبِ تدور
كالذي يأمرُ بالكرِّ ولا يَصْطُلي نارَ الوغى حيث تغور
فسواءٌ بين إخوانِ الصفا وذوي اللّهُو ، مغيبِي والحضور
أنا من كَسَبِ ذُنُوبِي وَجِلُّ وإنِ استغفرتُ فاللَّهُ غفور

١ كذا في ف و م : ولعلها ثاني أي لم يكبر بعد ؛ من قولهم في الكبير : لا يثني .

وقال أيضاً

يا قليلَ الوفاء ضاعَ ودادُ^١ أنتَ ضيَعْتَهُ بِكَثْرَةِ غَدْرِكَ
 أنا أَشْكُو صَبَابَةً^٢ لَدَعْتَنِي بَرْدَ اللَّهِ حَرَّ نَحْرِي بِنَحْرِكَ
 وَجَنَى لِي ، فَإِنَّ قَلْبِي عَلِيلٌ^٣ ، ما اشتهى من جَنِيِّ رَمَانِ صَدْرِكَ
 وتداوَيْتُ من خُمَارِي بِخُمُرٍ نَابَعَاتُ^٤ بِهَا جَوَاهِرُ ثَغْرِكَ
 هذه كلها أُمَانِي وَصَالٍ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ^٥ بهجرِكَ

وقال أيضاً

هِنَّ الْحِسَانُ وَحَرَبُهُنَّ الْهَجَرُ^١ فَلِذَاكَ يُجْبِنُ^٢ عِنْدَهَا الذَّمُّ^٣
 أَصْلَيْتَ^٤ تِلْكَ الْحَرْبَ تَجْرِبَةً^٥ أَمْ أَنْتَ عَنْ فَتَكَاتِهَا غَمَرُ^٦
 مِنْ كُلِّ نَاشِئَةٍ^٧ ، إِذَا اتَّصَلَتْ^٨ مِنْ عُمْرِهَا بِالْأَرْبَعِ الْعَشْرِ^٩

١ في ف : كما .

وكم اشتَهَى منها عليلٌ هوى
خُلِّفِي مطيةٌ خُلِّقَها وهُما
يا ظبيةٌ إنْ مرَّضْتَ نظراً
كربٌ هواك وما له فرَجٌ
حتى الأراكةُ منك ظالمةٌ
وكانَ بَرَقاً في تَبَسِّمِهِ
أشكو خُمَراً ما شربتُ له
ويَهيجُ بي وجَعٌ وَعِلَّتُهُ
وأرى الذي تجدينَ فيكَ له
من وجهكِ ° الحُسنُ اقْنِي مُلْحاً
ليستَ تنالُ الشمسُ منزلةً
وأراكِ قد حاولتِ نَقْلَ خُطى
وعذرتُ منك الحَصْرَ مَرَحِمَةً
ثمراً بهنَّ تَفَلَّكُ ١ الصدر
سهلٌ يديرُ عِنَانَهُ وَعَرُ
فلكلِّ قَسْوَرَةٍ به قسر
ومتى يفارقُ لذعه ٢ الجمر
دُرّاً بفيكِ ، أَيْظَلَمُ الدرّ ؟
وكأثما دَمْعِي له قطر
خمرأً بفيكِ ، فريقكِ الحمر ٣
سَقَمٌ بطرفكِ ، إنَّ ذا سحر
نَفْعاً فمَنه مَسْتِي الضرّ
فكأثما في وَجْهِهِ بشر
منها ، فكيفَ ينالها البدر ؟
فَقَصَصَرَتْهَا وعلا بكِ البُهر
ولحملِ ردْفِكَ يُعْذَرُ ٤ الحصر

١ في ب : تملل .

٢ في ب : باق على إحراقه .

٣ في ب : حياها ثمر .

٤ في ب : يمسي .

٥ في ب : حسنك .

٦ في ب : وبحمل ردْفك يرحم .

عذبتُ على دَنْفٍ أَخَا مِقَّةٍ^١ لا يستقلُّ ببعضها الصبر
 فَرَنْتُ لِدَلَّتِهِ^٢ وربّتها لانَّ الصَّفَا وتَوَاضَعَ الكبر
 بَعَثْتُ لَوَاحِظُهَا^٣ بعطفها سِرّاً إليه فليتها جهر
 قَتَلْتُهُ^٤ وهي تريدُ عَيْشَتَهُ^٤ ذنبٌ ، بعيشك ، ذاك أمْ أَجْرُ

١٢٤

وقال يصفُ رَمَدًا موليًّا أصابه

أشكو إلى الله ما قاسيتُ^٣ من رَمَدٍ مواصلٍ كَرَبَ آصالي بأَسْحَارِي
 كأنَّ حَشَوَ جَفُونِي^٤ عند سَوَرَتِهِ جيشٌ من النمل في جُنْحِ الدجى ساري
 كأنه للقمَدَى والدمعِ في وَحِلٍ فَخَلَعُهُ^٤ أرجلاً منه ياضرار
 كأنَّ أَوْجَاعَ قَلْبِي من مطاعنةٍ بالشوك ما بين أَشْفَارِي وَأَشْفَارِي
 كأنما لُجَّةٌ^٤ في العين زاخرة ترمي سواحلَ جَفْنِيهَا بِعُورِ

١ في ب : حرق ؛ وفي ف وم : ثقة .

٢ في ف : بعطفها لواحظها .

٣ في ب : كابدت .

٤ في ب : عيوني .

تُفَجِّرُ الماءَ منها كلما وَضَعْتَ
كم ليلةٍ بَتْ صَفْراً من كَرَايَ بها
لِإِذْ بَاتَ جَفْنِي رَضِيعَ ابْنِي يَقَاسِمُهُ
فِي حَلَقَةٍ^١ مِنْ ظِلَامٍ لَا تَرَى طَرَفًا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ دِهْقَانٌ يَرَى غَبْنًا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ قَدْ رُدَّتْ إِلَى فَلَكَ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ ذُو جَهْلٍ فَلَيْسَ يَرَى
يَشْكُو لِحَفْنِي جَفْنِي مِثْلَ عِلْتِهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَجْرِي النُّورِ مِنْ غَسَقٍ
كَمْ أَبْعَدَ النَّاسُ فِي أَمْرِ^٤ ظُنُونَهُمْ
لَهْجَةً مِنْهُمَا نَارًا عَلَى نَارِ
وَمِنْ مَخِيلَةٍ صُبْحِ ذَاتِ إِسْفَارِ
لِبَانَ أَسْحَمَ يَغْذُوهُ بِمَقْدَارِ
يَبْدُو بِهَا مِنْ سَنَا صُبْحٍ لِأَبْصَارِ
فِي دَفْعِهِ^٢ مِنْهُمَا الْكَافُورَ بِالْقَارِ
عَلَى الْخَلَائِقِ ثَبَتَ غَيْرِ دَوَّارِ
فِي دَرَاهِمِ الْبَدْرِ مِنْهَا أَخَذَ دِينَارِ
كَالضَّيْمِ يُقَسِّمُ^٣ بَيْنَ الْجَارِ وَالْجَارِ
وَجَاعَلَ اللَّيْلَ^٣ فِي تَلْطِيفِ أَحْجَارِ [كَذَا]
فَكَانَ دَائِي قَرِيبَ الْبُرْءِ بِالْبَارِي

١ في ب : حلبة .

٢ في ف : دمنه .

٣ في ب : محيي اليوم من ظلم ، وعاجل النجح .

٤ في ب : أمري .

وقال يصف القلم

وجدول جامدٍ في الكفٍ تحمله^١ يغوصُ فيه^٢ على درٍ النهى النَّظَرُ
 يكسو السطورَ ضياءً عند ظلمتها كأنَّ ينبوعَ نورٍ منه^٣ يتفجر
 يشفّ للعين عن خطِّ الكتاب كما شفّ الهواءُ ، ولكن جسمه حَجَرُ
 يبدي الحُرُوفَ بجرح^٤ نالها عرق فيه ، وقرّ عليها جامداً نهر
 كحلت عيني إذ كلت بجوهره أما يُحدِّدُ بِكُحْلِ الجواهر البصر؟
 كأنه ذهن ذي حذق يَفُكُّ به من المُعَمَّى عويصاً فكهُ عَسِرُ
 نعم المعين لشيخ كلِّ ناظره وصنَّ الحطَّ في الحَاظِه الكِبَرُ
 يرى به صُورَ الأسطار قد عَظُمَت كعُنُصُلِ الماءِ فيه يَعْظُم الوبر^٥

١ في ف : فيها .

٢ في ف وم : الخلود بجريح .

٣ المنصل : نوع من النبات ، وهو البصل البري .

وقال أيضاً

تخرجها : ١ - ٥ في التكملة .

زِنْ بَدِيعَ الْكَلَامِ وَزَنَا مُحَرَّرٌ مثل ما يُوزَنُ النُّصَارُ الْمُشَجَّرُ^١
 وَتَكَلَّمْ بِمَا يَزِينُكَ فِي الْحَفِ لَ وَتَقْنِي بِهِ عِلَاءً وَمُفَخَّرُ
 إِنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ بَعْدَكَ يَبْقَى لك^٢ بِالذِّكْرِ مِنْهُ عِيشٌ مُكْرَرُ
 رُوحُ مَعْنَاكَ جِسْمُهُ مِنْكَ لَفْظٌ وعلى كُلِّ صُورَةٍ يَتَصَوَّرُ
 فَإِذَا مَا مَقَالٌ غَيْرُكَ أَضْحَى عَرَضاً فَلْيَكُنْ مَقَالُكَ جَوْهَرُ

وقال يمدح المعتمد

تخرجها : منها في المسالك الأبيات : ٧ ،

٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ . وفي

الذخيرة : ١ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ،

١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

لَمْ نَوْتَ لَيْلَتَنَا الْغَرَاءَ مِنْ قِصَرٍ لَوْلا وَصَالُ ذَوَاتِ الدَّلِّ وَالْخَفَرِ
 السَّافِرَاتُ شُمُوساً كُلَّمَا انْتَقَبَتْ تَبَرَّجَتْ مُشْبِهَاتُ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
 مِنْ كُلِّ حُورَاءٍ لَمْ تُخْذَلْ لَوَاحِظُهَا فِي الْفَتَاكِ مَذْنُ نَصَرَتِهَا فَتَكَةِ النُّظَرِ

١ المشجر : المنقش بهيئة الشجر . وفي ف : المشجر .

٢ ساقطة من ف .

أَوْ كُلَّ لِمَاءَ لَوْ جَادَتْ بَرِيقٍ فَمِ
مَحْسُودَةُ الْحَسَنِ لَا تَنْفَكُ فِي شَغَفٍ
لَا تَأْمَنُ الرَّدَى مِنْ سَيْفٍ مَقْلَتِهَا
إِنِّي أَمْرٌ لَا أَرَى خَلَعَ الْعَذَارِ عَلَى
فَمَا فَتَنْتُ بَرْدٍ غَيْرِ مُرْتَدَفٍ
وَشَرْبَةٍ مِنْ دَمِ الْعَنْقُودِ لَوْ عُدِمَتْ
إِذَا أُدِيرَ سَنَاها فِي الدَّجَى غَمَسَتْ
تَزْدَادُ ضِعْفًا قَوَاهَا كُلَّمَا بَلَغَتْ
لَا يَسْمَعُ الْأَنْفُ مِنْ نَجْوَى تَأَرَّجِهَا^١
إِذَا النَّدِيمُ حَسَاها خَلَتْ جَرِيَتِهَا
تَصَافِحُ الرَّاحَ مِنْ كَاسَاتِهَا شُعَلٌ^٢
تَعْلُو كِرَاسِيَّ أَيْدِينَا عَرَائِسُهَا^٣
نَقَعْتُ حَرًّا غَلِيلِي مِنْهُ فِي الْخَصَرِ
مِنْهَا بِصَبْحٍ صَقِيلِ اللَّيْلِ فِي الشَّعَرِ
فَإِنَّهُ عَرَضٌ فِي جَوْهَرِ الْحَوَرِ
مَنْ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى عُدُورِي
وَلَا جُنِنْتُ بِخَصْرِ غَيْرِ مُخْشَصَرِ
لَمْ تُلَفِّ عَيْشًا لَهُ صَفْوٌ بَلَا كَدَرٍ^٤
دُهِمَ الْخَنَادَسُ فِي التَّحْجِيلِ وَالْغَرَرِ
بِهَا اللَّيَالِي حُدُودَ الضَّعْفِ وَالْكَبَرِ
إِلَّا دَعَاوِي بَيْنَ الطَّيْبِ وَالزَّهَرِ
نَجْمًا تَصَوَّبَ حَتَّى غَارَهُ فِي قَمَرِ
تَرْمِي خُفَاةَ لَمَسِ الْمَاءِ بِالْشَّرَرِ
تُجَلِّي عَلَيْهِنَّ بَيْنَ النَّايِ وَالْوَتَرِ

١ الذخيرة : ولا حننت لخصر .

٢ روايته في الذخيرة والمسالك :

ورب صفراء لم تترك بسورتها لصولة الهم من عين ولا أثر

٣ الذخيرة والمسالك : لا يعرف الشرب عيباً في مناقبها .

٤ في الذخيرة والمسالك : بين المسك .

٥ الذخيرة وب : غاب .

٦ في ب : عرائس باتت الأيدي حوابسها .

حَتَّى تَمَزَّقَ سَرُّ اللَّيْلِ عَنِ فَلَقٍ .
 وَالصَّبْحُ يَرْفَعُ كَفًّا مِنْهُ لَاقِطَةً
 عَيْشٍ خَلَعْتُ عَلَى عَمْرِي تَنْعَمَهُ
 وَلَيَّ وَمَا كُنْتُ أُدْرِي مَا حَقِيقَتُهُ
 بِاللَّهِ يَا سَمَرَاتِ الْحَيِّ هَلْ هَجَعْتُ
 وَهَلْ يَرَا جَعُ وَكِرًا فِيكَ مُغْتَرِبٌ
 فَفِيكَ قَلْبِي ° وَلَوْ أَسْطِيعُ مِنْ وَلِيِّهِ
 قَوْلِي لِمَنْزِلَةِ الشُّوقِ الَّتِي نَقَلْتُ
 نِلْتُ الْمُنَى بِابْنِ عِبَادٍ فَتَقَيَّدَنِي
 حَطَّتْ إِلَيْهِ حُدَاةُ الْعَيْسِ أَرْحَلُنَا
 كَانَ ابْتِدَائِي إِلَيْهِ عَاطِلًا فَعَدَا
 مُسْلِكَ قَصْرُ أَعْمَارِ الْعُدَاةِ بِهِ^١

تَقَلُّصَ الْعَرْمَضِ الطَّامِي عَلَى النَّهْرِ
 مَا لِلدَّرَارِيِّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ دُرَرٍ
 لَيْتَ اللَّيَالِيَّ لَمْ تَخْلَعَهُ عَنْ^٢ عَمْرِي
 كَأَنَّمَا كَانَ ظِلُّ الطَّائِرِ الْحَدَرِ
 فِي ظِلِّ أَغْصَانِكَ^٣ الْغَزْلَانُ عَنْ سَهْرِي^٤
 عَزَّتْ جَنَاحِيهِ أَشْرَاكُ^٥ مِنَ الْقَدَرِ
 طَارَتْ إِلَيْكَ بِجَسْمِي لِمَحَةِ الْبَصْرِ
 عَنْهَا اللَّيَالِيَّ إِلَى دَارِ النَّوَى أَثْرِي
 عَنِ الْبَدُورِ الَّتِي لِي فِيكَ بِالْبِدَرِ
 فَالْعَزْمُ صِفْرٌ بِمُثَوَاهِ مِنَ السَّفَرِ
 مِنْهُ بِحَلَّتِي الْأَمَانِي حَالِي الْخَبَرِ^٦
 وَقَعُ السُّيُوفُ عَلَى الْهَامَاتِ وَالْقَصْرِ^٧

١ في ب : لم تسلبه من .

٢ في ب : في ظل أفنانك .

٣ الذخيرة والمسالك : سحر .

٤ هذه رواية ب وفي ف وم القدر .

٥ الذخيرة : يفديك قلبي .

٦ في ب : أرحلها .

٧ في ب : حاليًا خبري .

٨ في ب : ملك به تقصر القوم العصاة له .

٩ القصر : أصول الأعناق ، مفردا : قصرة .

عَدْلُ السِّيَاسَةِ لَا يَرْضَى لَهُ سِيرًا
يُسْنَدِي بِيَمْنَاهُ مِنْ مَعْرُوفِهِ مِينًا
لَوْ أَضْحَتِ الْأَرْضُ يَوْمًا كَفَّ سَائِلُهُ
يَأْوِي إِلَى عِزَّةٍ قَعَسَاءَ مُرْغِمَةٍ
لَا يُفْلَتُ الْجَرِيُّ مِنْ أَيْدِي عِزَائِمِهِ
جَارٍ لَهُ شَأْوُ آبَاءٍ غَطَّارِفَةٍ
لَا تَسْتَلِينُ الْمَنَابَا عَجْجَمَ عَوْدِهِمْ
يُقَطِّبُ الْمَوْتَ خَوْفًا مِنْ لِقَائِهِمْ
يَا مُرْوِيَّ الرِّمَحِ وَالْأَرْمَاحُ ظَامِئَةٌ
لَوْلَا تَعَشَّقُكَ الْهَيْجَاءُ مَا رَكَبْتَ
إِذَا التَّظْتُ شُعْلُ الْأَرْمَاحِ وَانْغَمَسْتَ
وَفِي اصْطِبَارِكَ فِيهَا^١ وَالرَّدَى جَزَعٌ
وَمَازِقٌ مَزَقَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
مَنْ جَحَفَلَ ضَمِينَ الْفَتْحُ الْمَبِينُ لَهُ

إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي السُّورِ
تَكْسُو الصَّنَائِعَ صِنْعَانِيَّةَ الْحَبِيرِ
لَمْ تَفْتَقِرْ بَعْدَ جَدْوَاهِ إِلَى مَطَرِ
أَنْفَ الزَّمَانِ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ أَشَرِ
أَوْ يَجْعَلُ الْهَامَ أَجْفَانَ الطُّبَا الْبُشْرِ
أُسْنَدٍ عَلَى الْخَيْلِ أَقْمَارَ عَلَى السُّرْرِ
وَالنَّبْعُ لَيْسَ بِمَنْسُوبٍ إِلَى الْخُورِ
وَيَضْحَكُ الثَّغْرُ مِنْهُمْ عَنْ سَنَنَاتِهِ
مِنْ الْأَسْوَدِ الضُّوَارِي بِالْدَمِ الْهَدَرِ
بِكَ الْعَزِيمَةُ فِيهَا صَهْوَةٌ^٢ الْخَطَرِ
مِنْ الدَّرُوعِ عَلَى الْأَرْوَاحِ فِي غَدَرِ
مَا دَلَّ أَنَّكَ عَنْهَا غَيْرُ مُصْطَبِرِ
مَا لَا يُرَقِّعُهُ الْآسُونُ بِالْإِبَرِ
ذُلُّ الْأَعَادِي بَعَزٍ^٣ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ

١ في ب : ما اعتسفت بك العزيمة منها غمرة .

٢ في ف : عنها .

٣ في ب : ذل العدى بين عز .

تحدو عَذَابُكَ فِيهِ لِلوَعَى عَذَابٌ
جاءتْ صُدُورُ العوالي فِيهِ حاقدةٌ
فكم قلوبٍ لها جاشتْ مراجِلُها
كأنّما كلَّ أرضٍ من نجيعهم
وخائضٍ فِي عُبَابِ الموتِ مُنْصَلِتِ
خَلَقَتْ بالضربِ منه فِي القذالِ فمأ
يا معلماً بعلاه كلَّ مُنْخَفِضِ
هل كان جودك فِي الأموالِ مُقْتَنِياً
نادى نذاك بني الآمالِ فازدحموا
كما دعا الرّوضُ إذ فاحتْ نواسمُهُ
يهدى لك البحرُ مما فِيهِ مُعْظَمُهُ
إنّا لنخجلِ فِي الانشادِ بينِ يدي
مَنْ ملكَ اللهُ حُسْنَ القولِ مِقُولُهُ
تهفو كأيدي الثكالي طِشْنَ من حرراً
يفترّ منها دخانُ النقعِ عن شرر
لما تساقطَ جَسْمُ الطعنِ فِي النُقَرِ
رخو الأسنةُ منها مِيتَ الشعرِ
مُتقارِعِ الأسدِ بينَ البيضِ والسمرِ
أنطقتْ فِيهِ لسانَ الصارمِ الذكرِ
ومغنياً بنداها كلَّ مفتقرِ
آثارَ بأسِكِ فِي أسدِ الوغى المُصْرِ
بالواخداثِ على الرّوحاتِ والبُكرِ
روادَهُ بنسيمِ النّورِ فِي السحرِ
والبحرُ لا شك فِيهِ معدنُ الدّرِ
ربّ القوافي التي حلّينَ بالفقرِ
فلوراه ابنُ حُجْرٍ عادَ كالحجرِ^٣

١ الحرر : شدة العطش وهو هنا من شدة الفكل . والوصف للرايات وكيف تتذبذب كأنها أيدي ثكالي ترتفع وتنخفض .

٢ ابن حجر هو امرؤ القيس .

٣ فِي الذخيرة من هذه القصيدة ثلاثة أبيات لم ترد فِي نسخة الديوان وهي :

الباسط الكف بالجدوى التي وكفت بالرزق ما بين منهل ومنهر
والموسع الأرض إذ جارت أكابرها عدلا يؤلف بين الشاء والنمر
كم آية لك فِي الافضال معجزة لها بوادٍ لا تبقي على البدر

وقال في الطيف

هَجَرَ الخيالُ فزرتُهُ بالخاطرِ ولقد يكونُ ، زمانَ هجركِ ، زائري
 أَسَدَدْتُ مسراه فلم يُطِقِ السُّرَى أمْ باتَ عندكِ نائماً عن ساهر
 طُمِعْتُ مصافحتي له إذ زرتَه فقبضت من ظلِّ الخيالِ النافر
 إني اقتنعتُ بزورةٍ زُورِيَّةٍ أَلْفَيْتُ باطنَهَا خلافَ الظاهر
 وإذا أردتَ بأنْ تصوِّرَ للمنى صُوراً فسَلِّمْهَا لفكرةٍ شاعر
 يا مَنْ لها بالسحر طُرفٌ قاتلٌ أَسَمِعْتُ بالفُتْيَا التي في الساحر
 إني نظرتُ فلم أجِدْ لك فتكةً إلاَّ بجدِّ حسامٍ لحظٍ فاتر
 أثبتتُ حُبَّكِ في فؤادٍ خافٍ أو ما عجبت لواقعٍ في طائر

١ يلمح إلى أن الساحر جزأوه القتل .

ومنها في المدح

وأشَمَّ من بيت الرئاسة أكبر يُنمى إلى شَمِّ الأنوفِ أكابرِ
يُردي المدجج ، وهو غير مدجج ، كم دارع أرداه رمحُ الحاسرِ
ويشبَّ نيرانَ الحروبِ بمرهفٍ كصبيب ماءٍ في الجماجمِ غائرِ
في جَحْفَلٍ يَغْشَى الوقائعَ زاحفاً بسماءِ أجنحةِ وأرضِ حوافرِ
وعجاجةٍ كسحابةٍ مُلْتَفَّةٍ فوقَ الرؤوسِ على بروقِ بواترِ
ضحكتُ تُقهقه والكماةُ عوابسُ بالضربِ فوقِ قوائسِ ومغافرِ
وكانَ جُرْدَ الخيلِ تحت حُماتها عُقبانُ جورٍ جُنَحٍ بقساورِ
والسابغاتُ على الكماةِ حباثكُ كحبابِ ماءٍ أو نثيرِ غدائرِ
وكانَ أطرافَ السيوفِ نواجدُ يحرقنُ^١ في شِدْقِ الحِمَامِ الكاشرِ
ما قستُ نجدتهُ بجدةٍ مُحَرَّبٍ إلا قضيتُ له بفضلٍ قاهرٍ^٢
إنَّ الشجاعةَ في الحُمَاةِ وإنها لأشدَّ منها في الأبَيِّ الصابرِ

* يبدو أنها جزء من القصيدة السابقة ، ولكن سكيا باريللي أعطاها رقماً مستقلاً فأبقيتها كذلك .

١ يحرقن : يحدثن صريفاً وهو صوت احتكاك الأسنان بعضها ببعض .

٢ كذا في « ف » و « م » ولعلها : باهر .

فتخافُ أذمارُ الكريهةِ فتكهُ خوَفَ البُغاثِ من العقابِ الكاسرِ
 بسنانِ أَسْمَرَ للحيازمِ ناظمِ وغرارِ أبيضَ للجماجمِ ناثرِ
 تبدو من المنصورِ فيه شمائلُ تلك السجايا من سجايا الناصرِ
 إن الفروعَ على الأصولِ شواهدُ تقضي بطيبِ مناقبِ وعناصرِ
 من كلِّ أروعَ من ذوابةِ حِمْبَرٍ ناهٍ بالسِّنةِ القواضبِ أمرِ

١٣٠

وله من قصيدة في المدح

أَضَحَّتْ أَيْادِي يَدَيْهِ وَهِيَ تُؤْنِسُهُ إِذْ أَوْحَشَتْهُ مَعَالِيهِ مِنَ النَّظَرِ
 مَوِيدَ بِمِضَاءِ الرَّأْيِ يَحْمَدُهُ لَا يُحْمَدُ السِّيفُ إِلَّا مَاضِيًا ذَكَرًا
 يُمِضِي الْأُمُورَ بَأَرَاءٍ مُسَدَّدَةً كَأَنَّهُنَّ سِهَامٌ تَقْصِدُ الثُّغْرَا
 مِنَ الْعَوَارِفِ آلَافٌ مُجَدَّدَةً لِلنَّاسِ فِي كُلِّ عَامٍ مَعْلَمًا دَثْرَا
 لَوْ كَانَ يُنْظَمُ حُبًّا فِي مَسَدَّاتِهِ حَبُّ الْقُلُوبِ نَظْمَانَا لَهُ فِقْرَا
 ... رَدَّتْ زَمَانَ الْجَهْلِ هِمَّتُهُ وَغَيَّرَتْ فِيهِ مِنْ عَادَاتِهَا الْغَيْرَا
 يَا مَنْ أَيْادِيهِ فِي الْأَنْعَامِ - لَا عَقِلَتْ - أَطْلَقْنِ بِالْمَدْحِ فِيهِ أَلْسُنَ الشُّعْرَا
 دُمٌ فِي جَلَالَةِ قَدْرِ بِالْعُلَى قُرِنَتْ وَحَالَفَ السَّعْدُ فِيمَا تَأْمُلُ الْقَدْرَا

١ النظراء : جمع نظير وهو المماثل .

وقال يرثي جاريةً له ماتت غريقة في المركب الذي عَطِبَ به في خروجه من
الأندلس إلى إفريقية :

أيا رشاقةَ غُصْنِ البان ما هَصَرَكَ ويا تألَّفَ نظمِ الشمل مَنْ نَرَكَ ؟
ويا شوؤوني ، وشأني كُلُّهُ حَزَنٌ فُضِّي يواقِيتَ دَمْعِي واحبسي دُرَّكَ
ما خلْتُ قلبي وتبريحي يُقَلِّبُهُ إلا جناحَ قِطَاةٍ في اعتقالِ شَرَكِ
لا صبرَ عنكِ وكيف الصبر عنكِ وقد طواكِ عن عيني الموجُ الذي نَشَرَكَ
هلاً ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ، لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زَهَرَكَ
أماكِ البحرُ ذو التيار من حَسَدٍ لما دَرَى الدرُّ منه حاسداً ثَغَرَكَ
وقعتُ في الدمعِ إذ أغرقتُ في لُجَجٍ قد كاد يغمرني منه الذي غَمَرَكَ
أيّ الثلاثة أبكي فَقْدَهُ بدمٍ عميمَ خُلُقِكِ أم مَعْناكِ أم صِغَرَكَ
من أين يَقْبَحُ أن أفنى عليكِ أَسَى والحسنُ في كلِّ فنٍّ يقتضي أَشْرَكَ
كنتِ الشبيبةَ إذ وَلَّتْ ولا عِوَضُ منها ولو رَبِحَ الدُّنْيَا الذي خَسِرَكَ
ما كنتُ عنكِ مطيلاً بالهوى سَقَرِي وقد أَطَلَّتْ لِحْيَتِي في البلى سَفَرَكَ
هل واصلِي منكِ إلا طيفُ مِيتَةٍ تُهْدي لِعيني من ذاك السكون حَرَكَ
أعانقُ القبرَ شوقاً وهو مشتملٌ عليكِ لو كنتُ فيه عالماً خَبَرَكَ

وددتُ يا نورَ عيني لو وقى بَصَري
 أقولُ للبحرِ إذ أغشيتُهُ نظري
 هلاّ كففتَ أجاجاً منك عن أشرٍ
 هلاّ نظرتَ إلى تفتيرِ مُقلَّتِها
 يا وَجْهَ جوهرةِ المحجوبِ عن بَصَري
 يا جسمها كيف أخلو من جوى حزني
 ليلى أطالكِ بالأحزانِ مُعقِّبةً
 ما أغفلَ النَّائمَ المرموسَ في جدثِ
 يا دُولةَ الوصلِ إن ولّيتِ عن بصري
 لئن وجدتكَ عني غيرَ نايبةٍ
 إن كان أسلمكِ المضطربُّ عن قَدَرِ
 هل كان إلاّ غريقاً رافعاً يدهُ
 وارجمنا لولُوعٍ بالبكاءِ فما
 أما عَدَاكِ حِمَامٌ عن زيارته
 إن كان للدمعِ في أرجاءِ وجنته
 وما نجوتُ بنفسي^٣ عنكِ راغبةً

جنادلاً وتراباً لاصقاً بشرك
 ما كدَرَ العيشَ إلا شُرْبُها كدَرَكَ
 من ثَغْرِ لمياءَ لولا ضعفها أسرك
 إني لأعجبُ منه كيف ما سحرك
 من ذا يقيك كسوفاً قد علا قمركَ
 وأنت خالٍ من الرّوح الذي عمَرَكَ
 عليّ مَنْ كانَ بالأفراحِ قد قصركَ
 عما يُلَاقِي من التبريحِ مَنْ سَهَرَكَ
 فالقلبُ يقرأ في صُحفِ الأسي سَمَرَكَ
 فإنّ نفسيَ منها ربُّها فطَرَكَ
 فلم يَخُنْكِ على حالٍ ولا غَدَرَكَ
 نهاهُ عن شُرْبِ كاسٍ من بها أَمَرَكَ
 ينسِيه ذكر^٢
 فكيفَ أطمعَ فيك النفسَ وانتظرَكَ
 تبرّجٌ فهو يبكي بالآسى خفَرَكَ
 وإلّا مَدّة عُمُري قاصرٌ عُمُركَ

١ الأثر : التحريز في الأسنان .

٢ بياض في الأصل .

٣ ب : بنفس .

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز وبعث بها من سفاقس إلى حضرته
بالمهدية :

تَغَنَّتْ قِيَانُ الْوُرُقِ فِي الْوُرُقِ الْخُضْرِ فَفَجَّرُوْا بِنَابِيْعِ الْمَدَامِ مَعَ الْفَجْرِ
وَحُذُّ مِنْ فَنَاءِ الْغَيْدِ رَاحاً سَبِيْئَةً لَهَا قَدَمٌ فِي السَّبْقِ مِنْ قِدَمِ الْعَمْرِ
وَلَا تَشْرَبْنَ فِي كِبْوَةِ الْكُؤُبِ بِالْفَتَى كَذَلِكَ يَجْرِي فِي مَدَى السَّكْرِ مِنْ يَجْرِ
وَإِنْ النَّدَى مَا زَالَ يَدْعُو رِيَاضَهُ إِلَيْهَا التَّدَامِي وَهِيَ فِي حُلَلِ الزَّهْرِ
فَتَجْلُوهُمْ أَيْدِي السَّقَاةِ عَرَائِسًا تَرَى الدَّرَّ أَزْرَارًا لِأَثْوَابِهَا الْحَمْرِ
وَتَحْسَبُ لِإِبْرِيْقِ الزَّجَاجَةِ مُغْزِلًا يُشَوِّفُ فِي الْأَرْضَاعِ مِنْهُ إِلَى غِيْفَرٍ^١
وَمَشْمُولَةٍ فِي كَأْسِهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى نَجْمٍ سُرُورٍ بَيْنَ شُرَابِهَا تَسْرِي
تَرِيكَ إِذَا مَا الْمَاءُ لَاوَذَ^٢ صِرْفَهَا تَوَائِبَ نَمَلٍ فِي زَجَاجَتِهَا شَقْرٍ
يَفِرُّ الْأَسَى عَنْ كُلِّ عَضْوٍ تَحَلَّاهُ فَرَارَ الْجَبَانِ الْقَلْبَ عَنْ مَرْكَزِ الذَّمْرِ
وَأَشْمَطَ خُضْنًا نَحْوَهُ اللَّيْلَ بِالسَّرَى وَقَدْ خَاطَمَهُ النَّوْمُ شَفْرًا عَلَى شَفْرِ
لَهُ بَيْعَةٍ مَا زَالَ فِيهَا مُحَلَّلًا حَرَامَ الرِّبَا فِي بَيْعِهِ التَّبَرِّ بِالتَّبَرِّ

١ النفر : ولد البقرة ؛ وهنا ولد الظليّة .

٢ لاوذ : راوغ .

بسطنا له الآمال عند انقباضه
معتقة حمراء تنشر فضلتها
إذا شمتها أعطاك جملة وصفها
لها قسوة من قلبه مستملة
ولله ما ينسأ منها لشربها
وقد عقدت أيمانها العذر دونها
وأبرز منها في الزجاجه جوهراً
تميع منها كالتضار مشجراً
أدركنا شعاع الشمس منها بأنجم
على حين شابت لمة الليل بالسنا
كان الثريا في انقباض أفولها
كان انهزام الليل بعد اقتحامه
كان عصا موسى النبي بضرها
كان عمود الصبح يبدي ضياؤه
رحيب ذرى المعروف مستهدف الندى
لأخذ عجوز من بنياته بكر
ليخطأها في اللون والطعم والنشر
ففي أنفه علم الفراسة بالحمور
لعنف نداماتها كذا قسوة الكفور
بتسهيل خلق الماء من خلقها الوعر
فحل ندى أيماننا عقد العذر
نسأله بالشم عن عراض السكر
وإن كان في رياه كالعبر الشحري
نبادرها مملوءة من يد البدر
ونقر عنا نومنا العود بالنقر
وشاح من الظلماء حل عن الحصر
تموج بحر ناقص المد بالجزر
تريك من الأظلام منفلق البحر
لعينيك ما في وجه يحيى من البشر
تندى الأماني في حدائقه الخضر

تَحَلَّبُ من يَمناه ثَجَّاجَةُ الندى وَتَنْبُتُ من ذَكَراه رِيحانةُ الفخر
له سيرةٌ في ملكه عُمَرِيَّةٌ وَكَفُ من الإعدامِ جابرةُ الكسر
بَعِيدٌ كذاتِ الشمسِ دانَ كنورها وَإِنْ لَمْ تَنْلَ ما نالَ من شَرَفِ القدر
تُكْفِكِفُ عنه سَوْرَةُ اللَّحْظِ هَيْبَةً فَلِلَّهِ مِنْهَا ما تَصَوَّرَ في الفِكر
كَأَنَّ الزَّمانَ الرَّحْبَ من ذَكَرِه فَمُ وَنَحْنُ لِسَانٌ فِيهِ يَنْطِقُ بِالشُّكْرِ
تَعَوَّدَ مِنْهُ المَالُ بِالْجُودِ بَذْلَةً * لِإِيسارِ ذِي عَسَرٍ وإِغْناءِ ذِي فَقْرٍ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَنْفِقْهُ أَنْفَقَ نَفْسَهُ وَصارَ إِلى ما كانَ تَدْرِي وَلَمْ تَدْرِ
كَأَنَّ عَطَاياه وَهْنٌ بِدايَةٍ بِحُورٍ وَإِنْ كَانَتْ مَكائِرُهُ القَطْرِ
هَمَامٌ إِذا ما هَمَّ أَمْضَى عَزائِمًا بَواتِرَ للأَعْمارِ بِالْقُضْبِ البُتْرِ
وَصَيَّرَ في إِقْحامِهِ مُهَجَّ العَدَى تَسِيلُ على مَذْلُوقَةٍ ١ الأَسَلِ السُّمْرِ
يَنْوبُ مَنْابَ السِّيفِ في الرُّوعِ ذَكَرُهُ فَمَا ذَكَرُ ماضٍ يَسِيلُ من الذِّكْرِ
وَيَخْطُ بِالْحَطِيِّ أَرْضَ كَرِيمَةٍ يَجْرُرُ فِيها ذَيْلَ جَحْفَلِهِ المَجْرِ
وَمُقْتَحَمُ الأَبْطالِ يَبْرُقُ بِالرَّدَى وَتَخْفِقُ في آفاقِهِ عَذَبُ النُّصْرِ
مُحَلَّقَةٌ في الجَوِّ مِنْهُ قَشاعِمُ كَأَنَّ شَراراً حَشَوَ أَعْيُنَها الخَرَدُ
تَرْوَحُ بَطاناً من لُحومِ عَدائِهِ فَمَا لِقَتِيلٍ خَرَّ في الأَرْضِ مِنْ قَبْرِ

١ مَذْلُوقَةٌ : مَحْدُودَةٌ .

وَيَشْتِي عَنْ الضَّرْبِ الْوَجِيعِ سَيُوفُهُ
وَكَمْ رَدَّهَا مَفْلُولَةً حَدُّ صَبْرِهِ
فَلَا تَلْمِزِ الْأَعْدَاءُ إِمْلَاءَ حِلْمِهِ ١ :
إِذَا لَبَدَ اللَّيْثُ الْغَضَنْفَرُ فَارْتَقَبْ
وَرَبَّ شَرَارٍ لِلْعَيُونِ مَوَاقِعِ
فِيَا ابْنَ تَمِيمٍ وَالْعُلَى مُسْتَجِيبَةُ
وَمَنْ مَالُهُ بِالْجُودِ يَسْرَحُ فِي الْوَرَى
حَلَلْنَا بِمَغْنَاكَ الَّذِي يُنْبِتُ الْغَنَى
وَكَمْ عَزَمَةٍ خَضْنَا بِهَا هَوْلَ لُجَّةٍ
وَجَدْنَا الْمُنَى وَالْأَمْنَ بَعْدَ شِدَائِدِ
فَمَدَحُكَ فِي الْإِحْسَانِ أَطْلَقَ مِقْوَلِي
وَجَدْنَا الْمُنَى وَالْأَمْنَ بَعْدَ شِدَائِدِ
وَفُوزَ أَنْاسٍ ، وَالْمَوَاهِبُ قِسْمَةٌ ،
وَرَفَعَ عَقِيرَاتِ الْمَدَائِحِ وَالْعُلَى
بِمَخْتَلَفِ الْأَلْفَاظِ وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ

١ إِمْلَاءُ حِلْمِهِ : تَأْجِيلُهُ وَإِمْهَالُهُ .

مَنْ الدَّمُ حُمْرًا فِي عَجَاجَاتِهِ الْكُدْرُ
إِذَا جَزَعُ الْهَيْجَاءِ فَلَّ شَبَابَ الصَّبْرِ
بِتَأْخِيرِ نَزْعِ السَّهْمِ يَصْدَعُ فِي الصَّخْرِ
لَهُ وَثْبَةٌ فَرَّاسَةٌ النَّابِ وَالظَّفَرِ
تَحَرَّكَ لِلْإِحْرَاقِ عَنْ سَاكِنِ الْجَمْرِ
لِكُلِّ أَمْرٍ نَادَاكَ يَا مَلِكَ الْعَصْرِ
طَلِيقًا ، وَكَمْ مَالٍ مِنَ الْبَخْلِ فِي أَسْرِ
وَيُجْرِي حَيَاةَ الْيُسْرِ فِي مَيِّتِ الْعَسْرِ
كَصَارِمِكَ الْمَاضِي ، وَنَائِلِكَ الْغَمْرِ
تُقَلِّبُ أَفْلَازَ الْقُلُوبِ مِنَ الذَّعْرِ
وَعِنْدَكَ أَفْسَنِي مَا تَبَقَّى مِنَ الْعَمْرِ
بِأَكْبَرَ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ شِيْمَةُ الْكَبْرِ
بَلْثَمَ سَحَابٍ مِنْ أَنْامِلِكَ الْعَشْرِ
تَصْبِيغُ إِلَى شَعْرِ تَكَلَّمَ بِالسَّحْرِ
كَمَخْتَلَفِ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَرْجِ الزَّهْرِ

فمن تاركٍ وكراً إليك مهاجرٍ ومن مستقرٍ من جنابك في وكر
 وإن كنت عن مجرى السوابق غائباً فحاضرٌ سبقي فيه مع قرح الخطر
 ويهدي إليك البحرُ درّاً مغاصه وإن لم تقف منه على طرفِ العبر
 حميت حمى العلياء في الملك ما سرى إلى الحجرِ الساري وخيمَ بالحجر

١٣٣

وقال يصف القصة التي أراد الثلاثة النفر فيها غدره فأجابه الله تعالى منهم ،
 وجرح الشريف علي بن أحمد الفهري وزيره ، ثم توفي بعد ذلك ، وعوجل
 القوم بالقتل فقتلوا وصلبوا بزويلة .

مَن كانَ عنه بُدَافِعُ القَدَرِ لم يُردِهِ جِنٌّ ولا بَشَرُ
 وثَنَى الردى عنه الردى جزعاً وَسَعَتْ على غيراته غيرُ
 ورَمَى عِداهُ بكلِّ داهِيَةٍ دهِياءَ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
 لا عِيبَ فيما كانَ من جَلَلٍ يحري بكلِّ مُقَدَّرٍ قَدَرُ
 إنَّ الملوِكَ ، وإنَّ هُمُ عَظُمُوا ، تُغَرِّى العُدَّةُ بِهِمُ ، وإنَّ حَقَرُوا
 والغَدْرُ قد مَلِىءَ الزمانُ به قِدمًا ، وكم نَطَقَتْ به السِيرُ

١ الخطر : السبق أو الشيء يتراهن عليه وهو مفتوح العين وإنما سكنه للشعر .

وأولو المكايِدِ إنْ رأوا فُرَصاً والمُصْطَفَى سَمَتَهُ كَافِرَةً
وَعَلَا مَعَاوِيَةَ بِذِي شُطْبٍ وَعَصَابَةٍ لِلْحَيِّنِ قَادَ بِهَا
حَتَّى إِذَا ظَنُّوا بِأَنَّهُمْ وَرَدُوا الْخُتُوفَ وَبَشَّ مَا وَرَدُوا
مِثْلَ الْفَرَاشِ تَقَحَّمَتْ سَعْرًا خَذَلُوا وَمَا نَصَرُوا عَلَى مَلِكٍ
رَدُّوا الْمَكَائِدَ فِي نُحُورِهِمْ كَانَ ابْتِدَاءُ فُسَادِهِمْ لَهُمْ
رَفَعُوا عِيُونَهُمْ إِلَى قَمَرٍ صَبَّ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ ذَرِبًا
عَجَبًا لَهُمْ بَطْنُوا بَعِيثِهِمْ يَبِيسَتْ جُدُوعُهُمْ وَهُمْ ثَمَرٌ
مِنْ كُلِّ رَأْبٍ سَلَّهَبٍ رَسَخَتْ وَكَأَنَّمَا الْحَرْبَاءُ مِنْهُ عَلا
أَوْ مَا رَأَوْا يَحْيَى ، سَعَادَتُهُ إِنَّ الزَّمَانَ خَدِيمٌ دَوْلَتِهِ
رَكَبُوا لَهَا الْعِزَمَاتِ وَابْتَدَرُوا لَتَضِيرَهُ ، أَوْ مَسَّهُ الضَّرَرُ
عِنْدَ الصَّبَاحِ لِيَشْجَهُ غُدَرِ ظَلَمُ النُّفُوسِ وَسَاقَهَا الْأَشْرُ
رَبَحُوا وَأَنْجَحَ سَعْيُهُمْ ، خَسَرُوا لَكُنْهُمْ وَرَدُّوا وَمَا صَدَرُوا
فَانْظُرْ إِلَى مَا تَصْنَعُ السُّعْرُ مَا زَالَ بِالرَّحْمَنِ يَنْتَصِرُ
عَنْ عَادِلٍ بِسُيُوفِهِ نُحِرُوا وَعَلَيْهِمْ بِصَلَاحِهِ الْخَبِرُ
فَرَمَاهُمْ بِرُجُومِهِ الْقَمَرُ فَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِهِ جَزَرُ
وَبَقَتْلَهُمْ إِذْ صَلَبُوا ظَهَرُوا لِلضُّيْعِ [أَيْنَع] ذَلِكَ الثَّمَرُ
مِنْهُ الْقَوَائِمُ مَا لَهُ حُضْرُ عُودًا ، وَنَارُ الشَّمْسِ تَسْتَعِرُ
وَقَفَّ عَلَيْهَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ يُفْقِي أَعَادِيهَا وَإِنْ كَثُرُوا

مَلِكٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ذِمَّتُهُ سِتْرٌ مَدِيدٌ ، ظِلُّهُ خَصِيرٌ
سَمَحٌ تَبَرَّجَ جُودُ رَاحَتِهِ لَعْفَاتِهِ ، وَلَعْرَضُهُ خَفَرٌ
ذُو هِيَاةٍ كَالشَّمْسِ مُنْقَبِضٌ عَنْهَا إِذَا انْبَسَطَتْ ، لَهُ النَّظَرُ
وَالْعَدْلُ فِيهَا وَالتَّقَى جُمِعَا فَكَأَنَّ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ
خَفَضَ الْجَنَاحَ وَخَفَضَهُ شَرَفٌ عَلَى السَّمَاءِ عِلَالُهُ قَدَرٌ
مُتَقَيِّظٌ الْعَزَمَاتِ تَحْسِبُهَا يَتَابُهَا مِنْ خَوْفِهِ السَّهَرُ
كَالسَّيْفِ هَزَّ غِرَارُهُ يَدِي لِّلضَرْبِ ، وَهُوَ مَصْمَمٌ ذَكَرَ
وَكَأَنَّ طَيْبَ ثَنَائِهِ أَرْجَ عَنْ رَوْضِهِ يَتَنَفَّسُ السَّحَرُ
تَنْمِي عَلَى الْأَعْدَاءِ عَزَمَتُهُ وَالزُّنْدُ أَوَّلُ نَارِهِ شَرُّ
وَكَأَنَّ رَكْنَ أَنَاتِهِ سَبَلٌ^١ بِمَوَارِدِ الْمَعْرُوفِ يَنْفَجِرُ
يَا فَاتِكَا بَعْدَاتِهِ أَبَدًا إِنَّ الذَّنَابَ تُبِيدُهَا الْهُصُرُ
شُكْرًا فَلِإِنَّ السَّعْدَ مُتَّصِلٌ وَصَلَتْ بِهِ أَيَّامُكَ الْغُرُ
وَاسْلَمْ فَإِنَّكَ فِي النَّدَى مَطَرٌ يَمْحُو الْمَحُولَ ، وَلِلْهَدَى وَزَرَ

وقال يعزي فيه ولده أبا الحسن علياً
وبهنته بالولاية وذلك سنة تسع وخمسمائة

تخريجها : النهاية وابن الأثير : ١ - ٤ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧

ما أغمِدَ العَضْبُ حَتَّى جُرِّدَ الذَّكَرُ وَلَا اخْتَفَى قَمَرٌ حَتَّى بَدَا قَمَرُ
قَدْ مَاتَ بِحَيِّ فَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِذَا مَا عَلِيٌّ جَاءَهُمْ نُشِرُوا
إِنْ يُبْعَثُوا بِسُرُورٍ مِنْ تَمْلُكِهِ فَمِنْ مَنِيَّةٍ بِحَيِّ بِالْأَسَى قُبِرُوا
أَوْفَى عَلِيٌّ فَسِنَّ الْمَلِكِ ضَاحِكَةً وَعَيْنُهُ مِنْ أَبِيهِ دَمْعُهَا هَمِيرُ
يَا يَوْمَ وَلَّى عَنِ الدُّنْيَا بِهِ طُمِسَتْ بِظُلْمَةِ الرِّزْوِ مِنْ أَنْوَارِكَ الْغُرَرُ
وَمَادَتْ الْأَرْضُ مِنْ فَقْدَانِهَا جِبَلًا يَنَابُعُ الْجُودِ مِنْ سَفْحِهِ تَنْفَجِرُ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ غِيَاضٌ مِنْ قَنَا وَظُبَا حَمْرُ الْحَمَالِقِ فِيهَا أَسَدُهَا الْمُصْرُ
يُرُونَ زُرْقَ ذَنَابٍ مَا ثَعَالِبُهَا إِلَّا عَوَامِلُ فِي أَيْمَانِهَا سُمُرُ
وَيَتْرَكُونَ إِذَا جَبَسَا الْوَعَى انْتِظَمَا سَلَخًا كَسَاهُ حَدِيدًا حَيَّةٌ ذَكَرُ
وَدِيعَةُ السَّيْلِ فِي الْبَطْحَاءِ غَادَرَهَا تَقْرِي الرِّمَاحَ بِهَا الْأَصَالُ وَالْبَكَرُ
لَمْ يُغْنِيَا عَنْهُ : لَا عِزٌّ يُدِلُّ بِهِ مَنْ كَانَ بِالْكَبَرِ فِي عَرْنِينِهِ أَشْرُ

١ ابن الأثير والنهاية : بموت يحيى أميت .

ولا مهابةٌ مَحْجُوبٍ تَبَرَّجُهَا
 شُقَّتْ جِيبُ الْمُعَالِي بِالْأَسَى وَبَكَتْ
 إِذِ السَّمَاءُ بِصَوْتِ الرَّعْدِ صَرَخَتْهَا
 وَالْجَوُّ مُتَقِدُّ الْأَحْشَاءِ مُكْتَتِبٌ
 وَقَلَّ لَابِنٍ تَمِيمٍ حُزْنٌ مَاتَمِهَا
 قَامَ الدَّلِيلُ وَيَحْيَى لَا حَيَاةَ لَهُ
 أَمْسَى دَفِيناً وَلَمْ تُدْفَنْ مَفَاخِرُهُ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أُعْطِيَ مُنَايَ بِهِ
 وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ أَرْتِيهِ وَكُنْتُ لَهُ
 يَا وَيْحَ طَارِقِ لَيْلٍ يَسْتَقِلُّ بِهِ
 فِي سَرَجِهِ مِنْ طُيُورِ الْخَيْلِ مُبْتَدِرٌ
 يَطْوِي الضَّمِيرَ عَلَى سِرٍّ يُكِنُّ بِهِ
 لَوْلَا حَدِيثُ عَلِيٍّ قُلْتُ مِنْ أَسْفَى
 إِنَّ هَذَا طَوْدٌ فَذَا طَوْدٌ يُعَادِلُهُ

كَأَنَّهُ عِنْدَ أَبْصَارِ الْوَرَى خَفَرَ
 فِي الْخَافِقَيْنِ عَلَيْهِ الْأَنْجُمُ الزَّهَرُ
 يَكَادُ مِنْهَا فَوَادُ الْأَرْضِ يَنْفَطِرُ
 كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِيهَا لِلْأَسَى سَعُرُ
 فَكُلَّ حُزْنٍ عَظِيمٍ فِيهِ مُحْتَقَرُ
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُبْقَى وَلَا تَذُرُ
 كَالْمِسْكِ يُطَوَّى، وَنَشْرٌ مِنْهُ يَنْتَشِرُ
 وَأَنْ يَطُولَ عَلَى عَمْرِي لَهُ عَمْرُ
 أَنْقَحُ الْمَدْحَ ، وَالْدُنْيَا لَهَا غَيْرُ
 سَامِي التَّلِيلِ بَرَاهُ الْأَيْنُ وَالضُّمُرُ
 وَمَا جَنَاحَاهُ إِلَّا الْعُنُقُ وَالْخَصِيرُ
 بُشْرَى وَنَعْيٍ ، حَيَارَى مِنْهُمَا الْبَشَرُ
 بِفَيْكِـيَا مِنْ نَعْيٍ يَحْيَى لَنَا الْعَفَرُ
 ظَلَّ تَوْمَنٌ فِي أَفْيَائِهِ الْجَدَرُ

١ ابن الأثير والنهاية : فبكت في كل أفق .

٢ اقرأ أيضاً : لها عبر .

٣ العفر : الثراب .

أَوْ غِيضَ بَحْرٍ فَذَا بَحْرٌ بِمَوْضِعِهِ
يَا وَاحِداً جُمِعَتْ فِيهِ الْكَرَامُ وَمَنْ
أَوْجَفْتُ^١ طِرْفَكَ وَالْإِيحَافُ عَادَتُهُ
لَمَّا سَرَيْتَ بِبَيْشٍ كُنْتَ جُمِلْتَ بِهِ
طَوَى لَهُ اللَّهُ سَهْباً بَتَّ قَاطِعَهُ
وَقَصَرَ السَّعْدُ لَيْلاً فَالْتَقَى عَجَلاً
وَفِي ضُلُوعِكَ قَلْبٌ حَشَوَهُ هِمَمٌ
حَتَّى كَسَوَتْ حَيَاةً جِسْمَ مَمْلُوكَةٍ
هَنَّتْ بِالْمَلِكِ إِذْ عَزَّيْتَ فِي مَلِكٍ
جَلَسْتَ فِي الدَّسْتِ بِالتَّوْفِيقِ وَابْتَهَجْتَ
أَضْحَتْ عُلَاكَ عَلَى التَّمَكِينِ ثَابِتَةً
تَنَاولَ الْقَوَسَ بَارِيهَا ، فَأَسْهَمُهُ
وَقَامَ بِالْأَمْرِ سَهْمٌ مِنْكَ مُعْتَزِمٌ
وَأَصْبَحْتَ هِمَمُ الْآمَالِ سَانِيَةً^٢
وَأَنْتَ سَمَحٌ بِطَبْعٍ غَيْرِ مُنْتَقِلٍ
وَاسْلَمْ لِعَزِّ بَنِي الْإِسْلَامِ مَا سَجَعْتَ

لَوَارِدِيهِ نَمِيرٌ مَأْوُهُ خَصِيرٌ
بَسِيفِهِ مِلَّةٌ التَّوْحِيدِ تَنْتَصِرُ
وَالصَّبْحُ مُحْتَجِبٌ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
وَمَا رَفِيقَاكَ إِلَّا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ
كَأَنْتَمَا بَعْدَهُ بِالْقُرْبِ يُخْتَصِرُ
مِنْهُ الْعِشَاءُ عَلَى كَفَيْكَ وَالسَّحَرُ
وَبَيْنَ عَيْنِكَ عَزْمٌ نَوْمُهُ سَهَرٌ
بِرَدِّ رُوحٍ إِلَيْهِ مِنْكَ يَنْتَظِرُ
لِمَوْتِهِ كَانَ مِنْكَ الْعَيْشُ يَذْخِرُ
بِكَ الْمَنَابِرُ وَالتَّيْجَانُ وَالسُّرُرُ
فَطِيبُ ذِكْرِكَ فِي الدُّنْيَا لَهُ سَفَرُ
نَوَافِدُ فِي الْعَدَى ، أَغْرَاضُهَا الثُّغَرُ
يَجْرِي مِنَ اللَّهِ فِي إِسْعَادِهِ الْقَدَرُ
عَنِ الْعَطَايَا الَّتِي عُثَانُهَا الْبِدَرُ
سَيَّانٍ فِي الْمَحَلِّ مِنْكَ الْجَوْدُ وَالْمَطَرُ
سَوَامِرُ الطَّيْرِ وَانَادَتْ بِهَا السَّمَرُ^٣

١ أوجف : حث الدابة على السير .

٢ سانية : عالية مرتفعة .

٣ انآدت : اهتزت ؛ السمر : جمع سمرة .

وقال يهنيء عليّ بن يحيى ويذكر غلط المنجم في ما شغل به ضميره
ويصف ذمام حضرة جزيرة جربة

كفى سيفك الإسلام عادية الكفر
وأصبح قولُ المبطلين مكذباً
وأين الذي حدّ المنجمُ كونهُ
وما قرعَ الأسماعَ بالخبرِ الذي
غدا الزيجُ ريحاً في تناقضِ علمه
فهلاً رأى قطعاً عليهِ بسجنهِ
وانّ علياً ينتضي القُضْبَ التي
لقد ضلّ عبّادُ النجومِ وما اهتموا
وكم مرّةً في الدنيا لهم منْ مُمّخرِقِ
إذا جالَ في علم الغيوبِ حسبتهُ
أباطيلُ تجري بالحقائقِ بينهم
وَصُلّتَ على العادينَ بالعزّ والنصر
ومدّ لكَ الرَّحْمَنُ في أمدِ العُمُرِ
إذا مرّ للصّوامِ عَشْرُ منَ الشَّهْرِ
أبى اللهُ إلّا أنْ يُكذِّبَ بالخبرِ
وتعديلهُ عُرْفاً أحوالَ على نُكْرٍ
ومَشياً بدُهمِ كانَ بالكَبْوِ والعُرَا
يرُدّ بها مدّ العُدّةِ إلى قَصْرِ
بيعثِ رسولٍ للأنامِ ولا ذكر
مِنَ النَّاسِ مَطْوِيّ الضَّلُوعِ على غَمَرٍ
مسيّلةَ الكَذَابِ قامَ من القبرِ
من الكِذْبِ منهم لا عن السبعةِ الزهرِ

١ أي هلا أنبأته النجوم بأن القطع واقع عليه، والقطع هو ما سيصيبه من نحس إذ يسجن ويمشي في الدهم أي القيود.

وميلٌ إليها بالظنون وإنما
 وما الشُّهُبُ إلا كالمصابيحِ تلتَظي
 فيا أيها المغترّ بالنجمِ قلْ لنا
 وبينكما بَوْنٌ بعيدٌ فما الذي
 فيا أحلّمَ الأملاكِ عن ذي حِبالَةٍ
 [تدارك] جهولاً ضلّ أو زلّ أو به
 فصيرٌ جميلٌ الصّفحِ عنه عِقَابُهُ
 سُعودُكَ في نيلِ المُنَى لا تَوَقَّفتْ
 ملكتَ فمهدتَ الأمورَ مُجرّداً
 ونظّمتَ حباتِ القلوبِ مَحَبَّةً
 لأمرٍ أدمتَ الحَصَرَ في حربٍ جَرَبَةٍ
 وترَكُكَ بالزَّرَقِ اللّهاذِمِ أهلها
 وما ضُويِقُوا مِن قبلِ هذا وإنما
 بسيرِ جَيُوشٍ في البحُورِ إليهمُ

١ الحجر : العقل .

٢ الغفر : منزل من منازل القمر .

٣ الإمر : العجب المنكر .

٤ جربة : جزيرة قرب قابس .

إذا انتقلت بالصيد قلت تعجباً
مجردةً بيض الحتوفِ خوفاً
وكلّ مديري يتقي بمجاذف
تري الشحم فوق القار منه مميّعاً
سوادُ غرابٍ في بياض حمامةٍ
قطعت بهم في العيش من كلّ جانبٍ
وكم طائرٍ منهم قصصت جناحهُ
ولما رأوا أن المخنق منهم
أنابوا وتابوا عن ذنوبٍ تقدّمت
فإن نَشَرُوا ما بينهم لك طاعةُ
فعندك نارٌ تركبُ الماءَ نحوهم
ونبلٌ كنبِلِ الأعْيُنِ النُّجْلِ أُرْسِلَتْ
تُنصَلُ للأعداءِ في الحرب بالرّدى
ولن يخذعوا في الحرب، وهو مبيدهم،
وأنت من الأعداءِ أدهى خديعةً
وكنّت عن التحريض بالحزم غانياً
خلقت لنا من جوهر الفضل سيّداً

متى انتقل الآجام بالأُسْدِ المُضِر
بها العذباتُ الحمر في اللجج الحضر
مشاكلة التشبيه في الأتمل العشر
فيا من رأى ليلاً تَسْرُولَ بالفجر
تطيرُ به سبْحاً على الماءِ أو تجري
فقد أقصروا فيها عن النظم بالنثر
فأصبحَ مسجوناً عن النهض في الوكر
سَدَدَتْ به مجرى التنفّس في الصدر
بزعمهم من قطعهم سُبُلَ البحر
وقد طُويت منهم صدورٌ على غمر
لها زُنْدٌ يقدح من زُنْدٍ بُتِرِ
تطيرُ بريشٍ مستعار من النسر
إذا نُصِّلَتْ هاتيكَ في السلم بالسحر
فَيَ كان مولوداً من الحرب في حِجْرٍ
إذا ما صدّمت الجيش في الجيش بالمر
وהל يَعْدَمُ الإحراقَ مُتَقِدُ الحمر
ويمنالك من يُمن ويُسْرَاك من يُسر

وَعَوَّلَ فِي الْعُسْرِ الْفَقِيرُ عَلَى نَدَى
زَمَانُكَ لَا يَنْفَكُ يَفْتَرِسُ الْعَدَى
وَطَعْمَاكَ مِنْ شَهْدٍ ، وَطَابَ لِأَهْلِهِ ،
حَيَاةُ ابْنِ يَحْيَى لِلْأَعَادِي مَنِيَّةُ
لَقَدْ فَخَرْتَ مِنْهُ الْعَالِي بِسَمِيذَعٍ
بِأَكْبَرَ يَسْتَخْذِي لَهُ كُلَّ أَكْبَرٍ
إِذَا مُدِحَ الْأَمْلَاكُ قَامَ بِمَدْحِهِ
إِلَيْكَ امْتَطِينَا كُلَّ رَاغٍ بِمَوْجِهِ
إِذَا مَا طَمَا وَامْتَدَّ بِالرَّيْحِ مَدَّةُ
وَلَوْلَاكَ لَمْ نَرْكَبْ غَوَارِبَ زَاخِرٍ
وَإِنْ فَاتَنِي إِعْذَارُ شَبِيلِكَ بِالْغَنَى
ضَعَفْتُ عَنِ التَّهَضُّبِ الْقَوِي زَمَانَةً
وَإِنِّي لِأَهْدِي فِي سُلُوكِ غَرَائِبِي
إِذَا مَا بَنَى بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ مَقُولِي
وَمَا الشَّعْرُ مَا يَخْلُو مِنَ الْكَسْرِ وَزَنُهُ
وَإِنِّي بِمَا فَوْقَ الْمَنَى مِنْكَ مُوقِنٌ
يَدِيكَ ، وَهَلْ يَغْنَى الْكَسِيرُ عَنِ الْجَبْرِ
كَذِي لِبَدَةٍ مُسْتَعْظَمِ النَّابِ وَالظَّفَرِ
وِخْلُفَاكَ مِنْ سَهْلٍ عَلَيْهِمْ وَمِنْ وَعَرٍ
وَأَعْمَارُهُمْ مَبْتُورَةٌ مِنْهُ بِالْعَمْرِ
لِإِحْسَانِهِ وَجْهٌ تَبْرَقَعُ بِالْبَشْرِ
فِيُطْرِقُ إِطْرَاقَ الْبُغَاثَةِ لِلصَّقْرِ
لَهُ قَدَمٌ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ الْفَخْرِ
كَمَا جَرَجَرُ الْقَرَمُ الْحَقُودُ عَلَى الْمَكْرِي
ذَكَرْنَا بِهِ فَيَئَاضَ نَائِلِكَ الْغَمْرِ
مُسْنَمَةً فِي اللَّحْمِ مِنْهُ إِلَى الْعَمْرِ
فَإِنَّ بَرَكَ الْعِزْمِ مُتَضَيِّحَ الْعُنْدِ
وَنُقِلَ بَعْدَ الْبَاعِ خَطُوي إِلَى شَبْرِ
وَمُعْجَزَ نَظْمِي كُلَّ جَوْهَرَةٍ بِكَرٍ
ثَنِي نَائِبًا عَنْ هَدْمِهِ مَعُولَ الدَّهْرِ
وَلَكِنَّهُ سَحَرٌ وَبَابِلُهُ فِكْرِي
وَكَمْ شَرَقَ لَيْثٌ مِنْ وَابِلِ الْقَطْرِ

وقال يمدحه ويهنته بالعيد

عجبي من سكينتي ووقاري بعد صيدِ المِها وخلقِ العِذار
 واجتلائي من الشمسِ عروساً نَقَطْتَ خَدَّها بزُهرِ الدَّراري
 بنتُ ما شئتَ من زمانٍ قديمٍ يَنْطوي عُمْرُها على الأعْصار
 في صَمُوتٍ أقرَّ بالنشرِ منها وهو تَحْتَ الصَّعيدِ نائي القَرار
 فإذا فُضَّ خاتَمٌ عنه أهدت أَرَجَ المِسْكِ وهي في ثوبِ نار
 قهوةٌ مَزَقَتْ بكفِّ سناها بُرُقِعَ اللَّيْلُ عن مُحَيَّا النِّهار
 عدَلَتْ بعد سيرة الجور لما نَرَجَسَ المَرْجُ لونها الجُلُناري
 وحكى نَشْرَها النسيمُ ولكن بعدما نَامَ في حُجُور البَهار
 وهي ياقوتةٌ تَبْرُقُ خَدّاً من جُمانٍ منظمٍ بَعِجار
 كلما صافحتُ يداً من لَحينٍ مَنَحَتْها أُناملًا من نِصار
 جوهرٌ يَبْعَثُ المِسْرَةَ منه عَرَضَ في لَطائفِ الجِسمِ سار
 وكأنَّ العيونَ تَلْحَظُ منه صورةً رُوحِها من الجِسمِ عار
 أنكحوا عند مزجها الماءَ ناراً فارتمت عند لمسه بالشرار

وانبزت منها ولائدُ دُرٍّ طائرِ الوُثبِ عنهما بالنفّار
في قميصِ الشرابِ منها شعاعٌ يُبْرِدُ الهمَّ وهو عَيْنُ الأوار
في رياضِ تنوّعِ النّورِ فيها كالِواقيتِ في حِقاقِ التّجار
فكأنّ البنفسجَ الغضّ منه زرقَةُ العَصّ في نهودِ الجوّاري
وكانَ الشقيقَ حُمُرُ خدودِ نقطَ المسكُ فوقها بانتشار
مُطربٌ عندها غناءُ الغواني في سنا الصبحِ أو غناءُ القماري
كانَ ذا كَلِّه زمانَ شبابِ كنتُ فيه على الدُمى بالخيار
هل تردُّ الأيامُ حسني ومَن لي بكمالِ الهلالِ بعد السّرار
نحن قومٌ ما بيننا نتاجي بالأحاديثِ في الملوكِ الكبار
مَلِكٌ في حمايةِ المُلِكِ منه دَخَلَ الناسُ في حديثِ البحار
ووجدنا فخر ابنِ يحيى عريضاً ظُنَّ ما شئتَ غيرَ ضيقِ الفخار
ملك في حمايةِ الملكِ منه قَسُورٌ شائكٌ البراشنِ ضار
عادلٌ يتقي الإلهَ ويعفو عن ذوي السيئاتِ عَفْوَ اقتدار
أُسكنَ اللهُ رَافَةَ منه قلباً وَرَساً طودُ حلمه في الوقار
لا تزالُ الأبرارُ تَأْمَنُ منه سَطَوَةٌ تُتَقَى على الفُجّار
أُرِحي حُلُوَ الشّمالكِ تجري بين أخلاقِهِ شَمُولُ العقار
لا يُجَارَى لسبقه ، فلهذا لم يَجِدْ في مَدَى العُلَى من يجاري
كلّ فضلٍ مقسّمٍ في البرايا منه ، والشمسُ عُنْصُرُ الأنوار

فالتقُّ هامةَ الشجاع بعَضْبٍ مطفىءٍ رُوْحَهُ بإيقادِ نار
 وإذا الحربُ أقبلتْ بالمتنايا كَرَّ ، والذمرُ لائِثٌ بالفرار
 لم تَنَمْ عنده الظبا في جُفُونٍ فالهْدَى بانتباهها ذو انتصار
 وهو في حميرِ الملوكِ عريقٌ في صميمِ العلى وَمَحْضَرِ النجار
 سادةٌ يُطْلِعُ الدراريَّ منهم فَلَكَ في العلى قديمِ المدار
 همُ أقاموا زَيْغَ العدى بذكورٍ تكتسي بالدماء وهي عَوَار
 حيث يَلْقَوْنَهُمْ بوضعِ حدودٍ لهمُ في الثرى ورفعِ عَمَارٍ
 عدٌّ عن غيرهم وعَوِّلٌ عليهمُ فهمُ في الوغى حُمَاةُ الدمار
 وإذا ما قَدَحَتْ نارك فَاخْتَرَّ زَنْدَ مَرَّخٍ لِقَدْحِهَا أو عَفَارٍ
 مُعْلَمٌ في الوغى إذا خاف غفلٌ شهرةً منه للإلالِ ٣ الحرار
 والعيابُ حوله تتعادي كالسراحين بالأسود الضواري
 كل بحرٍ يسطو بجدول غمرٍ جامد فيه وهو بالسيل جاري
 والأساطيلُ في الزواجر يرمي بلدَ الروم غَزَوُهَا بالدمار
 يابساتُ العيدانِ تُثْمِرُ بالغى يدٍ إذا أَوْرَقَتْ ببيض الشفار

١ العمار : الريحان ، وهو إشارة التحية للملوك والسادة .

٢ المَرخ والعفار : نوعان من الشجر يصلحان للقندح ، وفي المثل : استمجد المَرخ والعفار ، وقالوا أيضاً : اقدح بعفار أو مرخ .

٣ الإلال : جمع ألة وهي الحربة العظيمة النصل .

راعفاتُ القنا تَلَوْنُ فيها
 مِحْرَبٌ يقهر العداة وَيُلْقِي
 والمنايا كالمُشْفِقَاتِ تُنَادِي
 في خميس تُغَمِّضُ الشَّمْسُ عَيْنًا
 تحسب الطيرَ وهي وَقَفٌ [عليه]
 عَمَّنَا في جواره خفضُ عيشٍ
 ننتقي لفظَ وصفه ونروِّي
 ونذاهُ كما تراه ارتجالُ
 يا ابن يحيى الذي ينيل الغنى يه
 لك يدعو بمكة كلَّ بَرٍّ
 ومطلٌ على منى بعد حجٍّ
 والذي زارَ أرضَ طيبة يَغْشَى
 فهنيئاً للعيد عزَّةٌ مَلَكُ
 وابقَ في المَلِكِ لابتناءِ المعالي
 عَذَبَاتٌ كمثل مُصْحَفٍ قاري
 كَلْكَلَ الحَرْبِ منهمُ في الديار
 بينها حَذَارٍ منه حذار
 فوقه من مَهِيلٍ نَقَعَ مِثَار
 رُقِمَتْ منه في ملاء الغبار
 فذكرنا بذاك حسنُ الجوار
 مُدَدَاً في خواطر الأفكار
 جابرٌ في الفقير كَسَرَ الفقار
 نَ حياءٍ من رِفْده واعتذار
 حول بيت الإله ذي الأستار
 لِبَلُوغِ المُنَى وزمي الجمار
 خَدُّهُ قَبْرَ أَحْمَدَ المختار
 [بات] يرمي العدى بذلَّ الصَّغار
 وَلِصَوْنِ الهدى وَبَذَلِ النَّصَار

وقال أيضاً يمدحه ويهنته بالعيد

هل كان أودع سرَّ قلبٍ مِحجراً صبُّ يكابد دمه المتحدرا
 باتت له عين تفيض بِلُجَّةٍ قَذَفَ السَّهَادُ على سواحلها الكرى
 ما بال سالي القلب عَنَفَ من له قلبٌ بتفتيرِ اللحاظِ نفطراً
 ورمى نصيحته إلى قنص الهوى فإذا رَعَى حَوْلَ الخبائلِ نُفِراً
 إن الغرامَ غرامُهُ ذو سَوْرَةٍ ومن العيونِ على القلوبِ تَسُورَا
 وإذا تَعَلَّقَ بالعَلاقَةِ مُهْتَدٍ ورنّا إلى حَوَرِ الطِّباءِ تحيِّرا
 ومن الفواتكِ بالورى لك عادةٌ كَحَلَّتْ بمثلِ السحرِ طرفاً أحورا
 ملآنُ منها حِقْفُهَا ، وَوِشَاحُهَا صِفْرٌ تَخَالُ الحَصْرَ فيه خِنَصْرَا
 عادت سقيماً من سقام جفونها خطرت عليه كروية فتخطّرا
 شَرِقَ الظلامُ تَأَلَّفَا بضياءِها فكأنّما شَرِبَ الصّباحِ المسفرا
 سَحَبَتْ ذوائِبَها فيا لأساودِ نَفَقَتْ على القدمينِ مِسْكَاً أذفرا
 ومشت تَرَنُّحٌ كالترفيفِ ومشياها فَضَحَ القِطَاةَ بحسنه والجُودَ رَا
 فعجبتُ من غُصْنٍ تُدَافِعُهُ الصِّبَا بالنهدِ أثمرِ والثنايا نورَا

مَعشوقَةٌ حَيَّتْ بوردَةٍ وَجَنَةٍ وَسَقَتْ بِكَاسٍ فَمِ سُلَافًا مُسْكِرًا
لَا تَعْجِبْنِي مِمَّا أَقُولُ فَمَقُولِي عَنْ حُكْمِ عَيْتِي بِالْبَخِيلَةِ أَخْبِرَا
إِنِّي أَمْرُو كُلِّ الْفَكَاهَةِ حَازَهَا وَالصَّيْدُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
يَا رَبِّ ذِي مَدَّةٍ وَجَزْرِ مَآوِهِ لَلْفَلَكِ هُلكٌ قَطَعُهُ فَتَسِرَا
نَفَخَ الدَّجَى لَمَّا رَأَاهُ مَيِّتًا فِيهِ مَكَانَ الرُّوحِ رِيحًا صَرَصِرَا
يُفْضِي إِلَى حَيِّ الْعِبَابِ تَخَالِهِ لَوْلَا رَبِّي الْآذِيُّ قَبْعًا مَقْفِرَا
يَخْشَى لَوْحَشَتَهُ السَّلَاسِيكَ سُلُوكَهُ وَيَلُوكُ فِيهِ الرَّعْبُ قَلْبَ الشَّنْفَرَى
خُضْنَا حِشَاهُ فِي حَشَى زَنْجِيَةٍ كَمُسِفَةٍ شَقَّتْ سُكَاكًا أَغْبِرَا
تَنْجُو أَمَامَ الْقَدَحِ وَتَخَذُ نَجِيَّةَ فَكَأَنَّهُ فَحْلٌ عَلَيْهَا جَرَجِرَا
بَحْرٌ حَكَى جُودَ ابْنِ يَحْيَى فِيضُهُ وَطَمَا بِسَيْفِ الْقَصْرِ مِنْهُ فَقَصَّرَا
أَقْرَى الْمُلُوكِ يَدًا وَأَرْفَعَ ذِمَّةَ وَأَجَلَ مَنْقَبَةً وَأَكْرَمَ عُنْصُرَا
لَا تَحْسِبِ الْهَمَّاتِ شَيْئًا وَاحِدًا شَتَانَ مَا بَيْنَ الثَّرِيَا وَالثَّرَى
بَدْرُ الْمَهَابَةِ يَحْتَبِي فِي دَسْتِهِ مَلِكٌ إِذَا مَلِكٌ رَأَاهُ كَبَّرَا
نَجَلُ الْأَعَاظِمِ مِنْ ذَوَابَةِ حِمِيرٍ صَقَلَ الزَّمَانُ بِهِ مَفَاخِرَ حَمِيرَا
يَزْدَانُ فِي الْعُلْيَاءِ مِنْهُ سَرِيرُهُ بِمَمْلَكَةٍ فِي الْمَهْدِ كَانَ مَوْئِرَا
لَيْسَ التَّدَلُّلَ وَالْخُشُوعَ لِعِزِّهِ كُلُّ أَمْرٍ لَيْسَ الْخَفَى وَتَحِيرَا

وكأنما في كلِّ مِقْوَلٍ ناطقٍ من ذكره خَوْفٌ يُسَلِّ مُذَكِّراً
وكانه في الدهر خَيْرَ فانتقى أَيْامَهُ من حُسْنِهَا وتَخَيِّراً
طَلَّقُ المَحْيَا لا بُسُورَ له إذا بَسَرَ الحِمَامُ بمَأْزِقٍ وتَمَعَّراً^١
أَخْدودُهُ في الرَّأْسِ ضَرْبَةُ أبيضٍ وقلبيهِ في القلبِ طَعْنَةُ أَسْمَرَا
وإذا تَعَرَّى للشَّجَاعِ حُسَامُهُ بكريهَةٍ قَتَلَ الشَّجَاعَةَ بالعِرا
كَمِ مِنْ صَرِيحٍ عَاطِلٍ مِنْ رَأْسِهِ بالضَرْبِ طَوَّقَهُ حَسَاماً مَبْتِراً
مَتِيقُظٌ مَلَأَ الزَّمَانَ لِأَهْلِهِ أَمْنًا أَنَامَ بِهِ وخَوْفاً أَسْهَرَا
عَصَفَتْ لِتَدْرِكِهِ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا جَمَدَتْ [وَقَرَّتْ] خَلْفَهُ لَمَّا جَرَى
أَحْبَبَ بِذَلِكَ السَّبْقِ إِذْ هُوَ فِي مَدَى شَرَفٍ يَثِيرُ بِهِ العَلَى لا العَثِيرَا
يُسْنِدِي المَكَارِمِ مِنْ أَنَامِلٍ مُفْضِلٍ أَغْنَى الزَّمَانَ بَنِيهَا مَنْ أَفْقَرَا
أَحْيَا بِهِ المَعْرُوفَ بَيْنَ عِبَادِهِ رَبُّ بِسِيرَتِهِ أَمَاتَ المَنْكَرَا
وَكَتَبَتْ كَتَبَتْ صُدُورُ رِمَاحِهَا لِلْمَوْتِ فِي صُحُفِ الحَيَازِمِ أَسْطَرَا
مُلِيتْ بِهَا الحَرْبُ العَوَّانُ ضِرَاعِمَا وَصَلَادِمَا وَقَشَاعِمَا وَسَنَوْرَا^٢
جَاءَتْ لَفِيضًا فِي رِوَاقٍ عِجَاجَةٍ سَوْدَاءَ دَرَاهِمِهَا اللَّمِيعُ وَدَنَرَا
وَبَدَا عَلِيٌّ فِي سَمَاءٍ قَتَامِهَا قَمَرًا وَصَالَ عَلَى الفَوَارِسِ قَسُورَا

١ بسر : كلح وعبس . تمر : قطب عبوساً .

٢ الصلادم : خيول شديدة الخوافر ؛ السنور : لبوس الحرب .

بخطيبٍ موتٍ في الوقائع جاعلٍ
بحرٍ إذا ما القرنُ رامُ عبورهُ
عَطِبتْ به مُهَجُّ الجبابة الألى
رسبتْ بلجته النفوسُ ولو طفتْ
وَرَدَ النجيعَ وَسَوَّسَنُ جنباته
وكأنما نارٌ تُشَبِّ بمتمنه
فَتَقَّ الرياحُ بفخره فكأنما
رَفَعَ القريضُ به عَقَائِرَ مَدَحِهِ
وَأَتَى العطاءُ مفضضاً ومذهباً
فكأنما زخرتْ غواربُ دجلةٍ
يا مَنْ إذا بَصَرَ رآه فقد رأى
وبدا له أنا بالسِّنةِ العلى
من نُورٍ بشركٍ أشرقَ النور الذي
واسلمُ للملكِ في تَفْقَاعُ عِزَّةٍ
لغراره رأسَ المدججِ مِنْبَرَا
لم يَلْتَقَ فيه إلى السلامة معبرا
بَصُرُوا بكسرى في الزمان وقيصرا
لحسبته قَبْلَ القيامةِ محشرا
ثم استقلَّ بهنَّ ورداً أجمرا
أبدأ تُحَرِّقُ فيه روضاً أخضرا
خُضْنَا إليه بالمعاطسِ عنبرا
فاهتزَّ في يده الندى وتفجَّرا
وَأَتَى الثناءُ مسهماً ومجبرا
وكأنما نُشِرَتْ وشائعُ عبقرها
في بردتِه الأكرمين من الورى
في جوهر الأملاك ننظم جوهرها
بتكاثُرِ الأعياد عندك بَشْرَا
وَأَبِدْ بسيفك من عدا واستكبرا

وقال يمدحه ويذكر قصة الحرية التي أخرجها من المهديّة لحرب شوان
واصلة من صقلية إلى قابس ويهنّته بوصول المراكب إلى المهديّة — إذ كانت العادة
جارية بتهنّته بوصولها — سنة اثنتي عشرة وخمسمائة :

نَعِيمُكَ أَنْ تُزِفَ لَكَ الْعُقَارُ عروساً في خلائقها نِفَارُ
فإن مزجت وجدت لها انقياداً كما تنقادُ بالحدّ عِ النَّوَارُ
رأيتُ الرّاحَ للأفراح قطباً عليه من الصُّبُوح لها مَدَارُ
إذا ضَحِكَتْ لِمُبْصِرِهَا رِياضُ^١ بواكِ فَوَقَّها سَحْبُ غِزار
كَأَنَّ فروعها أيدٍ أشارتْ بأطرافٍ خواتمها قصار
ولم أرَ قبل رؤيتها سيوفاً لجوهرهنّ بالهزِّ انتشار
ولا زندياً له في الجوّ قدحٌ مكانَ شرارها هَمَّتِ القِطَارُ^٢
وقائِدةٍ إليك من القناني كميّاً جُلَّتْها في الدنّ قارُ^٣
تروحُ لسكرها بك في عِثَارٍ فتحمده ، إذا ذُمَّ العِشار

١ النوار : المرأة النفور .

٢ القطار : المطر ، مفردة قطرة .

٣ الكميّة : الفرس في لونه حمرة ؛ وهو هنا يعني الخمر ، والجل : الجلال أي ما تلبسه الدابة لتصان به .

إِذَا مُزِجَتْ لِيَتَعَدَلَ فِي النَّدَامَى تَطَايَرَ عَنْ جَوَانِبِهَا الْبُشَارِ
 وَقُلْتُ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى عُجَابٍ أَثْغَرُ الْمَاءِ تَضْحَكُ عَنْهُ نَارُ
 تَلَقَّى مَهَاهَا^١ عَيْشُكَ مِنْ مَهَاهَا [وَزِينَتِهَا] الْقِلَادَةُ وَالسَّوَارِ
 تُمَرِّضُ مُقَلَّةً لِيَصْغَ وَجْدُ تَوَارَى فِي الضُّلُوعِ لَهُ أَوَارِ
 وَبِفَتْنٍ شَخْصَكَ الْمَرْمِيَّ مِنْهَا فَتَوَّرَ بِالْمَلَاخَةِ وَاحْشُورِ
 وَخَذَ مَاءً مِنَ الْيَاقُوتِ يَطْفُو لَهُ دُرٌّ مُجَوَّفَةٌ صَغَارِ
 يَبْرِيكَ حَدِيقَةً مِنْ يَاسْمِينٍ تَفْتَحُ وَسَطَهَا لَهُ^٢ جُلْنَارِ
 إِذَا فَتَحَ الْمَزَاجُ اللَّوْنَ مِنْهَا مَضَى وَرَدٌ لَهَا وَأَتَى بَهَارِ
 فَقَدْ طَرَدَ الْكَرَى عَنَّا خَطِيبٌ رَفِيعُ الصَّوْتِ مِنبَرُهُ الْجِدَارِ^٣
 وَرَقٌ ذَمَاءُ نَفْسٍ اللَّيْلِ لَمَّا تَنَفَّسَ فِي جَوَانِبِهَا النَّهَارِ
 أَدِرْ ذَهَبَ الْعَقَارِ لِنَنْفِي هَمٍّ وَلَا نَحْزَنُ إِذَا ذَهَبَ الْعَقَارُ
 فَلِلْمَعْرُوفِ فِي يُمْتَى عَلِيٍّ غِنًى لَا يُتْقَى مَعَهُ افْتِقَارِ
 هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي اضْطَرَبَتْ إِلَيْهِ بِقُصْدِهِ الْخَضَارُ وَالْقَفَارِ

١ المهاء : الطلاوة والحسن ؛ وقال عمران بن حطان « وليس لعيشنا هذا مهاه » .

٢ اقصر الهاء من « له » عند القراءة .

٣ في « م » انحدار ، وهو يتحدث عن الديك وأنه يخُطب مؤذناً بطلوع الصبح ، والديك منبره الجدار أي يقف على الحيطان .

٤ العقار : الملك ، وذهابه إنفاقه في سبيل الخمر .

تَرْفَعُ مِنْ مَعَالِيهِ مَحَلًّا ۖ لَهُ فِي سَمَكِهِ الدَّرِيُّ جَارُ
وَأَعْرَقَ فِي نَجَارٍ حَمِيرٍ ۖ فَطَابَ الْفَرْعُ مِنْهُ وَالنَّجَارُ
وَمَا زَالُوا بِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا لَهُ يَمْنَى تَجَاوِدَهَا يَسَارُ
تَعَمُّ الْوَفْدَ مِنْ يَدِهِ أَبَادٍ ۖ كَأَنَّ الْبَحْرَ مِنْ يَدِهِ اخْتِصَارُ
وَيَسْمَحُ زَنْدَهُ بِجُذْدَى تَلْظَى ۖ إِذَا زَنْدٌ خَبَا وَوَهَى الْعَفَارُ
وَلِنْ وَهَبَ الْأُلُوفَ وَهْنٌ كَثُرُ ۖ تَقْدِمَ قَبْلَهُنَّ الْإِعْتَذَارُ
عَظِيمُ الْجَدِّ يَضْرِبُ مِنْ ظِبَاهِ ۖ وَيَطْعُنُ مِنْ أَسْتِهِ الْبُورُ
يَسِيرُ وَخَلْفَهُ أَبْطَالُ حَرْبٍ ۖ عَلَى حَوْضِ الْمُنُونِ لَهُمْ تَبَارُ
إِذَا أَضْحَى شَعَارُ الْأُسْدِ شَعْرًا ۖ فَمَنْ زَرَدِ الدَّرُوعَ لَهُمْ شَعَارُ
وَقَدْ وَسَّعَتْهُمْ الْحَلَقَاتُ مِنْهَا ۖ وَأَحْمَتَهُنَّ لِلْهِجَاءِ نَارُ
يَخُوضُ حَتَّى الْكَرْبَةِ مِنْهُ جَيْشُ ۖ نَجُومُ سَمَائِهِ الْأَسْلُ الْحَرَارُ
بَحِثْ تَغَوْرُ مِنْ قَمَمِ الْأَعَادِي ۖ جَدَاوِلُ بِالْأَكْفِ لَهَا انْفِجَارُ
إِذَا لَبَسَتْ سَمَاءٌ مِنْهُ أَرْضًا ۖ دَجَاها فَوْقَهُ نَقَعَ مِثَارُ
تَوِيكَ قَشَاعِمًا فِي الْجَوِّ مِنْهَا ۖ حَوَائِمَ كُلَّمَا ارْتَكَمَ الْغَبَارُ
حَسَامُكَ نُورُ ذَهْنِكَ فِيهِ صَقْلُ ۖ وَعَزَمُكَ فِي الْمِضَاءِ لَهُ غَرَارُ
لَقَدْ أَضْحَى عَلَى دِينِ النَّصَارَى ۖ لَدَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِكَ انْتِصَارُ

حَيْثَ ذَمَّارُهُ بَرًّا وَبَحْرًا بِمُرْهَفَةٍ بِهَا يُحْمَى الدَّمَارُ
 أَرَاكَ اللَّهَ فِي الْأَعْلَاجِ رَأْيًا لَمْ مِنْهُ الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ
 رَأَوْا حَرْبِيَّةً تَرْمِي بِنَفْطٍ لِإِخْمَادِ النَّفُوسِ لَهُ اسْتِعَارُ
 كَأَنَّ الْمُهْلَ فِي الْأَنْبُوبِ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ الْوُجُوهَ لَهُ ابْتِدَارُ
 إِذَا مَا شُكَّ نَحْرُ الْعَلَجِ مِنْهُ تَعَالَى بِالْحِمَامِ لَهُ خُورُ
 كَأَنَّ مَنَافِسَ الْبَرَكَانِ فِيهَا لِأَهْوَالِ الْجَحِيمِ بِهَا اعْتِبَارُ
 نَحَاسٌ يَنْبَرِي مِنْهُ شُؤَاطٌ لِأَرْوَاحِ الْعُلُوجِ بِهِ بَوَارُ
 وَمَا لِلْمَاءِ بِالْإِطْفَاءِ حُكْمٌ عَلَيْهِ لَدَى الْوُقُودِ وَلَا اقْتِدَارُ
 فَرَدَّ اللَّهُ بِأَسْهَمُ عَلَيْهِمْ فَرَجَهُمْ بِصَفْقَتِهِمْ خَسَارُ
 وَخَافُوا مِنْ مَنَآيَاهُمْ وَقَرَّوْا فِدَافَعَ عَنْ نَفُوسِهِمُ الْفِرَارُ
 وَقَدْ جَعَلُوا لَهُمْ شُرْعَ الشَّوَانِي مَعَ الْأَرْوَاحِ أَجْنَحَةٌ وَطَارُوا
 وَهَلْ يَلْقَى مَصَادِمَةً حَصَاهُمْ جَبَالًا سَحَفَهَا لَهُمْ دَمَارُ
 لِيَهْنِكَ أَنْ مَمْتَنِعَ الْأَمَانِي لِكِفْكَ فِي تَنَاوُلِهَا اخْتِبَارُ
 لَكَ الْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي بِسَعْدٍ يَدُورُ بِهِ لَكَ الْفُلُكُ الْمُدَارُ
 نَهَبَ لَهُ الرِّيحُ مُسَخَّرَاتٍ وَتَسْكُنُ فِي تَحْرِكِهَا الْبَحَارُ
 وَمَا حَمَلَتْهُ مِنْ أَنْوَاعٍ طَيِّبٍ فَمَدَحُ عَرَفُهُ لَكَ وَافْتِخَارُ
 أَمْوَالَنَا الَّذِي مَا زَالَ سَمَحًا إِلَيْهِ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ يُشَارُ

أرى رسمي غدا بيدي كرم عَفَا وَعَقَّتْ له بالمحلِ داراً
 وكانت لي شمسٌ ثم أضحت بدوراً والبدورُ لها سرار
 وبين سناهما بَوْنٌ بعيدٌ وذا ما لا يُرَادُ به اختبار
 وجدتُ جناحَ عصفورٍ جناحي فأصبح للعُقَابِ به احتقار
 فلي نهْضُ يجاذبني ضعيفٌ أتنهضُ بي قوادمه القصار
 فردّ عليّ موفوراً جناحي وإلا لا جناح ولا مطّارُ

١٣٩

وقال يمدحه وبعث بها إليه من المهدية إلى سفاقس عند سفره منها إلى حضرة
 أبيه أبي الطاهر وعند رجوعه رحمه الله إلى سفاقس :

خيالك للأجفان مثله الفكرُ فعيني ملأى بالهوى ويدي صفرُ
 سرى والدجى الغريب يخفي مكانه فتمّ عليه من تَصَوّعها نشرُ
 وقد صوّبَ النسرُ المخلّقُ تالياً أخاه ومات الليل إذْ وُلِدَ الفجرُ
 ألم بصبٍ ليس يدري أمرُ جَلٍّ [يفورُ] بنيرانِ الأسى منه أو صدر
 غريبٌ جنى أرى الحياةَ وشريّتها ويجني الفتى بالعيش ما يغرس الدهرُ^٢

١ الرسم الأولي : ما قرر له من عطاء ، والرسم الثانية : آثار الطلل .

٢ الأري : العسل : الشري : الحنظل .

أنازحة الدار التي لا أزورها
إذا بعدت دار الأجرة بالنوى
رحلت ولم يرحل عشيّة بيننا
وداء خمار الشرب سوف يذيني
وما زال ماء العين في الخد معطشي
عسى البعد ينفي موجب القرب حكمه
عسى بيننا يَبْقَى المودة بيننا
فقلّ لأناس عرسوا بسفاقس
وفرخ صغير لا نهوض لمثله
إذا ما رأى في الجو ظلّ محلّق
يظنّ أباه واقعاً فإذا أبى
يلدّ بعيني أن تري عينه وأن
أحنّ إلى أوطانكم وكأئتما
ولم أر أرضاً مثل أرضكم التي
يمدّ كجيش زاحف فإذا رأى

إذا لم يُشَقَّ البحرُ أو يُقْطَعَ القفر
فذاك لهم هجر وإن لم يكن هجر
معي برحيل الجسم قلب ولا صبر
فقد نرحت في فيك غزر به الخمر
إلى ماء وجه في لقائي له بشر
فعند انقباض العسر ينسطّ اليسر
ولا ينتهي منّا إلى أجلٍ عمر
لطائر قلبي في مُعرّسكم وكرّ
يراطن أشكالاً ملاقطها صفراً
ترنم واهتزّت قوادمه العشر
وقوعاً عليه شُبّ في قلبه الجمر
يلقّ بنحري في التلاقي له نحر
ألاقي بها عصّر الصبا، سقي العصر
يقبّل ذيل القصر في شطها البحر
عطاء عليّ كان من مدّه جزر

١ عرسوا : أقاموا .

٢ ملاقطها : مناقيرها التي تلتقط بها الحب .

أما ينجلُ البحرُ الأجاجُ حلوله يبحرُ فراتٍ ما للجبّةِ عبر
جوادٌ إذا أسدى الغنى من يمينه تحوّلَ عن أيمان قُصّادِهِ الفقر
حمى ثغره بالسيف والرمح مُقدِّماً ويحمي عرينَ القَسَوْرِ النَّابُ والظفر
إذا ما كسونا المدحَ أوصافهُ ازدهى فطيّبَ أفواه القوافي له ذكر
يصولُ بعضُ في الكفاح كأنّه لسانُ شواظ منه يضطرم الذعر
وتحسبُ منه الريحَ تغدو بضيعم على جسمه نهْيٌ وفي يده نَهْرٌ^١
ومعتذرٌ عما تنيلُ يمينه وكلّ المني في البعض منه فما العذر
بصيرٌ بمردّي الطعن يُغري سنانهُ بجارحةٍ في طيّها الورْدُ والغمرُ^٢
يجول فيلقي طعنةً فوق طعنةٍ فأولاهما كلّمٌ وأخراهما سَبْرٌ^٣
إذا رفعَ المغرورُ للحيّن رأسه يُعَجِّلُهُ من مدّةٍ عامله قَصْرُ
وهيجاء لا يُفشي بها الموتُ سرّه إذا لم يكن بالضرب من بيضها جهْرُ
تهادى بها جرْدٌ كأن قتامها ظلامٌ وأطرافَ القنا أنجمٌ زهر
إذا قدّت البيضُ الدروعَ حسبتهَا جداولَ في الأيمان شُقّتْ بها غدر
فكم صافحتُ منها الحروبَ صفائحُ وفَتّ بحصادِ الهام أوراقها الخضر

١ النهي : الغدير ، شبه به الدرع . والنهر هنا كناية عن السيف .

٢ الغمر : الماء الكثير .

٣ السبر : قياس عمق الجرح .

ليهنّ الرعايا منك عدلٌ سياسةٍ ودفعُ خطوبٍ لليالي بها غدر
ويسرّ حَسَمَتِ العُسْرَ عنهم بصنعه كما حَسَمَ الإسلامُ ما صنَعَ الكفر
فلا زلتَ تجني بالظبا قِمَمَ العِدَى وتثمرُ في الأيدي بها الأسل السمر

١٤٠

وقال يمدحه ويصف مجمرة بخور

ثلاثةُ أفلاكٍ عن العين مضمرةٌ تدور إذا حرّكتها في حشا كُرّةٌ
فلا فلّكٌ إلاّ يُخصّ بدورةٍ موافقةٍ منها الخلافَ مُقرّره
وللفلك النّاريّ منهنّ كفةٌ ترى النّارَ فيها للبخور مُسعره
تمرّ على فرش الحرير وغيرها وراءَ حجابٍ وهي غيرُ مؤثره
وتبدي دخاناً صاعداً من منافيسٍ مُصدّكةٍ أنفاسهٌ ومعتبره
ولم أرَ ناراً تطعم النّدّ قبلها لها فلّكٌ في الأرض في جوف مجمره
تلتفّ أجساماً كثافاً بلذعها فتصعدُ أرواحاً لطافاً مُعطره
وتغشى علياً نفحةٌ كثنائه مُردّدةٌ في مدحه ومكره
همامٌ إذا سلّ المهندّ في الوغى وأغمده في الهام بالضرب حمّره

رزینُ حصاةِ الحلمِ شهْمٌ مهذبٌ ترى منه بدرأ في السرير وقسوره
 بنى سعدُه قصرأ على البحر سامياً فتحسبُه من جوهر الحسن صوره
 ينيرُ على البعد اثلاقاً كأنما على الشطّ لقي لجهُ منه جوهره
 أبرَ على إيوان كسرى فلو رأى مراتبَه في الملك منه لأكبره

١٤١

وقال يمدحه ويهنئه بدخول العام

للأفاحي بفيكِ نورٌ ونورٌ ما كذا تَسْنَحُ المهاةُ التفُورُ
 من لها أنْ تعيرها منكِ مشياً قدَمْ رَحْصَةً وخطوٌ قصير
 أنتِ تسبين ذا العفافِ بدلٌ يستخفّ الحليمَ وهو وقور
 وهي لا تستبي بلفظ رخيم يُتَزَلُّ العَصَمَ وهي في الطود فوراً
 وحديثٌ كأنه قِطْعُ الرّوِّ ضِ إذا اخضلّ من نداه البكور
 فثناني من روض حسنك عنها نرجسٌ ذابلٌ ووردٌ نضير
 وشقيقٌ يُشَقُّ عن أقحُوانٍ لنقاب النّقا عليه خفير

وأريجٌ على النوى منك يسري ويجيب النسيمَ منه عبير
وثنايا يضاحكُ الشمسَ منها في مُحَيَّاكِ كوكبٌ يستنير
ريقها في بقيةِ الليلِ مسكٌ شيبَ بالراحِ منه شهدٌ مشور
لسكونِ الغرامِ منه حرَّاكٌ وليتِ السَّقامِ فيه نشور
ألبسَ اللهُ صورةً منكِ حسناً وعيونُ الحسانِ نحوكِ صوراً
لكِ عينٌ إنْ ينبعِ السحرُ منها فهو بالخَبَلِ في العقولِ يغور
وجفونٌ تشيرُ بالحبِّ ، منها عن فؤادٍ إلى فؤادٍ سفيرُ
وقعتْ لحظةٌ على القلبِ منها أفلا يتركُ الحشأَ ويطير
يَطْبَعُ الوشيُّ فوقَ حسنكِ لساً منه أمثالُ ما له تصوير
فإذا ما نَمَى الحديثُ إليها قيل هل ينقشُ الحريرَ حرير
أنت لا ترحمينَ منك ، فيفُدى ، مِعْصَماً في السوارِ منه أسير
فمتى يَرْحَمُ الصَّبَاُ منك صَبَاً فاضَ مستولياً عليه القثير
ودعيني فقد تعرَّضَ بَيْنُ بوشيكِ النوى إليَّ يُشِير
وَعَلَى بالفراقِ مِرْجَلُ حُزْني فهو بالدِّمْعِ من جُفُونِي يفُورُ
قالت : اللهم لا أراهُ حَلالاً بيننا ، والعناقُ حظُّ كبير

قلت : هذا علمته غير أني
فاجعلي اللحظ زاد جسمٍ سيقى
فلي الشوق خاذلٌ عن سلوي
ملكٌ تتقي الملوك سنّاهُ
وهو ضارٍ آجامه ذبل الخطّ
حازمٌ للطعان أشرع سمرأ
وحمى سيفه الثغور فما تقّ
ذو عطاءٍ لو أنّه كان غيثاً
تحسب البحر بعض جدواه لولا
من تراه يحدّ فضل عليّ
فبمعروفه الخضم غنيّ .
كم له من خميس حربٍ رحاها
أرضه من سنابكٍ قاذحاتٍ
واجداث القري بقتلى الأعادي .
جحفلٌ صبحه من النقع ليلٌ

أَسْأَلُ الْيَوْمَ مِنْكَ مَا لَا يَضِيرُ
رُوحَهُ فِي يَدَيْكَ ثُمَّ يَسِيرُ
وَلَدَيْنِ الْهَدَى عَلَيَّ نَصِيرُ
أَوْ مَا يَفْرِسُ الذَّنَابَ الْهَاصُورُ
عَلَى مُقْتَضَى الْعُلَى وَقُصُورُ
حُطِمَتْ فِي الصُّدُورِ مِنْهَا صُدُورُ
رَبُّ رَشَفَ الْعُدَاةِ مِنْهَا ثُغُورُ
أُورَقَتْ فِي الْمَحُولِ مِنْهُ الصُّخُورُ
أَنَّهُ فِي الْوُرُودِ عَذْبٌ نَمِيرُ
وَهُوَ مُسْتَضْعَبُ الْمَرَامِ عَسِيرُ
وَلِىَ بِأَسَى الْحَدِيدِ فَقِيرُ
بِسْيُولٍ مِنَ الْغُمُودِ تَدُورُ
شَرَرَ النَّقْعِ ، وَالسَّمَاءُ نُورُ
مِنْ حَشَاهَا لَدَى النُّشُورِ نُشُورُ
يَضْحَكُ الْمَوْتُ فِيهِ وَهُوَ بَسُورُ

أَي هَذِهِ النُّسُورِ تَجِدُ طَعَامَهَا مِنْ قَتْلِ الْأَعَادِي ، وَهَؤُلَاءِ الْقَتْلَى يَنْشُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَطُونِهَا ،
إِذَا لَا قَبُورَ لَهُمْ سِوَاهَا .

تضعُ البيضُ منه سودَ المنايا بنكاحِ الحروبِ وهي ذكور
وكانَ القَتامَ فيها غمامٌ بنجيمٍ من البروقِ مطير
وكانَ الجوادَ والسيفَ واللأ مةَ بحرٍ وجدولٍ وغدير
وإذا ما استطالَ جبارُ حربٍ يجزعُ الموتُ منه وهو صبور
والتظي في اليمينِ منه يمانٍ كاد للأثرِ منه نَمْلٌ يثور
ودعا وهو كالعقابِ كَماءَ لهمُ كالبُغاثِ عنه قُصُور
جدلته يدا عليّ بعَضْبٍ لِرُبوعِ الحياةِ منه دُثُور
فغدا عاطلاً من الرأسِ لما كان طوقاً له الحسامِ البتور
لحظَ الرومَ منه ناظرُ جَفْنٍ للردى فيه ظُلْمَةٌ وهو نور
رَمِدَتِ للمنونِ فيه عيونُ فكأنَّ الفِرْنَدَ فيه ذَرُورُ
يا ابنِ يحيى الذي بكلِّ مكانٍ بالمعالي له لسانُ شَكُور
لكَ من هيةِ العلي في الأعادي خيلُ رُعْبٍ على القلوبِ تغير
وسيوفٌ مقلها في الهوادي كلما شبَّ للقراعِ هجير
ودروعٌ قد ضوعفَ النسيجُ منها وتناهى في سردها التقدير
كصغارِ الهاءاتِ شُقَّتْ فأبَدَتْ شكلها من صُفوفِ جيشٍ سطور
أنتَ شَجَعْتَ نفسَ كلِّ جبانٍ فاقتَرَبُ الأسودِ منه غرور •

فهو كالماءِ أحرَقَ الجسمَ لما أحدث اللّدْعَ في قواه السعير^١
 خيرُ عامٍ أُنَاكَ في خيرٍ وقتٍ لوجوه الربيع فيه سفور
 زارَ مثواكَ وهو صبٌّ مشوقٌ بمعالِكَ ، والمشوقُ يزور
 فبدا منك في الجلال إليه مَلِكٌ كابرٌ ومُلْكٌ كبير
 ورأى في فِئاءٍ قصرِكَ حَفَلًا ما له في فِئاءٍ قَصْرٍ نظير
 تشتري فيه بالمكارم حَمْدًا لك منه تجارةٌ لا تبور
 فكأنَّ المُدَّاحَ فيه قُرُومٌ ملأ الخافقين منه الهدير
 بقوافٍ هدوا إليهنَّ سُبُلًا ضلَّ عنهنَّ جَرَوَلٌ وجريـر^٢
 إنَّ أَيْامَكَ الحسانَ لَعُرٌّ فكأنَّ الوجوهَ منها بُدور
 واصلَ العزَّ في مغانيك عِزٌّ دائمُ الملك ، والسرورَ سرور

١ أي أن الجبان الذي ثبتت الشجاعة في نفسه حتى شجع يشبه الماء الذي تبث فيه النار قوة اللدع بعد إحمائه وتسخينه .

٢ جرول هو الخطيئة .

وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى

هذا ابتداءٌ له عند العلى خبرٌ يُحكى فيصغي إليه الشُّهْبُ والبشرُ
 كأنه وهو من متن الصبا مثلٌ من كل قُطْرِ من الدنيا له خبرُ
 ما استُحْسِنَ الدهر حتى زانه حسنٌ وأشرق في الورى أيامه الغرر
 شهمٌ له حين يرْمِي في مناضلةٍ سهمٌ مواقعه الأحداقُ والثغر
 لو خُصَّ عَصْرُ شبابٍ من سعادته بلحظةٍ لم ينلَّهُ الشيبُ والكبر
 مُلكٌ جديدٌ المعالي في حمى ملك ماضٍ كما طَبَعَ الصمصامة الذكر
 لقد نهضت بعبء الملك مضطجعاً به ظهراك فيه السَّعدُ والقدر
 فإن نُصِرْتَ على طاغٍ ظفرت به فما حليفك إلا النصر والظفر
 وإن خَفَضْتَ عُدَاةَ الله أو خَذَلُوا فأنت بالله تستعلي وتنتصر
 أصبحت أكبرَ تُعْطِي كل مرتبة حقاً وسنك مقرونٌ بها الصغر
 يُخَشَى حُسامُك مغموداً فكيف إذا ما سُلَّ للضرب وانهدت به القَصَرُ
 وليس يعجبُ من بأس مخايله من مقلتيك عليها يشهد النظر

والشبلُ فيه طباعُ الليثِ كامنةٌ
 إنَّ البلادَ إذا ما الخوفُ أمرَضَها
 وما سفاقرُ إلا بِلْدَةٌ بعثتُ
 وأهلها أهلُ طَوْعٍ لا ذنوبَ لهم
 وإنَّما دافعوا عن حتفِ أنفسهم
 ضرورةٌ كان منهم ما به قُرفوا
 وقد جرى في الذي جاءوا به قَدَرٌ
 وما على الناسِ في إحسانِ مملكةٍ
 كلُّ لعلياك قد كانت حميتُهُ
 وهم عبيدُكَ فاصفحْ عن جميعهم
 بكَوًا أباك بأجفانٍ مؤرَّقةٍ
 ورحمةُ الله تَرى منهمُ أبداً
 حتى إذا قيلَ قد حازَ العلي حَسَنٌ
 وقبلوا من مذاكي خيلَه فَرَحاً
 مألوا عليها ازدحاماً وهي تَرْمَحُهُمْ
 وإنَّما ينتضيها النَّابُ والظفرُ
 ففي أمانك من أمراضها نُشراً
 إليك عنها لسانَ الصديقِ تعتذرُ
 إني لأقسم ما خانوا وما غدروا
 إذ خَدَمَتَهُمْ به الهنديَّةُ البَرُّ
 وبالضرورةِ عنهم نَكَبَ الضررُ
 ولا مَرَدٌ لما يجري به القَدَرُ
 إذا تشاجرَ فيه المدَّةُ والحَسَرُ
 مؤكِّداً كلَّ ما يأتي وما يذرُ
 فالذنبُ عند كريمِ الصَّفحِ مُغْتَفَرُ
 أمواهُنَّ من النيرانِ تنفجرُ
 عليه ما كَرَّتِ الآصالُ والبُكرُ
 مدَّوا إلى أَحْمَدَ الأُلْحاظَ وانتظروا
 حوافراً قد علا أرساغها العفرُ
 فكم بها من كسيرٍ ليس ينجيرُ

١ النشر : التعاويذ التي تكتب للمريض .

٢ خدمتهم : قطعهم ، وفي ف بالبدال المهملة .

شوقاً إليهم ومحضاً من وفائهم
 أبوك مدّت عليهم كفّ رافته
 حدّت لهم في قوام الأمر طاعته
 وألف الله في الأوطان شملهم
 وأنت عدلٌ فسرّ فيهم بسيرته
 أنتم ملوك بني الدنيا الذين بهم
 أعظم من قديم الدهر ملكتهم
 من كل مقتحم في الحرب معتزم
 ذمّر له في ضمير الغمّد ذو شطب
 «شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم
 إليك طيّب روض المدح نفحاته
 يجوب منه ذكي المسك كلّ فلا
 كأن زهر الدراري فيه قد نظمت
 يا من تضاعف فيض الجود من يده
 إني نأيت وحطّي حطّ مترلة
 لم يجرّ في الصنم من أخلاقه كدر
 منها جناحاً مديداً ظلّه خصر
 حدّاً فما وردوا عنه ولا صدروا
 فنظّموا في المغاني بعدما نثروا
 فالعدل في الملك عنه تحمد السير
 ترعى المناير والتيجان والسرر
 ترى المفاخير تستخذي إذا افتخروا
 فمن فرائسه آسادها الهُصُر
 كأنه بارق يسطو به قمر
 وأعظم الناس أحلاماً إذا قدّروا
 لما تفتّح فيه بالندى زهر
 طيباً ويعبر منه العنبر الذفر
 كما تنظّم في أسلاكها الدرر
 كأنما البحر من جدّواه مختصر
 كأنما طول باعي عاقه قصر

وقد نُسِيتُ وذكرِي لا خفاءَ به والمِسْكُ يُطَوَّى ونَشْرٌ منه ينتشر
وقد بعثتُ رثاءً في أبيك ، ولي حُزْنٌ عليه فؤادي منه ينفطر
وما بدا ليَ من جُودٍ أَمَرْتُ بهِ عينٌ ، تفوز به عيني ، ولا أثر
وكفّكَ المزنُ تسقي من دَنَا ونأى وليس من غيرِ مُزْنٍ يرتجى المطر
بقيتَ للدين والدنيا وأهلهما ومُدَّتْ في رتب العليا لك العمر

١٤٣

وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى
ويذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس :

أبى الله إلا أن يكون لك النَّصْرُ وأن يَهْدِمَ الإيمانُ ما شاده الكفرُ
وأن يُرْجَعَ الأعلاجَ بعدَ علاجها خزايا على آثارها الذلَّ والقهر
ليهنك فتحٌ أولغ السيفَ فيهمُ ولاح بوجه الدين من ذكره بشر
يسعدُ كساكَ اللهُ منه مهابةً وإشراقَ نور منه تَقْتَبِسُ الزُّهرُ
ودون مَرَامِ الرُّومِ فيما سَمَوْا له قلائدُ أعناقٍ هي القُضْبُ البتر
وخطيئةٌ تختطُّ منهم حيازماً وأحداقها زرقٌ وأجسادها حُمر

إِذَا أَشْرَعَتْ لِلطَّعْنِ سَرَّتْ كَأَنَّمَا
 أَشْبَهَهَا بِالْقَطْرِ يُبْدِي تَأَلُّقًا
 وَسُحْبًا بِأَجْوَابِ الْكُنَائِنِ أَوْدَعَتْ
 وَخَيْلٌ تَرَى خَيْلَ الْعُلُوجِ، مِضَافَةٌ
 كَأَنَّ عَلَى الْعُقْبَانَ مِنْهَا ضِرَاجِمًا
 وَحُمْرُ دِمَائِهِ كَالْخُمُورِ الَّتِي سَقَوْا
 بَنُو الْأَصْفَرِ اصْفَرَّتْ حُذَارًا أَوْجُوهُهُمْ
 تَنَادَوْا كَأَسْرَابِ الْقَطَا فِي بِلَادِهِمْ
 وَلَمَّا تَنَاهَى جَمْعُهُمْ رَكَبُوا بِهِ
 تَوَلَّتْ جُنُودُ اللَّهِ بِالرَّيْحِ حَرْبَهُمْ
 فَكَمَ مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ إِذْ تَفَرَّقُوا
 وَظَلَّتْ سِبَاعُ الْمَاءِ وَهِيَ تَنُوشُهُمْ
 فَإِنْ سَلِمَ الشُّطْرُ الَّذِي لَا سَلَامَةَ
 أَتَوْا بِأَسَاطِيلِ تَمَرٍ كَأَنَّهُمَا
 وَخَيْلٍ حَشَّوْا مِنْهَا السِّفِينَ وَلَمْ يَكُنْ

يُشَكُّ بِهَا فِي كُلِّ سَابِقَةٍ نَحَرُ
 بِأَطْرَافِ أَغْصَانٍ يَحَاصِرُهَا غُدْرُ
 شَأْبِيهَا نَبْلٌ مِنَ الزَّيْجِ لَا قَطْرُ
 إِلَيْهَا، حَمِيرًا لَا الَّتِي نَتَجَ الْقَفَرُ
 فَأَنْيَابُهَا عُصْلٌ^١ وَأَبْصَارُهَا جَمْرُ
 تَحَمَّرَ مِنْهَا فِي الظُّبَا وَرَقٌ خَضِرُ
 فَأَيْدِيهِمْ^٢ مِنْ كُلِّ مَا طَلَبُوا صِفَرُ
 وَكَانَ لَهُمْ فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ نَفَرُ
 قَرَأَ زَاخِرِ الْآذِي آفَاقُهُ غُبْرُ^٢
 وَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى حَرْبِهَا صَبْرُ
 لَهُ غَرَقٌ فِي زُخْرَةِ الْمَوْجِ أَوْ أَسْرُ
 فَلَا شَلُوَ مِنْهُمْ فِي ضَرِيحٍ وَلَا قَبْرُ
 لَهُ مِنْ ظُبَا الْهَيْجَا فَقَدْ عَطِبَ الشُّطْرُ
 جَرَادٌ مُظِلٌّ ضَاقَ عَنْ عَرْضِهِ الْبَحْرُ
 لَهَا فِي مَجَالِ الْحَرْبِ كَرٌّ وَلَا فَرْ

١ عصْل : عوج معقفة .

٢ قرا : ظهر ؛ الآذي : الموج .

وقد ركبَتْ فرسانُها صَهَوَاتِهَا
سَلاهُبُ أَهْدَوْهَا إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ
فَسْلٌ عَنْهُمْ الدِّيمَاسَ تَسْمَعُ حَدِيثَهُمْ
وَمَا غَنَمُوا إِلَّا مُتًى كَذَبَتْ لَهُمْ
شَرُّوهُ فَبَاعُوا بِالرَّدَى فِيهِ أَنْفُسًا
وَقَدْ طَمَعُوا فِي الزَّعْمِ أَنْ يَشْتَبُوا لَهُ
وَرَامُوا بِهِ صَيْدَ الْبِلَادِ وَغَنَمَهَا
أَذْيَقُوا بِهِ حَصْرًا أَذْلَ عَرَامِهِمْ
وَجَرَّ إِلَيْهِمْ فِي جِبَالٍ مِنَ الْقَنَا
وَقَائِدُكَ الشَّهْمُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ
رَأَوْا بِأَبِي إِسْحَقَ سَحَقًا لَجْمَعِهِمْ
وَلَوْ لَبَثُوا فِي ضَيْقِ حَصْرِهِمْ وَلَمْ
لِقَامَ عَلَيْهِمْ مَنْجَنِيْقٌ يُظِلُّهُمْ
إِذَا وَزَنَ الْمَوْتُ الزَّوَامُ عَلَيْهِمْ

فَأَرْجَلَتَهُمْ^١ عَنْهَا التَّدَلُّلُ وَالذَّعْرُ
جَزَاءٌ^٢ لَذَاكَ مِنْ عِلَاكَ وَلَا شُكْرَ
فَهُمْ بِالْمَوَاضِي فِي جَزِيرَتِهِ جَزْرٌ^٣
وَكَانَ لَهُمْ بِالْقَصْرِ عَنْ نَيْلِهَا قَصْرُ
أَرْبَحُ^٤ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْعِ أَمْ خُسْرُ
جَنَاحَيْنِ يُضْحِي مِنْهُمَا وَهُوَ النَّسْرُ
فَأُضْحِي وَقَدْ قَصَّتْ خَوَافِقُهُ الْعِشْرَ
كَمَا ضَاقَ عِنْدَ الْمَوْتِ عَنْ نَفْسٍ صَدْرُ
مَنَآيَاهُمْ بِالْقَتْلِ جَحْفَلُكَ الْمَجْرُ
صَبِيحَةَ لَأَقَاهِمُ عَلَى يَدِهِ النَّصْرُ
فَلِإِبْرَامُهُمْ نَقْضٌ وَنَظْمُهُمْ نَثْرُ
يَطِيرُ مِنْهُمْ شَوْقًا إِلَى أَجَلٍ عُمُرُ
بِصَمٍّ^٥ مُرَادٍ^٦ مَا لَمَّا كَسَرْتَ جَبْرُ
بِكِفَّةٍ وَزَانٍ مَثَاقِيلُهُ الصَّخْرُ

١ أَرَجَلَهُمْ : أَنزَلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ رَاجِلِينَ .

٢ جَزْرٌ : مَفْتُوحَةُ الْعَيْنِ وَسَكَنُهَا لِلشَّعْرِ ، وَالْجَزْرُ : الْقَطْعُ مِنَ الْفَرَائِصِ .

٣ الْمُرَادُ : جَمْعُ مُرْدَى وَهُوَ الْحَجَرُ .

فكم جهدوا أن يفتدوا من حِمامهم بأوزانهم تبراً فما قُبِلَ التبر
هناكَ شَفَى الإسلامُ منهم غليلَهُ بطعن له بَتَرٌ وضرب له هَبَر
وكانوا رأوا مَهْدِيَّتِكَ وفيهما لعزِّ الهدى أُمُرٌ فهاهمُ الأمر
كَانَ بُرُوجَ الجَوِّ منك رمتهمُ بشُهْبٍ لها نارٌ وليس لها جمر
فما للعلوج امتدَّ في الغي جهلهم أما كانَ فيهم من لبيبٍ له حِجْر
فكم قَسَمُوا في الظنِّ أميالَ أرضنا ولم يطأوا منها مكاناً هو الشبر
ولا وَرَدُوا من مائها حَسَوَ طائرٌ يُبَلِّ به منه ، إذا يبس ، السَّحْرُ^١
أما فتحت منهم بلاداً بلادُنا بزعمهم كفرأ على إثره كفر
وكانت مفاتيحَ البلادِ سيوفُنا وأقفاها إذ فتحنَّ له عُسر
وآذَى زجَارَ فَتَحَ رَيَّو وقطُرُها يَهْدُ قُوَاهُ من صقليةٍ قطرُ^٢
ألم يسبِ جيشُ الغزو منهم نواعِماً فمن ثيبٍ تُقْتَادُ في إثرها بَكر
وَقَوْصَرَةٌ^٣ فيها رُؤوسُ جدودهم إلى اليوم ملآن بأفلاقها العفر
فلو تسألُ الرِّيحُ المعاطسَ منهمُ لأخبرها عن كلِّ شلو بها دفر^٤
وما قتلوا من شدة البأس أهلها ولكنهم قُلُّ أحاطَ بهم كثر

١ السحر : الصدر .

٢ ريو Reggio مدينة على البر الايطالي مقابل مدينة .

٣ القوصرة : وعاء يوضع فيه الثمر في العادة ، ويجعله هنا مستودعاً للرؤوس .

٤ الدفر : نتن الرائحة .

أَتَعَجُّمُ نَبْعَ الْعَرَبِ عَجْمٌ وَلَا يُرَى
تَوَالَتْ عَلَيْهَا مِنْهُمْ كُلُّ صِيحَةٍ
فُجَاءَتْ رِيَّاحٌ وَالرِّيَّاحُ جِيَادُهَا
فَأَوَّلُ إِنْصَافٍ تَوَلَّوْهُ كَفُّهُمْ
وَبَادَرَتْ الْإِقْدَامُ مِنْهُمْ بِمَقْدَمِ
وَدَهْمُ بَنِي دَهْمَانَ فَاضَ عَلَى الْوَغَى
وَشَاهَتْ مِنَ الضَّلَالِ بِالْغَرِّ أَوْجُهُ
وَكَرَّتْ بَنُو زَيْدٍ عَلَى كُلِّ شَيْظَمٍ
وَجَاءَ ابْنُ زَيْدٍ بِصَخْرٍ فَكَافَحَتْ
هَزْبَرٌ عَلَى بَحْرِ مِنَ الْحَرْبِ مُنْغَمٍ
وَقَدْ حَالَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْبَحْرِ فَالْتَجَوْا
أَعَارِبُ جَدَّوَا فِي جِهَادٍ أَعَاجِمٍ
إِذَا قِيلَ يَا أَهْلَ الْخَفَائِظِ أَقْبَلْتُمْ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاضِي كُلِّ مُفَاضَةٍ
كَتَائِبُ مِنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ أَقْبَلْتُمْ
أَعَزَّ بِهِمْ ذُو الْعَرْشِ دِينَ مُحَمَّدٍ
لَمَّا اشْتَدَّ مِنْهَا فِي نَوَاجِذِهَا كَسَرُ
كَأَنَّ رَوْعَ الْأَعْيَارِ مِنْ أَسَدٍ زَارِ
فَشُدَّ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ بِهَا أَزَرُ
أَذَى كُلِّ فِظٍّ فِي سَجِيَّتِهِ غَدَرُ
فَكَمْ خَبَرَ عَنْهَا يَصْدَقُهُ الْخُبْرُ
بِكُلِّ فِتْنَةٍ أَحْلَى بِسَالَتِهِ مُرُّ
عَلَيْهَا بِسُورٍ إِذْ تَصَدَّى لَهَا بَتْرُ
وَسِرَّ الْمَوَاضِي فِي أَكْفَتِهِمْ جَهْرُ
عَنِ الثَّغْرِ أَنْيَابٌ فَلَمْ يُلْثَمِ الثَّغْرُ
عَلَى جِسْمِهِ نَهْيٌ وَفِي يَدِهِ نَهْرُ
إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى جَاءَهُمُ بِالرَّدَى الْقَصْرُ
خَنَازِيرَ شَبَّتْ حَرْبَهَا أَسَدُ هُصْرُ
مُلْبِيَّةٌ فِيهَا غَطَارِفَةٌ غُرُّ
مُكَحَّلَةٌ بِالنَّقَعِ أَعْيُنُهَا الْخَزَرُ
لِفِرَاضِ جِهَادٍ مَا لِتَارِكِهِ عَذْرُ
وَضُمَّ عَلَيْهِ مِنْ كِفَالَتِهِ حَجَرُ

وفي كل سيفٍ سايرت منهم العدى
إذا ماج بحرٌ في شوانيهمُ بهم
حمى ابنُ عليٍّ حَوْزَةَ الدين فاحتَمَى
ملكٌ له في الملك سيرةٌ أكبرُ
أبي كحدِّ السيفِ من غيرِ نَبْوَةٍ
هو النَجْدُ يقرى الرمح والسيف كفه
وما حَسَنٌ إلا ملكٌ مُتَوَجِّجٌ
كأنَّ حَيًّا ساكباً فيضاً ودقه
إذا ما جَرَى في محفلٍ حُسْنُ ذكره
فلا زال والتوحيدُ مُعْتَصِمٌ به
قبائلُ منها أَشْبَعُ السهلُ والوعرُ
أتى مَدَدٌ مِنَّا فماجَ به البرُّ
كفْتَرِسِ الكَفَيْنِ يَدُمى له ظفرُ
أبى الله أنْ يَخْتَالَ في عطفه الكبيرُ
إذا ما مضى الزمرُ قلَّ به الذَّمُّ
بعضوين يُلْفَى فيهما العمر والذكرُ
أفاضَ الغنى من راحتيه فلا فقرُ
و[قد] يَحْتَبِي منه لقصَّاده البدرُ
تَعَلَّقَ تَشْرِيفاً بأذْيَالِهِ الفخرُ
تُزَانُ به الدنيا ويخدمه الدهرُ

وقال يمدحه

بَكَرَتْ تُغَازِلُهُ الدُّمَى الْأَبْكَارُ فَهَا لَهُ حِلْمٌ وَطَاشَ وَقَارُ
وَأَظْنَهُ مُرْتَحاً مِنْ نَشْوَةِ كَاسَاتُهَا بِهِوَ الْعَيُونِ تُدَارُ
يَا لَوَمِي ، وَمَتَى بُلَيْتَ بِلَوْمٍ إِلَّا وَهُمْ بِلَيْتِي أَغْمَارُ
فُكُّوا الْغَضَنْفَرِ مِنْ إِسَارِ غَزَالَةٍ قَيْدَاهُ خَلْخَالٌ لَهَا وَسَوَارُ
مَا أَحْرَقَتْ خَدَيَّ سَوَاكِبُ أَدْمَعِي إِلَّا بِمَاءٍ فِي حَشَاهُ نَارُ
وَالْمَاءُ مُنْفَجِرٌ مِنَ النَّارِ الَّتِي فِي الْقَلْبِ مِنْهَا يَسْتَطِيرُ شَرَارُ
عَجَبِي لِأَضْدَادٍ عَلَيَّ تَنَاصَرَتْ جَوْرًا عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي أَنْصَارُ
فَخَذُوا الْهَوَى عَنِّي بِنَقْلِ مَلَاةٍ عَنْ أَعْيُنٍ يَرْنُو بَيْنَ صَوَارُ
وَمِبَاسِمًا تَجْلُو شَقَائِقَ رَوْضَةٍ لِلْأَقْحَوَانَةِ بَيْنَهَا نُوَارُ
إِنْ الْمَهَا تُمْنِي سَيْوْفَ جَفُونِهَا فَحَدَارٍ مِنْهَا لَوْ يُطَاقُ حِذَارُ
مِنْ كُلِّ مُشْرَبَةٍ بِجِرْيَالِ الصَّبَا لَوْنًا كَمَا لَمَسَ اللَّجِينُ نُضَارُ
فِي خَلْقِهَا الْإِنْسِيَّ مِنْ وَحْشِيَّةٍ كُحْلٌ وَحُسْنٌ تَلَفَّتِ وَنِفَارُ

طَرَفِي بِرَجْعَتِهِ إِلَيَّ أَذَاقَنِي مِنْهَا الرَّدَى لَا طَرَفُهَا السَّحَّارُ
وَإِذَا انْتَنَى سَهْمٌ عَلَى الرَّامِي بِهِ غَرَضًا لَهُ ، فَالْجُرْحُ مِنْهُ جَبَارُ
طَرَقَتْ تَهَادَى فِي اخْتِيَالٍ شَبِيهِهِ تُخْطِي مُطِيلَ الْوَجْدِ وَهِيَ قَصَارُ
سَفَرَتْ فَمَا دَرَّتِ الظُّنُونُ ضَمِيرَهَا أَسْفُورُهَا مِنْ صَبَحِهَا إِسْفَارُ
حَتَّى إِذَا خَافَتْ مُرَاقِبَهَا ، عَلَا مِنْهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمُنِيرِ عِجَارُ
وَكَأَنَّمَا زُهِرُ النُّجُومِ حَمَائِمٌ بِيضٌ . مَغَارِبُهَا لَهَا أَوْكَارُ
وَكَأَنَّمَا تَذْكِي ذُكَاءُ تَوْهَجًا فِيهِ يَذُوبُ مِنَ الدَّجَنَةِ قَارُ
يَا هَذِهِ لَا تَسْأَلِي عَنْ عِبْرَتِي عَيْنِي عَلَى عَيْنِي عَلَيْكَ تَغَارُ
هَلْ كَانَ نَهْدُكَ صَنُو قَلْبِكَ تَتَّقِي عَنْ لَمَسِهِ فِي صَدْرِكَ الْأَزْرَارُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ غَصْنَ بَانٍ فِي نَقَا تَشْكُو أَلِيمَ الْقُطْفِ مِنْهُ ثَمَارُ
نَصَلْتُ سَهْمِي مَقْلَتِكَ^٢ لِيُصْمِيَا بِنَصَالٍ سَحَرِ الطَّرْفِ فَهِيَ حَرَارُ
وَهُمَا الْمَعْلَى وَالرَّقِيبُ وَإِنَّمَا قَلْبِي الْمُعَذَّبُ مِنْهُمَا أَعْشَارُ^٣
لَا ثَارَ يَدْرَكَ مِنْكَ فِي الْمَهْجِ الَّتِي أَرْدَيْتَهَا أَوْ مِنْكَ يُدْرَكَ ثَارُ
هَلَاً التَّفَتَّ كَمَا تَلَقَّتْ مُغْزَلُ^٤ لَتَرَى مَكَانَ الْحِشْفِ وَهِيَ نَوَارُ

١ العجار : العصابة .

٢ نصل السهم : أثبته في القوس .

٣ المعل والرقيب : سهمان من سهام الميسر . والأعشار : الأنصباء من الجزور الذي يتياسرون عليه .

٤ مغزل : ظبية لها ولد . والحشف : ابن الظبية .

وَبَرَدَتْ حَرَّ الشَّوْقِ بِالْبَرْدِ الَّذِي
إِنِّي دُفِعْتُ إِلَى هَوَاكِ وَغُرْبَةٍ
وَعَرَسْتُ عَمْرِي فِي الزَّمَاكِ فَمَرَرْتُ
وَجَعَلْتُ دَارِي فِي النَّوَى فَمَوَّانِي
لَوْلَا ذُرَى الْحَسَنِ الْهَمَامِ وَفَضْلُهُ
هَذَا الَّذِي بَدَلْتُ أَنْامِلُهُ النَّدَى
هَذَا الَّذِي سَلَّ السُّيُوفَ مَجَاهِدًا
هَذَا الَّذِي جَرَّ الرَّمَاكِ لِحَرْبِهِمْ
قَهَرْتُ ظُبًّا تَوْحِيدَهُ تَثْلِيثَهُمْ
غَضَبًا عَلَى الْأَعْلَاجِ مِنْهُ قَرَبَهُ
فَلَوَجَّهَ الْبَادِي عَلَيْهِ سَنَا الْهَدَى
أَمَّا عَلَا حَسَنٍ فَيُنِ مَصَامِيهَا
خَلُصَتْ خَلَائِقُهُ وَلَمْ يَعْلَقْ بِهَا
وَسَمَا لَهُ حِلْمٌ وَجَلَّ تَفَضُّلٌ
يَنْدَى بَلَا وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ عَارِضٍ
شَهِدٌ وَمَسْكٌ دُونَهُ وَعَقَارٌ
هَتَفَتْ بِهَا الْعَزَمَاتُ وَالْأَسْفَارُ
لَفَمِي جَنَاهُ نَجَائِبُ وَقْفَارُ
وَحَشُّ الْفَلَا وَمَجَالِسِي الْأَكْوَارُ
مَا قَرَّ بِي فِي الْخَافِقِينَ قَرَارُ
وَهْدِي الْكَرَامُ إِلَيْهِ لَمَّا حَارُوا
فِيضْرِبُهَا لِلْمُشْرِكِينَ دَمَارُ
سَعْيِ الْأَسَاوِدِ ، جَيْشُهُ الْجُرَّارُ
وَقَضَى بِذَاكَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
يَرْضَى بِهِ وَنَبِيَّهُ الْمُخْتَارُ
ضَرَبَتْ وَجُوهَ عُدَاتِهِ الْأَقْدَارُ
شَرَفًا وَبَيْنَ الْفِرْقَدِينَ جَوَارُ
جَبْرِيتُهُ لَمْ يَرْضَهَا الْجَبَّارُ
وَزَكَ لَهُ فَرْعٌ وَطَابَ نَجَارُ
مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ صَوْبِهِ مَدَارُ

فربُّوعُهُ بِالْمُعْتَفِينَ أَوَاهِلُ وَبَنَانُهُ بِالْمَكْرُمَاتِ بَحَارُ
وَإِذَا عَفَا صَفْحاً عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ وَالْحَلَمُ فِي الْمَلِكِ الْقَدِيرِ فَخَارُ
سَلْتُ صَوَارِمُهُ الْحِدَادُ فَفَلَقَتْ فِي جَحْفَلٍ كَالْبَحْرِ مَاجٍ بَضْمَرٍ
لَا يَجْزَعُونَ مِنَ الْمَنُونِ كَأَنَّمَا فَصَعِيدُ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُ مُبَعَثَرٌ
إِنَّ الْحَرْوبَ وَأَنْتُمْ آسَادُهَا فَتَكَتُمْ عَلَى صَهَوَاتِهَا الْأَذْمَارُ
أَضَحْتُ لَصُونِكُمُ الثُّغُورُ كَأَعْيُنِ أَجَالُهُمْ لِنَفُوسِهِمْ أَعْمَارُ
زَانَتْ سَيَادَتِكُمْ كِرَامَةٌ بَرِّكُمْ وَذَرُّورُ عَيْنِ الشَّمْسِ مِنْهُ غِبَارُ
يَا مَنْ عِتَاقُ الْخَيْلِ تُوسَمُ بِاسْمِهِ وَتَكَاتِكُمْ فِي عُرْبِهَا أَبْكَارُ
وَبِكَلِّ أَرْضٍ تَسْتَنْيرُ بِذَكَرِهِ وَشَفَارِكُمْ مِنْ حَوْلِهَا أَشْفَارُ
خَدِمْتُ رِثَاسَتَكَ السُّعُودُ وَأَصْبَحْتُ خَيْرُ الْمُلُوكِ السَّادَةِ الْأَبْرَارُ
وَرِجَالُ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ لِقَدْرِهِمُ وَالْدِرْهَمُ الْمَضْرُوبُ وَالْدِّيْنَارُ
فَمَنْ الْمَقْدَمُ وَالزَّمَامُ كَفَايَةٌ خُطَبٌ مِنَ الْفَصْحَاءِ أَوْ أَشْعَارُ
فَهُمَا وَزِيرَاكَ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا لِفُؤْذِ أَمْرِكَ فِي السَّدَادِ مَدَارُ
جَبَلَانِ يَقْتَرْنَانِ لِلرَّأْيِ الَّذِي لِعِيدَاكَ مِنْهُ مَذَلَّةٌ وَصَغَارُ
فَالْمَلِكُ بَيْنَهُمَا حَدِيثٌ حُسْنُهُ قَطَعَتْ لِيَالِيَهَا بِهِ السُّمَارُ

وَكَاُنْ ذَا سَمْعٌ وَذَا بَصَرٌ لَهُ
وَاللَّيْثُ إِبْرَاهِيمُ قَائِدُكَ الَّذِي
يَرْمِي شِدَادَ الْمُعْضِلَاتِ بِنَفْسِهِ
وَإِذَا تَفَجَّرَ جَدُولٌ مِنْ غِمْدِهِ
وَعَبِيدُكَ الْعُلَمَانُ إِنْ نَادَيْتَهُمْ
وَمَشَوْا مَعَ التَّائِيدِ قَامَاتٍ إِلَى
سَبَحُوا إِلَى الْأَعْلَاجِ إِذْ لَمْ يَنْزِلُوا
وَرَمَوْهُمْ بِجِنَادٍ فَكَأَنَّهُمْ
وَبِكُلِّ سَهْمٍ وَاقِعٍ لَكِنَّهُ
وَحَمَوْا حِمَى الْأَسْوَارِ وَهِيَ وَرَاءَهُمْ
وَكَاُنَّا حَرَّ الْمَنَآيَا عِنْدَهُمْ
لَا يَبْقَى فِي الضَّرْبِ سَيْفُكَ مِغْفَرًا
لَوْ أَنَّ أَعْرَاضًا تُجَوِّهَرُ أَصْبَحَتْ
أَوْ أَنَّ لِلْأَرْضِ الْجَمَادِ تَنْقَلًا
فَلِيَهْنِكَ الشَّهْرُ الْمُعْظَمُ إِنَّهُ
أَصْبَحَتْ فِيهِ لَوَجْهِ رَبِّكَ صَائِمًا
ضَيْفٌ أَتَاكَ بِهِ لَتَعْرِفَ حَقَّهُ
لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَافِدَةً عَلَى
حَسَدَتْهُمَا الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
تَدْمَى بِصَوْلَتِهِ لَهُ أَظْفَارُ
بَطْلُ الْكَفَّاحِ وَذِمُّهَا الْمَغْوَارُ
شَرِقَتْ بِمَاءِ غَمَامِهِ الْفُجَّارُ
نَهَضُوا مُؤَاتِبَةَ الْأَسْوَدِ وَثَارُوا
هَيْجَاءَ مَشْيٍ حُمَاتِيهَا أَشْبَارُ
مِنْ فَلَكَهْمِ فَحَجَّالَهَا تِيَارُ
لَأَجُورَهَا عِنْدَ الْإِلَهِ جَمَارُ
بَثْلَاثِ أَجْنَحَةٍ لَهُ طِيَارُ
حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَهَا الْأَسْوَارُ
بَرْدٌ إِذَا مَا اشْتَدَّ مِنْهُ أَوَارُ
فَلَهُ مِنَ الْقَدَرِ الْمُطَاعِ غِرَارُ
فِي كَفِّكَ الْعَزَمَاتُ وَهِيَ شِفَارُ
حَجَّتْ إِلَى أُمْصَارِكَ الْأُمْصَارُ
ضَيْفٌ قَرَاهِ الْبِرِّ وَالْإِيْثَارُ
لَكِنْ لَكَفِّكَ بِالنَّدَى إِفْطَارُ
فَلَكْ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ دَوَارُ
مَا تَشْتَهِي مِنْهَا وَمَا تَخْتَارُ

وقال في كتمان السر

إنَّ السرائرَ عَوْرَاتٌ وَإِنَّ لها مُهَذَّبًا آخِذًا بِالْحَزْمِ يَسْتَرُهَا
فَاطِمَةُ السرائِرَ فِي الْجَنِينِ تَحْجِنُهَا^١ عَنِ اللِّسَانِ الَّذِي لِلتَّمَعِ يَنْشُرُهَا^٢

وقال في غلام تقلد سيفاً

وَجَفْنَيْنِ أَوْفَى^٣ بِالْمَنِيَّةِ فِيهِمَا عَلَيْكَ مِنَ الْغَزْلَانِ وَسَنَانُ أَحْوَرُ^٤
فَجَفْنٌ لَهُ عَضْبٌ^٥ مِنَ اللَّحْظِ مُرْهَفٌ^٦ وَجَفْنٌ بِهِ مَاضٍ مِنَ الْهِنْدِ مُبْتَرٍ^٧
وَأَمْضَاهُمَا حَدًّا فَلَا تَغَرَّرْ بِهِ^٧ غِرَارُ الَّذِي فِيهِ مِنَ السَّحْرِ جَوْهَرٌ

١ في «م» تنج بها ؛ وتحجنها : تحجزها وتضن بها .

٢ في ب : الآذان تنشرها .

٣ في ب : أولى .

٤ في ب : على الأسد ريم فآثر الطرف أحوز .

٥ في ب : به عضب .

٦ في ب : عضب من الهند أبت .

٧ في ب : وأمضاهما عندي وإني مجرب .

وقال أيضاً

حسانٌ تديرُ بسحرِ الهوى عيُونَ المها في وُجوهِ البُدورِ
 طوالُ الفروعِ قصارُ الخطا ثقالُ الروادِفِ هيفُ الحصورِ
 تطيّبُ أفواههُنَّ الحديثَ بحُمُرِ الشفاهِ وبَيضِ الثغورِ
 كما مرَّ بالوردِ والأقحوانِ نسيمٌ مشوبٌ برَيّا العبيرِ

وقال أيضاً

إذا رأيتَ ملوكَ الأرضِ قد نظروا إلى السّماءِ فكلَّ الخوفِ في النّظرِ
 فإنّهم يتّقونَ البطشَ مِن مَلِكٍ مُنْقَذِ أمره كاللمحِ بالبصرِ

وقال أيضاً

خَلَّتْ مِنْكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ فَأَعْمُرْهَا وَمَاتَتْ لِيَالِيهَا مِنَ الْعُمْرِ فَاثْمُرْهَا
 وَهَذَا لَعَمْرِي كُلُّهُ غَيْرُ كَائِنٍ فَأُخْرَاكَ وَأَصْلُهَا وَدُنْيَاكَ فَاهْجُرْهَا
 أَرَى لَكَ نَفْسًا فِي هَوَاكَ مَقِيمَةً وَقَدْ طَالَ ذَا مِنْهَا، لَكَ الْوَيْلُ، فَاقْصُرْهَا
 وَكَمْ سَيِّئَاتٍ أَحْصَيْتَ فَنَسِيتَهَا وَأَنْتَ مَتَى تَقْرَأُ كِتَابَكَ تَذْكُرْهَا
 فَيَا رَبِّ إِنِّي فِي الْخُضُوعِ لِقَائِكَ : ذُنُوبِي عُيُوبِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فَاسْتَرْهَا

وقال أيضاً في الزهد

تخرجها : البيت الخامس من الطراز : ٢٢١

يَا ذُنُوبِي ثَقَلْتِ وَاللَّهِ ظَهَرِي بَانَ عُدْرِي فَكَيْفَ يُقْبَلُ عَذْرِي
 كُلَّمَا ثُبْتُ سَاعَةً عُدْتُ أُخْرَى لِيَضْرُوبٍ مِنْ سَوْءٍ فِعْلِي وَهَجْرِي
 ثَقَلْتُ خَطُوتِي وَفَوْدِي تَفَرَّتْ غِيْثُ اللَّيْلِ فِيهِ عَنْ نُورِ فَجْرِ
 دَبَّ مَوْتُ السَّكُونِ فِي حَرَكَاتِي وَخَبَا فِي رَمَادِهِ حُمْرُ جَمْرِي

وأنا حيثُ سَرْتُ أَكَلُ رِزْقِي غير أنَ الزمانَ يَأْكُلُ عَمْرِي
كلما مرَّ منه وقتٌ بِرَبْحٍ من حياتي وجدتُ في الرَبْحِ خَسْرِي
يا رفيقاً بعبده ومحيطاً عِلْمُهُ باختلافِ سِرِّي وجَهْرِي
مِلُّ بقلبي إلى صلاحِ فسادِي منه واجبرُ برأفةٍ منك كَسْرِي
وأَجِرْني ممَّا جَنَاهُ لِسَانِي وتَنَاجَتْ به وسائسُ فِكْرِي

١٥١

وقال أيضاً

أرى الشَّيْخَ يَكْزُرُهُ في نَفْسِهِ مَشِيئاً أَفَاضَ عَلَيْهِ النَّهَارُ
وضِعْفاً يَهْدُ قُوَى جِسْمِهِ ويتقل منه خطاه قصارا
فكيف يُجْشِمُهَا طِفْلَةً يطيرُ بها القلبُ عنه نِفَارُ
وعارٌ على الشَّيْخِ تَقْرِيْبُهُ فتاةٌ ترى قُرْبَةً منه عَارُ
وقد جُبِلَ الْغَانِيَاتُ الصَّغَارُ على بُغْضِهِنَّ الشُّيُوخَ الْكِبَارُ

وكتب المعتمد على الله ، رحمه الله ، إلى عبد الجبار ، في أغمات ، وهو أسير
بقطعة شعر أولها :

تخریجها : الحريدة وفيها الأبيات ١ ، ٢ ، ١٣ ،
١٤ ، ١٠ ، ١١ ، وابن الأثير ١٠ : ١٢٨ والنهاية ؛
وفيها ١ ، ٢ ، ١٣ ، ١٤ ، والوفيات والطراز ؛
٢٢٠ والنفع وفيه ١٣ ، ١٤ والذخيرة : ١٣ ، ٤ ،
١٤ ؛ أما شعر المعتمد فموجود في ديوانه وفي
القلائد ، وبعضه في النهاية .

غريبٌ بأرض المغربين أسيرٌ سبيكي عليه منبر وسريرٌ
إذا زال لم يسمع بطيب ذكره ولم ير ذاك اللهو منه منير
وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهلُ دمع بينهنّ غزير
سبيكيه في زاهيه والزاهر الندى وطلابه والعرف ثم نكير
إذا قيل في أغمات قد مات جوده فما يرتجى بعد الممات نشور
مضى زمن والملك مستأنس به وأصبح عنه اليوم وهو نفور
أذلّ بني ماء السماء زمانهم وذلّ بني ماء الزمان كثير
برأي من الدهر المضال فاسد متى صلحت للصالحين دهور
فما ماؤها إلا بكاء عليهمُ يفيض على الأكباد منه بحور

فيا ليت شعري هل أبيتَ ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير
 بمنبتة الزيتون مورثة العلى تغني حمام أو ترنّ طيور
 بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا تشير الثريا نحونا ونشير
 ويلحظنا الزّاهي وسعد سعوده غيورين والصبّ المحب غيور
 تراه عسيراً لا يسيراً مناله ألا كلّ ما شاء الإله يسير

يقتضيه فيها الجواب فجوابه

جرّى بك جدّ بالكرام عثور وجارَ زمانٌ كنتَ فيه تُجير
 لقد أصبحتَ بيضُ الظبا في غمودها إنائاً لتتركِ الضربِ وهي ذكور
 تجيءُ خلافاً للأُمور أُمورنا ويَعدِلُ دهرٌ في الورى ويجورُ
 أتّأسُ في يومٍ يناقضُ أمسه وزُهرُ الداراي في البروج تدور
 وقد تنّخي الساداتُ بعد خمولها وتخرج من بعد الكسوف بدور
 لئن كنتَ مقصوراً بدارٍ عمّرتها فقد يُقصرُ الضرغام وهو هصور
 أغرّ الأسارى أن يقالَ محمدٌ غريبٌ بأرض المغربين أسير

تنافس من أغلاها في فكاكها	وَيُقْصَمُ منها بالمصاب ذكور
وكنت مسجى بالظبا من سجونها	بسور لها إن السجون قبور
إلى اليوم لم تذعر قطا الليل قرح	يغير بها عند الصباح مغير
ولا راح نادٍ بالمكارم للغنى	يقبله في الراحتين فقير
لقد صنت دين الله خير صيانة	كأنك قلب فيه وهو ضمير
ولما رحلت بالندى في أكفكم	وقلقل رضى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد أتت	ألا فانظروا هذي الجبال تسير

ومضى عبد الجبار لزيارة المعتمد في أغمات فصرفه بعض خدمه بأنه لا يوجد في ذلك الوقت . فرجع عبد الجبار إلى منزله . فأخبر المعتمد بمجيئه ورجوعه ، فعسر ذلك عليه . وعنف خدمه . وكتب إليه بالغداة بهذا الشعر يعتذر إليه ، فقال :

حُجِبْتَ فلا والله ما ذاك عن أمري	فأصغِ فدتك النفس سمعاً إلى عذري
فما صار إخلالُ المكارم لي هوَى	ولا دارَ إخجالٌ لمثلك في صدري
ولكنه لما أحالت محاسني	يدُ الدهر شُلَّتْ عنك دأباً يد الدهر
عَدِمْتُ من الخُدَامِ كلَّ مُهَذَّبٍ	أشيرُ إليه بالخفي من الأمسِرِ
ولم يبقَ إلا كلَّ أدكنٍ ألكنٍ	فلا آذنُ في الإذن يبرأ من عسر
حمارٌ إذا يخشي ونسراً مخلوق	إذا طارَ . بُعداً للحمارِ وللنسر
وليس بمحتاجٍ أتاناً حمارهم	ولا نسرهم مما يحزن إلى وكر
وهل كنتَ إلا الباردَ العذبَ إنما	به يشتفي الظمآن من غلّة الصدر
ولو كنتُ ممن يشربُ الخمرَ كُنْتُهَا	إذا نزعَت نفسي إلى لذة الخمر
وأنت ابن حمديس الذي كنتَ مهدياً	لنا السحرَ . إذ لم يأت في زمن السحر

فجأوبه عبد الجبار يقول :

أَمْثَلُكَ مَوْلَى يَسْطُرُ الْعَبْدَ بِالْعَدْرِ بغير انقباضٍ منك يَجْرِي إِلَى ذِكْرِ
لَهْدٍ قَرِيضَ الْفَضْلِ مَا هَدَّ مِنْ قَوَى وَحَلَّ بِهِ مَا حَلَّ مِنْ عُقْدَةِ الصَّبْرِ
وَأَتَيْ أَمْرُؤَ فِي خَجَلَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ يَذُوبُ لَهَا فِي الْمَاءِ جَامِدَةُ الصَّخْرِ
أَتَنِي قَوَافِكَ الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا بِمَا نَقْطَةُ مِنْهَنِّ مُغْرِقَةٌ بِحَرِي
لَعَلَّكَ إِذْ أَغْنَيْتَنِي مِنْكَ بِالنَّدَى أُرِدْتَ الْغَى لِي مِنْ مَدِيحِكَ بِالْفَخْرِ
لِعَمْرِي إِنِّي مَا تَوَهَّمْتُ رِيَّةً فَتَدْفَعُ وَجْهَ الْعُرْفِ عِنْدَكَ بِالنَّكَرِ
وَطَبْعَكَ تَبْرٌ سَحَرَ الْفَضْلُ مُحْضَةً^١ وَحَاشَا لَهُ أَنْ يَسْتَحِيلَ مَعَ الدَّهْرِ
وَكُنْتُ أَمَلَّ الْجُودِ مِنْكَ وَأَنْتَ لَا تَمَلَّ عَطَاءً مِنْهُ يَأْتِي عَلَى الْوَفْرِ
فَكَيْفَ أَظُنُّ الظَّنَّ غَيْرَ مُبَرِّإٍ - تَوَاضَعَ نِيهَاً كَوَكْبُ الْجَوْرِ عَنْ قَدْرِي -
يَخْفَ عَلَى خُدَّامِ مُلْكِكَ جَانِبِي كَمَا خَفَّ هُدْبٌ فِي الْعَيُونِ عَلَى شَفْرِ
إِذَا طَارَ مِنْهُمْ بِالْوَصِيَّةِ سَوْدَقٌ فَذَلِكَ فِي إِفْصَاحِ مَنْطِقِهِ الْقَمَرِي
تُحَدِّثُ عَيْنِي عَيْنَهُ بِالَّذِي يَرَى بَوَجْهِكَ لِي مِنْ حُسْنِ مَائِيَّةِ الْبَشَرِ
لِيَالِي لَا أَشْدُوكَ إِلَّا مَطُوقًا بِنِعْمَاكَ فِي أَفْنَانِ رَوْضَاتِكَ الْخَضَرِ
وَمَا زَالَ صَوْبٌ مِنْ نَدَاكَ يَبْسُلْتَنِي وَيُثْقَلْنِي حَتَّى عَجَزْتُ عَنِ الْوَكْرِ

١ سحره : علاه وموهه .

بَكَيْتُ زَمَانًا كَانَ لِي بَكَ ضَاحِكًا وَكَسَّرُ جَنَاحِي كَانَ عِنْدَكَ ذَا جَبَرٍ
وَأُطْرَقْتُ لَمَّا حَالَتِ الْحَالُ حَيْرَةً تَحَيَّرَ مِنْهَا عَالَمُ النَّفْسِ فِي صَدْرِي
فَخَذَهَا كَمَا أُدْرِي وَإِنْ كُلَّ خَاطِرِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا الْبَدِيعُ الَّذِي تَدْرِي

١٥٤

وقال أيضاً

وَصَفْتُ حُسْنَكَ لِلْسَّالِي فَجُنَّ بِهِ كَأَنَّ السَّمْعَ مِنْهُ رُؤْيَا الْبَصْرِ
فَلَمْ يَزَلْ فِي وَجْهِ الْحُسْنِ مُقْتَبِلًا بِالْوَصْفِ فِي صُورٍ مِنْهَا إِلَى صُورِ
وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا كَلِفْتُ بِهِ إِذَا الدَّلَائِلُ دَلَّتْهُ عَلَى الْقَمَرِ

حرف السين

١٥٥

وقال أيضاً

إذا ما الهواءُ اعتلَّ كان اعتلالُنا محيطاً بما يُجرِّيه فينا التنفُّسُ
وربَّتما كان الغذاءُ مَضَرَّةً يندُمُّ به العقبى جهُولٌ وكيَّسُ
وأَمْرَاضُنَا أسبابُهنَّ كثيرةٌ تحلُّ بأجسامٍ فتَهْلِكُ أنفُسُ

١٥٦

وقال أيضاً

قل للأساة أسأتُمْ في علاجكم فمُمرِضي من ضننى جسمي هو الآسي
[.] شمساً من النار لم تطلع على الناس
ولو وجَدْتُ مزاجَ القلبِ معتدلاً يبرد أنفاسها في حرِّ أنفاسي

١ بياض في الأصل .

لله ما رُضْتُ منها بالخضوع وما ألامنيه لقلبي إلا قلبي القاسي
خَدَعْتُ قِرْنَ الهوى حتى فتكت به بالله قل هل [بجذع] القِرْنِ من باس

١٥٧

وقال بذكر صقلية وبلده سرقوسة

لأمرٍ طويلٍ لهم نُرْجِي العَرَامِسَا وتطوي بنا أخفافهنّ البسباسا
وَتَذَعُرُ بالبيداءِ عِيناً شَوَارِدَا تُذَكِّرُ بالأحداقِ عِيناً أَوَانِسَا
عَدَارَى تَرَى الحسنَ البديعَ مُطَابِقَا لَأَنْوَاعِهَا فِي خَلْقِهِ وَمَجَانِسَا
أَعَاذَلُ دَعْنِي أَطْلِقِ العَبْرَةَ الَّتِي عَدِمْتُهَا مِنْ أَجْمَلِ الصَّبْرِ حَابِسَا
فَإِنِّي امْرُؤٌ آوِي إِلَى الشَّجَنِ الَّذِي وَجَدْتُ لَهُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ نَاحِسَا
لَقَدَرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَا فَسَاءَتْ ظُنُونِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ يَائِسَا
وَعَزَيْتُ فِيهَا النَّفْسَ لَمَّا رَأَيْتُهَا تَكَابَدُ دَاءً قَاتِلَ السَّمِّ نَاحِسَا
وَكَيْفَ وَقَدْ سَيِّمَتْ هَوَانًا وَصَيَّرَتْ مَسَاجِدَهَا أَيْدِي النَّصَارَى كَنَائِسَا
إِذَا شَاءَتْ الرَّهْبَانُ بِالضَرْبِ أَنْطَقَتْ مَعَ الصَّبْحِ وَالْإِمَاءِ فِيهَا النُّوَاقِسَا

١ العرامس : جمع عرمن وهي الناقة الصلبة .

لئن كان أعيا كلَّ طبٍّ علاجها فكُم جَرَبٍ في السيفِ أعيا المَدَاوِسا
صقليةٌ كادَ الزمانُ بِلادها وكانت على أهلِ الزمانِ محارِسا
فكُم أعينِ بالخوفِ أُمسَتْ سواهِراً وكانت بطيبِ الأمنِ منهم نواعِسا
أرى بِلَدِي قد سامَهُ الرومُ ذلَّةً وكان بقومي عزُهُ متقاعِسا
وكانت بِلادُ الكفرِ تَلْبَسُ خَوْفَهُ فأضحى لذاك الخوفِ منهنَّ لايِسا
عدمتُ أسوداً منهمُ عَرَبِيَّةً ترى بين أيديها العلوجَ فرائِسا
فلم ترَ غيَني مُسلمَهُمْ في كَتِيبَةٍ مضاربَ أبطالِ الحروبِ مَدَاعِسا
ويا ربَّ بَرّاقِ النصالِ تخالُهُ من النقعِ ليلاً مُشْرِقَ الشهبِ دامِسا
خلوا بين أطرافِ القنا بكماتِهِ لَطعنِ من الفرسانِ يَخِلي القوانِسا^١
وما خِلْتُ أنَّ النَّارَ يَبْزُدُ حرَّها على سَعَفٍ لاقته في القِيظِ يابِسا
أما مُلِيتُ غزواً قَلَوْرِيَّةً^٢ بِهِمْ وأردوا بطريقاً بها وأشاوساً^٣
همُ فتَحوا أغلاقَها بسيوفهمُ وهمُ تركوا الأنوارَ فيها حنادِسا
وساقوا بأيدي السبي بيضاً حواسِراً تَخالُ عليهمُ الشعورَ برانِسا
يخوضونَ بحراً كلَّ حينٍ إليهمُ بِبَحْرِ يكونُ الموجُ فيه فوارِسا

١ يخلي : يقطع . القونس : أعلى بيضة الحديد أو أعلى الرأس .

٢ قلورية : Calabria إحدى ولايات جنوبي ايطالية .

٣ البطريق : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وحريّة ترمي بِمُحْرِقٍ نِفْطِهَا
تراهنّ في حُمْرِ اللّودِ وَصُفْرِهَا
إذا عَثْنَتْ^١ فيها التنايرُ خلتها
أفي قَصْرَيْنِي^٢ رُقْعَةً يَعْمُرُونَهَا
ومن عجبٍ أنّ الشياطينَ صَيَّرَتْ
وأضحتْ لهم سَرَقُوسَةً^٣ دارَ مِئْنَعَةٍ
مَشَوْا في بلادِ أَهْلِهَا تَحْتَ أَرْضِهَا
ولو شَفَقَتْ تلكَ القُبُورُ لَأَنهَضَتْ
ولكن رأيتُ الغيلَ إن غابَ ليشهُ
فَيَغْشَى سَعُوطُ الموتِ فيها المعاطسا
كمثلِ بناتِ الزّنجِ زُفْتُ عَرَائِسا
تُفْتَحُ للبركانِ عنها منافسا
ورَسَمٌ من الإسلامِ أصبحَ دارسا
بروجَ النجومِ المحرقاتِ مجالسا
يزورون بالديرين فيها النواوسا
وما مارسوا منهمُ أبيعاً مُمَارِسا
إليهم من الأجداثِ أَسْدَأُ عَوَابِسا
تبخرَ في أرجائه الذئبُ مائِسا

١ عثنت : دخلت

٢ قصريني أو قصريانة Castrogiovanni : مدينة كبيرة بصقلية من إقليمها الشرقي .

وقال أيضاً يصف الخمر

تخريجها : ١ - ٣ في الوافي

وَوَرْدِيَّةٍ فِي اللَّوْنِ وَالْفَوْحِ شُعْشِعَتُ فَأَبَدْتُ نَجُومًا فِي شُعَاعٍ مِنْ الشَّمْسِ^١
 نَفِيتُ هُمُومَ النَّفْسِ مِنْهَا بِشْرِبَةٍ دَيْبُ حَمِيَّاهَا يَرِقُ^٢ عَنْ الْحَسِّ^٣
 كَانَ يَدِي مِنْ فَضَّةٍ فَإِذَا حَوَتْ زَجَاجَتَهَا عَادَتْ مُذَهَّبَةً الْخَمْسِ

وقال أيضاً

وَلَمَّا تَقَى الْأَجْسَامُ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ وَقَدْ تَلَفَّتْ بِالشَّوْقِ فِيهِنَّ^٣ أَنْفُسُ
 جَنِينَا ، وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَيْنَا جَنَايَةٌ ، ثَمَارَ نَعِيمٍ تَجْتَنِّي حِينَ تُغْرَسُ
 وَلَمَّا اسْتَقَلَّ النِّجْمُ يَرْفَعُ رَايَةً يَحِلُّ بِهَا نُورٌ ، وَيَرْحَلُ حِنْدِسُ
 تَنْهَدَتْ مَرْتَاعَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا تَنْهَدْتُ لِلصَّبْحِ اللَّيْذِي يَتَنَفَّسُ
 فَيَا صُبْحُ لَا تُقِيلْ فَإِنَّكَ مُوَحِّشٌ وَيَا لَيْلُ لَا تُدْبِرْ فَإِنَّكَ مُؤَنِّسُ

١ في ب : الكأس .

٢ في ب : يدق .

٣ في ب : منهن .

٤ في ب : صبح .

وقال أيضاً

تخرّيجها : البيت السادس في الطراز : ٢٢٦

شموس^١ دعاهنّ وَشَكُّ الْفِرَاقِ فَلَبَّيْنِ فِي الْقُضْبِ الْمَيْسِ
تُرِيْقُ الْمَدَامِيعَ كَالسَّاقِيَاتِ مِنَ السَّكْرِ يَعْشُرُنَ بِالْأَكْوُسِ^٢
طَوَالِ نَحْوِ غُرُوبِ تُرَيْكٍ جُسُومَ الدِّيَارِ بِلَا أَنْفُسِ
تُزَرَّرُ صَوْنًا عَلَيْهَا الْخُدُورَ فَتُبْكِي عَيُونََ الْمَهَا الْكُنُوسِ
وَقَدْ زَارَ عَذَبَ اللَّمَى فِي الْأَفَاحِ أَجَاغُ الدَّمُوعِ مِنَ التَّرْجِسِ
وَقَامَتْ عَلَى قَدَمٍ فِرْقَةٌ^٣ إِذَا وَقَفَ الْعَزْمُ لَمْ تَجْلِسِ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْصَرَفُ الدَّجَى بِزُهْرٍ كَوَاكِبِهِ الْخُنُوسِ
وَمَحَوُ النَّهَارِ بِكَافُورَةٍ مِنَ النُّورِ عُنْبُرَةَ الْخُنْدُسِ
أَلَا غَفْلَةٌ مِنْ رَقِيبٍ عَتِيدٍ يُلَاحِظُنَا نَظْرَةَ الْأَشْوَسِ
فَنَهْدِي عَلَى عَجَلٍ قُبْلَةً^٣ إِلَى شَفَةِ الرَّشَاءِ الْأَلْعَسِ
غَدَاً يَتَقَطَّعُ أَقْرَانَهُمْ^٣ وَيَتَصِلُ السَّيْرُ فِي الْبَسْبَسِ

١ في ب : في الأكوس .

٢ في ب : من الليل .

٣ في ب : تتقطع أنفاسهم .

ويكلاً ذِمْرٌ على ضامرٍ خبيثةٌ خِدْرٌ على عِرْمِسٍ
ويصبحُ من وصلٍ سلمى الغنيُّ يُقَلِّبُ منه يَدَيَّ مُفْلِسٍ

١٦١

وقال في الحرب

وَحَفَاقَةَ الرَايَاتِ فِي جَوْفٍ نَقَعِهَا تَرَى الْجُرْدَ فِيهَا بِالْكَمَاءِ تَكْدَسُ
زَبُونٌ رَبًّا سَمَّ بِأَطْرَافِ سُمْرِهَا كَأَنَّ ثَعَابِينَ بِهَا تَتَسَفَسُ
تَرَوْقُكَ كَالْحَسَاءِ يَضْحَكُ سِنُّهَا وَتَرْتَاغُ مِنْهَا وَهِيَ كَالْغُولِ تَعْبَسُ
وَتَقْلَعُ أَرْوَاحَ الْعِدَاءِ أَسِنَّةٌ تَرَاهُنَّ مِنْهُمْ فِي الْحِيَازِيمِ تُغْرَسُ
فَكُم طَعْنَةً نَجْلَاءَ تَحْسِبُهَا فَمَا لَهُ هَرَّتْ فِي الذَّمِّ بِالدَّمِ تَقْلِسُ
صَبِينَا عَلَيْهَا ضَرْبَنَا مِنْ صَوَارِمٍ فَعَاصَتْ بِهَا مِنْ أَسْرِهَا الْقَلْبَ أَنْفَسُ
وَنَحْنُ بَنِي الثَّغْرِ الَّذِينَ نَفُوسُهُمْ ذُكُورٌ بِأَبْكَارِ الْمَنَاسِيَا تُعْرَسُ
فَمَنْ عَزَمْنَا هَنْدِيَّةَ الضَّرْبِ تَسْتَضِي وَمَنْ زَلَدْنَا نَارِيَّةَ الْبَاسِ تُقْبَسُ

١ يكلاً : يحفظ : العرمس : الناقة الصلبة .

وقال في سيف

وأَبْيَضَ ماضٍ لا يَبْقَى من غرارهِ غَدَاةَ قِرَاعِ الهامِ دِرْعٌ ولا تُرْسُ
يَمْسُجُ سَرِيعاً في فم الجرح حَدُّهُ من السمِّ ما سَقَتَهُ من ملكها الفرس
إذا ما بدا من غمده قلت : رَفَعَتْ بخاراً لطيفاً فوق جَدْوَلِهِ الشمس
يُفَرِّقُ بين الرأس والجسم حَدُّهُ وإن كان لم تَشْعُرْ بضربته النفس
فَمَضْرِبُهُ في هامةِ القرن مَأْتَمٌ وَمَضْرِبُهُ في كَفِّ صاحِبِهِ عُرْسُ

وقال في الاعتبار بالدهر وذكر الشيب

حَلَلْتُ بيومي إذ رَحَلْتُ عن الأَمْسِ وَسِرْتُ ولم أَعْمِلْ جَوادي ولا عَنَسِي
مراحلُ دنيانا مراحلنا التي تَرَانَا عليها نَقْطَعُ العيشَ بالخمس
ونحن بدارٍ يَعْقُبُ الخوفُ أَمْنَهَا وتذهبُ فيها وحشةُ الأَمْنِ بالأنس
ليالٍ وأيامٌ بساعاتها سَعَتْ لتفريقِها ما بين جِسْمِكَ والنفس
ولأتي وإنْ أَصْبَحْتُ منها مُسَلِّماً لأَكْثَرُ قولي : ليتَ شعري هل أَمْسِي

ومن حلّ في سبعين عاماً كأنه عِلاجٌ عليلٍ في مُوَاصِلَةِ النُّكْسِ
فما فهم الأشياءَ بالدرسِ وَحَدَهْ ولكنّه بدءُ التفهّمِ والدرّسِ
وكم حِكَمٍ في خطّ قومٍ كثيرةٍ وأفضّلُ منها لَمَعَةٌ من سَنَةِ الحسِّ

١٦٤

وقال أيضاً في الزهد

إلى كم أراني في هَوَى النفسِ خائضاً ولم أتقِ الإغراقَ منها على نفسي
وقد شَمِلَتْنِي شِيَةٌ لم أبيتُ بها فما ليَ في ليالي وقد طَلَعَتِ شَمْسِي
غرسْتُ بكفّي المعاصيَ جاهِداً ولا شكَّ أني أجتني ثَمَرَ الغرسِ
إلى الله أشكو جُملَةً أرندي بها وأصبحُ منها في الذنوبِ كما أُنسي
فيا وحشي من سوءِ ما قد مَتَّ يدي إذا لم يكنْ في القبرِ من رحمةٍ أنسي

وقال أيضاً

وريحانة في النفس مَنِيَتْ غُصْنُهَا لها نَفَسٌ يُحْنِي بِنَفْحَتِهِ النَّفْسَا
 إِذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ بِتَقْوِيمٍ خَلَقَهَا وَمَشِيَّتُهَا بِالشَّمْسِ تَسْتَوْقِفُ الشَّمْسَا
 فتاة إذا استعطفت باللين قلبها على الصَّبِّ أَضْحَى وهو من حجرٍ أَقْسَى
 ولا شك أن الماءَ رطبٌ وكلما سَقَيْتَ حديدًا فيه زادَ به يُبْسَا

وقال عبد الجبار لما بلغ سنه المذكور [أي] سنة ٥٥

كَمَلْتُ لِيَ الْخَمْسُونَ وَالْخَمْسُ ووقعتُ في مرضٍ له نَكْسُ
 وَوُجِدْتُ بِالْأَضْدَادِ فِي جَسَدِي غُصْنٌ يَلِينُ وَقَامَةٌ تَنْقَسُو
 وتنافرت عني الحسانُ كما لحظَ المصورَ جَاذِرٌ خُنْسُ
 وابيضَ من فودي من شعري وَحَفٌ كَانَ سَوَادَهُ النَّقْسُ
 والعُمرُ يذبلُ في مَنَابِتِهِ غَرَسٌ ، ويلبسُ نُصْرَةً غَرَسُ
 أصغيتُ لَلْأَيَّامِ إِذْ نَطَقْتُ بِالْوَعظِ فَهِيَ نَوَاطِقُ خَرَسُ

١ الشمس : ضرب من القلائد .

وفهمتُ بعد اللبسِ ما شَرَحَتْ والشرحُ يَذْهَبُ عنده اللبسُ
أضحى بوحشي المشيب ، ولي بعد الشبابِ بِذِكْرِهِ أنسُ
ومُسَايَرًا زمين في عمري مصباحُ ذا قمرٌ ، وذا شمسُ
دُنْيَا الفَتَى تَفْتَى لَذَا خُلِقَتْ وتموتُ فيها الجنّ والإنسُ
إِنَّا لَأَدَمَ كُلَّنَا وَلَدٌ وَحِمَامُنَا بِحِمَامِهِ جِنْسُ
وأقلّ ما يبقى الجدارُ إذا ما انهدَ تحتَ بناءه الأسُ
يا ربّ إنّ النارَ عَاتِيَةٌ وبكلّ سامعةٍ لها حَسٌّ
لا تجعلنّ جسدي لها حَطْبًا فيه تُحَرِّقُ مِنِّي النفسُ
وارفقْ بعبدٍ ، لحظه جَزَعٌ يومَ الحسابِ ، ونُطْقُهُ هَمْسُ

١٦٧

وقال أيضاً

تخريجها : منها في الوافي البيت الثاني والثالث

حَسَى حِمَى الْمُلْكِ [منه] صارمٌ ذَكَرَ مُقَابِلَ الْجُودِ بِالْعِلَاءِ فِي الْبَاسِ
يرعى الرعايا بعينٍ من حَفِيفَتِهِ وَيَسْطُ الْعَدْلَ مِنْهُ لِيَنَ قَاسُ
كَأَنَّ سَوْرَةَ كَسْرَى عِنْدَ سَوْرَتِهِ سَكُونُ صُورَةٍ كَسْرَى وَهُوَ فِي الْكَاسِ

وقال أيضاً

تخرجها : منها في الوافي الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ .

لو أن رُبَعَ شَبَابِي غيرُ مُسْدَرِسٍ ما بَتَّ أَوْحَشُ من جَوْرِ المِهَا الأُنْسِ
 من كلِّ رَوْضَةٍ حُسْنٍ زَهْرُهَا أَرَجٌ تُهْدِي الهوى ليَ في لَحْظٍ وفي أُنْسِ
 لَمَّا تَظَلَّمْ من أَطْرَافِهَا عَنَمٌ فاسحِلْ^١ أَقْحَوَانِ الظَّلَمِ واللَّعَسِ
 تَدِيرُ بالسَّحَرِ عَيْنِي أَمَّ شَادِنَةٍ بفَاتِرِ اللَّحْظِ للأَلْبَابِ مُخْتَلَسِ
 وما رَأَيْتُ مِهَاءَ قَبْلِهَا وَصِفَتُ في السَّرْبِ بالشَّمَمِ المَعشُوقِ لا الحَنَسِ
 لها مُحَاسِنٌ ، من غَبَنِ الشَّبَابِ غَدَتُ مُحَاسِنُ الغَيْدِ مِنْهَا وَهِيَ كَالذَّلَسِ
 تُصْبِي الحَلِيمَ وتَسْبِيهِ فَمَبْصِرُهَا كَتَشَ في خَبَالِ السَّكْرِ مُسْتَفْسِمِ
 شَمْسِ شَمُوسٍ عَنِ الشَّيْبِ الَّذِي جَمَحَتْ عَنهُ ، وَذَاتُ عَنَّانٍ لِلصَّبَا سَلَسِ
 إِنِّي لأَعْجَبُ ، وَالْآرَامُ مُجْبَنَةٌ^٢ ، من رِثْمٍ خِدَرٍ لِّلْيَثِ الغِيلِ مَفْتَرَسِ
 لَاحِ القَتِيرُ فَأَقْمَارُ البَرَاقِعِ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيَّ وَقُضِبُ البَانِ لَمْ تَمَسِ
 حَتَّى كَأَنَّ بَيَاضَ الشَّيْبِ مُنْقَلٌ إِلَى سَوَادِ عَيُّونِ الخُرْدِ الأَنْسِ

١ كذا ولعلها : جارت على .

٢ مجنة : منسوبة إلى الجبن وفي م « محنية » ولا معنى له يناسب المقام .

إن ، فاتني قَنَصُ الغزلانِ نافرةً فقد ترى من خيولِ الهمِّ ما فرسي
 كم أشهبِ صادَ غزلانِ الصوارِ فما لأشهبِي راسخُ الأرساغِ في دَهَسٍ^١
 ستّ وستونَ عاماً كيف تُدركُ بي مَن عُمُرُها يَسْتَهِي منها إلى السدسِ
 لله دَرّ شبابٍ لستُ ناسِيَهُ لو أَنَّهُ كانَ إنساناً لقلتُ نَسِي
 يَسْقِي محاسنَ ذاتِ الربعِ مُعْطِشُها سَحاً بكلِّ ضَحُوكِ البرقِ منبجسِ
 وداخِلاتٍ على الظِّلْماءِ^٢ سَبَسَبَها بكلِّ خِرْقٍ عريقٍ في العلى نَدِسِ^٣
 كأنها وهي ترمي المقفراتِ^٤ بهم من الوجيفِ نبالٌ ، والهزالِ قِسي
 مثلُ الحواجبِ لاذتْ وهي ظامئةٌ بأعينٍ بالفلا مطموسةٍ دُرُسِ
 لا يُحْبَسُ الماءُ إلاّ في ثَمائِلِها تيهاً فتحرسُ نقطاً بالكبودِ حسي
 من كلِّ داميّةٍ الأنخفافِ مرّقةٍ ترتاعُ مِن صَوْتِ حادٍ خَلَفَها شَرِسِ
 مستوحشٍ من كلامِ الإنسِ تَوْنِسُهُ من جَوّعٍ من ذئابِ المهمة الطُلُسِ
 ماذا تقولُ ولجّ البحرِ يسحبه إنَّ السفينةَ لا تجري على اليبسِ
 قفْ بالتفكيرِ يا هذا على زَمَنِ جمّ الخطوبِ ومَثَلُ صَرَفِهِ وَقِسِ

١ دَهَسٌ : مطئن رخو من الأرض .

٢ الوافي : وراحلات على يهماء .

٣ الخرق : النشاط الماضي في الأمور . الندس : الفهم الفطن .

٤ هذه هي رواية الوافي وفي م : المقصرات .

٥ الوافي : ولج الآل يحملها .

ولا تكنْ عنده للسلمِ ملتصقاً
 إنَّ الفتى في يديه المالُ عاريةٌ
 وإنه لينميه ويودعه
 إن الحوا لمحيطٌ بالنفوسِ فقلْ
 إني امرؤ وطباعُ الحقِّ تعضدني
 ألفتُ حُسنَ سكوتٍ لا أعابُ بهِ
 فما أحرّكُ في فكّي عن غضبٍ
 قد يعقِلُ العاقلُ التحريرُ منطِقتهُ
 والجهلُ في شيمةِ الإنسانِ أقتلُ من

فالأريُّ في فمِ صلٍ غيرُ ملتصقِ
 كالثوبِ عرّيٍّ منه غيرُهُ وكُسيٍّ
 من الصبابةِ بين الحِرْصِ والحِرْصِ
 هل حظّها منه غيرُ الفوتِ بالنفسِ
 مُطهرُ العِرْصِ لا أدنو من الدّنسِ
 ولي بيانُ مقالٍ غيرِ ملتصقِ
 لسانٌ مُنتهشٍ الأعراضِ منتهسِ
 وربّ نطقٍ غدا في الغيِّ كالخرسِ
 تخلخلُ النَّبْضِ في بُحْرانٍ مُنتقِسِ

١٦٩

وقال في الشيب

فعوّضْتُ شيئاً من شبابي كأنتي
 وقطّعتُ بعيشٍ بعد ستين حجةً
 ذنوبي تنمي كلَّ يومٍ تكسباً
 ألا آمنَ الرحمنَ خوفي بعَفْوهِ

تولّيتُ عن ظلٍّ برغمي إلى الشمسِ
 أرى فيه لبساً والتخوفُ في اللبسِ
 فيومي بها في اليومِ أثقلُ من أمسي
 فإنّي من نفسي أخافُ على نفسي

١ البُحْرانُ : حالة يحدث بها للمريض استفراغ وتغير عظيم في الأمراض الحادة كالحُميات .

حرف السين

١٧٠

وقال أيضاً

أسلمني السدّهرُ للرزّايا وَغَيَّرَ الحَادِثَاتُ قَفْشِي^١
وَكُنْتُ أَمْشِي وَلَسْتُ أَعْيَا فَصَرْتُ أَعْيَا وَلَسْتُ أَمْشِي
كَأَنْتِي^٢ . إِذْ كَبُرْتُ نَسْرُ يُطْعِمُهُ فَرَّخُهُ بِعُشِّ

أخبرني أبو محمد عبد الجبار وقد سأله عن التمثيل بالنسر فقال: ذكر بعض العلماء بأسرار الحيوان أنّه ليس في الطير ما يطعمه ولده إلا النسر وذلك إذا ضعف عن الطيران للتكسب .

١ القفش : النكاح . وأرى الأصوب أن تقرأ « نقشي » أي أن الزمن غير سمته وطابعه ، ومن معاني النقش : الأثر في الرمل وهو مناسب لذكر المشي في البيت التالي .

حرف الصاد

١٧١

وقال أيضاً

أُسْعَادُ إِن كَمَالَ خَلْقِكَ رَاعِي فَرَأَيْتُ بَدَرَ التَّمَّ عَنَّهُ نَاقِصًا
أَرْضَابُ فِكَ سَلَافَةٌ نَشَوَاتُهَا يَمْشِينَ مِنْ طَرَبٍ بِقَدِّكَ رَاقِصًا
بَحْرٌ بَعِيثِي لَمْ يَزَلْ إِنْسَانُهَا فِيهِ عَلَى دُرِّ الْمَدَامِعِ غَائِصًا
كَمْ أَحْوَرٍ لَمَّا رَاكَ رَأَيْتُهُ يَرْنُو إِلَى تَفْسِيرِ طَرَفِكَ شَاقِصًا
هَلْ ظَنَّ ثَغْرَكَ أَقْحَوَانًا نَاضِرًا تَرَعَاهُ غَزْلَانُ الْفَلَاةِ خَمَائِصًا
حَتَّى إِذَا لَاحَ ابْتِسَامُكَ يَجْتَلِي دُرًّا عَلَى عَيْنِهِ وَلَّى نَاقِصًا^١
لَا تَقْنِصِيهِ كَمَا قَنْصَتِ مُتَبَيِّمًا فَالرَّثْمُ لَا يَغْدُو لِرِثْمٍ^٢ قَانِصًا

١ في ب : يرنو إلي بعين طرفك شاقصا .

٢ في ب : حتى إذا برقت عاود ريبة ومضى على الأعقاب منه ناقصا

٣ في ب : يفضحي بريم .

وقال يصف البق والبرغوث والبعوض

نَوْمِي عَلَى ظَهْرِ الْفَرَّاشِ مُنْغَصَّ
وَاللَّيْلُ فِيهِ زِيَادَةٌ لَا تَنْقُصُ
مِنْ عَادِيَاتٍ كَالذَّنَابِ تَذَاءَبَتْ
وَسَرَتْ عَلَى عَجَلٍ فَمَا تَتَرَبَّصُ
جَعَلْتَ دُمِي خَمْرًا تُدَاوِمُ شُرْبَهَا
مُسْتَرْخِصَاتٍ مِنْهُ مَا لَا يُرْخِصُ
فَتَرَى الْبَعُوضَ مَغْنِيًا بِرَبَابِهِ
وَالْبَقُ تُشْرَبُ وَالْبَرَاغُ تُرْقِصُ

وقال أيضاً

بَأَيِّ وَفَى فِي زِمَانِكَ تَخْتَصُّ
فِيغْلُو غُلُوءًا فِي يَدَيْكَ لَهُ رُخْصُ
وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ كَامِنٍ فِي مُصَادِقٍ
وَمَوْضِعٍ أَمْنٍ فِيهِ يَحْتَرِسُ اللَّصُ
وَكَمْ فَرَسٍ فِي الْحَسَنِ أَكْمَلَ خَلْقُهُ
فَلَمَّا عَدَا فِي الشَّأْوِ أَدْرَكَهُ النَّقْصُ
وَكَمْ مَنْظَرٍ فِي الْبُزْلِ قُدِّمَ فِي السَّرَى
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ النَّصُّ أَخْرَهُ النَّصُ
كَذَاكَ خَلِيلُ الْمَرْءِ يَدْعُو اخْتِبَارُهُ
إِلَى مَا يَكُونُ الزَّهْدُ فِيهِ أَوْ الْحَرَصُ
وَلَا خَيْرَ فِي خُلُقٍ يُدْمَمُ لِحُفْلِهِ
وَيُحْمَدُ مِنْهُ قَبْلَ خَيْرَتِهِ الشَّخْصُ

وما المالُ إلا كالجنّاحِ لناهضٍ . وقد يَعتريه عن حوائجه القَصَصُ
وكم فاضلٍ ملبوسه دونَ قَدْرِهِ . وعما الجوهرِ الأجسام لا الدرّ والفص

١٧٤

وقال أيضاً

خُذْ بالأشدِّ إذا ما الشرعُ وافقَه . ولا تَمِلْ بك في أهوائك الرّخَصُ
ولا تكنْ كبني الدنيا ، رأيْتُهُمُ . إن أدبرتْ زهيدوا أو أقبلتْ حرّصوا

١٧٥

وقال أيضاً

وزاهدٍ في المالِ لا يَنشَئِي . في قِممِ العلياءِ عن حِرْصِهِ
ليستْ ترى عيناهُ شِبْهاً له . مُبرّراً في الفضلِ من نقصه
كأنّما العالمُ مرآتهُ . فما يرى فيها سوى شَخْصِهِ

صرف الضاد

١٧٦

وقال أيضاً

صِحَّاتُنَا بِالزَّمَانِ أَمْرَاضُ وَدَهْرُنَا مُبِيرٌ وَتَقَاضُ
وَلَّيَالِي فِي صَرْفِهَا عِبَرٌ فَهِيَ سَهَامٌ وَنَحْنُ أَغْرَاضُ

١٧٧

وقال يصف نهراً ينبعث من عين ماء

وَمُرُؤِ صَدَى الرُّوضَاتِ يَسْحَبُ دَائِباً عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ جُمْلَةٌ تَتَّبِعُضُ
إِذَا مَا جَرَى وَاهْتَزَّ لِلْعَيْنِ مُزْبِداً حَسِبْتُ بِهِ فُرواً مِنَ النَّسْرِ يُنْقَضُ
وَتَنَسَابُ مِنْهُ حَيَّةٌ غَيْرَ أَنَّهَا تَطُولُ عَلَى قَدَرِ الْمَسَابِ وَتَعْرُضُ
وَتَحْسِبُهُ إِنْ حَبَبَكَتْ مَتْنَهُ الصَّبَا عَمُوداً عِلاَهُ النَّقْشُ وَهُوَ مُفَضِّضُ

له رِعْدَةٌ تَعْتَادُهُ^١ في انحداره^١ كما تَبَسُّطُ الكف العنان^٢ وتقبض
 كأن^٣ له في الجسم روحاً إذا جرى^٣ به نَهْضَةٌ والجسم بالروح يَنْهَضُ
 وما هوَ إلا دَمْعُ عَيْنٍ كَأَنَّهَا لَطُولِ بَكَاءٍ دَهْرَهَا لَا تُغْمَضُ
 إذا سَرَحَتْ للسقي من كلِّ جانبٍ رأيتَ بقاعَ الأرض منها تُروِّضُ
 يقيمُ عليها الأنسُ ، والصبحُ مَقْبَلُ^٤ ويرحلُ عنها الوحشُ ، والليل معروض

١٧٨

وقال أيضاً في الناقة

تخریجها : في النهاية منها الآيات ١ - ٤ ، ٦

ومن سَفْنِ القَفْرِ سَبَّاحَةٌ^١ من الآلِ بَحْرًا إذا ما اعْتَرَضُ^١
 لها شِرَّةٌ^٢ لا تُبَالِي بها أطالَ لها سَبَسَبٌ أم عَرَضُ
 إذا خَفَقَ البرْدُ بي خِلْتَنِي على كورها طائراً يَنْتَفِضُ^٣

١ في ب : اعتداده .

٢ في ف : البنان .

٣ في ب : كأن له روحاً إذا جسمه جرى .

٤ في ب : بكائها .

٥ في النهاية : البر .

٦ في النهاية : سيرة .

وَإِنْ يَغْرِضُ^١ الْبَعْضُ مِنْ سِيرِهَا تَرَى الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ
 فَلَوْ عَوْضَ الْمَرْءِ مِنْهَا الصَّبَا لَمَا رَضِيَتْ نَفْسُهُ بِالْعَوْضِ
 هِيَ الْقَوْسُ ، إِنِّي لَسَهُمْ^٢ هَا أَصِيبُ بِكُلِّ فَلَاةٍ غَرَضُ
 إِذَا انْبَسَطَ لِلشَّرَى أَيَأْسَتْ سَنَّا الْهَرَقَ مِنِّْي أَوْ تَنْقَبِضُ
 وَعَذَبُ الدَّمْعِ دَلِيلٌ عَلَى بُكَاءٍ تَبَسُّمٍ بَرَقٍ وَمَضُ
 كَأَنِّي مِنَ الْبُعْدِ إِذْ شِمَّتْهُ جَسَسْتُ بِعَرْقِي عِرْقًا نَبَضُ
 تَرَفَّعَ نَحْوَ رُبُوعِ الْحَمَى وَحَلَّ عَزَالِيَهُ^٢ وَانْخَفَضُ
 وَجَادَ عَلَى التَّرَبِّ مِنْ صَوْبِهِ بِرِيٍّ الصَّدَى وَشَفَاءِ الْمَرَضِ

١ في النهاية : نفر .

٢ في النهاية : أصبت بكل فلاة .

وقال يرثي عمر الشاعر الزكري^١

أيا خُلُجَ المدامع لا تغيضي وذُوبِي غَيْرَ جامدةٍ وفيضي
 فقد قُلِبَ التَّاسِي بالرزايا أُمِّي مَلَأَ التراقي بالجرىض^٢
 أراك على الرّحيل بأرضٍ مَحَلٍ فقيرَ الرّحل من زادٍ عريض
 فدَعْ أَشَرَ الجَموحِ وكُنْ ذليلاً لعزِّ الله كالعودِ المروض
 فلستَ مُنْعَمًا بِيَدَي حبيبٍ ولا بِمُعَدَّي بيدي بغيض
 وأشقى الناس في الأخرى [ابن] دنيا يقول لنفسه في الغي خوضي
 أما شَرَحَتْ له عِبرُ الليالي معاني بَعْدَ مُلْتَبَسِ الغموض
 وناحت هذه الدنيا عايه فظنّ نياحها شَدَوْ القريض
 فلا يَغْتَرّ بالحدَثانِ غَمْرٌ لذيذُ النوم في طَرْفٍ غضيض
 فقد يُضْمِي الردى في الوكر فرخاً فيسَرُّعُ منه في لحمٍ غسريض
 وَيُبْلي غَيْرَ مُسْتَبَقٍ حَيَاةً لِقَشَعَمٍ شاهقٍ مَيِّتٍ النهوض

١ في المطبوعة : الذكري ، والتصحيح عن معجم البلدان مادة « زكرم » ؛ قال ياقوت : زكرم إما قرية بأفريقية أو الأندلس وإما قبيلة من البربر . ونقل عن السلفي شعراً قاله أبو حفص العروضي الزكري ، وهو هذا الذي يرثيه ابن حمديس ، وشعره يدل على أنه كان بالأندلس وربما عرفه ابن حمديس هناك .

٢ الجريض : الحزن .

وَيُلْحِمُهُ ابْنُهُ مَا اخْتَارَ نَهْسًا
وساعاتُ الفتى سُودٌ وَبَيْضٌ
يدوقُ المرءُ في مَحْيَاهُ موتاً
وأشراكُ الردى في الغيب تخفى
عجبتُ لِحَمْعِهِ فِيهِنَّ صَيْدًا
رأيتُ الخلقَ مَرْضَى لَا يُدَاوَى
ولا آسٍ لَهُمْ إِلَّا مَرِيضٌ
يوصلُ فِيهِمْ فَتَكَ ابْنُ آوَى
وما ينجو امرؤ من قبضتيه
وقالوا الزكرمي أذيقَ كأساً
فقدتم في المَعْلَى كِبَرَ حَظٍّ
يطيرُ به جَنَاحُ الطَّبَعِ سَبْقاً
ولو مُزِجَتِ حَلَاوَتُهُ بِنَفْطٍ
لقد عَدِمَ المَعَمَى مِنْهُ فَكّاً
أبا حفص تركت بكلَّ حَزَنٍ
يُرَوِّي اللهُ تَرْباً نِمَتْ فِيهِ
فقد أَبْقَيْتَ أَلْسِنَةَ الْبَرَايَا
بِمِنْسَرِهِ المِدْمَى مِنْ أَنْيَضٍ
تُرَحِّلُ سُودَ لِمَتِهِ بَيْضٌ
جُفُوفَ الزَّهْرِ فِي الرُّوضِ الْأَرِيضِ
كما يَخْفَيْنَ فِي تَرْبِ الْحُضْبِضِ
بها بين القشاعسم والبَعُوضِ
لهم كَلَبٌ مِنَ الزَّمَنِ الْعَضُوضِ
فهل يُجْنِدي المَرِيضُ عَلَى المَرِيضِ
وهم في غَفْلَةِ الْبَهَمِ الرِّيْضِ
يُدِلُّ بِسَبْقِ مُنْجَرِدٍ قَبِيضِ
يحولُ بها الجَرِيضُ عَنِ الْقَرِيضِ
له بِالْفَائِزِينَ نَدَى مُفِيضِ
من الإحسانِ فِي جَوْ عَرِيضِ
لَسَاغَ وَجَلٍّ عَنِ خَصَرِ الْفَضِيضِ
ومات لموته عِلْمُ الْعَرُوضِ
عليكَ الْفَضْلَ ذَا قَلْبٍ مَهِيضِ
فباكي المُنْزَنِ مُبْتَسِمِ الْوَمِيضِ
بفخركَ فِي حَدِيثِ مُسْتَفِيضِ

وقال يصف ملالاً

وابنُ السماءِ ينيرُ مَطْلَعَهُ^١ فَيَسُرُّ مَوْلِدُهُ^٢ بني الأرضِ
فكأنَّه في أفقهِ^٣ ضِلَعٌ نَحَلَتْ وَقَدْ عَرِيَتْ من النحضِ

وقال في الشيب

تخريجها : ١ ، ٢ في الوافي

ولتى شبابي وِرَاعَ شَيْبِي مَنِّي سِرْبَ المِهَا وَفَضَّهُ^١
كأنَّما المشطُ في يميني تَجَرَّ منه خيوطَ فِضِّهِ

١ في ب : مطلعه .

٢ في ب : شكله .

٣ في ب : عوجاء قد .

حرف الطاء

١٨٢

وقال أيضاً

ومُعْرِضَةٌ وَلَتْ تَمُدَّ تَجَنَّبًا^١ قصارَ خطاها عن مشيبي والوخط^٢
عسى للرضى في بعض خلقك^٣ رقية^٣ مجرّبة^٣ يُرْقَى بها خلُتُ السخط
عقيلةٌ حيّ لا ترى ذاتَ بينهم تُراعُ بين من نَوَاهُمُ ولا شعط
تَرَى ما ترى من بأسهم^٣ في عداّتهم بأطرافِ بيض الهند والأسل الحطي
أخاديدَ ضَرَبٍ يحقر الشكلَ شكلها وآثارَ طعن يزدرين على السقط

١. في «م» : تحبّا .

٢. في «م» : قصار . . . من مشيبي عن الوخط .

٣. في «م» : حفظك .

وقال أيضاً

تخریجها : فی الحریدة منها البیتان الثانی والأول

وثابتة الوقفين جـوّالة القرط^١ أصبت رشادي في هواها^٢ ولم أخطي
إذا مشطت فرعاً تفرّع ليلهُ وطال من القينات فيه سرى المشط
تقوم فيغشاها له بحرٌ ظلمة ترى قدماً منها تقبل بالشط

١ الحریدة : بثابتة الخلخال خافقة القرط ؛ والوقف : السوار .

٢ الحریدة : فی النرام .

حرف العين

١٨٤

وقال أيضاً [في انقطاع الكتب]

إذا كان في الكتب اتصال لقائنا فكل فراقٍ مَوجِعٌ^١ في انقطاعها
وإن كانت الأيام مطبوعة^٢ على خلافٍ فقلّ من لي ينقل طباعها
فلا تقطعوا عنا سطورَ رسالةٍ نُمَسِّلُ^٣ لي أشخاصكم في سماعها
فلي كَبِدُ^٤ بالين منكم تصدّعتْ وطولُ اغترابي زائدٌ في انصداعها
لأصبحتُ في الدنيا حريصاً عليكم ألا إن مثلي زاهدٌ في متاعها

١ في ب : لقربنا ، وكل فراق مَوجِع ، ورواية «م» مرجع .

٢ في ب : مجبولة .

وقال أيضاً

حتّى متى بين اللوى فالأجرعِ . لوئماً ، فما أمره في مسمعي
 ويحك لو كنت وفيّاً لم تنقلُ : « ويحك لا تبك برسم بلقع »
 وهو الحمى سقيّاً لأبّامِ الحمى . فإنّها ولّتْ ولما ترجع
 ما لك لا تبكي بكاءً بالأسى بين رسوم وبوّالي أربع
 بأدمع بين الجفونِ حوّمٍ وأدمع على الحدودِ وقّع
 وزفرة موصولة بزفرة . تصعدُ عن نارِ حشّ ملسدّع
 وقفت في الدار بعين لا ترى تغيرُ الربّعِ وأذن لا تعي
 ولوعة بالشوق غيرِ لوعي وأضلع في الوجد غيرِ أضلعي
 وإنما يبكي بكائي شجنأً ووجعٌ يعرف فيه وجعي
 لو أنطقَ المربع وهو أخرسٌ تضرّع ، أنطقه تضرعي
 ووقعة ردت قيان ورقه نوائحاً بالحزن يمين معي
 كأنّها وما لها [من] أدمعٍ أعارها القطرُ سجالٍ أدمعي
 يا منزلاً تنشره يدُ البلى نشرَ يمانٍ خلّق لم يرقع

بالله خبرني أأنت ربُّعُهُمْ^١ أم أنت مرَّعَى للظباء الرِّتَعِ
 فقال : بل ربُّعُهُمْ^١ وإنَّما تَحَمَّلْتُ عني شمسٌ مطلعي
 أدرة الغوط^١ سترن ظيية تدير عَيْنِي فتنة في البرقع
 سيفٌ وسهمٌ لحظها ولهزمٌ يا عجباً لفتكها المستوع
 كأنما تبسمُ إن مازحتها عن برَدٍ بين بروقٍ لُمع
 كأقحوانٍ روضةٍ يَصْقُلُهُ^٢ مندوسٌ شمسٍ في الندى الميع
 كأنَّ في فيها سيلافَ قهوةٍ صرفٍ بماءٍ ظلَّمتها مُشعَّشع
 إذا رضيعُ الكاس أصغى سَحَرًا إلى صفيِرِ الطائرِ المُرجَّعِ
 خُصَّتْ من الصوتِ بمعنى مؤيسٍ من لغة الوصل ولفظ مُطمع
 ومهمَّهٍ مُتَّصِلٍ بمهمهٍ مرَّتِ بمواجِ السرابِ مُشرع
 كأنَّ منشورَ الملاء فوقه متى تَمِلُ ذكاءٌ عنها تُرفَعِ
 كأنَّما جُنْدُبُسه مُرجَّعٌ نغمةَ شادٍ ذي لحون مُسمع
 يذيب صمَّ الصخر حرًّا لاذعٌ يقبضُ فيه روحَ كلِّ زعزع
 لكلِّ غارٍ فيه ماء ، وشوى فيه أوارُ الشمس كلَّ ضفدع
 لا نارَ تُذَكِّي في الدجى لسَقَرِهِ^٢ إلا بريقٌ مقلعة السمع^٢

١ أدرة : ما يتدرا به أي يستتر . الغوط : المططن الواسع من الأرض .

٢ السمع : وصف للذئب لحفته وسرعه .

تَغْسِلُ مِنْهُ جَانِبَاهُ إِنْ عَمِدَا مِثْلَ اضْطِرَابِ السَّمْهَرِيِّ الْمَشْرِعِ
يَقْفُو رِذَايَا جُنْحًا فِي السَّيْرِ لَا تَوْضَعُ عَنْهُنَّ سَيَاطُ الْمُزْمَعِ
يَصُكُّ مِنْهَا دَايَاتٍ^١ دَمَلَتْ فَهِيَ بِشَمِّ الْأَنْفِ فِيهَا تَرْتَعِي
وَذَاتِ أَخْفَافٍ سَرَّتْ أَرْبَعَهَا مَتَعَلَاتٍ بِالرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ
كَأَنَّهَا وَلِلنَّجَاةِ مَا نَجَتْ مِنْهُوشَةً^٢ بَيْنَ أَفَاعٍ لُسَعِ
تُحْدِثِي بِسَحْرِ سَاهِرٍ فِي نِغْضَةٍ^٣ شَهْمِ الْجَنَانِ لَوْذَعِي الْمَعِي
وَالشَّهْبُ كَالشَّهْبِ لَسَبَقِي أَرْسَلْتُ^٤ لِمَغْرِبٍ فِيهِ أَفُولُ الْمَطْلَعِ
كَأَنَّهَا وَاضِعَةٌ خُدُودَهَا لِهَجْمَةٍ فِيهِ وَإِنْ لَمْ تَهْتَجِعْ

١٨٦

وقال أيضاً

ومحسودة - لا تحسُدِ الغيدَ مِثْلَهَا - لها في عميم الخَلْقِ حُسْنٌ مُنَوَّعٌ
إِذَا انْعَطَقَتْ فَالْخُوطُ^٣ بِالْبَدْرِ يَنْثِي وَإِنْ نَظَرْتُ فَالْعَيْنُ بِالسَّحْرِ تَنْبَعُ

١ الدَّايَاتُ : أضلاع الكتف .

٢ أي يحرك رأسه .

٣ في ب : فالغصن .

٤ في ب : بالحسن تقنع .

ولما تلاقينا تكلمت مقول
 بدريّن مسثورين فالذرّ منهما
 شكوت ونطق بيننا فلأينا
 ومالت إلى تأنيسنا بعد وحشة
 تمدّ إلى تنعيمه سبط أنمل
 إذا وترّ هزته بالنقر^٢ خيلته
 وينبض كالشريان إن عبث به
 عوامل سحر في عوامل أنمل
 بسرّ الهوى منها ، ومني مسمع
 يرى جارياً بالشوق واللفظ يسمع
 يبرح الجوى في مذهب الحكم^١ يقطع
 بأجوف لم تُخلّق لحنيه أضلع
 كأفلام دُرّ بالعقيق تسمع
 يثنّ من الآلام أو يتصرّع
 وجسته منها باللطافة إصبع
 بها يُخفّض القلب الطروب ويرفع

١٨٧

وقال أيضاً

ولما رأته طيرَ الفراقِ نواعباً
 شكّت ما شكا المحزون من عزمة النوى
 ولم أرَ في خدرٍ يُزرّرُ قبلها
 وقد همّ بالتوديع كلّ مودع
 فأبكت لها عيني غزالٍ مروّع
 من الغيد شهباً^٣ في غمامة برقع

١ في ب : في الحكم بالله .

٢ في ب : بالنقر هزته .

٣ في ب : شمساً .

وقد سمرت عن صفرةٍ عَبَّرَ الأسي لعيني بها عن وَجَدَ قلبٍ مفجع
وأقبلَ دُرَّ النحرِ فوق تريبها يَصَافِحُهُ من خدّها دُرَّ أذْمُعُ
فيا ربَّ إنَّ البينَ أَضْحَتْ صُرُوفُهُ عليّ وما لي من معينٍ فكنّ معي
على قُرْبِ عُدَّالِي وَبُعْدِ حَبَائِبي وأَمْوَاهِ أَجْفَانِي وَنِيرَانِ أَضْلَعِي

١٨٨

وقال أيضاً

كلَّ يومٍ مودّعٍ أو مودّعٍ بفراقٍ من الزّمانِ مُنَوَّعٍ
فانقطاعُ الوصالِ كمَ يتمادى وحِصاةُ الفؤادِ كمَ تَتَصَدَّعُ
ليت شعري هل أرتدي بظلامٍ لا يراني الضياءُ فيه مروّعٍ
بجداٍ من واصلِ البينِ غادٍ وتَعْيِبٍ من حالِكِ اللّونِ أبقعٍ
فبنارِ الأسي يُحَرِّقُ قَلْبُ وبماءِ الهوى يُغَرِّقُ مَدْمَعُ
هذه عادةُ الایسالي فلُثِمَها وهي لا تسمعُ الملامةُ ، أو دَعُ
تَطْعَنُ الحَيَّ فالجسومُ بواقٍ في يدِ السَّقَمِ والنّفوسُ تُشَيِّعُ

وكأنَّ الحسانَ زودنَ صَبْرِي فهو بالبين بينهن يوزع
كلَّ نَمَامةٍ الرياحِ تلاقي منه أنفاسَ روضةٍ تتضوَعُ
يلمَعُ الماءُ في سنا الخدِّ منها فكأنَّ الرحيقَ منه يشعشع
تنتحي بالأراك ثغرَ أقحاحٍ للنسدى فيه ريقةٌ تسميع
نصَلَّتْ في القوامِ باللحظ منها صعدةً في يدِ الملاحَةِ تُشرع
تجرحُ القلبَ ، والأديمُ صحيحٌ فعن السحر منه حدثُ فاسمع
قفْ وقوفَ الحيا بدمنةٍ ربعٍ ضيَّعَ الدمعَ فيه رسمٌ مُضَيَّعُ
دارسٌ لا تزالُ غُبرُ السّوافي تفرِّقُ التّربَ فيه ثُمتَ تجمع
كم به من سوانحٍ في المغاني آمناثٍ من نِباءِ الخوفِ ترتع
وظباءٍ كأنّهنَّ دُمَاهُ ، حينَ ترنّو، لو أنّها تَسْبِرُقَعُ
وحيسٍ على الفلا زمخري^١ خاضبٍ أفتحِ الجناحين أقزَعُ
رافِعٍ في الهواءِ طُولي^٢ عليها عنقٌ كاللّواءِ في الجيشِ يُرْفَعُ
تحسب العين رجله نصب رحل أصلمٌ لَيْتَ أنّه كان أجْدعُ
إنَّ ثوبَ الصبا يمزق مني ما الذي بالخضابِ مِنْهُ يُرَقَّعُ
فعصّني الفتاةُ كَسيداً وكانت في الهوى من يدي إلى الفمِ أطوعُ

١ زمخري : طويل .

٢ طولى : مؤنث أطول وهو يعني هنا رجله .

أُنْبَتَ الدهرُ في المِفارِقِ شَيْباً بهوم في مُضْمَرِ القلبِ يُزْرَعُ
وابتدا والنوى يميناه تبدي صورة الماء في السراب ، فتخدع
بشمالٍ تثني عليها جنوباً بهوبٍ ، يقلقلُ الكورَ زعزع
كلما أمرعت بقلٍ جُفْأَلٍ قلتُ بالجرم من حمى القيظِ تُلْدَعُ
حيثُ أذكتُ ذكاءُ فيها أواراً يَلْتَفَحُ الوجْهَ في اللثامِ فَيَسْتَفْعُ
وإذا ما لَمَسْتَ جَدْوَلَ ماءٍ خِلْتَهُ حَيَّةً من الحرِّ تَلْسَعُ
أنا نبعٌ لا خِرْوَعٌ عند عمري وأرى العود منه نبعٌ وخروع
لستُ أثْنى عن السرى في طريقٍ خيمَ الليلُ فوقه وهو خيدعُ^١
فكأنِّي خُلِقْتُ جوابَ أرضٍ أصلُ العزم حشوها وهي تقطع
وكانني في مِقْوَلٍ من زماني مشَلَّ وافتدَّ على كلِّ مسمع

١ الخيدع : الذي لا يوثق بمودته وإذا وصف به الطريق فمعناه المخالف للقصد .

وقال أيضاً

أيا جَزَعِي بالدار إذ عنَّ لي الجزعُ وقاد حِمَامِي^١ من حمائمِهِ السَّجْعُ
وعاودَني فيها رِداعي ولم أَشِمُ ترائبَ عُوَادٍ يَضْمَتُهَا الرَّدْعُ^٢
وقفتُ بها والنفسُ من كلِّ مقلَّةٍ تذوبُ بنارٍ في الضلوع لها للذَّع
مُطِلاً^٣ مُطِيلَ النَّوْح لو أنَّ دِمْنَةً^٤ لها بَصَرٌ تَسَحَّتْ الحوادثُ أو سَمِعُ
طلولُ^٥ عفت . آياتها فكأنَّما غرابيُّها جِزْعٌ وأدْمَانُها ودَّعُ^٣
حكى الربعُ منها بالصدى إذ سألْتُه^٤ كلاميَ حتى قيل هل يَمَزَحُ الربعُ
تخط مع المحلُّ الجنوب بمحوها سطورَ البلى فيها وتعجبها المِسْعُ^٥
ولم يبق إلا ملعبٌ يبعث الأسي ويدعو الفتى منه إلى الشوق ما يدعو
ومجموعة^٥ جمع الثلاث ولم تَرَدُ عليه صوالي النار أوجهها سفع

١ في ب : وهاج بكائي .

٢ في ب : ولم يكن لمنفعة اللوام عني بها ردع .

٣ في م : عرائنها جذع وأدماها فرع ، وهو شديد التصحيف ؛ والمعنى أن ليس في الدار بعد عفاها إلا الغربان والظباء ، فالغربان سود كالجزع والظباء بيض كالودع .

٤ في ب : تخط على المحو .

٥ المسع : ريج الشمال .

لبسنَ حَدَادَ، الشكل وهي مقيمة^١
ومضروبة^٢ بين الرّسوم وما جَسَتْ^٣
ومحلوك^٤ ما فكّ زيجاً ولا له
أبان لنا عن بَيِّنِنَا فَلِيسَانُهُ^٥
إذا لم تكن للحيّ داراً^٦ فما لها
لياليّ عودي يكتسي ورَقَ الصبا
وينبو عن اللوم المعنّفِ سمعي
فتاة^٧ لها في النفس أصل^٨ من الهوى
وتبلغ بنتُ الكرم من فرح الفتى
يصدّ الهوى عن قطفِ رمان صدرها
وكم من قطوف^٩ دانياتٍ ودونها
تريكَ جبيناً يُخَجِّلُ الشمسَ هيبةً

على مَيِّتِ نارٍ لا يفارقها فَجَّعَ
عقاب النوى من هامها الضرب والقلع
بِسِرِّ قضاء^{١٠} النجم علم^{١١} ولا طبع
علينا له قَطْعُ^{١٢} أتيح^{١٣} له القطع
إذا وقفَ المشتاقُ فيها جرى الدمع
وإذ أنا إلفٌ للجأذر لا سَمِعَ
بِمَنْ^{١٤} حُسْنُهَا بين الحسنان له سمع
وكلّ^{١٥} هوّى في النفس [من] غيرها بدع
بلذتها ما ليس يبلغه البتّع^{١٦}
وإن راقَ في خوط القوام له ينع
تعرض أشراع من الرمح^{١٧} أو شرع
وخلّقاً عميماً في الشباب له^{١٨} جمع

١ في ب : وذات شجاج بالعشاء وما جرت .

٢ في ب : بغيب قضايا .

٣ في ب : إذا لم يكن للحي دار .

٤ في ب : الركبان .

٥ البتّع : نبيد العسل .

٦ في ب : ورب قطوف .

٧ في ب : حمى تتقى منه المنية .

٨ في ب : للشباب به .

وتبسم^١ في جنح الدجى وهو عابس^٢ فيضحك^٣ منها عن بروق^٤ لها لمع
ويبد^٥ أبادت^٦ عيسنا^٧ بيباهـا
إذا سمع^٨ الحادي^٩ بها السمع^{١٠} ظننه^{١١}
فكم من هزيل^{١٢} في اقتفاء^{١٣} هزيمة^{١٤}
فإن يهلك^{١٥} الايجاف^{١٦} حرفاً^{١٧} بمهمه
نحو^{١٨}ت^{١٩} عليها^{٢٠} كل^{٢١} حـرف^{٢٢} بعامل^{٢٣}
وعاركت^{٢٤} دهري^{٢٥} في^{٢٦} عريكة^{٢٧} بازل^{٢٨}
وما خار^{٢٩} عودي^{٣٠} عند غمز^{٣١} مسلمة^{٣٢}
وملتحف^{٣٣} بالصقل^{٣٤} من لمع^{٣٥} بارق^{٣٦}
أقام^{٣٧} مع^{٣٨} الأحقاب^{٣٩} حتى^{٤٠} كأنما^{٤١}
وتحسب^{٤٢} أهوال^{٤٣} الحروب^{٤٤} لشييه^{٤٥}
إذا سل^{٤٦} واهتزت^{٤٧} مضاربته^{٤٨} حكي^{٤٩}

١ هذه هي رواية ب ، وفي « م » : مذبل .

٢ هذه هي رواية ب ، وفي م : الاجراف .

٣ في ب : يحوب عليه ، وما هنا أجود .

٤ في ب : عن .

٥ في ب : باللمع من شيم بارق .

٦ في ب : الأجفان . . . بحديه منها .

٧ في ب : السقم .

وتحسّرُ منه أنفُسُ هَلَكْتُ بِهِ فما صارمٌ في الأرض من غمده سقع
أَذَكِي عَلَيْهِ الْقَيْنُ بِالرَّيْحِ نَارَهُ وأمكنه في الطبع^١ بينهما طَبَعُ
أَصَاعِقَةٍ مُنْقَضَةٍ مِنْ غَرَارِهِ يهولُكَ في هامِ الرواسي لها صدعُ
وَجَامِدَةٍ فَاضَتْ فَقَلْنَا تَعَجُّبًا أنهر^٢ تَمَشَّتْ فَوْقَهُ الرِّيحُ أَوْ دَرَعُ
وَأَحْكَمَهَا دَاوُدُ عَنْ وَحْيِ رَبِّهِ بلطفِ يدٍ ، قاسي الحديدِ لها شَمْعُ
تَرَى الْحَلَقَاتِ الْجُعْدَةَ مِنْهَا حَبَائِكًا مُسَمَّرَةً فِيهَا مَسَامِيرُهَا الْقَرَعُ
سَرَايَةِ الْمَرَأَى وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهَا على الدَّمْرِ طَعْنٌ يَتَّقِيهِ وَلَا مَصْعُ
وَعُدَاءَ يَغْشَاهَا ذُكُورُ أَسِنَّةٍ وتُشْنَى لِمَجْعٍ كُلَّمَا افْتَرَقَ الْجَمْعُ
وَمَنْجَرِدٍ كَالسَّيْدِ^٣ يُعْمَلُ أَرْضُهُ فيبني سماءً فوقه سَمَكُهَا النَّقْعُ
مَتَى يَمْنَعُ الْجَرِيَّ الْجِيَادَ^٤ مِنَ الْوَنَى ففي يده بذلٌ من الجري لا مَنَعُ
لَهُ بَصَرٌ مُسْتَخْرِجٌ خَبَاءَ لَيْلَةٍ إذا الحسَّ أهْدَاهُ إِلَى قَلْبِهِ السَّمْعُ
وَيَمْرُقُ بِي فِي السَّبْقِ فِي كُلِّ حَلَبَةٍ فتحسبه سَهْمًا يَطِيرُ بِهِ التَّرْعُ
بِرَأْيِي وَعِزْمِي أَكْمَلَ اللَّهُ صِبْغَتِي ولولا الحيا والشمسُ ما كَمَلَّ الزَّرْعُ

١ في ب : بالطبع .

٢ في ب : أنهى .

٣ في ب : كالسيف .

٤ في ب : في الوغى .

ه في م : الحياء ، وفي ب : الجواد .

وقال في شمعة

وَنُورِيَّةٍ لِلنَّارِ فِيهَا ذُوَابَةٌ تَذُوبُ بِهَا ذَوْبَ النَّصَارِ الْمِيعِ
 تَنُوبُ مَنَابَ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا إِذَا بَزَغَتْ كَالشَّمْسِ فِي رَأْسِ مَطْلَعِ
 تُكْتَمُ مَا تَلْقَاهُ إِلَّا شَكِيَّةً تُعَبِّرُ عَنْهَا فِي إِشَارَةِ إِصْبَعِ
 وَتَحْسِبُهَا تُلَاقِي ضَرْوباً مِنَ الْجَوِّ تَحْكُمُ فِيهَا مِنْ غَرَامِي الْمُنَوَّعِ
 كَسَقَمِي وَإِرَاقِي وَصَبْرِي^١ وَمَوْقِفِي وَصَمْتِي وَإِطْرَاقِي^٢ وَأَوْنِي وَأُدْمَعِي

وقال يصف البحر

وَأَخْضَرَ حَصَايَ نَفْسِي بِهِ وَنَجَّتْ وَمَا تَفَارَقُ مِنْهُ رَوْعَةٌ رُوعِي
 رَغَا وَأَزْبَدَ وَالنَّكْبَاءُ تُغْضِبُهُ كَمَا تَعَبَّتْ شَيْطَانٌ بِمِصْرُوعِ

١ في ب : وضري .

٢ في « م » : وإحراقي .

وقال

سِرْ تَحْظَ بِالْيُسْرِ إِنْ كَابَدْتَ فِي أَفْقٍ عُسْرًا فَقَدْ يَجِدُ الدَّرِيَّاقَ مَنْ لُسِيعَا
وَرَبَّمَا ضَاقَ رِزْقُ الْمَرْءِ فِي بَلَدٍ حَتَّى إِذَا سَارَ عَنْهُ دَرٌّ وَاتَّسَعَا

وقال

مَرَّابِعُهُمْ لَلْوَحْشِ أَضْحَتْ مَرَاتِعَا فَقِفْ صَابِرًا تُسْعِدُ عَلَى الْحَزَنِ جَازِعَا
فَمَنْ مُبْدِلُ الْغَادِينَ عَنَا بَأْتِنَا وَقَفْنَا وَأَجْرَيْنَا بَهْنِ الْمَدَامَعَا
مَعَالُمُ أَضْحَتْ مِنْ دُمَاهَا عَوَاطِلَا فَقُلْ فِي نَفُوسٍ قَدْ هَجَرْنَ الْمَطَامَعَا
وَقَيْنَا بِمِشَاقِ الْعُهُودِ لَرْبَعَا كَأَنَّ عَهْدَ الرَّبْعِ كَانَتْ شَرَائِعَا
فَمَنْ دَمْنَةٍ تَحْتَ الْقُطُوبِ كَمِينَةٍ بِهَا وَثَلَاثُ رَاكِدَاتٍ سَوَافِعَا
وَمَنْ خَطٌّ رَمَسٍ دَارِسٍ فَكَأَنَّمَا أَمَرَ الْبَلَى مَحْوًا عَلَيْهَا الْأَصَابِعَا
تَأَوَّاهَ مِنْهُ شَيْقُ الرِّكَبِ نَائِحَا فَطَرَبَ فِيهِ مُلْغِطُ الطَّيْرِ سَاجِعَا
وَمَا زِلْتُ أَجْرِي الدَّمَعَ مِنْ حُرْقِ الْأَسَى وَأَدْعُو هَوَى الْأَحْبَابِ لَوْ كَانَ سَامِعَا

وأفحصُ عن آثارهم تُربّ أرضِهِمْ
 كأنَّ حصاةَ القلبِ كانت زجاجةً
 أماتَ ربوعَ الدارِ فقدانُ أهلها
 كأنَّ حُداءَ العيسِ في السيرِ نعيمها
 أدارَ البلى وَلّى الصبا عنك لاهياً
 أما ولبانٍ درّ لي أسحْمٌ به
 لقد دخلتُ بي منك في الحزنِ لوعةً
 أيا هذه إنَّ العلى لتَهزّ بي
 ذويني أكنْ للعزمِ والليلِ والسرى
 كَأَنِّي قد أودعتُ فيها ودائعاً
 مقارعةً من لاعجِ الشوقِ صادعا
 فأبصرتُ منها الآهلاتِ بلاقعا
 وقد سُقيتُ سماً من الينِ ناقعا
 فمن لي بأن ألقى الصبا فيك راجعا
 ومن كان من أهلي بودّي مُراضعا
 حُرِمتُ بها من ذِمّةِ الصبرِ راجعا
 حُسّاماً على صَرَفِ الحوادثِ قاطعا
 وللحربِ والبيداءِ والنجمِ سابعا

١٩٤

وقال أيضاً يتغزل

تخريجها : البيت الثامن من الطراز

بك يا صبورَ القلبِ هامَ جَزُوعُهُ
 أوكلَ شيءٍ من هَوَاكَ يروعهُ
 فإذا وصلتَ خشيتُ منك قطيعةً
 فالعيشُ أنتَ وَصُولُهُ وَقَطْطُوعُهُ
 لا تَتَّهِمْنِي في الوفاءِ فَإِنِّي
 كَتَمْتُ سِرَّكَ والدموعُ تُذيعُهُ

نَقَلَ الهوى قلبي إلى عيني التي
أَبْكَيْتَنِي فَأَذَعْتُ سِرَّكَ مُكْرَهَا
قال العذول : لقد خَضَعْتَ لِحُبِّهِ
أَقْصِرْ فَمَا يَحْتِ أَصْلَ عَلاقَةٍ
وَكأنَّ لَوَمَكَ رَافِضِي مَيِّتٌ
يا من لذي أَرْقٍ يَطولُ نِزاعُهُ
باتت جَهِيمُ القلبِ تَلْفَحُ قَلْبَهُ
عَقَدَ الجُفونَ بَارقٍ نَقَبَ الدجى
وَكأنَّهُ بِالغَيْثِ باتَ مَحْدَثًا
خَدَعَ الظلامَ وَكانَ من لَمَعانِهِ
وَمُجَلَّجِلٍ دَرَّتْ بِأَنْفاسِ الصِّبَا
خَضَعَتْ لَهُ عُنُقُها وَتَحَمَّلَتْ
وَجَرَتْ بِهِ أَثَرُ السَّماءِ مِنَ الثَّرى
وَإِذا الصِّبَا مَرَّتْ بِها جَعِ رَوْضَةٌ
مِنْها تَفَجَّرَ بالبِكا يَنْبُوعُهُ
فَعَلامَ تَعَذُّلُني وَأَنْتَ تُذِيعُهُ
فَأَجَبْتُهُ : عِزَّ المَحَبِّ خُضُوعُهُ
جُدِيتَ بِأَطْرافِ المِلامِ فَرُوعُهُ
وَكأنَّ سَمْعِي إِذْ نَعاهَ بَقِيعُهُ
شوقًا إلى مَنْ طالَ عَنْهُ نِزْوَوعُهُ
فَتَفِيزُ ، مِنْ قَلْبٍ يَغِيضُ ، دَمُوعُهُ
وَخَفَا ، كَما اطَّرَدَ الشَّجَاعُ ، لِمِيعُهُ
لأَطْرافِ بالخِضراءِ وَهُوَ سَمِيعُهُ
مِسْبارُهُ وَحُسَامُهُ وَنَجِيعُهُ
وَهنا لِقَضْباءِ النِّباتِ ضُرُوعُهُ
مِنْ ثِقَلِهِ فَوْقَ الَّذِي تَسْطِيعُهُ
مِيتًا فَعَمَّاشَتْ بِالرَّيِّعِ رُبُوعُهُ
نَفَضَتْ لَهُ لِمَمًا فَطارَ هِجُوعُهُ

حرف الفاء

١٩٥

وقال أيضاً

أَصْبَحْتُ عِنْدَكَ أَرْتَجِي وَأَخَافُ مَا هَكَذَا يُتَأَلَّفُ الْأُلَافُ
 يَا كَيْفَ بَاتَ عَلَيَّ قَلْبُكَ جَامِداً يَتَقَسَّوْا فَلَيْسَ يُلِينُهُ اسْتِعْطَافُ
 وَجْهَانُ تُغْرِكُ رَفًّا مِنْ لَمَعَانِهِ وَعَقِيقُ خَدِّكَ رَائِقٌ شَفَافُ
 لَمْ تَنْصِفْنِي فِي مَعَامِلَةِ الْهَوَى وَأَعَزَّ شَيْءٍ فِي الدَّمَى الْإِنْصَافُ

١٩٦

وقال أيضاً

يَا بَاقَةَ فِي يَمِينِي لِلرَّدَى بُذِلْتُ أَذَابَ قَلْبِي عَلَيْكَ الْحُزْنَ وَالْأَسْفُ
 أَلَمْ تَكُونِي لَتَاجِ الْحُسْنِ جَوْهَرَةً لَمَّا غَرِقْتُ، فَهَلَا صَانِكَ الصَّدْفُ

١ في ب : جليداً .

٢ في ب : في المها .

١٩٧

وقال أيضاً

دَعُوا عَبْرَاتِي تَنْبِرِي مِنْ شَوْوْنِهَا فَلَنْ تَصْرَفُوا تَوَكَّافَهُنَّ عَنْ الْوَكْفِ
وَيَحْمِلُ دَمْعُ الْعَيْنِ عَنْ قَلْبِي الْأَسَى وَلَكِنَّهُ يَبْدِي هَوَايَ الَّذِي أُخْفِي^١

١٩٨

وقال يصف عقرباً

وَذَاتُ خَلْقٍ تُرِيبُ الْخَلْقَ صُورَتُهُ فَكُلُّ نَازِرٍ عَيْنٍ لَيْسَ يَأْلَفُهُ
كَأَنَّ شَوْكَةَ عُنَابٍ بِمِبْضَعِهَا يُجْرَعُ السَّمُّ مِنْهُ مَنْ يَصَادِفُهُ

١ في ب : سرائر ما أخفي .

وقال يمدح أبا الحسن علي بن يحيى

صَفَا لِيَ مِنْ وَرْدِ الشَّيْبَةِ مَا صَفَا وَجَادَ زِمَانِي بِالْأَمَانِي فَأَنْصَنَا
وَشَنَّفَ أَذْنِي بِالْهُوَى حُسْنُ مَنْطِقٍ بِنَجْوَاهُ غَاظَلْتُ الْغَزَالَ الْمُسْتَنَفَا
لِيَالِي كَانَتْ بِالسرورِ مَنِيرَةً وَكَانَ قَنَاعِي حَالِكًا لَا مُفَوِّفَا
وَشَرِبِي مِنْ نَسْلِ الْغَمَامِ سَلَالَةً تَعُودُ مِنَ الْعَنْقُودِ فِي الدَّنِّ قَرْقَفَا
مُعْتَقَّةٌ حَمَاءَ يَنْسَاغُ صِرْفُهَا إِذَا الْمَاءُ فِيهَا بِالْمَزَاجِ تَصَرَّفَا
كَمَاءٍ عَقِيقٍ فِي الزَّجَاجِ مُنْتَظِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْإِزْبَادِ دُرًّا مَجُوفَا
تَوَقَّدَ فِي كَفِّ الْمَنَادِمِ نَوْرَهَا وَلَكِنَّهُ بِالشَّرْبِ فِي فَمِهِ انْطَفَا
تَطْفُفُ بِهَا مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ زَرْفَنَّتْ مِنَ الْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ صُدْغًا مُعْطَفَا
إِذَا أَعْرَضَتْ فِي الدَّلِّ ذُلُّ أَخُو الْهُوَى وَصَاغَ لَهَا لَفْظَ الْخُضُوعِ الْمُلْطَفَا
هَذَاكَ خَفَّتْ بِي إِلَى الْإِلَهِي صَبُوءَةً وَثَقُلَتْ الْكَاسَاتُ كَفِّي بِمَا كَفِّي
كَأَنْتِي لَمْ أَقْنَصْ نَوَارًا مِنَ الْمَهَا وَلَمْ أَجْنِ عَذَابَ الرَّشْفِ مِنْ مَرَّةِ الْجَفَا
ذَكَرْتُ الْحَمَى وَالسَّاكِنِيهِ وَدُونَهُ خِصَمٌ عَلَيْهِ تَنْبَرِي الرِّيحُ حَرْجَفَا
وَلَمَّا أَقْلُوا يَوْمَ بَيْنَهُمْ عَدْلِي هَلَالَ السُّرَى لِلشَّمْسِ خَدْرًا مَسْجَفَا

وَأَلْقَيْتُ حُلَاهَا مِنْ يَدَيْهَا وَعَطَلْتِ
سَقَى الْأَقْحَوَانَ الطَّلْثُ [....] عَفَّةٌ
وَلَمَّا جَرَى الدَّرُّ الرُّطِيبُ بَخْدَهَا
وَأَيْنَ تَرَاهُ ذَاهِبًا عَنْ جَنَى فَمٍ
أَمَّا وَشَبَابٍ بِالْمَشِيبِ اعْتَبَرْتُهُ
لَقَدْ سَرْتُ فِي سَهْبِ الْمَدِيحِ هَدَايَةً
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ نَظَمْتُهُ
هَمَامٌ مِنَ الْأَمْلاكِ هَزَّ لَوَاءَهُ
شَجَى ذَكَرَهُ لِلرُّومِ كَالْمَوْتِ إِنْ جَرَى
ذَبُوبٌ عَنِ الْإِسْلَامِ مَدَّةً لَجِيشِهِ
يَرُدُّ عَنِ الضَّرْبِ الْحَدِيدَ مُشَلَّمًا
إِذَا ظَلَلَتْهُ الطَّيْرُ كَانَتْ أَجُورُهَا
نُورٌ وَعَقْبَانٌ إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
وَتَحْسِبُهَا فِي نَفْعِهِ رَقْمٌ بَرْقَعٍ
حَمَى مَا حَمَى مِنْ بَيْضَةِ الدِّينِ سَيْفُهُ
وَمِنْ عَدَمٍ أَغْنَى ، وَمِنْ حَيْرَةٍ هَدَى
كَرِيمُ السَّجَايَا لَوْذَعِي زَمَانَهُ

مِنَ الْحَلِيِّ فِيهِ جِيدَ رِثْمٍ تَشَوَّفَا
وَعَضَّتْ مِنَ الْحُزْنِ الْبِنَانَ الْمُطَرَّفَا
وَسَالَ إِلَى الدَّرِّ النُّظِيمِ تَوَقَّفَا
كَأَنَّ رِضَابَ الْكَأْسِ مِنْ تَرَشَّفَا
فَأَشْرَقْتُ عَيْنِي بِالدَّمْعِ تَأْسَفَا
وَمِثْلِي فِيهِ لَا يَسِيرُ تَعَسَّفَا
لَكَانَ عَلَيَّ مِنْهُ أَعْلَى وَأَشْرَفَا
وَأَوْضَعَ حَوْلَيْهِ الْجِيَادَ وَأَوْجَفَا
أَخَافُ ، وَإِنْ أَوْفَى عَلَى النَّفْسِ أَتْلَفَا
جَنَاحًا عَلَيْهِ بِالْأَسِنَّةِ رَفْرَفَا
وَيَنْثِي عَنِ الطَّعْنِ الْوَشِيحَ مُقَصِّصَفَا
جَسُومًا ثَنَى عَنْ طَعْنِهَا الزُّرْقَ رُغْفَا
مَحْلَقَةً سَدَّتْ مِنَ الْجَوِّ نَفْسِنَفَا
يَجُولُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الشَّمْسِ مُسْدَفَا
وَأَشْفَقَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَعَنْفَفَا
وَمِنْ ظُلْمٍ أَرَوَى ، وَمِنْ مَرَضٍ شَفَى
تَهَدَّبَ مِنْ أَحْسَاقِهِ وَتَظَرَّفَا

إِذَا عَنَّ رَأْيُ كَالسَّهْمِ فِي ضِيَائِهِ
 سَمَا فِي الْعَلَا قَدْرًا فَأَدْرِكُ مَا سَمَا
 سَكُوبُ حَيَا الْكَفِينِ لَا نَاضِبُ النَّدَى
 تَرِيهِ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ بِصِيرَةٍ
 بِذِكْرِ ابْنِ يَحْيَى عَطَّرَ الدَّهْرَ مَدْحُنًا
 جَوَادُ بَنَانِ الْبَذْلِ مِنْهُ غَمَائِمُ
 عَلِيمُ بَسْرٍ الْحَرْبِ مِنْ قَبْلِ جَهْرَهَا
 يَقَارِعُ مِنْهُمْ حَاسِرًا كُلَّ مُعْلَمٍ
 عَصَاهُ لِتَأْدِيبِ الْعُصَاةِ إِذَا بَغَوْا
 عَلَى أَنَّهُ رَاسِي الْأَنَاةِ مُخَدَّعُ
 بَنُو الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَرْضَعْتَكُمْ ثَدْيَهَا
 لَكُمْ قُلُوبٌ بِالذَّابِلَاتِ وَبِالظُّبَا
 إِذَا مَا بَدَا طَعْنُ الْكِمَاةِ وَضَرْبُهُمْ
 فِدَعُ عَنْكَ مَا خَطَّتْهُ [.]
 لَكَ الْخَيْلُ تُسْرِي اللَّيْلَ مِنْ كُلِّ سَلَهَبٍ
 لَهُ قَلَمٌ فِي الْأُذُنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
 إِذَا وَطِئَتْ شَمَّ الْجِبَالِ نَسَفَتْهَا

وَلَمْ يَكْفِ أَذْكَى رَأْيُهُ الشَّمْسَ فَكَتَفَى
 إِلَيْهِ ، وَأَصْمَى سَهْمُهُ مَا تَهْدَفَا
 وَلَا مَخْلَفٌ وَعَدًا إِذَا الْغَيْثُ أَخْلَفَا
 كَأَنَّ حِجَابَ الْغَيْبِ عَنْهَا تَكْشَفَا
 وَخَلَّدَ فِيهِ ذِكْرَنَا وَتَشَرَّفَا
 تَصُوبُ عَلَى أَيْدِي بَنِي الدَّهْرِ وَكُفَا
 وَقَرَعَ الصِّفَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْصِفَا
 أَفَاضَ عَلَيْهِ الْفَارِسِيُّ الْمُضْعَفَا
 غِرَارُ حَسَامٍ يَتَقَرَّعُ الْهَامَ مَرْهَفَا
 إِذَا زَاغَ حِلْمٌ عَنْ ذَوِي الْحَزْمِ أَوْ هَفَا
 فَمَفْتَرَقُ الْأَقْدَامِ فَيَكُمُ تَأَلَّفَا
 أَخَاذِيدُ فِي [.]
 كَنَقْطٍ وَشَكْلٍ [مِنْهُ أَعْجَمَتْ أَحْرَفَا]
 [.]
 تَرَى بَطْنَهُ مِنْ شِدَّةِ الرِّكْضِ مُسْخَطَفَا
 بِنَصْرِكَ لِلتَّوْقِيعِ فِي الْجَيْشِ حُرِّفَا
 وَغَادَرَتْهَا قَاعًا لِعَيْنِكَ صَفْصَفَا

فيا ملكَ العصر الذي ظلَّ عدله على الدين والدنيا صفا منه ما صفا
نداك بطبعٍ للعفاة ارتجلته وغيرك روى في نداءه تكلّفا
وكم من فقير بائس قد وصلته فأضحى غنياً يسحب الذيل مرفا
لمدحك أضحت كلُّ فكرةٍ شاعري مصنفةً منه غريباً مصنفاً
وإن كنتُ عن حقلِ العلى غائباً فلي ثناءٌ كعرَفِ المسكِ بالفضل عرّفنا

٢٠٠

وقال يصف السفينة

وقد تَشْتَقُّ بنا الأهوالَ جاريةً تجري بريح متى تَسْكُنُ لها تقفِ
لها شراعٌ ترى الملاحَ يلحظه ككاهنٍ يقسمُ الألحاظ في كتِفِ

٢٠١

وقال أيضاً

أحينَ إلى العشرين عاماً وبيننا ثلاثون يمشي المرءُ فيها إلى خلفِ
ولو صحَّ مشيٌ نحوه لا بتدريته فجئتُ الصِّبا أحبو على العينِ والأنفِ

مرف القاف

٢٠٢

وقال في صباه يفتخر

لي قلبٌ من جَلَمَدِ الصَّخْرِ أَقْسَى وهو من رِقَّةِ النَّسِيمِ أَرْقُ
 كَهَيِّصُورٍ فِي كَفِّهِ الظُّفُفُ عَضْبٌ وغريرٍ في صدره النهْدُ حُقْ
 عَزَمَتِي كوكبٌ وطرفي رِيحٌ وأضائي غيمٌ ، وسيفي برقٌ
 ضَرْبَتِي فِي مَفَارِقِ الذَّمِّ جَيْبٌ بين كَفِّي عِنْدَ غِيظٍ يُشَقُّ
 حَشَوُهَا مِنْ فُلُولِ عَضْبِي شَطَلَايَا كَنُوبٍ عَنَّهُنَّ قَلَتَصَ شِدْقُ

وقال أيضاً

وممشوقةٍ القصدَ معشوقةٍ تُعَذِّبُ أَنْفُسَ عُشَّاقِهَا
 بعينٍ إذا سَحَرَتْ بِالْفَتُورِ بداءٍ للمها بعض أحداقها
 وقد يَمِيتُ حَيَاةَ الْغُصُونِ فتذوي نَضَارَةَ أَوْرَاقِهَا
 وشدوي يقوم لفرط السَّروُرِ بنفسٍ الحزين على ساقها
 تهيمُ به الهيمُ عن شربها زُلَالاً لِإِحْيَاءِ أَرْمَاقِهَا
 وتخلعُ إن سَمِعَتْهُ الْحَمَامُ عليها قلائدَ أطواقها
 فمن لشجٍ سَهْلٍ أَخْلَاقِهِ يُعَذِّبُهُ وَعَرُّ أَخْلَاقِهَا
 ترى صَدَّهَا عَاقِلًا رُوحَهُ فيا وَصَلَهَا جُدُّ بِإِطْلَاقِهَا

١ في ب : القلوب .

٢ هكذا في ب ، ورواية م : ضدها .

وقال أيضاً في الناقة *

ولما تنازعن معنى الحديث^١ بمختلف اللفظ أو متفِق
 لوينَ الحواجبَ نَزَعَ القسيَّ وأرسلنَ عنهنَّ نَبْلَ الحَدَقِ
 فلم يُصِبِ القلبَ من قبلها سَهَامٌ مُنْصَلَّةٌ بالحَدَقِ
 فكان علينا الهوى لا لنا وعنَّ الفراق ومنه الفرق
 فيا لو رأيتَ ارتعادَ الجسومِ لقلتَ^٢ الرِّيحُ تهزُّ الورق
 وأبصرتَ حُمُرَ دموعِ الجفونِ لقلتَ تَعَلَّقَ منها العلق

* كذا ، وليس في الأبيات ما يشير إلى ناقة فلمل القصيدة ناقصة ، أو لعل كلمة الناقة محرفة في هذا المقام إذ الأبيات في تصوير « المفارقة » .

١ في ب : العتاب .

٢ في ب : نخلت .

وقال أيضاً

أَحْرَقْتُ فَضْلَةً مِسْوَكَ لَهَا حَسَدًا له على لثم دُرٍّ في الممى يَمَقِّقِ
وما غامتُ بجهلٍ أَن رِيَقَتِهَا تُعْطِي السَّلامَةَ رِيَّ المَنْدَلِ العَبْقِ
لَا عُدْتُ أَحْرَقُ عوداً من سواكِ فَمِ يَزِيدُ إِحْرَاقُهُ فِي شِدَّةِ الحُرْقِ

وقال وقد رأى صبيّاً لاعباً في البحر ينغمس في مائه ويرتفع ويشير أن
أدركوني فإني غرقت ، فذكر بفعله هذا الجارية المريثة وكانت تسمى جوهرة :

وسابحِ لاعِبٍ في بحرِه مَرَحاً تُشِيرُ كَفَاهُ تَعْوِيذاً من الغَرْقِ
يدعو ولم يكُ مضطراً : خُذُوا بِيدي وعنده الفرق بين الأَمْنِ والفرْقِ
فإن بكيتُ فإني قد ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ جُرِّعَتْ مِنْهُ كَأْسُ المَوْتِ بالشرْقِ
رُدَّتْ على البحر من كَفَيَّ جَوْهَرَةً ثَم انْقَلَبْتُ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الحُرْقِ

وقال أيضاً

أجلُّو عَرُوساً بخدِّها خَجَلٌ كالورد لوناً ونشرها عَبَقُ
كأنَّما كوكبٌ يَصَافِحني مُجَوِّفُ الجِسمِ رُوحُهُ شَفَقُ
حمرَاءُ مَشْمُولَةٌ لها عُمُرٌ في طَرَفٍ مِنْهُ دَهْرُهَا غَرِقُ
أَسأَلُها حُسْرَةَ العَقِيقِ فلي من لَوْلُوٍ، بَعْدَ شَرِبِها عَرِقُ
رَاحٌ أَضَافَتْ إلى دَمِي دَمَها : طِبَاعٌ في المَزَاجِ تَتَفَقُّ
وللثَرَيَا يَدٌ مُخْتَمَمَةٌ مِنْهَا بَنَانٌ خَضَابُهَا الغَسَقُ
كَأَنَّهَا وَالصَّبَاحُ يَقْطِفُهَا عَنقودُ نَوْرِ لَه الدَّجَى وَرَقُ
وَفَحْمَةٌ اللَّيْلِ كَلِمَا اعْتَرَضَتْ أَلْهَبَ فِيهَا اتِّقَادَهُ الْفَلَقُ
عَجِبْتُ مِنْ مُحْتَرِقٍ وَمُحْتَرِقٍ لَا فَحْمَةٌ مِنْهُمَا وَلَا حَرَقُ

وقال في الحمر

تخریجها : الآيات ٣-٦ في الوافي ومعاهد التنخيص

يا تاركاً راحاً تُسَلِّي هَمَّهُ هَلَا اتَّقَيْتَ^١ السَّمَّ بالدُرِّيَّاقِ
وتناولتْ يُمْنَاكَ ناراً لم تَخَفْ في لمسها لَذْعاً من^٢ الإحراقِ
حمرءَ تشربُ بالأنوفِ سُلَافِها لُطْفاً وبالأَسْمَاعِ^٣ والأحداقِ
بزُجاجةٍ صَوْرُ الفوارِسِ نَقَشُها فَتَرى لها حَرَباً بكفِّ السَّافِ
وكأنَّما سَفَكَتْ صوارمُها دماً لَبِستَ به غَرْقاً إلى الأعناقِ
وكانَ للكاساتِ حُمُرَ غلائلِ أزارها دُرُّ على الأطواقِ

١ في ب : هلا دفعت .

٢ في ب : في مسها من لدعة .

٣ في الوافي : مع الاسماع .

٤ في ب : لبست بها عرفاً من الأحداق ، وفي الوافي : طوقاً ، وفي المعاهد : عرفاً .

وقال يصف بازياً صاد بُركاً^١ :

وأكلف^٢ مِنْسَرُهُ ذو شغا كعطفةٍ رأس السنان الذليق^٣
 له مُقْلَةٌ كُحِلَتْ بالنَّجِيعِ تُصَرِّفُ إِيْمَاضَ لَحْظٍ صَدُوقِ
 كَأَنَّ بِجَوْجُوهِ مُهْرَقاً مُوشَى بِأَحْرَفٍ خَطٍ دَقِيقِ
 بِصِيدٍ بِكَفٍ خَطَاطِفُهَا مَرْكَبَةٌ فِي وَظِيفٍ وَثِيقِ
 يَبَاكِرُ بِالصَّيْدِ سَرَبَ الْقَطَا وَبَيْنَهُمَا كُلٌّ فَجٍّ عَمِيقِ
 وَيُصْبِحُ سَرَبَ الْحَمَامِ الْحِمَامِ وَيَجْنَحُ مِثْلَ الْجَنَاحِ الْخَفِيقِ
 كَأَنَّ عَقَاباً عَلَى أَفْقِهِ تَرُودُ الْوَعْيَ يَوْمَ رِيحِ خَرِيقِ
 وَلَمَّا انْجَلَى اللَّيْلُ وَاسْتَوَضَحَتْ لَهُ غُرَّةُ الصَّبْحِ فِي رَأْسِ نَيْقِ
 فَبَاتَ وَلَا خَوْفَ فِي نَفْسِهِ بِهِمَّتِهِ حَازَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ

١ البرك : جمع بركة وهو طائر من طير الماء أبيض .

٢ في ب : وأزرق .

٣ في ب : سنان ذليق .

٤ في ب : تبادر في الصبح .

٥ في ب : وإن بتن في .

٦ في ب : تقوم .

وَقَلَّبَ ، وَالْفَتَكُ فِي نَفْسِهِ ،
 وَقد نَفَضَ الطَّلَّ عَنْ مَنْكِبِهِ
 تَرى ريشَهُ فوقَ أَرْجائِهِ^١ طِرَاقًا كمثل حِبابِ الرَّحيقِ
 رَأى ما رَأى وَبريقَ الشَّعاعِ يَكحُلُ أَجفَانُهُ بِالشُّرُوقِ
 وَأَيُّقَنَ بالسَّوءِ مِنْ صيدِهِ فَدَلَّ عَلَى سَبَجٍ^٢ بِالْعَقِيقِ
 وَحَلَّقَ وَانْقَضَ مِنْ جَوِّهِ كَمَا صَوَّبَتْ حَجَرُ الْمُنْجَنِقِ
 فَتَحَسِبُهُ عِنْدَ إِقْصائِهَا يَشُقُّ حِيازِمَها عَنْ شَقِيقِ

٢١٠

وقال في البحر

وَمُنَسَّمِ الْآذِيِّ يُعْنِقُ شَطَطُهُ مِنْ نَكْبَةٍ هُوَ جَاءَ حُلٌّ وَثاقُها
 وَكَأَنَّمَا رَأَتْ الْحِقَاقَ فَعَجَّعَتْ فِيها الْقُرُومُ وَأَزِيدَتْ أَشْداقَها

١ في ب : أعضائه .

٢ في ب : سبج كالعقيق .

وقال في جواد

تخرّجها : البيتان ٣٤٢ في الوافي والنهاية ومطالع
البدور ٢ : ١٨١ والمعاهد : ٣٥١ والثالث في
خزافة الحموي : ٢٨٣

وَمُجَرَّرٍ فِي الْأَرْضِ ذَيْلَ عَسِيهِ حَمِيلَ الزَّبْرَجَدِ مِنْهُ جَسْمٌ عَقِيقٌ
يَجْرِي وَلَمْعُ الْبَرْقِ فِي آثَارِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَبُوتِ غَيْرَ مَفِيقٍ
وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقٍ^١

وقال في فرس

وِطَائِرَةٌ بُدَّةً الْخَيْوَلُ بِسَبْقِهَا وَقَدْ لَبَسَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَرَسٍ خَلَقًا
إِذَا شِئْتُ أَلْقَيْتُ بِي عَلَى الْغُرْبِ رَجُلُهَا وَنَالَتْ يَدٌ مِنْهَا بَوْتِبَتَهَا الشَّرْقَا
لِحَوْقٍ كَأَنِّي جَاعِلٌ مِنْ عَدَائِهَا لِرُسُغِ الْفَرَا عَقْلًا وَجِيدِ الْمَهَارِ بِمَقَا
كَرِيحٍ تَرَى مِنْ نَفْعِهَا سَحْبًا لَهَا وَمِنْ رَشْحِهَا قَطْرًا وَمِنْ لَحْظِهَا بَرْقَا

١ النهاية : صديق .

وقال يمدح ناصر الدولة مبشر بن سليمان صاحب ميورقة ويصف خيلاً
أهديت له :

جاءتك أولادُ الوجيه ولاحقَ فأرثك في الخلقِ ابتداعَ الخالقِ
نينانُ أمواهٍ ، وفُتِّخَ سباسبُ وظباءُ آجامٍ ، وعُصْمُ شواهِقِ
بمؤنَّلاتِ تستديرُ كأنَّها أقلامُ مبتدعِ الكتابةِ ماشِقِ
قد وقعتُ لك بالسعود وما جرتُ بسوادِ نقسٍ في بياضِ مَهَارِقِ
غرٌّ محمَّلةٌ تكاملَ خلقها بمجانسٍ من حسنِها ومطابقِ
وكأَما حَيَّتْ عَلاكَ وجوهها فأسال فيها الصبحَ بيضَ طرائقِ
كرت ذخائرَ عربها في عتقها وشأتُ بفضلةِ عدوها المتلاحقِ
وإذا الجلال تجرَّدت عن جردها لبست غلالةَ كلِّ لونٍ رائقِ
من كلِّ طَرفٍ يستطيرُ كطَرفِهِ جَرِيًّا فوثبته غِلابُ السابقِ
ورَدُّ تَميِّعٍ فيه عَسَدَمُ حُمرةِ كالوردِ أهدِي في الرِّيعِ لناشِقِ
وكانه وكانَّ غرة وجهه شفقٌ تألَّقَ فيه مطلع شارِقِ
وكانَّ صبحاً خصَّ فاه بقبلةِ فايبضُ موضعها لِعَيْنِ الرامِقِ

متصيد بريضةٍ وطلاقةٍ في تيهه معشوقٍ وطاعة عاشق
وإذا تَغَنَّتْ بالصهيل مطرباً أنسى أغاني مَعْبِدٍ ومُخارق
ومزعفرٍ لونَ القميص بِشُقْرَةٍ كالريح تعصفُ في التهاب البارق
وتراه يدبرُ كالظليم بردفه عُجْباً ، ويُقْبِلُ كانتصابِ الباشق
وإذا طرقت به انتهى بك غاية أبدأ تشقّ على الخيال الطارق
كاد الكميتُ ينبُ عن لعس اللمي ويسوغُ كالخمر الكُمَيْتِ لذائق
ويمدّ فوق البحر عند عبوره جسراً بهادٍ لاسماءٍ معانق
خيلٌ " كأنّ الرّكضَ من خيلائها في قلب كلّ معاندٍ ومنساق
وكأنّما اقتسمتْ عيونَ أجادلٍ وشدوقَ غربانٍ ، وسوقَ نقانقٍ^١
قُدّما تحبّ بكلّ ذِمْرٍ أبله^٢ بخداعٍ أبطال الوقائع حاذق
وإذا أثرنَ بنقعهنّ سحائباً صبتْ على الأعداءِ صَوْبَ صواعق
أصبحتْ في السادات ناصراً دَوْلَةً تصفُ العُلى [] عدل مناطق
بطلاً يطول بذكره في سلمه كصياه بحسامه في المازق
مترحلاً نحو المعالي ساكناً بالجيش في ظلّ اللواء الخفاق
شدّت عزائمُه مهالكه كما شدّت فرازين^٣ بعقد ييادق

١ الأجادل : الصقور ؛ والسوق : جمع ساق ؛ والنقانق : النعام .

٢ أبله : شاب فيه غرارة الشباب وتهوره .

وقال أيضاً

ربّ ليلٍ هصرتُ فيه بغضنٍ لابسٍ نضرةَ النّعيمِ وريقِ
 فيه رمّانةٌ تُطاعِنُ صدري فهي أمضى من السّنانِ الذليقِ
 أسألُ الوردَ منه عن أقحوانٍ مجتنى الشّهد منه في طلّ ريقِ
 فشققتُ الشقيقَ من شفتيه عن حبابٍ محدّثٍ عن رحيقِ
 واكتستُ زرقه السّماءِ سحاباً مُسمِعاً رعدُهُ هديرَ الفنيقِ
 وحمّى من وشاتنا كلُّ وبلٍ بأفاعي السيولِ كلَّ طريقِ
 وكأنّ الظلامَ يحرقُ قاراً منه في الخافقين نفضُ البروقِ
 رقّ صبري وصبرها بنسيمٍ واصفٍ صُبْحَهُ بمعنى رقيقِ
 وشوادٍ شدت فلولا اشتهاري نُحِتُ من شدوها بكلّ شهيقِ
 أضحك الله من بكى بجمانٍ رحمةً للذي بكى بعقيقِ

وقال أيضاً *

خطابٌ عن لقائكم يعوق^١ ومِثْلِي لا يُنَاطُ به العقوق
أقدر أنْ يُقَدَّرَ لي زمانٌ له خُلْتُ بالفتنا خليق
فيقبض بُعْدَنَا ليلٌ عدوٌ ويسط قربنا يومٌ صديق
لقد حنَّ إلى مثواك نفسي كمرْزِمةٍ إلى وطنٍ تتوق
تَحْمَلُ بالنَّوى عني النَّاسِي وحَمَلَتِي الأسي ما لا أطيع
وحَمَرَ دمعِي المبيضَ حُزْنَ يندوب بحره قلبي المشوق
كأنَّ العينَ تُسْقِطُ منه عيناً فلولؤه ، إذا ذرفت ، عقيق
وهبني قد قدحتُ زنادَ عزمٍ تضرَّم في الأناة له حريق
أليسَ اللهَ ينفذ منه حكماً فيعقلني به ، وأنا الطَّلِيق ؟
فرغتُ من الشباب فلستُ أرنو إلى هوى ، فيشغلني الرِّحِيق
ولا أنا في صقليةٍ غلاماً فتلزمي لكلِّ هوى حقوق

* بحث بها إلى ابن عمته أبي الحسن ، ردأ على جواب منه ، وفيها يعتذر عن العودة إلى أهله .

١ قلت لعلها : خطوب عن لقائكم تعوق .

لياليَ تُعْمِلُ الأَفْرَاحُ كَأَسِي	فما لي غير ريقِ الكأسِ ريق
تَجَنَّبْتُ الغَوَايَةَ عَنْ رِشَادٍ	كما يَتَجَنَّبُ الكَذِبُ الصَّدُوق
وإن كانت صبايات التصابي	تلوحُ لها على كلمي بروق
كُتِبْتُ إِلَيْكَ فِي سِتِينَ عَاماً	فساحاً في خطايَ بهنّ ضيق
ومن يرحلُ إلى السبعين عاماً	فمعتَرَك المنون له طريق
أبا الحسن انتشقُ مني سلاماً	كأنّ نسيمة مسكٍ فتيق
وقلّ لدى عليلٍ ^١ عند كربٍ	تناولُ راحةٍ فيها يفيق
أرى القَدَرَ المُتَّاحَ إِذَا رَأَيْتَنِي	جريتُ جَرَى فكَانَ هُوَ السَّبُوق
فلا تيأسُ فللرحمنِ لُطْفٌ	يُحَلِّ بِسُورِهِ العَقْدُ الوثيق

١ في ف و م : وهل لأبي عليل .

وقال في البقّ

يا ليلُ هل لصباحي^١ فيك إشراقُ فقد نَفَى النومَ عن عينيّ إِيراقُ
 عساكر البقّ نحوي فيك زاحفة^٢ كأنّما بُتّ وَسَطَ البيتِ سَمَاقُ
 من كل طاعنةٍ الخرطومِ ساريةٍ كأنّ لسعتها بالنار إحراق^٣

وقال في البرق

وطائرٍ في الجوّ من مغرب في قطعه الليل إلى مشرق
 كأنّما تنبُعُ من سحبه شعلة نَفْطٍ للدجى مُحْرِقُ
 لو كان يبقى نوره في الدجى^٤ كان كحَطّ^٥ التبر في المِليق^٦

١ في ب : لنهاري .

٢ في ب : تجري فيك راجفة .

٣ في ب : من عقرب فمها قد حاز ابرتها كأنما لدغها بالنار إحراق

٤ في ب : في الدجى لمعه .

٥ في ب : كان ككحل .

٦ المِليق : أداة يملس بها الذهب .

وقال يمدح يحيى بن تميم بن المعز

ما للوشاةِ عليها أذكتِ الحدَّ قاً^١ أما تَصَوَّعَ من أردانِها أَرَجُ^٣
 كأنتما مسكُ دارينِ به فُتِقاً أما تألَّقَ من سِمْطِي تبسِّمها
 برقُ إذا ما رآهُ ناظرٌ برقا هيفاءُ يَقلِّقُ في الحصر الوشاحُ لها
 كأنَّ قلبي منه علَّم القلقا كأنتما مَسالَ خُوطٍ في ملاءمها
 بالشمسِ واهترَّ منها في كُثيبِ نقا باتت على عَقَبِ الشكوى تَمَلِّقُنِي
 وكلَّ دمية حسنٍ تُحسِنُ الملقا واستوثقت من نقاب فوق وجنتها
 وإنَّما أَشْفَقَتْ أنْ أُلْثِمَ الشفقا يا هذه تدعِينِ الوجَدَ عاريةً
 من الضنى فدعي الشكوى لمن عشقا وأجملي قَتِّلَ نفسٍ لا يُتاركُها
 بَرَحُ الغرامِ وإلا رَمَقِي الرمقا ما أَحْسَنَ العطف من تأليس نافرةٍ
 كأنتما رُضَّتْ منها شادِنًا خَرِقا

١ في ب : أكثرُوا الحرقا .

٢ في ب : إشرافها .

٣ في ب : عبق .

٤ في ب : ناظري .

٥ في ب : منها .

فبت أحمي بأنفاسي حصى درر^١ بيردها في التراقي تعرف الفسقا
وأجتني مستطياً ما حواه^٢ فم^٣ من ماء^٤ ظلم برود^٤ يطفىء الحرقا
وللوشاة عيون^٤ غير واقعة^٤ على ضجيعين منا في الكرى^٤ اعتنقا
من زار في سنة الأجفان في خفر^٤ لم يخش غيران^٤ مرهوب الشذا حنقا
قنعت^٤ بالطيف لما صد صاحب^٤ والطيب إن غاب أبقى عندك^٤ العبقا
لولا هلال^٤ أعير الطرف زورقه في خوضه بلحة الظلماء ما طرقا
من أين لي في الهوى نوم^٤ فيطرقي^٤ خيال^٤ من^٤ نومها يغري بي^٤ الأرقا
وإنما الفكر^٤ في الأجفان مثلها فما كذبت^٤ على جفني ولا صدقا
الله أعطى لقوم^٤ في تعشقهم^٤ سعادة^٤ ، ولقوم^٤ آخرين شقا
والله أحيا يحيى كل^٤ مكreme^٤ للعتفين^٤ ، وأجرى نائلا^٤ غدقا
ملك^٤ تناول أسباب العلا بيد^٤ قد أودع الله فيها رزق من خلقا
سميدع تبسط الآمال^٤ همته^٤ ويقبض^٤ الحلم^٤ منه الغيظ^٤ والحنقا
أعلى الملوك^٤ منارا^٤ في ذرى شرف^٤ لا يرتقي كوكب^٤ في الجو^٤ حيث رقا
وأثبت^٤ الأسد^٤ في جوف^٤ العدى قدما^٤ إذا جناح^٤ لواء^٤ فوقه خفقا

١ هذه هي رواية ب ، وفي ف : فبت أحمي بأنفاسي حصى برد .

٢ في ب : الهوى .

٣ في ب : نشره .

٤ هذه رواية ب ، وفي م : يعز بي . ولعلها : يقربي .

إن ضنَّ بالجوْدِ مقبوضُ اليدين سخا
 كم من عدوين في دينٍ قد اختلفا
 وكم نديمين لولا لذَّةُ لهما
 كأنما النَّاس من أطواق أنعمه
 كأنما يعترى أمواله وِلَّه
 تجاودُ الكفَّ منه الكفُّ مغنية
 من أوْهَنَ الله كيدَ الناكثين به
 من لا يصولُ الهدى حتى يطولَ به :
 تكبو السوابقُ عن أدنى مداه فلو
 ذِمُّرٌ إذا عَلِقَتْ بالحرب عِزُّمَتُهُ
 كأنما العَضْبُ في يُمْنَاهُ صَاعِقَةٌ
 يكادُ لولا تلظيُّ الروح ذابلهُ
 كأنما يُودِعُ اليمنى له قلماً
 وما رأى ناظرٌ من قبله أسداً
 ويومٍ حربٍ ترى الأبطال مُورِدةً
 وإن عتا ظالمٌ في ملكه رفقاً
 حتى إذا أخذنا في فضله اتفقاً
 في ذكرِ سيرته الحسنة لا فترقا
 حمائم تتغنى مدحَه حِرَقاً
 فما لهما غيرُ أصواتِ العُفَّةِ رُقَى
 فقلما تبقيان العَيْنَ والورِقاً
 إذا قلّفتَ بحقٍ باطلاً زهقاً
 لا يضربُ السيفُ، لولا الضَّاربُ، العنقا
 يسابقُ الريحُ في أفقٍ العلا سبقاً
 روى القواضب فيه والقنا علقا
 إذا علا رأسَ جبارٍ به صَعَقاً
 في كفه من نداءه يكتسي ورقاً^١
 يخطّ خطّ المنايا كلما مشقاً
 قد أكملَ اللهُ فيه الخلقَ والخلقاً
 فيها حياضَ المنايا شُرْباً عَشَقاً

١ في ب : شأو .

٢ في ب : يثبت الورقا .

تروقُ ذا الجهل زيناً ثم تَدْعُ عَرَهُ
تري السوابغ عن أذمار مأزقها
إذا انتحتك مدمّاة لها حَلَقُ
شكّ القلوب بصدقِ الطعن لَهْذَمُهُ
إليك يا ابن تميمٍ أَعْمِلْتُ قُلُوصُ
كأنّ مشواك للبيتِ العتيقِ أخُ
وكيف تُعَقِّلُ أيدي العيس عن ملكِ
تُمَسِّبِلُ السحبُ منه للسماحِ يداً
خوفاً إذا شامَ من أنيابها رَوْقا
تَوَاقِعُ الأرضَ من وقعِ الظبا فَرَقا
خلتَ اليعاقب فيها فَتَحَتْ حَدَقا
وغازرَ الهامَ فيها سيفُهُ فِلَقا
تحت الرحائل تبسّري الوخد والعَسَقا
واليعملاتُ إليسه تملأُ الطرُقا
بكفٍ نعداهُ معقولُ الندى انطلقا
لو ألقيَ البحرُ في معروفها غَرِقا

٢١٩

وقال أيضاً

بقيتُ مع الحياةِ وماتَ شَعْرِي
فشعري لا يُكفّنُ في خضابِ
وترككَ مَنْ شجّاك الموتُ منه
فلا تخضبُ مشييك للغواني
فشاهدُ زورِ خضبك ليس يُعطى
فلا تهوِ الفتاةَ وأنتَ شيخُ
بشيبي فالقذالُ به يُنقى
ولا ينفكُ للأنظارِ مُلْقَى
بلا كفّنٍ لحزنٍ فيك أبْقَى
فتغنى عنه ناعمةٌ وتشقى
بباطله من الغاداتِ حقاً
فأبعدُ وَصْلِها مِن صَيْدِ عَنَقا

حرف الطاف

٢٢٠

وقال أيضاً

أخذتُ برأيي في الصبا أنا تاركه
وإن لم أعاقركَ المدامَ فإنني
وإن رزايا العمرِ مِنْهُنَّ مركبي
دُفِعْتُ ولم أملكِ دِفَاعَ مُلِمَّةٍ
وجيشٍ خطوبٍ زاحمٍ كلَّ ساعةٍ
كأنَّ البروقَ الخاطفاتِ بُرُوقُهُ
فإن تَنَجَّ نفسي من كلومِ سلاحِهِ
مَضَى كلَّ عصرٍ وهو حربٌ لأهْلِهِ
برغمي ، وما في الحبِّ بالرغمِ لذةٌ ،
مُغَيَّرٌ حسني عن جميلِ روائِهِ
فلم تَرَنِّي في مَسْلِكٍ أنت سالكه
حَقَّقْتُ دمَ الرِّقِّ الذي أنت سافكه
ثقالٌ ، بأعطانِ المنايا مباركه
إلى زَمَنٍ في كلِّ حينٍ أعاركه
فما أنفُسُ الأحياءِ إلا هوالكه
وزَهْرُ النجومِ اللَّائِحَاتِ نيازكه
فإنَّ برأسي ما أثارتُ سَنابكه
وهل تَصْرَعُ الآسادَ إلا معاركه
أحبَّ مشيبي والغواني فَوَارِكُهُ
ومُوهِنُ جِسمي بالليالي وناهكه

رَأْتَنِي سُلَيْمَى وَالْقَذَالُ كَأَنَّمَا
كَمَا نَظَرْتَ سَلَمَى إِلَى رَأْسِ دَعْبَلٍ
فَنَاءٌ أَرَى طَرَفِي لَطَرَفِي حَاسِداً
عَلَى وَصَلِهَا سَتْرٌ فَمَنْ لِي بِهَتَكِهِ
شَبَابٌ لَهُ الْقِدْحُ الْمُعَلَّى مِنَ الْهَوَى
كَأَنِّي لَمْ يُؤْنِسْ مِنْ السَّرْبِ وَحْشَتِي
غَزَالٌ تَرَانِي نَاصِباً مِنْ تَغَزَلِي
وَصَادٍ إِلَى رِيِّ الْكُؤُوسِ غَمَرْتُهُ
وَقُلْتُ : اغْتَبَقْتُ مِنْ دَنِّهَا صَرْفَ قَهْوَةٍ
وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تُطِيرَ لَطَافَةٌ
عَلَى زَهْرِ رَوْضٍ نَاضِرٍ تَحْسِبُ الرَّبِّي
وَبَاتَ بَلْحَيْنُ الْمَاءِ بِالْقَرِّ جَامِداً
أَذْكَ خَيْرٌ أَمْ تَعَسَّفُ سَبَبٌ
وَلِنْ جَنِّ لَيْلٍ أَقْبَلْتُ نَحْوَ سَفَرِهِ
تَنَفَّسَ فِيهِ الصَّبْحُ فَايْبُضَ حَالِكِهِ
وَقَدْ عَجَبْتُ وَالشَّيْبُ يُبْكِيهِ ضَاحِكِهِ
يَغَايِرُهُ فِي حَسْنِهَا وَيَمَاحِكُهُ
إِذَا مَا مَضَى عَنِي مِنَ الْعَمْرِ هَاتِكِهِ
وَمَا شَتَّ مِنْ رَقِّ الدَّمَى فَهُوَ مَالِكِهِ
مُسْتَنْفًى أَذْنٌ فَاتَرُ اللَّحْظَ فَاتِكِهِ
لَهُ شَرَكَاً فِي كُلِّ حَالٍ يُشَارِكُهُ
بِعَارِضِهَا وَالْغَيْثُ دَرَّتْ حَوَاشِكُهُ
إِلَى قَدَحِ النَّدَمَانِ تَفْضِي سَوَالِكِهِ
حَبَابٌ عَلَيْهَا دَائِرَاتُ شَبَائِكِهِ
مَلُوكَاً عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْهُمْ دِرَانِكُهُ
لَنَا وَنُضَارُ الْبَرْقِ ذَابَتْ سَبَائِكُهُ
يُعَقِّلُ أَخْضَافَ النُّجُومِ عَاتِكُهُ
مُجَلَّسَحَةً أَغْوَالُهُ وَصَعَالِكُهُ

١ يشير إلى قول دعبل : لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

٢ المشك : اجتماع اللبن في الضرع .

٣ الدرانك : ضرب من الثياب أو البسط لها خمل أو هي الطنافس ، ومفرده درنوك أو درنيك .

٤ العاتك : الذي يسير وحده .

مهالكُهُ بالفألِ تُسمَى مفاوزاً وما الفوزُ إلا أن تُخاضَ مهالكه
 بمعطٍ غداةَ السيرِ ظهرَ حنيّةٍ بنيتُ عليها الكورَ فأنهدتُ تامكه^١
 ألائمي إن التجمّلَ جندلٌ صليبٌ وإنّي بالتجلّد لائكه
 أرى طرفاً لي من لسانك جارحاً وفي طرفِ السيف المهنّد باتكه^٢
 تريدن مني جمع مالي ومَنعهُ وهل لي بعدَ الموتِ ما أنا مالكه
 إذا أدركت خلاً من الدهر فاقه^٣ فما بال جدّوى راحتي لا تُداركه

٢٢١

وقال يتغزل

ومالئةٍ من سناها العيونُ أبصرتَ شمسَ الضحى هي كذاكُ
 تسوك حصّى برد في عقيق فيا لهما ظلّما بالسّواك
 وما قهوةٌ مبيّعت^٣ مسكة فبينهما للأريج اشتراكُ
 بأطيب منها جنى ريقه إذا نحرّ الليلَ رمحُ السماك
 وما ذقتُ فاهما ولكنني نَقَمْتُ شهادةَ عودِ الأراك

١ التامك : السنام .

٢ باتك : قاطع .

٣ في ب : ضمنت .

وقال أيضاً

هات كأسَ الرّاح أو خذْها إليك° يَنْزِلِ اللّهُ بها بين يديك°
 ريقَةُ العيش بها ، فاخلع على شفيتها كل حين شفيتك
 وأطع فيها نديمك بما جَكمَا واعصِ عليها عاذليك
 وإذا سَقَيْتَ منها شفقا° طَلَعَتْ حُمرَتُهُ في وجنتيك
 وتناولْ نشوةً من روضةٍ طلعت كالشمس بالنجم عليك
 تَسَعَّسَنِي . بنسبٍ قُلْتَهُ° فهوها راجعٌ منك إليك
 فَاوَصَّتْ في الوصل عيني عينها فازدهت عجباً وقالت : ما لديك؟
 أعليلُ أنت ، ماذا تشتهي ؟ قلت : قطني بيدي رمّاتيك
 فأنشئتُ كبراً وقالت : ويلتا أو هذا كُلهُ تطلبُ ويك ؟
 أنا شمسٌ وبعيد فلكي وضيائي نافرٌ من راحتك
 لو بدا أمرُكَ لي من قبلِ ذا ما رأتُ ناظرتي ناظرتك

وقال أيضاً

قُلْ لِمَنْ ضَاهَتْ الغزاةَ نوراً وهي من طيبها غزاةُ مِسْكِ
أنتِ في العينِ واللسانِ وفي القلِّ سبِ فأين استقرَّ قدرِي منك
إن نقضتِ الوفاءَ بالغدرِ ظُلماً فبهذا أشارَ طرفك عنك
لكِ قلبي صفّاً فلا غشٍّ فيه وهو للهجرِ منك في نارِ سبِّك
أضحكَ الشامتين صدك عني بدموعي ، فأدْمَعُ القلبَ تبكي

وقال أيضاً

الهجرُ يضحكُ والهوى يبكي والوصل بينهما على هُلك
يا جنّتي ما كنتُ أحسبُ أنْ أصلي جعيمَ قطيعةٍ منك
الله عيني منك مخبرةٌ عني بكلِّ سريرةٍ عنك
عَجَبِي للفظِ منك ذي نُسْكِ هذا ولحظكِ حاضرُ الفتكِ
وسلبتِ قلبي من حشاي فهل لكِ في القلوبِ صِنَاعَةُ الدكِّ

أغزاةَ الفلكِ التي عبَقَتْ مِسْكَاً فقلتُ : غزاةُ المسكِ
إن دَامَ هَجْرُكَ لي بلا سببٍ فلأنتِ قاتلتي بلا شكِّ

٢٢٥

وقال أيضاً

أذابلُ النرجسِ في مقلتيكُ أم ناضرُ الوردِ على وجنتيكُ
لا تنكري أنكِ حوريةٌ فنفحةُ الجنةِ نمتَ عليكِ
وعقربا صدغيكِ من عنبرٍ سمَّهما ويلاهُ من عقربيكِ
وردفكِ المرتجِ في غُصْنِهِ مَيَّاسٌ آهتَرَ برمانتيكِ
وبعَ وشاحيكِ فما أصبحا صِفْرَيْنِ إلا حَسَدا دُمْلجيكِ
أفي نطاقيكِ تَشَنَّتِ أمْ دفعتِ خصريكِ إلى خاتميكِ
بالله من صيرَ من ناظريكِ سهميكِ أم رُحْميكِ أم صارميكِ
فحيثما كنتِ خَشِيتُ الردى منكِ ، أكلَ القتلُ في ناظريكِ؟
لو شئتِ حيثِ نَشَاوى الهوى من لونِ خديكِ بتفاحتيكِ
وإن تَغَنَّيْتَ لنا لم نَزَلْ نخلعُ أفواهاً على أحمصيكِ
لا صبرَ لي عنك وإن كان لي على جنایاتك ، صبرٌ عليكِ

وقال في معنى الزهد

ما الذي أعددتَ للموتِ فَقَدْ قُدِّرَ الموتُ بلا شكٍّ عليكُ
 أذنوباً كاثرتَ عِدَّةَ الحصى بشئٍ ما استكثرتَ من كسبِ يديك
 بشئٍ ما يسمعُ من تعظيمها مَلَكًا القبر به من ملكيك
 أيَّ خَطْبٍ فادحٍ في رقدةٍ يوقظُ الحشرُ إليها مقلتيك
 وصراطٍ لستَ بالناجي إذا وَطِئْتَهُ زَلَّةٌ من قدميك
 فلك الويلُ من النارِ إذا مقلَّةُ الرحمنِ لم تنظرُ إليك

وقال يمدح يحيى بن تميم بن المعز

لك الملكُ والسيفُ الذي مَهَّدَ الملكا وصال به الإسلام فاهتضم الشركا
 ثقيلتَ آباءٌ ملوكاً كأنما يُفْتَقُّ للأسماعِ فخرهم مسكا
 وكلَّ عريقٍ في الشجاعة مُقدمٌ له الضربةُ الفرغاءُ والطعنةُ السِّلْكِي

إذا ما رمى أرضَ العدى بعمرَمَرٍ عليه سماءُ النّقع غادرها دَكَا
 ومن عَرَضِ الجبنِ المنوطِ بِغُمرِهِمْ صفا جوهراً منهم بنارِ الوغى سبكا
 بنيتَ بهدمِ المالِ كعبةَ ماجدٍ إلى حجبها نُزْجِي القلائصَ والفلكا
 فيا ابنَ تميمِ ذا الفخارِ الذي له منارٌ تَرَى فوقَ السماكِ له سَمَكَا
 تُحَدِّثُنَا عَنْهُ العُلَى وبمثلِ ما تُحَدِّثُنَا عَنْهُ ، تحدّثنا عنكا
 تناولتَ لإصلاحِ الزّمانِ فقلْ لَنَا أعدلُ يَسُوسُ المُلُكَ أم مَلِكٌ مِنكا
 فجددتَ ما أبلَى ، وأثبتَ ما نفى وأدُنيتَ من أَقصى ، وأضحكتَ من أبكى

٢٢٨

وقال

إنَّ اللياليَ والأيامَ يَدْرِكُهَا شيبٌ ويعقبها من بعده هُلُكُ
 فشيبُ ليلك من إصباحِهِ يَقْنَقُ وشيبُ يومك من إمائه حَلَكُ
 والعيشُ والموتُ بين الخلقِ في شغلٍ حتى يُسَكِّنَ من تحريكه الفلكُ
 ويبعثُ اللهُ من جوفِ الثرى أَمَمًا كانتْ عظامُهُمْ تَبلى وتنتهكُ
 في موقفٍ ما خلّقَ عنه من حِوَلٍ ولا يحقّرُ فيه سوقَةُ ملكِ

وقال أيضاً في الزهد

يَبُتُّكَ فِيهِ مَصْرَعُكَ وَفِي الضَّرِيحِ مَضْجَعُكَ
غَرَّتْكَ دُنْيَاكَ الَّتِي لَهَا شَرَابٌ يَخْدَعُكَ
هَمَّتْ بِحَبِّ فَارِكٍ وَقَلَمًا تُمَتِّعُكَ
يَضُرُّكَ الْحَرَصُ بِهَا وَالزَّهْدُ فِيهَا يَنْفَعُكَ
لَا تَأْمَنُ مَنِيَّةً إِنْ عَصَاها تَقْرَعُكَ
مَغْرِبُكَ الْقَبْرِ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ مَطْلَعُكَ
إِنْ فَرَّقَتْكَ تَرْبَسَةٌ فَاللَّهُ سَوْفَ يَجْمَعُكَ
وَالْحَسَابِ مَوْقِفٌ أَهْوَالُهُ تَرْوَعُكَ
كَمْ جَرَّ مَا أَشْفَقْتَ مِنْ لَمْسِكَ مِنْهُ إِصْبَعُكَ
فَكَيْفَ بِالنَّارِ الَّتِي مِنْ كُلِّ وَجْهِ تَلْدَعُكَ
يَرَاكَ ذُو الْعَرْشِ إِذَا نَادَيْتَهُ وَيَسْمَعُكَ
فَتَقُ بِهِ وَلَا يَكُنْ لغيرِهِ تَضَرُّعُكَ

وقال أيضاً

أليس بنو الزّمان بنو أبيكا فجرّدُ عن حقائقك الشكوكا
ولا تسألُ مِنْ المملوكِ شيئاً فترجعَ خائباً وسلِ المليكاً
فلستَ تنالُ رزقاً لم تنلْهُ ولو أبصرته مما يليك
فكم خيرٍ ظفرتَ به نضيجاً وكنتَ حرمتَ رؤيته فريكاً

حرف اللام

٢٣١

وقال أيضاً

لي صديق^١ مخض^٢ النصيحة^٣ كالمر آة إذ لا تريك منها اختلالاً^٤
فترك^٥ اليمين^٦ منك^٧ يميناً بالمحاذاة^٨ والشمال^٩ شمالاً^{١٠}

٢٣٢

وقال أيضاً

وساجبة^١ ليلاً^٢ من الشعر^٣ الجثل^٤ لها مثل^٥ في الحسن^٦ جل^٧ عن المثل^٨
تمج^٩ فتيت^{١٠} المسك^{١١} منه أسود^{١٢} معقربة^{١٣} أذناهن^{١٤} على النعل^{١٥}

١ في ب : المودة .

٢ في ب : تعطي العيون منها صفالا .

٣ في ب : منها .

٤ في ب : وترك الشمال منها شمالا .

٥ في ب : بفرع تمج .

تديرُ الهوى من مُقْلَةٍ بَابِلِيَّةٍ لها نَجَلٌ يغني الجفون^١ عن الكحل
 وتمكث^٢ بين اللحظ واللفظ فتنةٌ تحلّ عقلاً للتصابي عن العقل
 وما روضةٌ يُهدي النسيمُ أريجها محّا عن تراها القطرُ سيئةَ المحل
 بأطيب من فيها محادثةٌ إذا حلا^٣ النومُ عند الفجر في الأعين النجل

٢٣٣

وقال أيضاً

عَوَّلَ على العزمِ إنَّ العزمَ منقطعٌ عنه الحمولُ ، وموصولٌ به الأملُ
 لو لم تُسَلَّ سيوفُ الهندِ ما ضُربتَ يومَ القراعِ بها الأجيادُ والقللُ

١ في ب : لها كحل بالسحر يغني .

٢ في م : وتمكث .

٣ هكذا في ب ، ورواية م وف : علا .

٤ في ف : علا النوم في أجفانها ؛ ولا يستقيم .

وقال أيضاً

وغيداءَ لا ترضى بلشيّ خدّها إذا لم أُلطفْ عِزّها بتدَلّلِ
لها حمرةُ الياقوتِ في خدّ مخجَلِ وقسوته منها بقلب مُدَلَّلِ
كأنّني أرى هاروتَ منها مُصَوِّراً على صورتِي في كل طرفٍ مكحَلِ

وقال أيضاً

وذاكِ دلالٍ لا يزالُ مُسَلِّطاً لها خُلُقٌ وعَرٌّ على خُلُقِي السَّهْلِ
لها بقضيبِ البانِ نَهْضٌ يَنْزِينُهَا مَعِينٌ . ونهضٌ خاذلٌ بِنَقَا الرَّمْلِ
إذا ما تَمَادَتْ في الصَّدودِ ولم تَمَلْ إلى الوصلِ إشفاقاً تَمَادَيْتُ في الوصلِ
وقلتُ لعلَّ الحَجَرَ يُعْقِبُ عَطِيفَةً فيا رَبِّ خصبٍ جاء في عَقِبِ المحلِ
أَمَنْ حَرَمْتُ نومي ومن سَفَكَتُ دمي ومن صَرَمَتْ حيلي ومن حَمَلَتْ قَتلي
بِمَقْلَتِكَ النَّجْلَاءِ عَمْداً^٢ قَتَلْتَنِي ولا قَوْدٌ في القتلِ بالأعينِ النَجْلِ

١ في ب : في زمن .

٢ في ب : ظلماً .

وقال أيضاً

مَتَى يَنَالُ لَدَيْكُمْ مَا يُؤْمَلُهُ مُتَتِّمٌ ذُو تَبَارِيحٍ تُسَبِّلُهُ
 مَا ظَنُّ مَنْ قَبْلَ تَعْدِيبِ الْهَوَى أَسَدٌ أَنْ التَّدْلِيلَ مِنْ رِئْمٍ يُذَلِّلُهُ
 وَلَا دَرَى أَنْ سَهْمَ الْخَيْفِ يَقْصِدُهُ حَتَّى رَأَى سَاحِرَ الْأَلْحَاطِ يُرْسِلُهُ
 مُضْنَى رَمَاهُ بِكَرْبٍ كُلُّ ذِي فَسْرَحٍ كَأَنَّمَا نَاقِلٌ عَنْهُ يُنْقَلُهُ
 فَالطَّبَّ يُسْتَقِيمُهُ ، وَالْمَاءُ يُعْطِشُهُ وَالْقَرْبُ يَبْعَدُهُ ، وَالصَّوْنُ يُبْذَلُهُ

وقال أيضاً يتغزل

ذَاتُ لَفْظٍ تَجْنِي بِسَمْعِكَ مِنْهُ زَهْرًا فِي الرِّيَاضِ نَدَاهُ طَلُّ
 لَا يُسَمِّلُ الْحَادِثُ مِنْهَا مُعَادَاً كَانْتِشَاقِ الْهَوَاءِ لَيْسَ يُسَمِّلُ
 يَنْطَوِي جَفَنُهَا عَلَى سَيْفِ لَحْظٍ تُغْنِمِدُ الْمَرْهَفَاتِ حِينَ يُسَمِّلُ
 كُلَّ عَتَبٍ سَمِعَتْ مِنْهَا وَمَنْتِي ٢ فَهُوَ مِنْهَا دَلٌّ وَمَنْتِي دَلٌّ

١ قلت لعلها : الخفف .

٢ في ف : وعتيبي .

وقال أيضاً

أَجْمَلُ عَلَى بُخْلِ الْغَوَانِي وَإِجْمَالُ تَفَاءَلْتُ بِاسْمٍ لَا يَصَحُّ بِهِ الْفَسَالُ
وَحَلَيْتُ نَفْسِي^١ بِالْأَبَاطِيلِ فِي الْهَوَى وَنَفْسٌ تَحَلَّى بِالْأَبَاطِيلِ مِعْطَالُ^٢
وَكُنْتُ كَصَادٍ خَالَ رِيًّا بِقَفْرَةٍ وَقَدْ غِيَضَ فِيهَا الْمَاءُ وَاطَّرَدَ الْآلُ
أَيْشَكُو بَحْرَ الشُّوقِ^٣ مِنْكَ الصَّدَى فَمُ وَمَاءُ الْمَآقِي^٤ فَوْقَ خَدِّكَ هَطَالُ
وَتَغْرِسُ^٥ مِنْكَ الْعَيْنُ فِي الْقَلْبِ فِتْنَةً وَوَجَدُ^٦ جَنَاهَا بِالضَّمِيرِ وَبِلِبَالِ
وَلَا يَدٌ مِنْ أُمْنِيَةٍ تَخْدَعُ الْهَوَى لِيُتَذَرَّكَ^٦ مِنْهَا بِالتَّعَلُّلِ آمِنَالُ
فَمَثَلُ^٦ لَعِينِكَ الْكَرَى فَعَسَى الْكَرَى يَزُورُكَ فِيهِ مِنْ حَبِييبِكَ تَمَثَالُ
وَسَلَّ^٦ أَرْجَ الرِّيحِ الْقَبُولَ لَعْنَهُ لِمَعْرُضَةٍ^٦ عَطَفَ عَلَيْكَ وَإِقْبَالُ

١ في ف : نفساً ؛ وفيها وفي م : وخليت . . . تحلى ، وهو لا يلائم قوله « معطال » .

٢ في ب : الوجد .

٣ في ب : وما الماء إلا .

٤ في ب : وشوق حباها ، والكلمة الثانية مصحفة عن « جناها » لقوله في أول البيت : « وتغرس »
ورواية ف هنا مضبوطة .

٥ في ب : وتذكر .

٦ في ب : لمن عرضت .

وإن لم تَفْزُ فَوْزَ المحبِّينَ بالهوى^١ فقد نِلْتَ من بَرَحِ الصَّبَابَةِ ما نالوا
 وليلٌ حكي للناظرين ظلامُهُ^٢ ظليماً له من رَوْعَةِ الصبحِ^٣ إجمال
 كأنَّ له ثوباً على الأفق جيبه وقد سَحِبَتْ منه على الأرضِ أذيال
 عجبتُ لطودٍ من دُجَاهُ تبيله لطائفُ أنفاسِ الصباحِ فينهال
 وقد نَشَرَتْ في جانبيه ليَ النوى قفاراً طواها بي طمرٌ وشمال
 ودون مَصُونَاتِ المها بذلُ أنفُس تريك ولوعَ البيضِ فيهنَّ أبطال^٤
 وفي مُضْمَرِ الظلماءِ كاليءُ ظبيَّةٍ^٥ بثعلبةٍ يُسْقَى بها الموتَ رُبَّال
 فصيحٌ بأسماءِ الكمأةِ مبارزاً لِسُعْمَلٍ فيها بالمهندِ أفعال
 فيا بُعدَ قُرْبٍ لم يَتَّ فيه نافعاً يسيرك بالبُزْلِ الرّواسمِ إيغال^٦
 ويا بأبي مَنْ لم يَزَلْ من حُلِيِّهَا لدى الغيدِ غَرَّثانان^٦ : قلبٌ وخلخال
 فتاةٌ تداوي كلَّ حين بصحَّتِي سقامَ جفونٍ ما لها منه إبلال
 منعمةٌ سَكْرَى بصهباءٍ ريقةٍ لها في اللّمي طعمٌ ، وفي الخلدِ جريال

١ في ب : بالمنى .

٢ في ب : الفجر .

٣ في ب : يقسمها بالطعن والضرب أبطال .

٤ في ب : لأجرد إيجاف ووجناء إيغال .

٥ مصححة عن ب ، وفي م : تزل .

٦ في ف وم : غرثان .

نظرتُ إليها نظرةً عَرَفَتْ بها إشارةً لحظٍ ، بالصباغة ، عُدَّال
 فقالوا: لَأَدْمَى خَدَّهَا وَحَيُّ طَرَفِهِ فقلتُ : لعمري فَتَحَ الوردَ إِخْجَال
 فلَجَّوْا وقالوا : جَنَّةٌ كَذَبَتْ بها ظنونٌ ظَنَّنَّاها ، وبأَ صِدْقٍ ما قالوا
 أُنَبِّتَ كَرِيمَ الحَيِّ هل من كرامةٍ تُرَفِّعُ مَخْفُوضاً به^١ عندك الحال
 نهَضتِ إلى هَجَرِ الوصالِ نَشِيطَةً وأنتِ أناةٌ في النواعمِ مِكَسَّال
 أرى العَيْنَ من عَيْنِكَ جَانِسُنْ خِلْقَةً^٢ فمن أَجَلْها حوليك تَرْتَعُ آجَان
 فما لكِ عَنَّا تَنْفَرِينَ نِفَارَهَا أَنِي الخَلْقِ مِنَّا عندَ شَكْلِكَ إِشْكَال
 مَتَى نَتَلَقَى مِنْكَ إِنْجَازَ مَوْعِدٍ وفعلُكَ ذُو بَخْلٍ وقولُكَ مِيفْضَالُ
 وفِيكَ عَلَى الرُّوْاضِ إِدْلالٌ صَعْبَةٌ يَنالُ بها عَزٌّ امرئِ القيسِ إِذْلالُ
 وَيُقْسِمُ لِلتَّقْبِيلِ فَوْكٍ مُصَدَّقًا بأنِ التي تحوي القسيمةَ مِستَفْال
 ولو سُلَّ رُوحِي مِنْ عُرُوقِي لَرَدَّةٌ^٣ إِلَيَّ رِضَابٌ مِنْ ثَنَائِكَ سِلْسَال
 أرى الوَقْفَ أَضْحَى مِنْكَ فِي الزندِ ثَابِتًا وَلَكِنْ وشاحٌ مِنْكَ فِي الحَصْرِ جَوَالُ
 وَأَنْتِ كَعَذْبِ المَاءِ يُحْيِي وَرَبَّمَا غدا شَرَقٌ^٤ مِنْ شَرْبِهِ وَهُوَ قَتَال

١ مصححة عن ب ، وفي م وف : يرفع مخفوضاً بها ؛ وله وجه مقبول .

٢ في ف : خانسن خلقه .

٣ في ب : ولو سل مني الروح حتف لردء .

٤ في ب : فوق خصرك .

٥ في ب : شرقاً .

أَيُّوْمَنَ مِنْكَ الْخُتْفُ وَالْكِدُ فِي الْهُوَى
حَيْسٌ عَلَيْكَ الْعُجْبُ إِذْ مَا لَبَسْتِهِ
وَلَابَسَةُ ظِلِّي دُجَاهَا وَأَيْكِيهَا
تَكْفَلُ فِي الْوَادِي لَهَا بَنِيمَهَا
شَدَتْ فَاثْنِي رَقْصًا بِكُلِّ سَمِيعَةٍ
فَهَلْ عِلْمَاءُ فِي الشَّوَادِي مَصِيخَةٌ
فُورِقَاءُ لَمْ تَأْرُقْ بِحَزْنٍ جَفَوْنَهَا
وَأَذْكُرْتَنِي عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
وَنُصْرَةَ عَيْشٍ كَانَ هَمِّي جَامِدًا
وَدَارٍ غَدُونًا عَنْ حِمَايَا وَلَمْ نَرْحُ
بِهَا كُنْتُ طِفْلًا فِي تَرَعْرَعِ شِرَّتِي^٣
كَسْتَنِي الْخُطُوبُ السُّودُ بَيْضَ ذَوَائِبِ
أَبْعَدَ أَنْيَاسِ الْهُوَى أَقْطَعُ الْفَلَاحِ

١ في ب : هماً لها البال .

٢ في ف : بالزجاجة .

٣ في م : شرفتي ؛ وما أثبتته هو رواية ف .

٤ في ب : أمن بعد أكناف الحمى .

٥ في ف وم : في ؛ وما أثبتته هو رواية ب .

ومن بعد وَرَدٍ في مقيلي وَسَوَسَنٍ
أُحَالَفُ كُورَ الحرفِ من كلِّ مهمهٍ
له في حِجَاجِ العينِ ناريّةٌ ، لها
ويهديه هادٍ من دلالةٍ مَعْطِيسٍ
إذا جاء في جنحٍ^١ الدجى نحو غيله
تطيرُ مع الفولاذِ والعُودِ نحوه
ولي عَزْمَةٌ لا يَطْبَعُ الْقَيْنُ^٢ مثلها
وحزمٌ يبيتُ العجز عنه بمعزلٍ
أَصِيرُ أَخْفَافَ النجيبِ مفاتحاً
وأركبُ إذ لا أرض إلا غُطَامِطٌ^٣
حمامةً أَيْكِ ما لها فوق غُصْنِها
وأقسمُ ما هَوَمْتُ^٤ إلّا وزارني
بأرضٍ^٥ نباتُ العزِّ فيها فوارسٌ

أَقِيلُ ومشمومي بها الطلحُ والضال
تَوَارَدَ فيه الماءَ أَطْلَسُ عَسَّال
إذا طُفِئَتْ ناريّةُ الشمسِ ، إشعال
إلى ما عليه من ظلامٍ الفلا خال^١
تَصَدَّى له في القوسِ أَسْمَرُ مُغْتَال
من الموتِ في الريشِ الخفافِ أثقال
ولو أنّه في الغمدِ للهامِ فَصَّال
ورأيٌ به في اللبسِ يُرْفَعُ إشكال
لهم عليه للتنائفِ أَقْفَال
مطيّة ماءٍ سَبَحُها فيه إِرْقَال
غِنَاءٌ له عند المعرّي^٢ إِعْوَال^٣
على بُعْدِ الوادي الذي عنده الآل^٤
تصولُ المنايا في الحروب إذا صالوا

١ ب : إلى ما له في الشلو بالريح إضلال .

٢ في ب : ظل .

٣ إشارة إلى قول المعري في قصيدته التي يعارضها ابن حمديس بهذه القصيدة :
فقلت تغني كيف شئت فإنما غناؤك عندي يا حمامة إعوال

٤ في ب : بوادي الكرى . . . آل .

٥ في ب : بلاد .

تظللهم ، والروعُ يشوي أوارُهُ ، ذوابلُ فيها للأسنّة^١ ذُبَال
إذا أطفأ الدجنُ الكواكبَ أَسْرَجُوا وجوهاً بها تُهْدَى المسالكُ^٢ ضَلَال
فمن كلِّ قرْمٍ في النديّ هديرُهُ إذا ما احتبى قيلٌ من المجد أوقال
شُجاعٌ يصيدُ القِرْنَ حتى كأنَّهُ إذا ما كساهُ الرمحُ أحقبُ^٣ ذَيَالُ
وموسومةٌ بالبيضِ والسمر هُلْهِلَتْ عليهنَّ من نَسَجِ العجاجاتِ أجلال
فَقَرَّحُهَا يَوْمَ الوغى وَمِهَارُهَا فوارسُها منهم ليوثٌ^٤ وأشبال
ألا حَبَّذا تلك الديارُ أواهلاً ويا حَبَّذا منها رسومٌ وأطلال
ويا حَبَّذا منها تنسَمُ نفحةٌ تؤدّيه أسحارٌ إلينا وآصال
ويا حَبَّذا الأحياءُ منهم وحبَّذا مفاصلُ منهم في القبورِ وأوصال
ويا حَبَّذا ما بينهم طولُ نَوْمَةٍ تُنبّهني منها إلى الحشرِ أهوال

١ في ب : فيهن الأسنّة .

٢ في ب : تسري إلى القصد .

٣ في ب : عامل الرمح ؛ والأحقب : الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض .

٤ في ب : أسود .

٥ في ب : وأهلها . . . منهم .

٦ في ب : البعث .

وقال أيضاً

ما صدّ عني بوجهه ولها إلا لأزداد في الهوى ولها
 رثم إذا ما تعزّزت أسد عاجلها دله فذلها
 راش بسحر سهام مقلته وبالحمام المريج نصلها
 كأنما جنّة بوجنته وبالعدار يكون جدوها
 كأنما مدّ هدب مقلته صوناً لها ظلّه فظلّها
 كأنما انساب من ذوائبه سود أفاعٍ عليّ أرسلها
 أو دبّ بالحسن فوق عارضه نمل أصاب المداد أرجلها

وقال يصف الثريا

وليل كآني أجتلي من نجومه حريق ذبال أو بريق نصال
 أشيم الثريا فيه طالعة كما ثنيت نظاماً فيه سبع لال

وقال يصف الحمامة

وناطقية بالراءِ سَجْعاً مُرَدِّدًا كحُسْنِ خَرِيرٍ من تَكَسَّرِ جَدُولِ
 مُغَرَّدةٍ في القُضْبِ تحسَّبُ جِدَهَا مقلِّدَ طَوْقٍ بالجمانِ المُفَصَّلِ
 إذا ما امحى كُحْلُ الدجى من جفونها دَعَتْكَ إلى كأسِ الغزال المكحل
 ملأتُ لها كَفَ الصُّبْحِ زجاجةً مُذهِّبَةً بالراحِ فضةً أنمل
 كأنَّ بياضَ الصُّبْحِ حُجَّةٌ مؤمنٍ علَّتْ من سَوَادِ اللَّيْلِ حُجَّةً مبطل
 كأنَّ شعاعَ الشمسِ في الأفقِ إذ جلتُ به صَدَا الإِظْلَامِ مِدْوَ سُ صَيِّقَلِ
 أَدِمَ لَذَّةً ما مَتَّعَتْكَ بِسَاعَةٍ وما دمتَ عن عرقِ بغيرِ ترحَّلِ
 فما عيشَةُ الإنسانِ صفوٌ جميعُها ولا آخرُ من عمره نِدَاؤُ أَوَّلِ^١

١ في م : عن عرق بغير مرجل . ولفظة عرق تحتاج تصويباً .

٢ في « م » بمداول ؛ ولعلها كما قدرت . وقد تكون « مثل أول أو صنو أول » وكلها بمعنى .

وقال في الحرب

وبأَكِيَّةٍ بعيونِ الجراحِ إذا ضحكْتَ عن ثغورِ الأسَلِ^١
 لبستُ الغمامَ لها نثرَةً^٢ وجرَدْتُ^٢ بارقها المشتعلِ
 قددتُ بها الدرعَ فوق الكميِّ كما شُقَّ مَتْنُ غديرٍ غَلَلِ
 بأدْهِمَ يَسْقُطُ من ذِمِّرهِ على عُمُرٍ كلِّ شجاعٍ أَجَلِ^٣
 يطيرُ به حافرٌ ، رِيثُهُ شأى البرقِ في خَطْفَةٍ عن عجلِ
 فمبيضُ عضبي بمسودِّه وأحمرُّه بنجيعِ القُلَلِ
 ولو غُمِسْتُ فيه زُرْقُ العيونِ لَعَوَّضَ من زَرَقٍ بالكَحَلِ
 ولي عزيمة لم تبعْ في السرى نشاطَ السَّهادِ بنومِ الكسلِ
 إذا ما قذفتُ ظلاماً بها تَفَرَّتْ جوانبُهُ عن شُعَلِ
 ويفتكُ بالمالِ للمعتفينَ عطاءُ يميني فَتَكَ البطلِ
 وأسبقُ صوبَ الحيا بالندى بكفِّي جوادٍ ، وخدَّيْ خَجَلِ
 إذا شمل القولُ حسنَ البديعِ فأين المروِّي من المرتجلِ ؟

١ في ب : بعيون .

٢ في ف : وبردت .

٣ في ب : بطل .

وقال أيضاً

ويُلي على مملوكةٍ مَلَكَتْ رَقِي بِحُسْنِ مَقَالِهَا ، وَيُلي
 غِيداءُ تُسحبُ كلما انعطفتْ مِنْ فَرْعِهَا ذِيلاً عَلَى الذَّيْلِ
 وكأنَّهَا شمسٌ عَلَى غُصْنٍ مَرْتَحٍ التَّقْوِيمِ وَالْمِيلِ
 قَالَتْ ، وَقَدْ عَانَقَتْهَا سَحَرًا ، لِمَ زُرْتَنَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ ؟
 فَأَجَبَتْهَا ، وَغَمَرَتْهَا قُبَلًا : هَذَا أَوَانُ إِغَارَةِ الْخَيْلِ
 حَتَّى إِذَا بَزَغَتْ شَبِيهَتُهَا كَالْتَّاجِ فَوْقَ مَفَارِقِ الْقَيْلِ
 نَزَعَتْ كَتَرَعَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي عَنِّي قِلَادَةَ سَاعِدٍ غَيْلِ
 فَنَهَضْتُ أَشْرَقُ بِالْدمُوعِ كَمَا شَرِقَ الْفَضَاءُ بِكَثْرَةِ السَّيْلِ

وقال أيضاً

مَلَّتِي مِنْ لَا أَمَلَةٍ وَأَذَابِ الْقَلْبِ دَلَّةٌ
 رَشَأُ يَنْفَرُ خَوْفًا كُلَّمَا مَاشَاهُ ظِلُّهُ

يا عليل الطرف، جسي نظرة منك تَعْلِيهِ
 نيطَ في خَصْرِكَ رِدْفٌ عَجَبِي كَيْفَ تُقْلِيهِ
 يا غزالاً حَرَمَ اللّهُ دمي ، وهو يُحِلُّهُ
 إِنَّمَا الْحَسَنُ مَحَلٌّ لَكَ أَوْ أَنْتَ مَحَلُّهُ
 بَعْضُهُ فِي أَوْجُهُ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ كَلَّهُ

٢٤٥

وقال يرثي بنيّة له

نَنَامُ مِنَ الْأَيَّامِ فِي غَرَضِ النَّبْلِ وَنُغْذَى بِمُرِّ الصَّابِ مِنْهَا فَنَسْتَحْلِي
 وَقَدْ فَرَعْتَ لِلْقَوْمِ فِي غَفَلَاتِهِمْ خَتُوفٌ بِهِمْ تُمَسِي وَتُصْبِحُ فِي شُغْلٍ
 أَرَى الْعَالَمَ الْعُلَوِّيَّ يَفْنَى جَمِيعُهُ إِذَا خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ
 وَيَبْقَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ إِلَهُ هَدَى أَهْلَ الضَّلَالَةِ بِالرُّسُلِ
 وَيَبْعَثُ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَهُ نَشُورًا ، إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، يَا لَكَ مِنْ فَضْلِ
 أَرَى الْمَوْتَ فِي عَيْنِي تَخِيلَ شَخْصُهُ وَلِي عُمُرٌ فِي مِثْلِهِ يَتَّقِي مِثْلِي
 وَكَادَتْ يَدٌ^١ مِنْهُ تَشُدُّ عَلَى يَدِي وَرَجُلٌ لَهُ بِالْقُرْبِ تَمْشِي عَلَى رَجْلِي

١ في ف : يدي .

وفي مدّ أنفاسي لديّ وجزرها
ثمانونَ عاماً عِشْتُهَا وَوَجَدْتُهَا
وإني لَحَيّ القَوْلِ في الأمل الذي
إذا الله لم يمنحك خيراً ، مُنِعْتَهُ
فيا سائلي عن أهل ذا العصر دَعَهُمْ
إذا خَلَلٌ في الحالِ منك وَجَدْتَهُ
تَأَمَّلْتُ في عَقْلِي وَضَعْفِي فَقُلْ إِذَا
وَهَمٌّ لَهُ حِمْلٌ عَلَى الْهِمِّ ثِقْلُهُ
رَجَعْتُ إِلَى ذِكْرِ الْحِمَامِ فَلَنْتَهُ
وَكَمْ لِقْوَةً مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ حَطَّهَا^١
وَقِسُورَةٍ أَفْضَى إِلَى نَزْعِ رُوحِهِ
فَمَا لِلرَّدَى مِنْ مَنَهْلٍ لَا نُسَيْغُهُ
فِيَا غَرْسَةً لِلْأَجْرِ كُنْتُ نَقَلْتُهَا
وَأَنْكَحْتُهَا مِنْ بَعْدِ صَدَقٍ حَمِيدَتُهُ

بقاءً لنفسي غير مُتَّصِلِ الْجِبَلِ
تَهْدَمُ مَا تَبْنِي وَتَخْفُضُ مَنْ تَعْلِي
إِذَا رُمْتَهُ أَلْفِيَّتُهُ مَيَّتَ الْفَعْلِ
عَلَى مَا تَعَانِيهِ مِنَ الْحَذَقِ وَالنُّبْلِ
فَبِالْفَرْعِ مِنْهُمْ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَصْلِ
فَيَاكَ وَالتَّعْوِيلَ مِنْهُمْ عَلَى خِلٍّ
سَأَلْتُ : رَأَيْتُ الشَّيْخَ فِي عُمُرِ الطِّفْلِ
فِيَا لَيْتَهُ مِنْهُ عَلَى كَاهِلِ الْكَهْلِ
لَهُ زَمَنٌ مَلَّانَ بِالْغَدْرِ وَالْحَتْلِ
إِلَى حَيْثُ تُفْنِيهَا الذَّبَابَةُ بِالْأَكْلِ
وَشَقٌّ إِلَيْهَا بَيْنَ أَنْيَابِهِ الْعُصْلِ
وَوَارِدُهُ يَغْنَى عَنِ الْعَلِّ بِالنَّهْلِ
إِلَى كَنْفِي صَوْنِي وَأَلْخَفْتُهَا ظِلِّي
كَرِيماً فَلَمْ تَذُمَّمْ مُعَاشِرَةَ الْبَعْلِ

١ في م : أحيي ، والتصويب من ف .

٢ في م : فأملت من ، وفي ف : تأملت من .

٣ اللقوة : العقاب . النيق : أرفع موضع في الجبل .

٤ لعلها : إلى كنفي صوناً .

أثاني نعي^١ عنك أذكى جوى الأسى
على أن أسمع البلاد تسامعت^٢
فنهت على حي^٣ أمت^٤ شبابه^٥
فمت بما شاء الإله ولم أمت^٦
وفارقت روحاً كان منك انتزاعه^٧
أراني غريباً قد بكيت غريبة^٨
بكتني وظننت أنني مت قبلها
أقامت على موتى ، الذي قيل ، ماتماً^٩
وكل^{١٠} على مقدار حسرتة بكى^{١١}
أساكنة القبر الذي ضم^{١٢} قطره^{١٣}
أصابك حزن^{١٤} من مصابي قاتل^{١٥}
وخلفت في حجر^{١٦} الكتابة للبكا
يرين^{١٧} كأفراخ الحمامة صادها^{١٨}
علي^{١٩}: اشتعال النار في الحطب الجزل
لك الكحل^{٢٠} فيه ما لبست من الكحل^{٢١}
به وهو يجري بين السنّة السبل^{٢٢}
زمان^{٢٣} مشيب لا يجدد^{٢٤} ما يبلى^{٢٥}
ليكتب^{٢٦} عمري من حياي الذي يمل^{٢٧}
أدق^{٢٨} ديباً في الجسوم^{٢٩} من النمل^{٣٠}
كلانا مشوق^{٣١} للمواطن والأهل^{٣٢}
فعشت وماتت^{٣٣} وهي محزونة - قبلي^{٣٤}
وأبكت^{٣٥} عيون الناس بالطل^{٣٦} والوبل^{٣٧}
علي^{٣٨} ولاقى ما اقتضاه من الشكل^{٣٩}
على البر^{٤٠} منها والديانة والفضل^{٤١}
فهل أجل^{٤٢} لاقاك^{٤٣} قد كان من أجلي^{٤٤} ؟
بنات^{٤٥} لأم^{٤٦} في مفارقة^{٤٧} الشمل^{٤٨}
أبو ملحم^{٤٩} في وكره^{٥٠} كأبي الشبل^{٥١}

١ ساقطة من ف .

٢ أي كانوا قد نموه إلى ابنته ، وهو لم يمت بعد ، فلبست عليه السواد ولم تعد تستجيز استعمال الكحل .

٣ بياض في ف .

٤ أبو ملحم : النسر .

بكتكِ قوافي الشعرِ من غزر أدْمُعٍ بكاءَ الحَمَامِ الورْقِ في قُضْبِ الأَثَلِ
 وكلَّ مهابةٍ حَوْلَ قَبْرِكَ بالفلا لما بينَ عَيْنَيْهَا وَعَيْنِكَ مِنْ شَكْلِ
 فَرَوَى ضَرْحاً مِنْ كَفَاحٍ عَنِ الثَّرَى لَهُ وَابِلٌ بِالْخَصْبِ مَا خُطَّ بِالْمَحَلِ
 أَيَا رَبِّ إِنْ الْخَلْقَ لَا أَرْجِيهِمْ فَكَلَّ ضَعِيفٌ لَا يُمِرُّ وَلَا يُحَلِي
 بِحِلْمِكَ تَعَفُّوا عَنْ تَعَاظُمِ زَلَّتِي وَفَضْلِكَ عَنْ نَقْصِي، وَحِلْمِكَ عَنْ جَهْلِي

٢٤٦

وقال أيضاً يمدح المعتمد

بِجُمْلٍ حَدَا الْغَيْرَانَ بُزَلَ جَمَائِلُهُ وَأَرْقَصَ قَامَاتِ الْقَنَاءِ فِي قَنَابِلِهِ
 فَلَا عَصَفَتْ رِيحُ الْفِرَاقِ الَّتِي جَرَتْ^٢ بِهَا فِي خِصْمِ الْجَيْشِ سَفْنٌ^٣ رَوَّاحِلِهِ
 وَدُونَ مَهَابَةِ الْخَيْدِرِ لِأَقْدَامِ خَادِرٍ مَبِيدِ الشَّدَا أَظْفَارُهُ مِنْ مَعَاقِلِهِ
 حَمَالِقُهُ حُمْرٌ كَأَنَّ جُفُونَهَا حُشِينَ بِكَحْلٍ مِنْ نَجِيعِ عَوَامِلِهِ
 يَقْلَبُ أَجْفَانًا وَرَادًّا كَأَنَّمَا تَوَارَدَ يَوْمَ الطَّعْنِ مُشْرِعٌ عَامِلِهِ

١ في ف : تنفر ، وفي هامشها : لعلها تنفر .

٢ في ب : سرت .

٣ في ف : سفر .

٤ ب : ليث عريته ، رفاق مواضيه وصم ذوابله .

وقالوا: قفوا كي^١ تسمعوا حدو عيسهم^١ بعاجلٍ ما يُردي النفوسَ وآجله
 وقفنا نرامي بالهوى مَقْتَلِ الهوى^٢ ونقرأ في الألفاظ وحَيَ رسائله
 ونرقبُ سِرْباً في الخدور ، عقولنا مبددة^٣ للبين^٣ بين عقائله
 أنيسُ الهوى للموتِ حوليه وحشة^٤ فأسدُ الشرى مخدولة^٤ عن خواذله
 ويومَ صليتنا فيه نارَ صبايةٍ فلا لَفَحَتْ إلا وجوه أصائله
 عشيّة أبكى البين من رحمةٍ لنا بكاءَ قتل الشوق^٥ في إثر قاتله
 وفي صدف^٦ الأحداجِ مكنون^٦ لؤلؤٍ تكفّ بأطرافِ الظُّبا كفّ باذله
 طمى بالمايا الحُمُرِ لجّ سرابه فكم غائصٍ لهفان من دونِ ساحله
 فمن لقتيلٍ بالقتولِ وقد غدت وسائله^٥ مصرومة^٥ من وسائله
 ووقفه رودي بضّة^٦ الجسم غضة^٦ لتوديع صبّ^٦ شاحبِ الجسمِ ناحله
 شجّ كان من قبل التفرّق يشتكي نائمة^٦ واشيه وتأنّب عاذله
 وفي بُرْقَعِ الحسناءِ مقلّة^٦ جوذّر بها رُدّ كيدُ السحرِ في نحر بابله

١ في ب : قفوا تسمعوا حدو الخداة ركا بكم .

٢ في ف : نرامي بالنوى مقل الهوى .

٣ في ب : مقسمة بالبين .

٤ في ب : أنيس الهوى يتلوه للموت وحشة . . . فتخذل آساد الشرى عن خواذله .

٥ في ب : الحب .

٦ في ب : نثرنا على .

ولو شامَ هاروتُ وماروتُ طَرَفَهُ^١ لما أصبحا إلّا قنيصيَ حباله
جنّى غَيْرَ مستبقٍ ثمارَ قلوبنا فعنّا بهنّ^٢ الرطبُ ملءُ أنامله
وأغلبُ ظنّي أنّ ما في وشاحه^٣ كساهُ نحولاً حبُّ ما في خلاخله
طَوَى ما طوى ذاك النجاءُ من الهوى فيا مَنْ لقلبٍ مِنْ نجيٍّ^٤ بلابله
فجاد عليهم كلُّ باكٍ ربابُه^٥ ضحوكُ المغاني عن أقاحي خمائله^٦
إذا انهلّ فيه الودقُ عاينتُ^٧ منهما عطاءَ ابنِ عبّاد وراحةَ سائله
همامٌ يموّجُ البرّ كالبحرِ حوله^٨ إذا رَفَعَ الراياتِ فوقَ جمافله^٩
وقلّبَ فيها الموتُ في لحظه^{١٠} العدى عيونَ ذبالٍ في لدانِ ذوابله
تحمّلُ أبصارُ الورى عند ذِكره^{١١} لكيما تَرى بدرِ العلى في منازله
إذا جارَ دهرٌ كان منه ملاذُّنا بِحِقْوَيَّ^{١٢} أبيّ قيسِ الملكِ عادله
يصونُ الهدى منه إذا خاف ضيّمه^{١٣} بحاميه من كيدِ الضلالِ وكافله

١ مصححة عن ب ، وفي ف وم : بعناهن .

٢ في ب : فيا من لقلبي من تجني .

٣ في ب : فلا غرسوا إلّا بكل منور بكاء الفؤاد لا يتسام خمائله

٤ في ب : إذا سح فيها الودق أبصرت .

٥ في ب : إذا سار بالرايات .

٦ في ف : مخافله .

٧ في ف : ذكرها .

٨ في ب : بشهم .

أخو عَزَمَاتٍ للهِجُوعِ مهاجرٌ إذا هَجَعَتْ عَيْنُ الْعُلَى عن مواصله^١
 رقيقُ الحواشي أَعْسُ [العزّ] ماجدٌ كأنّ شَمُولاً رقرقتْ في شمائله
 شديدُ عراكِ البأسِ يَعْقِرُ قِرْنَهُ إذا استطعم السرحانُ ما في جمائله^٢
 وفي غيضةٍ الخطيِّ ليثٌ كأثما عليه من الماذي لينٌ غلائله
 تورّدُ في الأجيادِ صفحةٌ سيفه وتنهشُ في الأكبادِ حيّةٌ عامله
 مقيمٌ بأرضِ الرّوعِ حيثُ سماؤها^٣ تمورُ عليه من مِثَارِ قَسَاطِلِهِ
 كأنّ مقامَ الحربِ أشهى ربوعه إليه ، وبيضُ الهند أدنى قبائله
 ومخضلٌ أوراقِ الصفائحِ ضُرِجتْ بكلّ دمٍ أندى نباتِ غوائله^٤
 لُهامٌ عليه للعجاجِ غلائلٌ لها طُرُزٌ من بارقاتِ مناصله
 وتحسبه بحراً تلفَ عواصفاً أواخره ، أرواحه ، بأوائله
 يظللّه سِرْبٌ من الطيرِ مُلْحِمٌ يروحُ بأرواحِ العدى في حواصله
 إذا ما رمى قُطْرًا به عَزْمُهُ اغْتَدَتْ أعاليه بالتدميرِ تحت أسافله
 إليك زجرنا الفُلكَ في كلّ زاخِرٍ معالنا مفقودةٌ في مجاهله

١ في ب : أخو عزمات. يهجر النوم جفنه سلوا جفنه في حزمه عن مواصله

٢ في ف : حمائله .

٣ في ف : سماؤه .

٤ في ف : ومخضر . . . صرحت .

٥ في ف : أيدي نبات غوائله ؛ والمعنى أن مدوحه يعتقد أن ورق السيوف المخرجة بالدم هي أندى نبات أنبتته غوائله . والفوائل : الدواهي .

٦ في ب : امتطينا .

مدافعةُ الأهوالِ مدفوعةٌ إلى جنائبه تجري بها أو شمائله
إلى ملكٍ في سيفهِ وبَنَانِهِ جهنّمُ شانيه ، وجنّةُ آمليهِ
ومعجزِ آياتِ الندى ذي سماحةٍ مجانسِ نظمِ المكرّماتِ مقابله
كريمٌ إذا هبّت رياحُ ارتياحه جرّتْ سُفُنُ الآمالِ في بحرِ سائله
رفعنا عقيراتِ القوافي بِمدحِهِ فأطربنَ أَسْمَاعَ العُلَى في محافله
سلوني عنه ، واسْمَعُوا الصّدق ، إنّي أُحدّثُ عن هِمّاته وفواضله
ولا تسألوني عن فرائض طوّله إذا غَمَرَ الدنيا ببعضِ نوافله
فأنّدى بني ماءِ السماءِ محمّداً وهل طُلّ معروفِ السماءِ كوابله

٢٤٧

وقال أيضاً يمدحه

ورّدُ الخدودِ ونرجسُ المقلِ عدّلاً بِسامِعتي عَنِ العَدَلِ
ومواردُ الرّشَفاتِ مُروِيّتي حيثُ المياهُ مثيرَةٌ غُلّلي
خَدَلْتُكَ بِاللَحَظَاتِ خاذِلَةً في الإجلِ ترسلُ^٢ أسهمَ الأجلِ

١ في ب : فلذا .

٢ في ب : خذلت هناك بلحظ خاذلة . . . ترشق ؛ والإجل : القطيع من بقر الوحش .

مِنْ مُقْلَةٍ نَقَلْتِكَ قَهْوَتَهَا^١ بِالسُّكَّرِ مِنْ خَبَلٍ إِلَى خَبَلٍ
 وَلَقَلَّمَا يَصْحَوُ امْرُؤٌ حَكَمَتُ فِيهِ^٢ كَوْوَسُ الْأَعْيُنِ النَّجُولُ
 إِنِّي امْرُؤٌ مَا زِلْتُ أَنْظِمُ فِي جِدِ الْغَزَالِ قَلَائِدَ الْغَزَلِ
 وَجَنِيَّةٌ^٣ ضَنْتُ عَلَى نَظْرِي بِجَنِيٍّ وَرَدِ الْوَجْنَةِ الْخَضِلِ
 صَبَغْتُ غِلَالَةَ خَدَّيْهَا بِدَمِي إِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِعَنْدَمِ الْحَجَلِ
 تَعْلُو بَعُودَ أَرَاكَةِ بَرْدًا غَيَّسْتُ حَصَاهُ مَدَامُعُ السَّبَلِ
 وَتَكْفٌ عَنْ فَلَقٍ دُجَى غَسَقٍ بِمَضْرَجَاتٍ مِنْ دَمِ الْبَطْلِ
 وَكَأَنَّمَا خَاضَتْ ذَوَائِبُهَا مِنْ جَفْنِهَا فِي صِبْغَةِ الْكَحْلِ
 يَا هَذِهِ اسْتَبْقِي عَلَى رَجُلٍ أَفْحَمْتِهِ بِالْفَاحِمِ الرَّجُلِ
 لَا تَسْأَلِيهِ عَنِ الْهَوَى وَسَلِي عَنْهُ إِشَارَةَ دَمْعِهِ الْهَاطِلِ
 عَطَفْتُ وَقَالَتْ : رَبِّ ذِي أَمَلٍ ظَفَرْتُ يَدَاهُ بِطَائِلِ الْأَمَلِ
 قَبْلِي دِيونٌ مَا اعْتَرَفْتُ بِهَا إِلَّا لِأَمْنَحَ مُجْتَنِي قَبْلِي
 وَاهَاً لِأَيَّامٍ سَقِيتُ بِهَا كَأْسَ النِّعَمِ بِرَاحَةِ الْجَذَلِ

١ في ب : نشوتها .

٢ في ب : أخذت منه .

٣ الحنية : التي ثمرها صالح للجني ، وأطلق حسان اللفظة على الخمر فقال في بعض الروايات :
 كأن جنية من بيت رأس . . البيت .

٤ في ب : بمدمع السبل ؛ والسبل : المطر .

٥ في ب : بإطل .

لم يبقَ لي من طيهنّ سوى ما أبقتِ الأحلامُ في المقل
 ثم اعتبرتُ ، هدايةً ، زمني فإذا تصرّفهُ عليّ ولي
 يا لائمي نقلُ ملامك عن ندبٍ وصيرهُ إلى وكيل
 أعلى الزمّاعِ تلومُ مغرباً^١ يقري الرّحالُ غواربَ الإبل
 إني أقيمُ صدورَها لسُرّي يهدي كلاكلِها إلى الكلل
 وأروحُ عن وطني إذا دَمِيتَ بعدي مدامعُ دُميّةِ الكِلل
 والسيفُ لا يفري ضريبتهُ حتى تُجرّدهُ من الحِلل
 سأثيرُها مِن كلِّ طاعنةٍ صدرَ الفلاةِ بأذرعٍ فتُل
 فإذا بلغنَ محمّداً أمِنتُ غلّسَ البكور وروحة الأُصل
 وإلى ابن عبّادٍ تعبّدها رملاً قطّعنَ مداهُ بالرمَل
 ترعى الرسيمَ إلى الوجيفِ بنا بدلاً من الحوْذانِ والتّفَل
 صُور^٣ العيونِ إلى سنّا ملكٍ حيّ السّماحة ميّتِ البَحَل
 ملكٌ تقابلُ منه أبهةً تُغضي العيونُ بها إلى القَبَل
 فتزّرَ لأمتِه^٤ على أسدٍ وتُلاثُ حبّوتهُ على جبل

١ هذه رواية ب ، وفي ف : معترفاً .

٢ في ف وم : الرجال .

٣ صور : جمع أصور وصوراء ، أي المائل أو المائلة العنق .

٤ في ب : نثرته .

لو لم يَزُرْ^١ مغناهُ ذو عَدَمٍ ألقى نداءهُ له على السَّبيلِ
 أو زاره في الحشرِ آثرهُ كَرَمًا عليه بصالِحِ العملِ
 أحسبتَ أنَ يمينهُ فرَغَتْ؟ هي للندى والبأسِ في شُغلِ
 أسدٌ على الفرسانِ^٢ يَفْرِسُها عند انقراضِ الأمنِ بالوجلِ
 وكتيبةٍ شهباءَ رانيةٍ تحتَ العجاجِ بأعينِ الأسَلِ
 جاءتُ بها الآسادُ تزأُرُ في غيلِ الصَّوَارِمِ والقنا الذَّبُلِ
 والطعنُ يلحقُ من سوابغِهِم حَدَقَ الجرادِ بأعينِ الحجلِ
 وكأنَّ سُمَرَ الخطِّ في شَرَقٍ بالعلِّ من دمهمُ وبالنَّهَلِ
 وكأنَّما يلحسُنَ في غُدُرٍ مُهَجَ الكِماةِ بأَسْنِ الشَّعَلِ
 خطبتُ سيوفُك من سرائهم^٣ لِعُلاكِ فوقِ منابرِ القُلُلِ
 يا ماتحاً برشاءِ صَعْدَتِه بينِ الأسنَّةِ مُهْجَةً البطلِ
 رمحُ يروقُ الطرفُ مُعْتَقَلًا في كَفِّ غيرِك غيرَ معتقلِ
 أيُّ الملوكِ لك الفداءُ ، وقد صَيَّرَتْ جِلَّتَها من الحولِ
 دامتْ لك الدنيا ودُمَّتْ لها وأقامَ سيفُك كلَّ ذي مَيَلِ

١ في ب : يرد .

٢ في ب : الآساد .

٣ في ب : في فوارسها .

٤ في ب : رمحاً يروق الطعن .

وقال أيضاً

تخريجها : في النهاية منها ٣٥ ، ٣٧-٤٢ ،
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ ، وفي النسخ والطرز :
 ١١ - ٢٢١ ؛ الأبيات : ٣٥ - ٤٣ ،
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ وفي الذخيرة : ٣١ ،
 ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨-٤٠ ،
 ٤٢-٤٧ ، ٥٠-٥٢ (وهذه لم ترد في
 الديوان) ٥٩ - ٦٠ .

أَغْمَرَ الهوى كم ذا تُقَطَّعُنِي عَدُوًّا قَتَلْتُ الهوى علماً ، أَتَقْتَلُنِي جَهْلًا
 أَظْنَكَ لَمْ تَفْتَحْ عَلَيْكَ نَوَاطِرُ إِذَا هِيَ أَعْطَتْ صَبُوءًا أَخَذَتْ عَقْلًا
 وَلَا عَرَضَتْ مِنْ بِيضِهِنَّ^١ سَوَافِرُ عَلَيْكَ الْخُدُودَ الْحُمْرَ وَالْأَعْيْنَ النُّجْلًا
 لَمْ يَصْبِرْ مِنْكَ الْقَلْبَ مَشْيُ جَاذِرٍ يُسْرِزُّ فِيهِ التَّيَّهَ أَقْدَامَهَا نَقْلًا
 وَلَمْ تَرَ سِحْرًا كَالْعَيُونِ تَخَالُنَا بِزَعْمِكَ أَحْيَاءٌ وَنَحْنُ بِهَا قَتْلًا
 وَمَنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنْ سَيُوفَهَا تَعُودُ رِمَاحًا ، حَيْثُ تَلْحَظُ ، أَوْ نَبْلًا
 خَرَجْتُ عَلَى حَدِّ الْقِيَاسِ^٢ مَعَ الْهَوَى فَقُلْ مَنْ أَمَرَ الْكَأْسَ مِنْ بَعْدِ مَا أَحْلَى^٣

١ في ب : بينهن .

٢ في ف وم : عز القياس ؛ ولعلها : غير القياس .

٣ في ب : وكم ذي قياس عن هدايته ضلًا .

ولما كتبتُ الحبَّ في القلب وارتقى
وببي كلَّ غيداءٍ القوامِ كأنَّما
لها بله بالحبِّ^٢ تحسُّ جدَّه^٣
إذا غرستُ في مسمعِ الصَّبِّ موْعِداً
وإن هي زارتْ خلتها مستعيرةً^٤
أرى البيضَ مثلَ [البيضِ] تقطعُ وصلَ من
فلا تأمنُ منهنَّ إن كنتَ حازماً
وساقٍ ، على ساقٍ ، يُصرِّفُ بيننا
كلوْلوةٍ بيضاءَ في الكفِّ أقبلتْ
كأنَّ وثوبَ السُّكْرِ فيها مُساورٌ^٥
ترَكُّنا لها من جورِها ما يُسيئُنا
وعذراءَ كانت وردةً قبل مزجها
إذا واجهتْ كاساتها الليلَ خلتها

١ في ف : أذكر .

٢ في ب : في الحب .

٣ في ف : غرسه .

٤ ساقطة من ف وفي موضعها : من .

٥ في ف : قاربت .

٦ في ب : صارت ، وفي ف : غنت لتصرفها .

وتحسبُها تجلو علينا عرائساً وشاربُها يفتضُ منهنّ ما يُجلى^١

* * *

وجدنا «نَعَمْ» في الناس يُهجرُ قولُها ولما اجتواها كلّ حيٍّ^٢ تعلّقتْ جوادٌ بما فوق الغنى لك والمنى ترى الناسَ يستصحون من جود كفه هزبرٌ^٣ الوغى بالسيفِ والرمحِ مقدمٌ تنوءُ به غيراً حفيظةٌ عزَمِه^٤ وحربٍ أذِقتْ في بنيتها ببأسه وكانت عيونُ الماءِ زُرْقاً فأصبحتْ وما ولدتْ سودُ المنايا وحمرُها أقائدُها قَبَّ الأياطلِ لم تدعْ حميتَ حمى الاسلام^٥ إذ ذدتْ دونه

كأنّ على الأفواه من لفظها^٦ ثِقلاً بلفظ ابن عبّادٍ فكان لها أهلاً فهِمَّتْكَ العُلَيّا لهُمَّتْهُ سَفلى إذا الوبلُ منه انهلّ واتّبعَ الوبلا له الضربةُ الفرغاءُ^٧ والطعنةُ النجلا وترجَحُ أسبابُ الأناةِ به كهلاً مرارةَ كأسِ الثكلِ لا عَدِمَتْ ثكلاً بما مازَجَتْهُ من دمائهم^٨ شُهلاً على الكره حتى كان صارمُك الفحلا له عند أعداءٍ إغارتُها ذَحلاً هزبراً^٩ ورشّحتْ الرشيدَ له شبلاً

١ في ب : يفتض منها التي تجلى .

٢ في ب : قولها .

٣ في ب : لفظ .

٤ في ب : قريع .

٥ الفرغاء : الواسعة ؛ وفي ف وم : الفرهاء .

٦ في ب : حريم الله .

٧ في ب : هصوراً .

لئن قلت^١ فيه صحّ تأليفُ سُوءِ دَرٍ فبارعٌ نَقَلٍ من شمائلِكَ استملى

* * *

ألا حبذا العيدُ الذي عكفت به على كفك الأمواه^٢ تُمطرُها^٣ قُبلاً
ويا حبذا دارٌ يدُ الله مَسَّحَتْ عليها بتجديدِ البقاءِ فما تبلى^٤
مُقَدَّسَةً لو أن موسى كلمه^٥ مَشَى قَدَمًا في أرضها خَلَعَ النعلا
وما هي إلا خُطَّةُ المَلِكِ الَّذِي يحطّ^٦ لديه كل ذي أملٍ رَحْلاً^٧
إذا فتحت أبوابُها خلتَ أنها تقولُ بترحيبٍ لداخلها : أهلاً
وقد نقلتُ صنائعُها من صفاته إليها أفانيناً فأحسنتِ النقلا
فمن صدره رجباً ومن وجهه^٨ سناً ومن صيته فرعاً ، ومن حلمه أصلاً
وأعلتُ بها^٩ في رتبةِ الملكِ نادياً وقلّ له فوق السماكين أن يُعلّى^{١٠}
نسيتُ به إيوانَ كسرى لأنّه أراني له مولى من الفضلِ^{١١} لا مثلاً

١ في ف : صح .

٢ في ب : ترشفا .

٣ في ب والنفع والنهاية : قضى الله أنها يجدد فيها كل عز وما يبلى

٤ النفع : يحطّ إليه رجلاً .

٥ النفع والنهاية : نوره .

٦ في ف : به .

٧ النفع وب : وقل لها فوق السماكين أن تعلّ .

٨ النفع : الحسن ؛ وفي الذخيرة : أراني مثلاً ما رأيت له مثلاً .

كَانَ^١ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمْ تُبَحْ خَافَتُهُ^٢ لِلْجَنِّ فِي شَيْدِهِ مَهْلًا
 كَانَ^٣ عَيُونَ السَّحَرِ نَافِذَةٌ لَهُ عَلَى كُلِّ بَانٍ غَايَةً مِنْهُ أَوْ فَضْلًا^٤
 فَجَاءَ^٥ مَكَانَ الْقَوْلِ نَبَعْتُ وَصَفَهُ تَجَوَزُ^٦ لَهُ الْأَمْوَاهُ بَرَكَةَ جَدُولٍ
 إِذَا اتَّخَذَتْهَا الشَّمْسُ مِرَاةً وَجْهَهَا إِذَا تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لَيْقَةٌ تَسْتَمِدُّهَا
 لَهَا حَرَكَاتٌ أَوْدِعَتْ فِي سُكُونِهَا [وَقَدْ تَوَجَّجَ الْبُهْوُ الْبُهْيَّ بِقَبَّةٍ
] تَجْمَعُ الْأَضْدَادُ فِيهَا مَصَانِعًا [وَأَغْرَبُ مَا أَبْصَرْتُ بَعْدَ مَلِكِهَا
 تَنَادَمُ فِي غَبَاءٍ غَنَّتْ حَمَامُهَا إِذَا شَرِبَتْ وَدَّ الْمُوَيْدَ صَيَّرَتْ
 كَانَ^٦ مَهَا الْأَحْدَاجُ حَلَّتْ سَمَاءَهَا

١ الذخيرة : أو امره .

٢ الذخيرة : عليهن فصلا من بدائمه فصلا .

٣ الذخيرة : فكان .

٤ الذخيرة : تجوز .

٥ ما بين معقنين زيادة من الذخيرة .

٦ في ف : حبياته ، وفي ب : حساه .

كَأَنَّ سَهَامًا أُرْسِلَتْ عَنْ قَسِيمِهَا فَمَا عَدِمَتْ عَيْنُ الْحُسُودِ بِهَا سَمَلًا
وَمَا شَتُّ مِمَّا لَوْ عُنِيَتْ بِوَصْفِهِ سَلَكْتُ إِلَيْهِ كُلَّ قَافِيَةٍ سَبَلًا
فَتَحَسَّبُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِهَا رَقَى شَرْفًا فِيهِ إِلَى الْفَلَكَ الْأَعْلَى
وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوَقُّدِ نَوْرِهَا تَخَذِنَا سَنَاهُ مِنْ نَوَاطِرِنَا كُحُلًا
فِيَا دَارَ أَغْضَى الدَّهْرِ عَنْكَ وَأَكْثَرْتُ أَسْوَدُكَ نَسْلًا فِيهِ يَخْتَلُ النَّسْلَا

٢٤٩

وقال يصف الزرافة

تخریجها : في النهاية ٩ : ٣١٨
الأبيات : ١٠ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ،
١٢ ، ١٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ . وفي
المطالع ٢ : ٢٥٩ الأبيات : ١ - ٣ ،
٧ - ٩ ، ١٢ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ .

وَنُويَّةٍ فِي الْخَلْقِ مِنْهَا خَلَائِقٌ^٢ مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهَا تَسَهَّلُ^٣
إِذَا مَا اسْمُهَا أَلْقَاهُ فِي السَّمْعِ ذَاكِرٌ^٤ رَأَى الطَّرْفُ مِنْهُ مَا عَنَاهُ^٥ بِمَقُولِ

١ هذه رواية الذخيرة ، وفي ف : يحتبل .

٢ في ب : غرائب .

٣ النهاية : تسفل .

٤ النهاية والمطالع : زاجر .

٥ ب : منها ما حكاه .

لها فخذاً قَرْمٍ وَأظلافُ قَرْمٍ
 مُبْطِنَةٌ الْأَخْلَاقِ^١ كِبَرًا وَعِزَّةً
 وَكَمْ حَوْهًا مِنْ سَائِسٍ حَافِظٍ لَهَا
 تَرَى ظِلْفَ رَجُلٍ يَلْتَقِي إِنْ تَنَقَّلَتْ
 كَأَنَّ الْخُطُوطَ الْبَيْضَ وَالصَّفَرَ أَشْبَهَتْ
 وَدَائِمَةُ الْإِقْعَاءِ فِي أَصْلِ خَلْقِهَا
 تَلَفَتْ أحيانًا بَعِينَ كَحِيلَةٍ
 وَعَرَفَ دَقِيقَ الشَّعْرِ تَحْسِبُ نَبْتَهُ
 تَنْفَسُ كِبَرًا مِنْ يِرَاعٍ مُثَقَّبٍ
 وَتَنْفُضُ رَأْسًا فِي الزَّمَامِ كَأَنَّمَا
 إِذَا طَلَعَ النُّطْحُ اسْتَجَادَتْ نَطَاحَهُ
 وَقَرْنَيْنِ أَوْفَتْ مِنْهُمَا كُلَّ عَقْدَةٍ

وَنَاطِرَتَا رِئِمٍ ، وَهَامَةٌ أَيْلٍ
 فَمَهْمَا تَجَدُّ بِالْمَشْيِ^٢ فِي الْمَشْيِ تَبْخُلُ
 يُكْرِمُهَا عَنْ خُطَّةِ الْمُبْتَدَلِ
 بِظَلْفٍ^٣ يَدٍ مِنْهَا عَزِيزِ التَّنْقَلِ
 عَلَى جَسْمِهَا تَرْصِيعَ عَاجٍ بِصَنْدَلٍ^٤
 إِذَا قَابَلَتْ أَدْبَارَهَا عَيْنَ مُقْبِلٍ
 وَجِيدٍ عَلَى طَوْلِ اللَّوَاءِ مِظْلَلٍ^٥
 إِذَا الرِّيحُ هَزَّتْهُ ذَوَائِبَ سُنْبُلٍ
 فَتَعْطِي جَنُوبًا مِنْهُ عَنْ أَخَذِ شِمَالٍ
 تَرِيكَ لَهُ فِي الْجَوِّ نَفْضَةً أَجْدَلِ
 بِرَأْسٍ لَهُ هَادٍ عَلَى السَّحْبِ مُعْتَلٍ
 كَرَمَاتِي بَابِ الْخَبَاءِ الْمُقَقَّلِ

١ في ب : مبطنة الأحداق .

٢ في ب : بالحسن .

٣ ساقطة من ف .

٤ المطالع : مصندل .

٥ النهاية : المظلل .

٦ النهاية : كأنها .

إذا قُمّعا بالتبر زادتُ تغزّراً على كلِّ خودٍ ذاتِ تاجٍ مُكلَّل
وتحسبها من نفسها^١ إن تبخترتُ تُزَفَّ إلى بعلٍ عروساً وتنجلي^٢
وكم منشدي قولٍ امرئٍ القيسِ حوّلها «أفاطمَ مهلاً» بعضَ هذا التدلّل

٢٥٠

وله في السيوف

ومُعَطَّشَاتٍ في سُعُورٍ قُبُونها تُسْقَى نَجِيعَ جماجمٍ وكواهل
ومن البروقِ على الرؤوسِ لوقعها رعدٌ يَصُوبُ من الدماءِ بوابل
وكأنَّ أجنحةَ الفراشِ تَقَطَّعَتْ منشورةٌ منهنَّ فوق جداول
من كلِّ أبيضٍ راكضٍ في غِمدِه لَجَّ المنية مُعْطَبٌ بالساحل
يعري الضرائبَ في حباتكِ سرِّدِها بمضاربٍ شهدتْ وقائعَ وائل
وكأنّما قفراً يطولُ بمتنهِ في رملِه للنملِ اثرُ أنامل

١ النهاية : مشيها .

٢ في ف : وتنجلي .

وله في سيف

وذو رونقٍ ترتاعُ منه كأنما عروسُ المنايا فيه للعين تُجتلى
 صموتٍ عن النطقِ المبين لسانهُ فإن قرَعَ البيضَ اليماني وَلَوْلَا
 جرى والتظي سلاً فقلتُ تعجباً : متى فجّرتُ كفُّ من النار جدولا
 لهامِ العِدَى منه سجودٌ على الثرى إذا ما اغتدى منه ركوعٌ على الطلا

وله فيه

وأبيضَ تحسبُ فيه الفرندَ يثيرُ هباءً على جدول
 إذا دُعِيَ الموتُ بالهزّ منه أجابَ بصلصلةِ الجلجل
 وما سُلَّ للضربِ إلاّ أسالَ على خدّه أدمعَ المقتل
 ترى فيه عينك غولَ الحِمامِ يهمُّ بأكلِ يدِ الصيقل
 وماءٌ به شرقاتُ الردى تميّعَ في قبَسٍ مُشعل
 تقلّدي إذ تقلّدتَه ألا إنّي مُنْصَلُّ المنصل

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ

مُلكٌ جديدٌ مثل طَبَعِ الْمُنْصُلِ نَشَّ الْفَرَنْدَ عَلَيْهِ صَنَعُ الصِّقْلِ
 ورياسةٌ عُلُوِيَّةٌ تَرْنُو إِلَى زُهْرِ الْكَوَاكِبِ إِذْ تَرَأَتْ مِنْ عَمَلِ
 وسعادةٌ لو أَنَّهَا جُعِلَتْ عَلَى هَرَمٍ لِعَادَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ
 هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الزَّمَانِ وَحُسْنِهِ وَخُذِ الْحَدِيثَ مِنَ الْمُحَدَّثِ عَنْ عَلِيٍّ
 مِنْ أَلْفِ الدُّنْيَا جَنَاحِي عَسَلِهِ وَأَجَارَ مِنْ صَرْفِ الْخُطُوبِ الْمُعْضَلِ
 مِنْ مَهْدِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ وَنَاهِضاً لِلْمَكْرَمَاتِ بِكُلِّ عِبٍّ مَثْقَلِ
 مَلِكٌ تَفَلُّ عِدَاتُهُ عِزَمَاتُهُ بِصَوَارِمِ قَدَرِيَّةٍ لَمْ تُفْلَلِ
 بَرٌّ إِذَا عَمَلَ خَلا مِنْ نُصْحِهِ وَرَجَا النُّقْيُ قَبُولَهُ لَمْ يُعْمَلِ
 شَرِبَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْهُ مَحَبَةً كَرَعَ الصَّوَادِي فِي عَذُوبَةٍ مِنْهَلِ
 وَقَضَى لَهُ بِالنَّجْحِ مَبْدَأُ أَمْرٍ وَيَدْلِكَ الْمَاضِي عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
 وَسَمَا يَخْلُقُ فِي الْعَالِي بَعْدَاتِهِ مِثْلَ الْبَغَاثِ خَشِينِ وَقَعَ الْأَجْدَلِ
 إِيَّاكَ أَنْ يَخْتَالَ مِنْهُمْ جَادِلٌ فَحَسَامُهُ لِلْجِيَادِ مِنْهُ يَخْتَلِي
 إِنْ الشَّرِيعَةُ مِنْهُ تُشْرَعُ عَامِلًا مِنْ كُلِّ بَاغٍ عَامِلًا فِي الْمَقْتَلِ

ورث الممالك من أيه فحازهما وراث مجد في الصميم مؤثّل
حسم المظالم عادلاً فكأنه من سيرة العُمريّن جدّد ما بلي
كم قال من حيّ لميت : قمّ ترى ما نحن فيه من التّنعّم مُذّ ولي
إن ابن يحيى في المفاخر ، ذكره مُتَضَوِّعٌ منه فمّ المتشّل
ملكٌ إذا خفقت عليه بنوده فالخافقان له جناحاً جَحْفَل
يقتادُ كلَّ عَرَمَرَمٍ متموجٍ كالبحر تركلُهُ نَوُوجُ الشّمَال
وتريكَ في أفقِ العجاجِ رماحه شرَرَ الأستةِ في رمادِ القسطل
في كلِّ سابغةٍ كأنّ قتيّرها حدّقُ الجنادبِ في سرابِ المجهل
ماذبةٌ يشكو لكثرة لحمها ضُرّاً بلا نفعٍ لسانُ المُنْصُل
كغمامةٍ يجلو عليك بريقها في السرد لمع البارقِ المُتَهَلّل
يفترّ عن ثغرِ الرئاسة ، والردي جهنّمٌ يلدّ بعضّ نابٍ أعصل
إن كرّ في ضربِ الكماةِ بمرهفٍ قدّ الحديدَ على الكميّ بجداول
وتخالُ يومَ الطعنِ مهجةَ قيرنه تُجْري السليطَ على السنانِ المُشْعَل
لا تسألنّ عن بأسِهِ واقْرأه في صفةِ الحديدِ من الكتابِ المنزل
صَلّتُ الجبينَ ، على أسيرةٍ وجهه نورٌ يشرُّ إلى الظلامِ فينجلي
ثَبَتَ رصانةُ حلِمِهِ فكأنّما أرساهُ خالقهُ بهَضْبَةٍ يذبُل

ما زلتَ في رُتَبِ العُلا متنقلاً وكذا انتقالُ البدر في الفلَكِ العلي
 وموفقُ الأعمالِ تحسبُ رأيهُ صُبْحاً يقدِّ أديمَ ليلِ النِيلِ
 وتكادُ تُردي ، في الغمودِ ، سيوفهُ وتبيدُ أسهُمهُ ، وإن لم تُرسلِ
 دُمٌ للمعالي أيتها الملك الذي أسدى الأمانى من يميني مفضل
 نِعَمٌ تُنورُ في الأكفِ كما سقى عينَ الرياضِ حيّا السحابِ المُسبِلِ
 وفدتُ عليكِ سعودُ عامٍ مُقبِلِ فتلقهُ بسعودِ عزٍّ مقبلِ
 أهدي التحيةَ واستعارَ لنطقهِ من كلِّ ممتدحِ فصاحةٍ مقولِ
 وسعَى بأرضِكَ واضعاً فمهُ على تُربِ بأفواهِ الملوكِ مُقبِلِ
 وكأنَّهُ بكِ للأنامِ مهنيٌ ومبشّرٌ لكِ في علوِ المنزلِ
 بمراتبِ تُبني وبأسٍ يُتَقى وسعادةٍ تُسْمى ، وكعبٍ يعتلي

٢٥٤

وقال يمدح أبا الحسن علي بن يحيى المذكور

نهتِ الكواشعُ عنهُ والعُدّالا فكأنّما ملأتْ يديه وصالا
 أظنّها رَحِمَتْهُ من ألمِ الجوى بمخلخلٍ يسترحمُ الخلخالا
 ظمآنٌ يستسقي أجاجَ دموعِهِ من عارضِ البردِ الشنيبِ زلالا

حَتَّى إِذَا لَدَعَ الْغَرَامُ فَوَادَهُ
 مُضْنَى أَزَارْتَهُ خِيَالاً عَائِداً
 لَا يَسْتَجِيبُ لِسَائِلِ فِكَانَهُ
 كَمْ سَامِعٍ بِالْعَيْنِ مِنْ آلامِهِ
 إِنِّي طَرَفْتُ بِأَعْيُنٍ فِي طَرَفِهَا
 وَفَحَصْتُ عَنْ سَبَبِ عَصِيَّتْ بِهِ النَّهْيِ
 وَأَنَا الَّذِي صَيَّرْتُ عِلْقَ صَبَابَتِي
 فَتَصَيَّدَتْنِي ظُبِيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ
 تُجْرِي الْأَرَاكَ عَلَى الْأَقَاحِ وَظَلَمُهَا
 وَتَرِيكَ لَيْلاً فِي النَّوَابِ يَجْتَلِي
 وَإِذَا تَدَاوَلَتِ الْوَلَائِدُ مَشْطَةً
 وَتَنَفَّسَتْ بِاللَّيْلِ فِيهِ فَخِيَمَتْ
 يَا هَذِهِ لَقَدْ انْفَرَدَتْ بِصُورَةٍ
 أَمَّا الْجَفُونَ فَقَدْ خَلَقْنَ مَقَاتِلًا
 هَلْ تَطْلَعِينَ عَلَيَّ بَدْرًا عَنْ رَضَى
 شَرِبَ الْغَلِيلَ وَأَشْرَبَ الْبَلْبَالَ
 فَكَأَنَّمَا زَارَ الْخِيَالُ خِيَالًا
 طَلَّلَ ، وَهَلْ طَلَّلَ يَجِيبُ سَوَالًا ؟
 قِيلاً بِأَفْوَاهِ الدَّمُوعِ وَقَالَا
 سِحْرٌ يَحُلُّ مِنَ الْعُقُولِ عِقَالًا
 فَوَجَدْتُهُ ذُلًّا يُطِيعُ دَلَالًا
 بِصَبَابَتِي لِلْغَانِيَاتِ مُذَالًا
 وَأَنَا الَّذِي أَنْصَيْدُ الرَّثْبَالَ
 رَيْقٌ ، أَذُقْتَ الشَّهْدَ وَالْجُرْيَالَ ؟
 نُورًا عَلَيْكَ ظِلَامُهُ وَصَقَالَا
 عَرَضَ السُّرَى بِالْمِشْطِ فِيهِ وَطَالَا
 نَارٌ مُوَاصِلَةٌ بِهِ الْإِشْعَالَا
 لِلْحَسَنِ صُورَ خَلْقِهَا تَمَثَالَا
 مَنِي ، فَكَيْفَ خَلَقْنَ مِنْكَ نَبَالَا ؟
 فَأَرَاكِ عَنْ غَضَبٍ طَلَعَتْ هَلَالَا

أَلْفَيْتُ بَرْقَكَ فِي الْمَخِيلَةِ خُلْبًا وَيَمِينَ عَهْدِكَ فِي الْوَفَاءِ شِمَالًا
ما هذه الفتكات في مهجائنا هل كان عندك قتلهنّ حلالا ؟
لم لا ترقُ لنا بقلبك قسوة أَخْلَقْتَ إِلَّا غَاةَ مَكْسَالَا ؟
وظُباكِ تصرعُ دائبًا أَهْلَ الْهَوَى وَظُبًّا عَلَيَّ تَصْرَعُ الْأَبْطَالَا
ملكٌ لنصر الله سلّ مجاهدًا عَضْبًا تَوَقَّدَ بِالْمُتُونِ وَسَلَا
وإذا شدا في الهام خلت صليله عملاً وَهَزَّ غِرَارِهِ اسْتَهْلَالَا
وكأنه من كلّ درع قدّها يُغْزِي بِأَحْدَاقِ الْجِرَادِ نَمَالَا
ملكٌ إذا نظّمَ المكارمَ مثَلَتْ يَدُهُ بِهَا التَّتْمِيمَ وَالْإِيفَالَا
فدعِ الهباتِ إذا ذكّرتَ هباته : تُنْسِي الْبُحُورُ بِذِكْرِهَا الْأَوْشَالَا
ماضٍ على هَوْلِ الْوَقَائِعِ مُقَدِّمٌ كَالسَيْفِ صَمَمَ ، وَالْغَضَنْفَرِ صَلَا
يرمي بثالثةِ الأثافي قِرْنَه فَالْأَرْضُ مِنْهَا تَشْتَكِي الزَّلْزَالَا
فبأيّ شيءٍ تتقي من بأسه مَا لَوْ رَمَى جَبَلًا بِهِ لَانْهَالَا
يصلّي حرورَ الموتِ مَنْ مَدَّتْ لَهُ يَمْنَاهُ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ ظَلَالَا
هدّ الضلالَ فلم تقمُ عُمْدٌ لَهُ وَأَقَامَ مِنْ عَمْدِ الْهَدَى مَا مَسَالَا
من سادةِ أخلاقهمْ وحلومهمْ تَتَعَرَّضَانِ بِسَائِطًا وَجَبَالَا

١ التتيم والإيفال : ضربان من ضروب البديع ، اقتضاهما قوله « نظم . . . »

أَقْيَالٌ حَمِيرَ لَا يَرُدُّ زَمَانُهُمْ ۝ لَّهُمْ ، بِمَا أَمَرُوا بِهِ ، أَقْوَالًا
وإذا الكريمةُ بالحتوفِ تسعرتُ ۝ وغدتُ نواجذُها قنًا ونصالا
واستحضرَ الليلُ النهارَ بظلمةٍ ۝ طلعتُ بها زُهرُ النجومِ إلالا
نبدوا^٢ الدُّرُوعَ وقاربت أعمارهم ۝ نيل اللّٰهاذم ، والظُّبَا الآجالا
حتى كأنَّهمُ بهجرِ حياتهمُ ۝ يجدونَ منها بالحِمامِ وصالا
فهمُ همُ أسدُ الأسودِ برائنا ۝ وأرقُ أبناءِ الملوكِ نعالا^٣
يا مَنْ تَضَمَّنَ فَضْلُهُ إِفْضَالَهُ ۝ والفضلُ ما يَتَضَمَّنُ الإِفْضالا
عَيَّدَتْ بِالْإِسْلَامِ مُهْتَبِلًا لَهُ ۝ في زينةٍ خلعتُ عليه جمالا
ولبستَ فيه على شعارِكَ بالتَّقَى ۝ من ربِّكَ الإِعْظَامَ والإِجْلالا
قدَمْتَ عَدَّ بَنِيكَ فِيهِ لِمَنْ يَرَى ۝ ليثَ الكفاحِ يُرَشِّحُ الأشبالا
في جحفلٍ مَلَأَ الْهَوَاءَ خَوْفًا ۝ والسَّمْعَ رِكْزًا ، والفَضَاءَ رَعالا
وكانَ أطرافَ الذُّوَابِلِ فوقه ۝ تَذْكِي لِإِطْفَاءِ النَّفُوسِ ذُبَالا
بِالْحَيْلِ جُرْدًا ، وَالسُّيُوفِ قَوَاضِبًا ۝ والبُزْلَ قُودًا ، والرماحَ طوالا
وبعاريضِ الموتِ الذي في طيِّه ۝ وبَلٌّ يَصْبُ عَلَى عِدَاكَ وبالا

١ الإلال جمع آلة : وهي الحربة ذات النصل المريض .

٢ نبدوا : واقعة في جواب « وإذا الكريمة . . . »

٣ رقة النعال كناية عن النعمة والرفاهية ؛ وفي شعر النابغة : « رقاق النعال طيب حجزاتهم » .

تركتُ ثعابينُ القفارِ شعابها وأسودها الآجام والأغصالا
 وأنتِ معولةٌ على جيفِ العدى وحسنَ سلْمَكِ بالعجاج قتالا
 خفقتُ بنودُ ظلتِ عذباتها بهمًا تبيدُ سيوفها الضلّالا
 من كلِّ جسمٍ يحسني من ريحه روحاً يُقيم بخلقه أشكالا
 وكأنَّ أجياداً حباك جيادهُ فكسوتهنَّ من الجلالِ جلالا
 من كحلٍّ ورديٍّ رائقٍ كسميه فتخالُ من شفقٍ له سربالا
 أو أشقرٍ كالصبح يعقلُ رادعاً هيئَقَ الفلاةِ وجأبها الديالاً^٢
 أو أشعلٍ كالسيد عرّضٍ ساجاً فحسبته بالأيطلين غزالا
 أو مُشْبِهٍ لِعَسِّ الشفاهِ فكلماً رشفتُهُ بالنظرِ العيونُ أحالا
 أو لابسٍ ثوباً عليه مُريشاً وصلتُ قوائمه به أذيالا
 أو أدهمٍ كالليل ، أمّا لونه فلكم تمنى الحسنُ منه خيالا
 يطأ الصفا بالجزع منه زبرجدُ فيثيرهُ في جوه قسّطالا
 والبزلُ تنجحُ بالقياب كأنها سفنٌ مدافعةٌ صباً وشمالا
 وكأنّما حملت ربي قد نورّت وسقيينَ من صوبِ الربيع سجالا
 وكأنّما زُفّتْ لهنَّ عرائساً لتحلّ مغنّى عزك المحلالا

١ أجياد : جبل بمكة ، ذكره لذكره الجلال والرجحان ، وليحدث شيئاً من الجناس بين أجياد وحياد .

٢ الهيق : الظليم ؛ والجأب : الحمار الوحشي الغليظ ؛ والذيال : الطويل الذيل .

بكرت تعالى للهِلال وما انشئت حتى رأيت ها الهلال تعالى
 صليت ثم نحررت في سنن الهدى بدناً كنحرك في الوعى الأفتالا
 وتبع سنة أحمد وأريتنا من فعله في الفعل منك مثالا
 ثم انصرفت إلى قصورك تبني مجداً وتهدم بالماكارم مالا
 وتؤكد الأسماء في ما تشتهي من همة ، وتصرف الأفعالا

٢٥٥

وقال يمدحه عند ولايته سفاقس سنة ثمان وخمسمائة

مُسْلَعِبَ الْبَيْضِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ تَلَاعَبْتُ بِكَ حُورُ الْأَعْيُنِ النَّجُلِ
 فَخَذْتُ مِنَ الرَّمْحِ فِي حَرْبِ الْمَاهِ عِوَضاً فَالطَّعْنُ بِالسُّمْرِ غَيْرُ الطَّعْنِ بِالْمَقْلِ
 كَمْ لِلْعَلَاقَةِ مِنْ هَيْجَا رَأَيْتَ بِهَا ضِرَاعِمَ الْغَيْلِ قَتَلَى مِنْ مَهْمَا الْكَلَلِ
 وَكَمْ غَزَالَةَ إِنْسٍ أَنْحَلَسَتْ جَسَدِي بِالْهَجْرِ حَتَّى حَكَى مَا رَقَّ مِنْ غَزَلِ
 مَمْشُوقَةٌ مِلْتُ عَنْ حِلْمِي إِلَى سَقَمِي مِنْهَا بَقْدٌ مُقِيمٌ الْحَسَنُ فِي الْمَيْلِ
 تَصَدَّ بِالنَّفْسِ عَنْ سُلُوَانِهَا بِهَوَى عَيْنٍ تَكْحَلُ فِيهَا السَّحَرُ بِالْكَحَلِ
 خِدَاعَةُ الصَّبِّ بِالْأَمَالِ مَرْسَلَةٌ إِلَيَّ بِالْعَضِّ فِي التَّفَاحِ وَالْقَبْلِ
 وَنَاطِقُ الْوَجْدِ مَنِّي لَا يَكْلِمُهُ مِنْهَا إِذَا مَا التَّقِينَا سَاكْتُ الْمَلَلِ

يا هذه ، وندائي دُمِيَّةٌ طَمَعٌ
أرى سِيهَامَ لحاظٍ منك تَرَشُّقُنِي
بل ضَعْفُ طرفك في سفكِ الدماءِ له
إني امزؤ في ودادي ذو محافظةٍ
وعارضٍ مَدَّ عَرَضَ الجِوَانِسِلَتِ
ثَرَّ الشَّائِبِ ، أصواتُ الرعود به
كأنما الأرضُ تجلو من حدائقها
أحيا الإلهُ بها التربَ المواتَ كما
كفؤ كَفَى الله في الدهرِ الغشيمِ به
أقرَّ فيها أناساً في مواطنهم
وأثبتَ الله أمناً في قلوبهم
بِيَمْنٍ أَكْبَرَ لا عابٌ يُنَاطُ به
قومٌ تسوس رعاياه رعايتهُ
من يُتَّبِعُ القولَ من إحسانه عملاً
له رِجَاجَةٌ حِلْمٍ عند قُدْرَتِهِ
في نطقها ، من فقيدِ اللَّبِّ مُخْتَبِل
أفي جُفُونِكَ رامٍ من بني ثَعْلٍ ؟
أضعافُ ما للظُّبَا والنَّبَلِ والأسلِ
فما يَرَى في وفائي الخُلِّ من خَلَلٍ
في وجنةِ الأرضِ منه أدمعُ السَّبَلِ
كأنَّهِنَّ هديرِ الجِلَّةِ البُرُلِ
عرائساً في ضُرُوبِ الحَلِيِّ والحللِ
أحيا سفاقسَ يحیی بالهمام علي
خَطْباً يخاطبُ منه ألسُنَ العُضَلِ
لَمَّا تَنَادَوْا لتوديعِ ومرنحلِ
بعد التقلبِ في الأحشاءِ من وجلِ
يُؤْمِنَاهُ منشأ صوبِ العارضِ الهطلِ
بالرفقِ والعدلِ لا بالجورِ والعدَلِ
والقولُ يورقُ والإثمارُ للعملِ
أرسي إذا طاشتِ الأحلامُ من جبلِ

١ بنو ثعل : قوم من طيء مشهورون بالرمي ؛ ولا مريم القيس :
رب رام من بني ثعل متلج كفيه من قتره

في دولسة في مقرّ العزّ ثابتة
 أغرّ كالبدر يعلو سرجه أسد
 بادي التبسم والهيجاء كالحة
 ترى السلاهب من حوليه ساحة
 من كل ذي ميعه كالبحر تحسب من
 تنضو به ملة الاسلام مرهفة
 قديمة طبعتهن القيون على
 من كل أبيض في يمناه ، سلته
 جداول ترد الهيجا فهل وردت
 ندب تدآوي من الأقوام شيمته ،
 مستهدف الربع بالقصاد تقصده
 منزه النفس سمح ما له أمل
 أطاعني زماني لما اعتصمت به
 وما تيقنت أني قبل رؤيته
 يا صاحب الحلم والسيف الذي خمدت
 لو أن عزمك حدث في الكهّام لما
 كأن ذكرك والدنيا به عبقت
 فاسلم لدحك واقن العز ما سجمت

تُملي العلى من سجاياه على الدول
 أظفاره حُمُرُ أطرافِ القنّاء الذبل
 لا يتقي العض من أنيابها العصل
 ذيل العجاج على الأجساد والقلل
 أزياده سُردت ماذية البطل
 بضربهن الطلى تعلو على الملل
 ماضي العزائم من آبائه الأول
 كالبرق ، يخطف عُمَرَ القِرْن بالأجل
 ماء الطلى عن تباريح من الغلّ
 بالبأس والجود، داء الجبن والبخل
 في البحر بالفلك أو في البرّ بالإبل
 إلا مكارم يحويها بنو الأمل
 حتى حسبت زمني عاد من خولي
 ألقي كرام البرايا منه في رجل
 نارُ المنيّة فيه عن ذوي الزلل
 قدّ الضرائب إلا وهو في الخلل
 في البأس والجود مخلوع عن المثل
 سواجع الطير بالأسحار والأصل

وقال يمدحه

متى صدرت عيناكِ عن أرضِ بابلِ ؟ فسحرهُما في اللحظِ بادي المَخايلِ
 عَجِبْتُ لرامٍ كيفَ أنشَبَ منهما بسهمينِ نَصْلاً واحداً في مقاتلي
 أأنتِ التي سَقَيْتِني سَمَ حَيَةٍ وخَيَلْتِ عندي أَنَّهُ شَهِدُ عاسِلِ
 فيا نارَ وجدي كيفَ عشتِ تضرُّماً بماءٍ من الأَجْبانِ للنَّارِ قاتِلِ ؟
 ويا رَفَعَ أَشْواقِي لقلبي وخَفَضَها متى كانَ للأَشْواقِ فَعْلُ العِوامِلِ ؟
 وذِي جَهْلَةٍ بِالْحَبِّ أَعْلَمْتُهُ بما ثَناهُ عذيري بعدما كانَ عاذلي
 وقلْتُ له : إنَّ الهوى لَأَخْوالِوغي ولا بُدَّ فيه للَفَى من مُنازلِ
 حذارِ حِساماً حَدُّهُ لَحْظَةٌ فما يُسَمِّي غِشاءُ العَيْنِ جَفْناً لِباطِلِ
 وأَكْثَرُ ما تَرَوِي السِّيوفُ التي نَضا بها من عَقولِ النَّاسِ فَتَحَ المِعاقلِ
 أَقارِعَةٌ سَمْعِي بِثِقَلِ عتابِها يَخْفَ على سَمْعِي سَماعُ الثَّقائِلِ
 متى يَتَسَلَّى عَنكَ صَبٌّ فَوادُهُ كَأَنَّ الهوى مُغَرِّى به غَيْرُ ذاهِلِ
 وكيفَ وفي عَينِكَ قانِصُ فَنَنَةٍ تَقَنِّصَنِي من غَيرِ نَصْبِ حِباثِلِ
 أَرى شَعَرَآتي السَّودَ قادتُكَ في الصِّبا وَقَطَعْتَ في عَصْرِ المَشِيبِ سِلاسلِ

فَهَلَا وَشَعْرِي [. . . .] لَصِبْغَةٍ
وَعَبْتِ لَبُوسِي إِذْ غَدَا دُونَ هِمَّتِي
وَهَلْ يُحَمَّدُ الْهِنْدِيَّ مِنْ حَلِيَّةٍ لَهُ
وَمَا أَرْقَ الْأَجْفَانِ إِلَّا بِلَابِلُ
رَقِيقَةٍ أَطْرَافِ الْغَنَاءِ كَأَنَّهُ
تَنَالُ صِغَارَ الْحَبِّ لِقْطًا وَتَحْتَسِي
لَدَى رَوْضَةٍ كَالْمَسْكِ فِي أَنْفٍ نَاشِقٍ
سَقَّاهَا الْحَيَا فَاسْتَوْعَبَتْ مِنْهُ رِيَّهَا
كَأَنَّهَا بِالْحَزَنِ حِجْرَ أَمِينَةٍ
يَنَامُ كَوَقْفِ الْعَاجِ فَصَلَ مَتْنُهُ
وَتَحْتَسِي عَلَيْهِ الْخَطْفَ مِنْ كُلِّ كَاسِرٍ
حَدِيقَةُ نَوْرِ دَامِعِ الْعَيْنِ ضَاحِكٍ
وَرَبِيعَةُ الْأَزْمَانِ طَلْقٍ هَوَاوْهَا

١ تشرب الماء القليل « الشاد » بمناقير كأنها أقلام مشقوقة .

٢ العصب : نوع من البرود . التسهيم : التخطيط . النائل : الآخذ .

٣ هو من قول ذي الرمة في تشبيه ابن الطيبة وهو نائم :

كَأَنَّهُ دَمَلَجٌ مِنْ فَضَّةٍ نَبِيٍّ فِي مَلْعَبٍ مِنْ غَدَارَى الْحَيِّ مَفْصُومٍ

والوقوف : السوار .

كأنَّ ابنَ يحيى والحيا صنوُ جودهٍ سقى تُربَّها صَوْبَ الغواصي المَواطِلِ
 ملكٌ له في المُلْكِ سَمْتُ مَوْقَرٍّ وهيبُهُ مرهوبٍ ، وسيرةٌ عادِلِ
 عَظِيمُ رَمادِ المَنَدَلِ الرَطْبِ ، نارُهُ ترى الجَوى منها في دُخانٍ مواصِلِ
 وجزلُ الأيادي مُغْمِدٌ لِعُفَاتِهِ سيوفَ الأمانِي في رِقابِ الفَواضِلِ
 وتلك بِحورٌ من عَطاياهِ ، أنشِئتُ لها سَفْنُ الآمالِ ، لا للجِداولِ
 أبىُّ أبى إلا انتصاراً لِدِينِهِ بصاعقةٍ مَحْمولَةٍ في الحِماثِلِ
 هو اللبثُ إلا أن رفعةَ تاجِهِ على قَمَرٍ في هالَةٍ المُلْكِ كامِلِ
 له نُورٌ بشرٍ تُتَقَى سَطَوَاتُهُ وكالنارِ في الإحراقِ ماءُ المِفاصِلِ
 يوجُهُ وَجَهُ الحَربِ نحو عُدَاتِهِ ويحشو حَشَاها بالقَنّا والقَنابِلِ
 وما عَقَدَ الرِاياتِ إلا تَحَلَّلَتْ به عَقْدُ الآراءِ بين القَبائِلِ
 له عَمَلٌ^١ يَسْتَفِرُقُ القَولَ في العُلَى وكم في الوَرَى من قاتِلٍ غَيرِ عامِلِ
 ورفعَ إليه كُلُّ عَيسٍ تَيمَمَتْ معالِمُهُ بعدَ اعتِسابِ المِجاهِلِ
 وكلُّ سَفينٍ تَحَرُّثُ المِاءَ عَومًا إذا هي شَقَّتْ لُجَّةً بالكِلاكلِ
 فَي لا يُحَيِّي القِرْنَ إلا بِضَربَةٍ تَسْلُ لسانَ السِيفِ عن شِدْقِ بازِلِ
 يَشَقُّ أَضَاةَ الدَرعِ فوق كَيمِها بِجدولٍ بِأسٍ مِنْهُ لُجَّةٌ نائِلِ^٢

١ في ف و م : محمل .

٢ النائل : المعروف .

تري ضيغمَ الأبطالِ يعنو لعزّه
ويصعبُ بعدَ الضربِ إغماذُ سيفهِ
ألا إن آسادَ الوقائعِ حميرُ
غطارفةٌ شُمّ العرائنِ قادةُ
إذا ما سَطَوْا سرّوا بكفّ شدّاتهمْ
كأنّ ندى أيمانهم نورَتْ به
وما هي إلاّ مشرعاتُ أسنةُ
إليك حدا الإنشادُ كلّ نجيةٍ
ومدحكٍ منها خصّ كلّ لطيمةٍ
وتدركُ أعلى من مدائحنا التي
وإن قصّرتُ عن غايةٍ فلعلّها
وإن ننظمِ الدرّ الذي أنت بحرهُ
فلا زالتِ الأعيادُ في كلّ عودَةٍ
ذليلاً كما استخذى أكيلاً لا كل
لكلّ دمٍ في متّنه غير سائل
نعمًا ، وهم غرّ الملوك الأوائِل
يعلّونَ أطرافَ الرّماحِ النواهل
وإن حاربوا جرّوا ذيولَ الجحافل
ذوابلُهم ، فاعجبُ لينورِ ذوابل
عطاشُ تروى في حياضِ المقاتل
مرحّلةٍ ، إرقالها في المحافل
بمسكٍ مقيمٍ في التّارّجِ راحل
أبرتُ على إحسانِ مصقّعِ وائلٍ
تصيرُ تحجيلاً لغرّ الفضائل
ففضلُك ألقاهُ لنا في السواحل
تري الدينَ من مغناك في ظلّ كافل

وقال يرثي القائد أحمد بن إبراهيم بن أبي بريدة

حركاتٌ إلى السكونِ توؤلُ كلُّ حالٍ مع الليالي تحوُلُ
 لا يصحُّ البقاءُ في دارِ دنيا ومتى صحَّ في النّهْيِ المستحيلُ ؟
 والبرايا أغراضُ نَبَلِ المنايا وهي أُسْدٌ ، لها من الدهرِ غيلُ
 كيف لا تسلبُ النفوسَ وترُدِّي ولها في الحياة مرعى وبيل
 ماتَ من قبلِ ذا أبوكَ بداءِ أنتَ من أجلِهِ الصحيحُ العليل
 وإذا اجتثَّ أصلُ فرعٍ تَبَقَّى فيه ماءٌ من الحياةِ قليل
 ما لنا نتبعُ الأمانِيَّ هلاَّ عَقَلَتْنَا عن الأمانِي العقول
 كم جريحٍ تعلقَ الرّوحُ منه [بالتمني]^١ والجسمُ مند فتل
 وبطيءُ الآمالِ يسعَى بحرصٍ خَطَفَ^٢ العيشَ منه حتفٌ عجول
 عَمِيَ الخلقُ عن تعادي خيولٍ ما لها في الهواءِ نَقْعٌ مهيل
 تنقلُ الناسَ من حياةٍ إلى مو تِ ، على ذاكَ مرَّ جيلٌ فجيل
 وبدهمِ تمرَّ منها وشهبٍ أَمِنَ الليلِ والنهارِ خيول ؟

١ يياض في ف .

٢ في ف : خطب .

سَهَّلُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كُلَّ صَعْبٍ فَالرَّدَى لَا يُقِيلُ مَنْ يَسْتَقِيلُ
وَاسْتَدَلُّوا عَلَى النِّفَادِ بِعَادٍ : يَذْهَبُ الشُّكُّ بِالْيَقِينِ الدَّلِيلُ
أَيُّ رِزْءٍ حَكَاهُ مِقْوَلُ نَاعٍ صَمَّ هَذَا الزَّمَانُ عَمَّا يَقُولُ
فَلَقَدْ فَتَّتْ الْقُلُوبَ وَكَادَتْ رَاسِيَاتُ الْجِبَالِ مِنْهُ تَزُولُ
لَمْ يَمْتَ أَحْمَدُ أَخُو الْبَاسِ حَتَّى مَاتَ مَا بَيْنَنَا الْعِزَاءُ الْجَمِيلُ
يَوْمَ قَامَتْ بِفَقْدِهِ نَائِحَاتٌ فِي لَبُوسٍ مِنْ حُزْنِهِنَّ يَهُولُ
غُمِسَتْ فِي السَّوَادِ بَيَاضُ وَجْهِهِ فَكَأَنَّ الطُّلُوعَ فِيهِ أَفْوَلُ
وَعَلَى مَجْلَسِ التَّنْعَمِ بُؤْسٌ فَبَدَّلُ السَّمَاعِ فِيهِ الْعَوِيلُ
وَتَوَلَّتْ عِنْدَ التَّنَاهِي افْتِرَاقًا وَمَضَى رَبُّهُ الْوَفَى الْوَصُولُ
أَسْمَعَ الرِّعْدُ فِيهِ صَرْخَةَ حُزْنٍ مَلَأَ لَيْلَ الْحَزِينِ فِيهِ أَلِيلُ
وَدَمَوْعُ السَّمَاءِ فِي كُلِّ أَرْضٍ فَوْقَ خَدِّ الثَّرَى عَلَيْهِ تَجُولُ
وَحْشَا الْجَوِّ حَشَوُهُ نَارُ بَرْقٍ إِنَّهُ فِي ضُلُوعِهِ لَغَلِيلُ
أَتَرَى الْغَيْثَ بَاتَ يَبْكِي أَخَاهُ فَبَكَاءُ الْعُلَى عَلَيْهِ طَوِيلُ
قَائِدَ الْخَيْلِ بِالْكِمَاةِ سِرَاعًا وَالضُّحَى مِنْ قَتَامِهِنَّ أَصِيلُ
أَيُّ فَضْلٍ نَبَكِيهِ مِنْكَ بِدَمْعٍ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ تَسِيلُ

أعفاً أم نجدةً كنت فيها قسور الغيل والكريهة غول
أم شاباً كأنما كان روضاً ناضراً فاغدى عليه الذبول
واكتسى في ثرى تغيب فيه صدأ ذلك الجين الصقيل
كنت كالسيد للعدى ، والمنايا مقبلات كأنهن سيول
وليصوب السهام حوليك وبلى لاخضرار الحياة منه ذبول
طار صرف الردى إليك برشقٍ خف ، والخطب في شباه ثقيل
سهمٌ غرب أصاب ضيغم حربٍ خاض في العيش منه نصلٌ قتول
هابك الموت إذ رآك مسحاً^١ بطلاً ، لا يصول حيث تصول
لو بدا صورةً إليك لأضحى في ثرى القبر وهو منك بديل
فرمى عن دجنة النع نحرأ^٢ منك ، والجو بالظلام كحيل
وإذا خاف من شجاع جبان غاله منه جاهداً ما يغول
كنت سهم البلاء يرفع سهم فيه للنفس بالحمام رسول
كم جواد بكاك غير صبور فنيح عليك منه الصهيل
وحسام أطل في الجفن يوماً لم ينبّه^٣ بالقرع الصليل

١ كذا في ف ولعلها : مخشاً .

٢ في ف : جنة النع بحرأ ، وهو مصحف ولعلها : فرمى عن حنية النع نحرأ ؛ يعني بحنية النع : القوس .

أَيُّهَا الْقَائِدُ الْأَبِيَّ عَزَاءُ فُتُوأُ الْمَقِيمِ مَنَا رَحِيلَ
وَجَلِيلُ مُصَابُ أَحْمَدَ لَكِنْ يُصْبِرُ النَّفْسَ لِلْجَلِيلِ الْجَلِيلِ

٢٥٨

وقال أيضاً

تخریجها : البيتان ١ ، ٢ في التكملة والوافي

حرر لمعناكَ لفظاً كي تُزَانَ به وقل من الشعر^١ سحرّاً أو فلا تقبل
فالكحل لا يفتن الأبصارَ منظره^٢ حتى يُصَيَّرَ حَشَوَ الأعينِ النُّجُلِ

٢٥٩

وقال يصف فرساً

ومديد الخطى كأنك منه تضعُ اللَّبَدَ فوق تيارٍ سِيلِ
قيدٌ وحشٍ ، ملاذُ خائِرٍ وهنٍ^٢ وقرى معقلٍ ، وحارسُ ليلِ
أُسْبِقُ الرِّيحَ^٣ فوقه فإذا ما فتّها أمسكتُ بفضلةِ ذيلي

١ في ف : السحر .

٢ هذه القراءة مقاربة لما في ب ، وفي م : بلا ذخائر . ولعلها : ملاذ حائز رهن .

٣ في ب : الخيل .

وقال أيضاً رحمه الله عز وجل

أرى الموتَ مرتعُهُ في الفحول وأعنت للأخطات الأملُ [؟]
وربّما سالَ بعضُ النفوس وبعضُ لها بالمتى مُشتغل

وقال

أيا ربّ عفواً عن ظلومٍ لنفسه رجاك وإن كان العفافُ به أولى
مقيمٌ على فعلِ المعاصي مُخالفٌ توالى عليه الغي [. . .] فاستولى
سألتك يا مولى الموالى ضراعةً وقد يضرعُ العبدُ الدليلُ إلى المولى
لتصلح لي قلباً ، وتغفر زلةً وتقبل لي توباً ، وتسمع لي فعلاً
ولا عجبٌ فيما تمنيتُ ، إنّي طويل الأمانى عند من يحسن الطولا

وقال أيضاً

أَيُّ رَوْحٍ لِي فِي الرِّيحِ الْقَبُولِ وَسَرَّاهَا مِنْ رَسُومِي وَطُلُولِي
وِظْبَاءٍ أُمِنْتُ مِنْ قَانَصٍ لَمْ يَنْلَهَا الصَّيْدُ فِي ظِلِّ الْمَقِيلِ
نَشَرْتُ عِنْدِي أَسْرَارَ هَوَى كُنْتُ أَطْوِيهِنَّ عَنْ كُلِّ خَلِيلِ
وَأَشَارْتُ بِالرَّضَى ، رُبَّ رَضَى عَنْكَ يَبْدُو فِي شَهَادَاتِ الرُّسُولِ
عَجَبِي كَيْفَ اهْتَدْتُ مُهْدِيَةً خَصَّرَ الرِّيَّ إِلَى حَرِّ الْغَلِيلِ
مَا دَرْتُ مَضْجَعَ نَوْمِي إِنَّمَا دَلَّهَا لَيْلِي عَلَيْهِ بِأَلْيَلِي^١
لَسْتُ أَبْغِي لِسْقَامِي آسِيَا فَبَلُولِي مِنْهُ بِالرِّيحِ الْبَلِيلِ
طَرَفُهُ أَشَعْتُ . كَالسَّيْفِ سَرَى حَدَّةُ بَيْنِ مِضَاءٍ وَنَحُولِ^٢
عَبَّرْتُ بَحْرًا إِلَيْهِ وَاتَّقْتُ حَوْلَهُ بَحْرًا مِنْ الدَّمْعِ الْهَمُولِ
يَا قَبُولًا قَدْ جَلَا صِقْلُهُ صَدَأُ عَنْ صَفْحَةِ الْمَاءِ الصَّقِيلِ
عَاوِدِي مِنْكَ هُبُوبًا فِيهِ لِي وَجَدَ الْبُرَّةَ عَلِيلُ^٣ بِعَلِيلِ

١ الأليل : التوجع والحزن .

٢ في م : وسحول .

كـرياحٍ عـلـلـتـنـي بِـمـنـى^١ كـدـنـ يـثـبـتـنـ جـوازـ المـسـتـحـيـل
 أـصـبـاً هـبـتـ بـريـحـانـ الصـبـا أو شـمالـ أـسـكـرتـنـي بـالـشـمـول
 حـيـثُ غـنـتـنـي شـواـدي رـوضـةٍ مـطـرـبـاتٍ بـخـفـيـفٍ وـثـقـيـل
 فـي أـعـاريـضـ قـصـارٍ خـفـيـتـ دـقـةً فـي الـوـزـنـ عـن فـهـمـ الخـلـيـل
 وـلـحـونٍ حـارٍ فـيـها مـعـبـدٌ وـلـه عـلمٌ بـمـوسـيـقى الـهـدـيـل
 وـالـدـجـى يـرـنـو إـلى إـصـباحـهـ بـعيـونٍ مـن نـجـومـ الجـو حـول
 خـافـ مـن سـيـلٍ نـهـارٍ غـرقاً فـتـولـى عـنـه مـبلـول الذـيـول
 زـرعـ الشـيـبُ بـفـودـي الأـسـى فـنـما مـنـه كـثـيرٌ مـن قـلـيـل
 فـحـسـبـتُ البـيـضَ مـنـها أنـجـماً عـن يـياضٍ لـاذَ مـنـي بـالأـفـول
 كـلٌ مـن يـنـظـرُ مـن عـيـطٍ الصـبـا نـظـرَ المـعـجـبِ بـالـخـلق الجـمـيـل
 فـجـوازـي بـاضـطـرارٍ عـنـدهـا كـجـوازٍ الفـتـح فـي الحـرفِ^٢ الدـخـيـل
 كـيـف لي مـنـها إـذا ما غـضـيـتـ بـرـحـتـنـي مـحـنةُ السـخـطِ القـتـول
 غـادـةٌ يـأخـذُ مـنـها بـابلٌ طـرفَ السـحـرِ عـن الطـرفِ الكـحـيـل
 فـإذا قـابلَ مـنـها لـحـظـهـا فـلـلـت مـنـه حـديـداً بـكـلـيـل

١ في م : ثمناً .

٢ في م : الحرب .

حرف الميم

٢٦٣

وقال أيضاً

أظلمُ منكِ تعلّمتُ ظلمي حرباً^١ وكانت قبل ذا سلمي
كانت بهجري غيرَ عالمةٍ فهديتها منه إلى علم
هذا وفاقٌ عن مخالفةٍ كالزيرِ تُصلِّحُهُ على البم
خودٌ تلقنُ تربها حُججاً كالبتِ مُصْغِيَةً إلى الأم
والغادتانِ تفيضُ بينهما خُدعُ الهوى وقطيعَةُ الحلم
إنَّ النّواعمَ في العتابِ لها غرضٌ إليه جميعها ترمي
لو قدّ وقفتِ على ضنّى جسدي لوقفتِ باكيةً على رسم
ورأيتِ أضداداً أذوبُ بها : حرقاً تُشبّ ، وأدمعاً تهمي
وبنفسِي الخودُ التي برئتُ في قتلها نفسي من الاثم

١ في م : حربي .

لمياءُ تبسمُ عن مؤشّرةٍ تجلو الظلامَ ببارقِ الظلم
وتخوضُ من سَفَه الصِّبَا ملحاً فتحلّ منك معاقدَ الحِلْم
مرتٌ تَمِيسُ فقلتُ: هل سكرتُ من ريقها بسُلافةِ الكرم
كَمُنَعَمِ الأطرافِ ، بلّلهُ شَرَقُ النسيمِ بريقهِ الوَسْمِ

٢٦٤

وقال أيضاً

تخريجها : البيت الرابع منها في الوافي .

وليلٍ رَسَبْنَا في عُبَابِ ظَلامِهِ إلى أن طفا للصبح في أفقه نجمُ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا فيه سَبَعُ جواهرٍ فواصلُها جَزَعُ به فُصْلَ النظم
وتحسبها من عسكر الشهب^١ سُرْبَةٌ عماثهم^٢ بيضٌ ، وخيلهم دُهمُ
كَأَنَّ السُّهْلَ مضى أتاها بنعشه بنوه^٣ وظنوا أن موتته^٤ حَتَمُ
كَأَنَّ انصداعَ الفجر نارٌ يَرَى لها وراء حجابٍ حالكٍ نَقَسٌ^٥ يسمو

١ في ب : في جحفل الشهب .

٢ في هامش ف : لعله : لهم لم .

٣ في ب : ذووه .

٤ في ب والوافي : ميتته .

وتحسبهُ طفلاً من الرّومِ طَرَقَتْ به من بناتِ الزنجِ قائمةً ١ أمّ
أُعْلِمَ في أحشائها أنْ عُمَرَهُ لدى وُضْعِهِ يومٌ ، فشيّبه الوهم ؟
وذَرَتْ لنا شمسُ النّهارِ مذيبةً على الأرضِ روحاً في السّماءِ له جسم

٢٦٥

وقال أيضاً

أرسلتُ طَرْفي يقتضي طرفَها وَعَدَاً به أبرىءُ أسقامي
فعاد عنه للحشا جارحاً كرجعةِ السهمِ إلى الرّامي
فقاتلي طَرْفي لا طَرْفُها والجفنُ من جرحِ الحشا دام

٢٦٦

وقال أيضاً

وطيِّبةِ الأنفاسِ تحسبُ وصلَها وَمَنْ واصلته جنةُ المتنعم
تفتَحَ وردُ الخدِّ في غضنِّ قدّها وتَوَرَّ فيه أقحوان التّبسم

١ مصححة عن ب وفي م : نائية .

كَأَنَّ اسْتِمَاعَ اللَّفْظِ مِنْهَا تَعَلَّلٌ^١ بِلَذَّةِ رَاحٍ وَاقْتِرَاحِ تَرَنَّمِ
تُحَدِّثُنِي بِالسَّرِّ فِي ثِنِينِي سَاعِدِي فَيَسْمَعُ نَجْوَى السَّرِّ مِنْ فَمِهَا فَمِي
إِذَا مَا الثَّرِيَّا رَحَلَ اللَّيْلُ شَمْلُهُ^٢ لَهَا فِي يَدِ الْإِصْبَاحِ بَاقَةٌ أَنْجَمِ
وَجَدْتَ ثَنَائِيهَا الْعِذَابَ كَأَنَّمَا تَعَلَّلَ بِمَسْكِ فِي رَحِيقٍ مُخْتَمِّمِ

٢٦٧

وقال أيضاً

بِحُكْمِ زَمَانٍ يَا لَهُ كَيْفَ يَحْكُمُ^١ يُحَرِّمُ أَوْطَانًا عَلَيْنَا فَتَحَرِّمُ^٢
لَقَدْ أَرَكِنِي غَرْبُهُ الْبَيْنَ غَرْبَةً^٣ إِلَى الْيَوْمِ عَنْ رَسْمِ الْحَمَى بِي^٤ تَرَسُّمُ^٥
إِذَا كُلٌّ غَنِي مِنْ سَنَاءِ الصَّبْحِ أَشْهَبُ^٦ تَنَاولَ حَمَلِي مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَدْهَمِ
وَتَحْسَبُهُ يَرْتَاضُ فِي غَرْسِ حَمَلِهِ^٧ وَيُسْرِجُ فِيهِ لِلرَّكُوبِ وَيُلْجَمُ^٨
لِكُلِّ زَمَانٍ وَاعْظُ ، وَعَظُهُ كَمَا يَخْطُ كَلَامًا بِالْإِشَارَةِ أَبْكَسَمِ^٩
وَحَادٍ رَمَى بِالْعَيْسِ كُلِّ مُضِلَّةٍ^{١٠} كَأَنَّ عَلَيْهِ مَجْهَلَ الْفِيحِ مَعْلَمِ^{١١}
وَقَدْ نَحَرَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ عَلَيْهَا نُحُورَ الْبِيدِ فِي الْعِزْمِ أَسْهَمِ^{١٢}

١ في ف ، م : شمه .

٢ في ف : الحمى ، وفي م : الحمائر .

٣ كذا في ف ولم أتبينه .

وأوجفَ حوليها الكماةُ ضوامراً
فمن راكبٍ يأتي به الخصبَ بازلً
فلانٌ تُسرِّ في ليلٍ وجيشٍ فلانها
وصيدٌ يصيدون الفوارسَ بالقنا
ويستطعمون السَّمَّ والبيضَ [إنها]
دعتهمُ بروقٌ بالأكفَ مشيرةٌ
عصاً شملهم شُقَّتْ^٢ فشرقَ مُنجدٌ
وما قدَّ قدَّ السيرَ بالطُولِ سيَرهم
طوى البعدُ عنا، فانطوينا على الجوى
دعونا نسايرُ حادياً قادَ نحوها
فما هذه الأحداجُ إلّا قلوبُنا
بنفسيَ من حورِ الملها غادةٌ لها
ينمّ عليها طيبُ ريتا كلامِها
أرجعُ بالشوقِ الحنينَ وإنما

فلا سُنْبُكُ^١ إلا يساريه^١ مِنسَم
ومن فارسٍ يَصْلَى به الحربَ شيطم
سفائنُ برٍّ بينَ بحرينِ عوَم
إذا نَكَلَ الأبطالُ في الرّوعِ أقدموا
نيوبٌ وأظفار بها الأسدُ تَطْعَمُ
إليهم ، وعينٌ عَرَفُها يتنَسَم
إلى طيّةٍ^٣ منهم ، وغَرَبَ مُتَنَم
ولكنما المنقذُ قلبي المتيسم
نواعمَ تُشْقِي^٤ بالنعيم ، وتنعم
مسامعنا منه الحداءُ المنغم
حبائنا فيها سرائرُ تُكْتَمُ
فمٌ عن شديدِ الخوفِ بالصمتِ مُلجَم
فيدري غيور أنها تتكلم
يهيجُ حنيني عودُها حين يُرْزَم

١ كذا في ف وم ولعلها : يباريه .

٢ في ف وم : شمت .

٣ في ف وم : طيبة .

٤ في ف : نشقى .

قد سَفَرَتْ في تَوْضِيحٍ فَتَوَضَّحَتْ مسالكةٌ للسفرِ ، والليلُ مظلم
 مَرَّتْ على سِقْطِ اللّوَى فتساقطتْ دموعٌ عليها ، دُرّها لا ينظّم
 رُقدَ ضَرَجَتْ ثوبِي لدى عَيْنِ ضَارِجٍ عليّ جفونٌ ، ماؤها بالأسى دم
 معاهدُ^١ ما زال امرؤ القيس بينها يُعبّرُ عن عهدِ الهوى ويترجم
 تَوَهَّمْتُهَا حُلْمًا بها فذكرتُها وقد يذكرُ الإنسانُ ما يتوَهَّمُ
 وإني لآوي من زمانٍ لبستهُ إلى ذِكْرِ تأسو فؤادي وتكلّم
 لياليَ تسبي اللبّ منه سيئةٌ تناولها من كافرِ القلبِ مُسلم
 سلافةُ كرمٍ لبس يسخو بمثلها لغيرِ فتى تحظّى لديه وتُكرّم
 يُطافُ بها في حُمرةِ الوردِ جوهرًا له عَرَضٌ وهو السرورُ المُحرّم
 يسبُغُ فمي في شِدَّةِ السكرِ صِرْفَهَا وما فرحةٌ في السمعِ إلا الترنّم
 فله عمرٌ مرّ بي فكأنتني به في جنانِ الخلدِ قد كنت أحلم
 لياليَ روضُ العيشِ غصّ وماؤه نيرٌ ، ومنقوضُ الشيبةِ مُبرّم

١ هي المعاهد التي ذكرها في الأبيات السابقة وهي توضح وسقط اللوى وعين ضارج وكلها مذكورة في شعر امرئ القيس .

وقال أيضاً

يا دارَ سلمى لو رَدَدَتِ السلامُ ما همّ فيك الحزنُ بالمستهامُ
همودُ رسمٍ منك تحتَ البلى محرّكٌ مني سكونَ الغرامِ
لمتُ عليكِ الدهرَ في صرْفِهِ وقلتُ للأحداثِ صمّي صمّامِ
وقامَ في الخبرِ لمُستخبرٍ سكوتُ مغناكِ مقامَ الكلامِ
يا بارقَ الجوّ تبسّمَ بها وابكِ عليها بدموعِ الغمامِ
وجلّها بالنّورِ من روضةٍ تنفضُ عن فأرةٍ مسكٍ ختامِ
حتى أرى عنها ظباءَ الفلا مُرحّلاتٍ بظباءِ الحيامِ
من كلّ هيفاءٍ غلاميّةٍ ملتبسٌ بالغُصنِ منها القوّامِ
تديرُ عيني رشٍ فيهما من فترّةٍ الطرفِ شبيهُ السقامِ
تروحُ والعنبرُ والعودُ في ليلٍ من الفرعِ صقيلِ الظلامِ
تمنعُ أختَ الشمسِ منها فما فيه أخو الدّرّ وأختُ المدامِ
لو أنّ لي حكماً بربيعِ الحمى أعطيتُهُ من كلّ خطبِ ذمامِ
حتى أرى بالوصلِ حبلَ الهوى لا يتّقى بالينِ منه انصرامِ

وقال يذكر عرباً صحبهم بأرض المغرب ويتشوق إلى بلده ويمدح قومه
أهل سرقوسة^١ صقلية :

رعى وَرَقُ البِيضِ الذي زهرُهُ دَمٌ بهم ورقاً عن زهره الروضُ يَسْمُ
جبابرةٌ في الرُّوعِ تعُدُّو جِيادُهُمْ بهم فوق ما سَحَّ الوشيجُ المَقُومُ
تنوءُ بهم في ذُبُلِ الخَطِّ أنْجُمٌ سحائبها نَقَعٌ ، وأمطارها دم
تَرَحَّلُ من آجامها الأُسْدُ^٢ خيفةً إذا نَزَلُوا للرَّعْيِ فيها وخَيِّمُوا
ترى كلَّ جَوْ^٣ من قناهم ونَقَعِهِمْ يُمَكِّوْكَبُ إن ساروا بهم ، وَيُعْتَمُ
فِيصَاحُ غداةَ الرُّوعِ عَزَّ سَكوتهم وألسنةُ الأغمادِ عنهم تُشْرِجِمُ
كَأَنَّ بِأَيْدِيهِمْ إذا ضَرَبُوا الطُّلَى عزائمهم ، لو أَنَّها تَتَجَسَّمُ
إذا ما اسْتَوَى فِعْلُ المنايا وفعلهم بأرواحِ أبطالِ الوَغَى فهمُ هَمُ

١ في ف : سرقوسة .

٢ في ب : الوحش .

٣ في ف : كل نقع .

٤ في ب : إليه .

٥ في ب : الحرب .

٦ في ب : بأفعال .

أَعَارِبُ أَلْقَى فِي نَتِيجَاتِ حَيِّهِمْ^١ لَهُمْ أَعُوجُ^٢ مَا يُوْجِفُونَ^٣ وَشَدَقَمَ^٤
صَحْبَتَهُمْ^٥ فِي مَوْحِشِ الْأَرْضِ مُتَقَفِرٍ بِهِ الذُّبُّ يَعُوي وَالْغَزَالَةُ تَبْغَمُ
سَقَى اللَّهُ عَيْنًا عَذْبَةً الدَّمْعِ أَنْ بَكَتْ حَظَارًا^٦ بِهَا لِلْجَسْمِ قَلْبٌ مُتَسِيمٌ
بِلَادُ^٧ تَلَاقِنِي السِّدْرَارِيَّ كَلَّمَا طَلَعْنَ^٨ عَلَيْهَا وَهِيَ عَنْهُمْ نَوْمٌ
بَارِضٍ يُسَيِّتُ الْهَمَّ عَنْكَ سُرُورُهَا وَيَمْحُو ذُنُوبَ الْبُؤْسِ فِيهَا التَّنْعَمُ
وَكَمْ لِي بِهَا مِنْ خَلٍّ صَدَقٍ مُسَاعِدٍ مُهِنٍ الْعَطَايَا ، وَهُوَ لِلْعِرْضِ مَكْرَمٌ
يَقْفِضُ^٩ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ سَمَاحَةً عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَجْدَةٍ يَتَضَرَّمُ
إِذَا فَرَّتِ الْأَبْطَالُ كَرًّا ، وَسَيْفُهُ يُحِلُّ^{١٠} بِيَمْنَاهُ دَمَ الْعَلَجِ ، مُحْرَمٌ
يَمُوجُ^{١١} بِهِ بِحَرِّهِ كَأَنَّ حِسَابَهُ عَلَيْهِ دِلَاصٌ^{١٢} سَرْدُهَا مِنْهُ مُحْكَمٌ

* * *

وَنَحْنُ بَنُو الشَّغْرِ الَّذِينَ تُغْوِرُهُمْ^{١٣} إِذَا عَبَسَتْ حَرْبٌ لَهُمْ تَتَبَسَّمُ^{١٤}
وَمَنْ حَلَّابِ الْأَوْدَاجِ يُغْنِي فُطَيْمِنَا بِحِجْرِ^{١٥} مِنَ الْهَيْجَاءِ سَاعَةً يُفْطَمُ^{١٦}
لَنَا عَجْزُ الْجَيْشِ الْهَامِ وَصَدْرُهُ بِحَيْثُ صَدُورُ السِّدْرِ فِينَا تُحْطَمُ^{١٧}

١ في م : أبقى في تباريح حبه ، وما أثبتته أقرب إلى صورة النص في ف ؛ والنتيجات جمع نتيجة وهي التي تلد من خيل وإبل .

٢ في ف : لهم أعرج ما يعرجون .

٣ أعوج : فرس كريم تنسب إليه الخيول الأعوجيات . شدم : اسم فعل من فحول الإبل .

٤ في ب : دياراً .

٥ في ب : موج .

يضعفُ إن عُدَّ الفوارسُ عَدُنَا
نؤخرُ للإقدامِ في كلِّ ساقَةٍ :
فإن كان للحربِ العوانِ مُعَوَّلٌ
وتسجُ يومِ الرّوعِ من نسجِ جردنا^١
فمن كلِّ مَقْدَامٍ على أعوجيّةٍ
وطائرةٍ بالذّمْرِ ملءِ عنانها
رمينا عداةَ الله في عَقْرِ دارهم
تعمُ بها بين العلّوجِ مُظِلَّةٌ
فمن حاملٍ من غيرِ فحلٍ يُنِيخُها
ومنسوبةٍ للحربِ مُنْشَأَةٌ لها
كأنَّ قسيّاً في مواخرها التي
وترسلُ نِفْطاً يركبُ الماءَ مُحْرِقاً
كأنَّ الشجاعَ الفردَ فينا عرمرم
تأخرُ ما يلقى الختوفَ تَقَدَّمُ
علينا فما كلَّ الكواكبِ ترجم
علينا ملاءً بالقشاعمِ ترقم^٢
بكراتها طيرُ الملاحمِ تلحم
لها الفضلُ في شأوه البروقِ مُسَلِّم
بعاديةٍ في غمرةِ الموتِ تُفْصَحَم
كما حلقتُ فُتُخَّ على الجوّ حُوم
إذا وَضَعَتْ في ساحلِ الرّومِ صَيْلَمٌ^٣
طوائِرُ بالآسادِ في الماءِ عُوَم
يُفَوِّقُ منها في المقادمِ أسهم
كمُهْلٍ به تشوي الوجوهَ جهنم

١ في ف : ساعة . . . تأخرنا .

٢ في ب : أيدي جيانا .

٣ هذا البيت مقدم على الذي قبله في ف .

٤ في ب : صنديد .

٥ في ف : شأن .

٦ الصيلم : الداهية .

مدائنُ تغزو للعلوجِ مدائنًا
ومتَّخِذي قُمْصِ الحديدِ ملابسًا
كانَّهمُ خاضُوا سرابًا بِقِيَعَةٍ
صَبَرْنَا لَهُمْ صَبْرَ الكرامِ ولم يَسْغُ
فغادرَ أفواهاً بهم هبرُ ضربنا
وإنَّ بأيدينا الحديدَ لناطقُ
وأجنحةُ الراياتِ فينا خوافقُ
أَمِنْ أُبْرُقٍ بالدارِ أَوْمَضَ بارقُ
مرى من عيونِ ساهراتِ مدامعًا
فيا عَجَبًا من زورةٍ زارَ طيفُها
ألمَ بساقي عبرةٍ حدةً قفرةٍ
وأهدى أريجاً من شذاها ودونها
وللصبحِ نورٌ في الظلامِ كما اكتسى

فتفتَحُ قسراً بالسيوفِ وتَغْنَمُ
إذا نَكَلَ الأبطالُ في الحربِ أقدموا
تري للدِّبَا فيها عيوناً عليهمُ
لنا الشَّهْدَ إلا بعدما ساغَ علقمُ
نواجِذُها من مرهفاتِ تُشَلِّمُ
إذا ما غدا في غيرها^١ ، وهو أبكمُ
كأنَّ دَمَ الأبطالِ^٢ فيهنَّ عَنَدَمُ
كطائشٍ كفَ بالبنانِ يُسَلِّمُ
وكحلَّها بالنُّورِ والليلُ مظلمُ
جفُّونا من التَّهْوِيمِ فيها توهُمُ
بِمِنْسَمِ حرفٍ كلما بُلُّ يُلْطَمُ
لمقتحمِ الأحوالِ سَهَبٌ وخِضَمُ
حَمِيماً بطولِ الرِّكْضِ في الصِّدْرِ أَدْهَمُ

١ الدِّبَا : الجراد ، شبه حلق الدرع بعيونها .

٢ في ب : إذا ما اعتلى من غيرنا .

٣ في ب : الأعلاج .

٤ في ب : نسيماً .

٥ في ف : ثناها .

أحنّ إلى أرضي التي في تُرابِها مفاصلٌ من أهلي بَلَدَيْنِ وأعظم
 كما حنّ في قَيْدِ الدجى بمُضِلَّةٍ إلى وَطَنٍ عَوْدٌ من الشوق يُرْزِم
 وقد صَفِرَتْ كَفَّائِي من رَيْقِ الصبَا ومنِّي ملآنٌ بذكرِ الصبا فسم

٢٧٠

وقال يخاطب أهل بلده ويحرضهم على الجهاد

بني الثغْرِ^١ لستم في الوغى من بني أُمي
 دعوا النومَ إني خائفٌ أنْ تَدُوسَكمُ
 وكأسٍ بأم^٢ الموتِ يَسْنَعِي مُدِيرُهَا
 فَرُدُّوا وجوهَ الخيلِ نحو كَرْبَةِ
 تَهِيلٍ من النقعِ المخلِّقِ بالضحى
 وَصُولُوا بِيضٍ في العَجَاجِ كَأَتْهَا
 ولا عَدِمَتْ في سَلْهَا من غمودِهَا
 وقرع^٣ الحسامِ الرأسَ من كلِّ كافرٍ
 إذا لم أَصُلْ بالعُرْبِ منكم على العُجْمِ
 دواهِ ، وأنتم في الأمانِ مع الحُلُمِ
 إلى أهلِ كأسٍ حَشَّهَا بَابِنَةُ الكَرَمِ
 مُصْرَّحَةٌ في الرّومِ بالثَّكَلِ واليُسُومِ
 على الشَّمْسِ ما هَالَتْهُ لَيْلًا على النجمِ
 بِرُوقٍ بضربِ الحسامِ مَحْمَرَّةُ السَّجَمِ
 ظهوراً فقد تخفى الجُدَدَاوِلُ بالرُّجَمِ
 أحبّ إلى سمعي من النَّقْرِ في البمِ

١ في ب : الحرب .

٢ في ب : بأمر .

٣ في ب : فقرع .

والله منكم كل ماضٍ كعَضْبِهِ
 يُحَدِّثُ بالإقدامِ نفساً كأنما
 ينيرُ عليه صَبْرُهُ ، وهو نَشْرَةٌ ،
 ويسطو بمحجوبِ الظباتِ إذا بدا
 له دَخْلَةٌ في الجسمِ تُخْرِجُ نَفْسَهُ
 وما يُفْتَدَى منه بلحمٍ ولا دمٍ
 ثبوتٌ إذا ما أَقْبَلَ الموتُ فاعراً
 له عينٌ ضرغامٍ هصورٍ ، فقلبه
 والله أرضٌ إن عُدتمْ هواءَها
 وعزكم يُفْضِي إلى الذلِّ والنوى
 فإن بلادَ الناسِ ليستْ بلادكمُ
 أعنْ أرضكمُ يغنيكمُ أرضٌ غيركمُ
 أخلي الذي وُدِّي بوْدٍ وصلَّتهُ
 تَمَيِّدٌ من القطرِ العزيزِ بموطنٍ
 وإياك يوماً أن تُجربَ غُرْبَةً

يسيلُ إلى الهيجاءِ مُتَقِدَ العزمِ
 يَطِيرُ إلى الحربِ اشتياقاً عن السلمِ
 لتسريدها أَمْنٌ من القَوْرِ والقَصَمِ
 جلا ما جلا الإصباحُ من ظلمةِ الظلمِ
 قُبَيْلَ خروجِ الحدِّ منه عن الجسمِ
 ولكن بما في العظمِ بالبري للعظمِ
 يُرَدِّدُ في الأسْماعِ جرجرةَ القرمِ
 بتَصْرِيفِ فِعْلِ الجهلِ منه على علمِ
 فأهواؤكم في الأرضِ منثورةُ النظمِ
 من البينِ تَرْمِي الشملَ منكم بما ترمي
 ولا جارُها والخَلِمُ كالجارِ والخلمِ
 وكم خالةٍ جَدَاءٍ لم تُغْنِ عن أمٍّ^١
 لدي^٢ كما نِيَطَ الوليُّ إلى الوسمي
 ومُتٌ عند رَبْعٍ من ربوعك أو رسمِ
 فلن يستجيرَ العقلُ تجربةَ السَّمِ

١ في ب : في القرن .

٢ في ب : وكم خالة لم تغن طفلاً عن الأم . والجداء : القليلة اللبن .

٣ في ب : لديه .

وقال أيضاً

دَمُ الكرمِ في الكاسِ أم عَنَدَمُ به تُخَضَّبُ الكَفَّ^١ والمِعَصَمُ
 أَصْفَرَاءُ يَبْيِضُ^٢ منها^٣ الحِساب أمِ الشمسُ عن أنجمٍ تبسم
 وتلك شقيقةُ روحِ الفتي إذا وَجِدَتْ فالأَسَى يُعَدَمُ
 تُلَامُ على شُرْبِ مَشْمُولَةٍ ولم يدرِ ما سرُّها اللّومُ
 خبيثةُ دنِّ سناها المنيرُ محيطٌ به قارها المظلمُ
 وقد كثر القولُ^٤ في عمرها ولم يُدَرَّ عاصرها الأزلُ
 يقهقه في الصبِّ إبريقُها كما هَدَرَ البازلُ المُقَرَّمُ
 إذا انبعثت منه قال التّديم : أينسابُ من فمه أرقمُ
 يبيت لها سَهَرٌ في العروقِ وأعينُ شُرَابِها نَوْمُ
 كأنَّ لها في^٥ خفي الدّيبِ نمالاً مساكنُها الأعظمُ

١ في ف : الكأس .

٢ في ب : بيض فيها .

٣ في ب : الطعن .

٤ في ب : الأرقم .

٥ في ف : من .

٦ في ف : مناسكها .

يطوفُ بها رشاً أَحْوَرُ^١ لَمَلَّتْهُ الْيَثُ^٢ مُسْتَلِمِ
 وتلخظُ بالسحرِ منه الجفونُ^٣ ويلفظُ بالدرِّ^٤ منه الفم
 بفَوَاحَةٍ الزَّهْرِ^٥ مُخْضَلَّةٍ تُجَادُ^٦ مع الصَّبْحِ أَوْ تُرْهِمُ^٧
 تُنْظِمُ^٨ فيها أَكْفُ الغمامِ جُمَانًا بِكَفْيِكَ لَا يُنْظِمُ
 كَانَ^٩ لها في طباقِ الثَّرَى بأيدي الحيا حُلَلًا تُرْقِمُ
 على شِدَوَاتِ طيورِ فصاحٍ على أَنْ أَفْصَحَهَا أَعْجَمُ
 لَهْنٌ^{١٠} أَعَارِيضُ^{١١} عند الخليل مُهْمَلَّةُ^{١٢} الوزنِ لَا تُعْلِمُ
 تَرْجَعُ^{١٣} فيها ضروبَ اللّحونِ فَتُطْرِبُنَا ، وَهِيَ لَا تَفْهَمُ

٢٧٢

وقال أيضاً

هُبُّوا فَقَدْ رَحَّلَ الدَّجَى ظُلُمَةً^١ وَأَقْبَلَ الصَّبْحُ رَافِعاً عَلَمَةً^٢
 كَزَاحِفٍ أَقْبَلَتْ كَتَائِبُهُ^٣ هَازِمَةً^٤ فِي اتِّبَاعِ مُنْهَزِمِهِ
 كَانَ^٥ فِي كَفِّهِ حَسَامٌ سَنًا^٦ مَا مَسَّ مِنْ حَنْدَسٍ بِهِ حَسَمَةً^٧

١ في ب : وبالدر يلفظ .

٢ في ب : له أوجه النور .

٣ تَجَادُ : يصيبها الجود وهو مطر غزير ؛ ترهم : تصيبها الرهمة وهي المطرة الضعيفة .

كأنَّ لَيْثَ النُّجُومِ رِيْعَ بِهِ وَنَفْحَةُ الزَّهْرِ شَمُّهَا عَبَقُ
 وَنَفْحَةُ الزَّهْرِ شَمُّهَا عَبَقُ وَمَسْعَبَدُ الطَّيْرِ وَهُوَ بَلْبَلُهَا
 وَأَنْتَ اللَّيْلُ أَدْهَمُ رَفَعَتْ وَأَنْتَ الشَّمْسُ جَمْرَةٌ جَعَلَتْ
 خُذُوا مِنَ الْكَرَمِ شَرْبَةً وَصَفَتْ وَأَنْتَ الدَّهْرُ فِي تَصْرِفِهِ
 تَرِيكَ يَاقُوتَةً مُنْعَمَةً وَأَنْتَ اللَّمْنَى بِهَا شَفَقَةٌ
 فَالْعَيْشُ فِي شَرْبِهَا مُعْتَقَةٌ عَلَى غِنَاءٍ بَعْدَ غَانِيَةٍ
 لِسَانُ مُضْرَابِهَا ، تَرَى يَدَهَا وَشَادِنٍ فِي جَفُونِهِ سَقَمٌ
 وَدَعْنَا فِي سَلَامِهِ عَجَلًا كَانَتْ وَقُوفًا^٢ بَنَى زِيَارَتُهُ
 كَانَ لَيْلَ الْوَصَالِ مِنْ قِصْبَرٍ

فَهُوَ مِنَ الْغَرْبِ دَاخِلٌ أَجَمَهُ وَرِيقَةُ الْمَاءِ بِالصَّبَا شَبِيحَهُ
 مُرْجَعٌ فِي غَضِينِهِ نَعْمَتَهُ عَنْ غُرَّةِ الصَّبْحِ رَاحَةٌ غُدَمَتَهُ
 تَحْرَقُ مِنْ كُلِّ ظَلَمَةٍ حَمَمَهُ لِلشَّرْبِ رِيًّا ، نَسِيحَتُهَا كَتَمَتَهُ
 أَوْدَعَ فِي طَوْلِ عَمْرِهَا قِدَمَهُ عَنْ لَوْلُوٍ فِي الزَّجَاجِ مُبَشِّمَتَهُ
 فَهِيَ بِكُلِّ الشَّفَاهِ مُلْتَشِشَمَةً بِسَكْرِهَا فِي الْعُقُولِ مُحْتَكَمَهُ
 يُجْرِي عَلَيْهَا بَنَانُهَا عَنَمَةً لَهُ فَمَا ، لَيْتَنِي لَثَمْتُ قَمَمَهُ
 كَأَنْتِي عَنْهُ حَامِلٌ أَلَمَهُ فَفَرَّقَ الشَّمْلَ عِنْدَمَا نَظَّمَتَهُ
 كَوَاضِعٍ فَوْقَ جَمْرَةٍ قَدَمَتَهُ فِي فَلَتَقِ الصَّبْحِ أَدْغَمَ الْعَتَمَتَهُ

١ في ف : غصنه ، وفي م : أغصانه . ولعلها : قضيبه .

٢ كذا وأراه : زفوقاً أي مرأً سريعاً .

وقال أيضاً

وكأسِ نشوانٍ فيها الشمسُ بازغةٌ باتت تديمُ إلى الإصباحِ لشمَ فمه
تخفَ ملأى وتعطي الثقلَ فارغةً كالجسم عند وجود الروح أو عليه

وقال أيضاً

وصاحبٍ بصيحةٍ بلا سَقَمٍ مُساعدٍ في كلِّ أمرٍ لا يُذَمُّ^١
يقولُ في لا : لا . وفي نعم : نعم لا ناكِبٌ عن فتية ولا برمٍ^٢
مقلبُ القلبِ لهم في الهِمَمِ يحلّ عنك بالغنى عن العدم
يحرمُ بالسيفِ الخطوبَ لا تُسلمُ مجوهرٌ سيفٌ علاهُ بالكرم

١ كُتب في الأصل المطبوع : وهذا المعنى أخذه من ادريس بن اليمان اليايبي ، من قصيدة مدح فيها
اقبال الدولة علي بن مجاهد العامري يقول :

ثقلت زجاجات أتنا فرغاً حتى إذا ملئت بصفو الراح

خفت فكادت تستطير بما حوت إن الجسم تخف بالأرواح

وَألم به ادريس يقول حسان في خفتها ملأى خاصة :

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

قلت : وقد آثرت نقل هذا التعليق في الهامش ، لأنه موضعه ، والنص لم يرد في ف .

مُهَذَّبٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ لِلْأُمَمِ كَأَنَّمَا شَيْمَتُهُ خُمِرَ الشَّيْمُ^١
 يُحْيِي السُّرُورَ وَيَمِيتُ كُلَّ هَمٍّ نَادَمْتُ مِنْهُ سَيِّدًا بَلَاءَ نَدَمٍ
 مِنْ عُنْبٍ . . . سَقَانِيهِ عَتَمَ مَدَامَةٌ زَادَتْ عَلَى عُمْرِ الْقَدَمِ
 يَحْمِلُ مِنْ مَوْجُودِهَا الْكَأْسُ عَدَمَ زَجَّاجُهَا الصَّافِي عَلَيْهَا لَا يَنْسِمُ^٢
 إِلَّا بِوَصْفٍ أَوْ بِذَوْقٍ أَوْ بِشَمٍّ فِي لَيْلَةٍ مَرَّتْ كَزَوْرَةِ الْحَلَمِ
 كَأَنَّمَا الْأَنْجُمُ مِنْهَا فِي الظُّلُمِ أَوْجُهُ رُومٍ يَسْبَحُونَ فِي خِصَمٍ^٣
 حَتَّى إِذَا مَا عُمُرُ اللَّيْلِ انْصَرَمَ وَفَرَ مِنْ نُورِ الصَّبَاحِ وَانْهَزَمَ^٤
 كَعَابِسٍ^٢ فِي حَنْقٍ مِنْ مَبْتَسَمٍ قَمْتُ لِبَصِيدِ الطَّيْرِ فِي قَرَأٍ أَحْمَمٍ^٣
 كَاللَّيْلِ إِلَّا قَبْلَةَ الصَّبَحِ بِفَمٍّ بَحْرٌ عَلَيْهِ بِالْعَنَانِ قَدْ خَتَمَ
 بِبَاشِقٍ مُتَقَدِّدِ الْعَيْنِ قَرَمٍ ذِي مَخْلَبٍ مُعَوَّجٍ لَمْ يَسْتَقِمْ
 مِثْلَ هَالِلٍ طَالَعٍ مَعَ الْعَتَمِ عِنْدَ انْعِطَافٍ ، لَا اسْوَدَادٍ مَدْلُومِ
 أَقْنَى مُعَرَّيْ أَنْفِهِ مِنَ الشَّمَمِ مُصَمَّمٌ عَلَى الطَّيُورِ مَقْتَحَمِ
 وَالطَّيْرُ مِنْهَا جَبْنَاءٌ وَبُهُمَّ حَتَّى إِذَا قَلَبَ عَيْنًا كَانْضَرَمَ

١ كَذَا فِي ف : خُمِرَ الشَّيْمُ ؛ أَيِ إِنْ شَيْمَتَهُ كَشَيْمَةُ الْخُمْرِ ، وَفَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ بَعْدَهُ : « يُحْيِي السُّرُورَ وَيَمِيتُ كُلَّ هَمٍّ . »

٢ فِي ف. و. م : كَعَابِسٍ .

٣ أَيِ امْتَلَى ظَهَرَ جَوَادِهِ الْأَحْمَ لِبَصِيدِ الطَّيْرِ ، وَالْأَحْمَ : الْأَسْوَدُ اللَّوْنُ . وَفِي م : مَدَى أَجْمَ ؛ وَفِي ف : مَرَّ أَجْمَ .

٤ وَصَفَ فَرَسَهُ بِأَنْ سَاطَرَهُ أَسْوَدٌ إِلَّا غُرَّةً فِي جَبْهَتِهِ .

صادقةً طرفتها لا تُشبههم وأبصر الفرجة هم فاعتزم
 كالليث قد أوفى على سرب النعم في روضة أطيارها ذات نغم
 كما تغسنت فِرَق من العجم قام الربيع عندها على قدم
 فاتحة أعين زهر لم تنم تجول فيها كدما مع الرهم
 ففارق الكف إلى الصيد ، فشيم خاطف برق في غمام مرتكم
 ما فائك غادرها في المفتاح فوارساً تلاً . . . أيدي الخدم
 وعاود [الكف] وفيأ بالذم بمنسّر يمسح عنه فضل دم
 مسحك ميساع المداد بالتلم

٢٧٥

وقال في هلال رمضان

قلت ، والناس يرقبون هلالاً يشبه الصب من نحافة جسمه
 من يكن صائماً فذا رمضان خطّ بالنور لا وري أول اسمه

وقال يصف فرساً أدهم أغرّ

وأدهمَ يَنْهَبُ عُرْضَ المَدَى . ويجري به كلَّ عِرْقٍ كريمٍ
 بعيني عقابٍ وشِدْقٍ غرابٍ وأرساخ جأبٍ . وساقِي ظليم
 كأن البروقَ على جِسْمِهِ مَدَاوِسُ تَصْقُلُ منه أديم
 وتحسبُ غُرَّةَ صبحٍ منيرٍ بَدَتْ منه في وَجْهِ ليلٍ بهيم

وقال يذكر المعتمد ويذكر إياه إلى إشبيلية من وقعة الزلافة . وكانت الروم
 في أول حملتها في ذلك صرخته . وعليه درعه ، فأصابته شجات . ففي ذلك
 يقول . رحمه الله:

أبا هاشم هَشَمْتِي الشفار^١ فله صبري لذلِكَ الأوار^٢
 ذكرت شخصك^٣ ما بينها فلم يدعني حَبْسَه للفرار^٤

١ في ب : السيوف .

٢ في ب وف : لتلك الشفار .

٣ في ب : تذكرت شخصك .

٤ في ب : للفرار .

وأبو هاشم هذا المذكور ولده ، كان في ذلك الوقت صغيراً . وكان يؤثر
قربه ، ويستعذب حبه :

ليهىء بني الإسلام أنْ أُبْتِ سالماً وغادرتْ أنْفَ الكفرِ بالذلِّ راغماً
كشفتْ كرباً عن قلوبِ كأنما وضعتْ عليّها من هواك خواتماً
صبرتْ لحرّ الطعن والضربِ ذائداً عن الدين واستصغرتْ فيه العظائداً
تفسّحتْ في صدرٍ رَحِيبٍ بَحِثُ لا يلاقيك فيه القرنُ^١ إلا مُصادِماً
رحمناكَ من وَقَعِ الصّوارم والقنبا فكانَ لنا في حفظك اللهُ راحماً
وكم شَجّةٍ في حرٍّ وجهك لم يَزَلْ^٢ لك الحسنُ منها بالشجاعة واسماً
أجبتْ الهدى لما دعاكَ لِنَصْرِهِ وجردتْ عِزماً إذ تَقَلَّدتْ صارماً
بجيشٍ ثيرُ الجردُ فيه قساطلاً تريكَ بها وَجْهَ الغزاةِ قاتماً
إذا بَرَقَتْ فيه الأسنّةُ خِلَتْها كواكبَ تجلو في السُّكاكِ غمائماً
غدَتْ خلفه وحشُّ العراءِ عواسلاً ومِنْ فوقِهِ طيرُ الحِواءِ حوائماً
كانَ غُثّابَ الجوّ هَمَزتْ خوفاً حواليكَ منه للوغى وقَوادِماً
كانَ زعيمَ الرّومِ وَيْلٌ لِنَفْسِهِ أثارَ عليه مِنْكَ لَيْثاً ضَبَّارماً^٣

١ في ب : قرن الحرب .

٢ في ب : صيرت .

٣ الضبارم : الشديد الخلق من الآساد .

نَقَمْتَبَ عَلَى مَنْ آسَفُوكَ يَؤُوسَفُ^١ وَمَا زَلَّتْ مِنْ خَالَفَ الْحَقَّ نَاقِمَا
وَأَذْنَتْ عُسَارَ الْقَفَارِ بِحَرْبِهِمْ فَيَا قُرْبَ مَا شَقُّوا إِلَيْكَ الْخَضَارِمَا
بَنُو الْحَرْبِ غَذَّتْهُمْ لَبَانٌ^٢ تُدِيهَا وَلَمْ يَسْتَطِيبُوا^٣ مِنْهُ إِلَّا الْعَلَاقِمَا
يَحْشُونَ لِلْهَيْجَاءِ جُرْدًا سَلَاهِبًا وَيُسْنُضُونَ فِي الْبِيدَاءِ بُزْلًا صَلَادِمَا
إِذَا طَعَمُوا بِالسَّهْرِيسَةِ خِلْتَهُمْ^٤ ضِرَاحِمَ تَغْزِي بِالْقُلُوبِ أَرَاقِمَا
وَأِنْ كَرَّ مِنْهُمْ ذُو لَثَامٍ مُصَنَّمٌ^٥ غَدَا لَنَمِ الْهَيْجَاءِ بِالسَّيْفِ لَأَثِمَا
وَمَا التَّقَى بِالرُّومِ طَارَتْ قُلُوبُهُمْ^٥ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ أَوْكَارَهُنَّ الْحِيَاظِمَا
كَأَنَّكَ حَرَمْتَ الْحَيَاةَ عَلَيْهِمْ^٥ غَدَاةَ الْوَعْيِ لَمَّا اسْتَحَلُّوا الْمُحَارِمَا
فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ بَقِيَّةٌ^٥ لَقَدْ عَادَتْ الْأَعْرَاسُ فِيهِمْ مَاتِمَا
جَعَلْتَ ثِيَابَ الْمَشْرِفِيَّةِ مِنْهُمْ^٥ دِمَاءٌ وَتَيْجَانُ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَا
فَلَا عَجَبٌ أَنْ قَدَّتِ الْبَيْضُ هَامَتَهُمْ^٥ فَتَلَكَ حُرُوفُ الْإِيْنِ لَاقَتْ جَوَازِمَا
أَرَى الْفُسُشَ وَلَى يَوْمَ لَاقَى فَوَارسًا مَغْفَرُهُمْ لَا تُؤَاوِئُهَا الْعَدَائِمَا
يَلُومُ صَلِيبَ الْعُودِ وَهُوَ يَلُومُهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغِيِّ لَأَثِمَا

١ يوسف : هو ابن تاشفين الذي استنجد به المعتمد .

٢ في ب : عادتهم بدر .

٣ في ب : وما استعذبوا منهم .

٤ في ب : الجمعان .

٥ في ب : لأن .

نَوَى خَدْعَةً فِي الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ خَدْعَةٌ
وَمُعْتَادَةٌ أَكْلَ الْكِمَاةِ ، جِيوشِهَا
إِذَا اخْتَصَمُوا فِي اللَّهِ كَانَتْ قَضَائَتُهُمْ
عُلُوجٌ حَشَوُا فِي الْكُفْرِ بِالْغَيْظِ^١ أَعْيُنًا
أَفَاضُوا مِنَ الْمَاضِي مَاءً عَلَيْهِمْ
أَدْرَتْ رَحَاهَا دَوْرَةً عَرَبِيَّةً
كَأَنَّ كِرَاتٍ وَهِيَ هَامُهُمْ غَدَتِ
وَأَيْدٍ بَنَتْ فِي الْقَفْرِ مِنْهَا صَوَامِعًا
عَلَاهُنَّ لِلتَّائِذِينَ كُلِّ مُكَبَّرٍ
وَتَحْسِبُهَا فِي كُلِّ بَيْدَاءٍ عُنْصُلًا
لِوَاوِكِ نَادَى لِلْقَرَى مِنْ لَحُومِهِمْ
كَأَنَّ عَفَاةً مِنْهُمَا يَوْمَ أَقْبَلْتِ
هَنَّاكَ ثَنِيَتَ الْكُفْرِ خَزْيَانَ بَاكِيًا

فَأَدْبَرَ^٢ مَهْزُومًا وَقَدْ كَانَ هَازِمًا
أَعَارِبُ ، تَدْعُو لِلنَّزَالِ أَعَاجِمًا
قَوَاضِبَ تَقْضِي بَيْنَهُمْ وَلِهَذَا
وَقَدْ مَلَأُوا مِنْهَا قُلُوبًا سَخَائِمًا
لِيُطْفِئَ عَنْهُمْ مِنْ لُظَى الْحَرْبِ^٣ جَاحِمًا
تَرَكْتَ عِظَامَ الرُّومِ فِيهَا هَشَائِمًا
صَوَالِجُهَا بَيْضًا تَحْزُ الْغَلَاصِمَا
وَكَانَتْ لَهَا بِالْمَرْهَقَاتِ هَوَادِمًا
تَكَادُ لَهُ كَفٌّ تَمَسُّ الْغَمَائِمَا
تَرَى نَائِرًا فِيهَا لَهْنٌ وَنَاطِمَا
خَوَامِعَ^٤ مِنْ آفَاقِهَا وَقَشَاعِمَا
بَدَلْتِ لَهَا قَتْلَ الْعُلُوجِ مَكَارِمَا
نَعَمْ ، وَرَدَدْتَ^٥ الدِّينَ جَذْلَانِ بِاسْمَا

١ في ب : بها فر .

٢ في ب : للغيظ بالكفر .

٣ في ب : الروح .

٤ في ب : منهم . . . وكن .

٥ في ف وم : جوامع ؛ والجوامع : الضباع ، تخضع أي تطلع في مشيا ؛ ولواؤه نادى الضباع والنسور أي لما رأته جيفت طعماً في جيف القتلى .

٦ في ب : بصرفك فيه الدين في ف : ووردت .

حلمتم^١ مراجيحاً . وَجَدْتُمْ^٢ أكارماً وسدّتم^٣ بهاليلاً ، وصلّتم^٤ ضراغماً
 سكنتم^٥ قلوبَ العسافرينَ محبةً كما سكنَ الزهرُ الذكيَّ الكماثما
 ندرتُ ندوراً فاقتضاني قضاءهما إياك^٦ من يومِ العروبةِ سالماً
 ولما وجدتُ^٧ الوفَرَ أعوزَ راحتي سجدتُ^٨ لربّي ثمّ أصبحتُ صائماً

٢٧٨

وقال أيضاً

يا رسولي الذي يُحدّثُ سمعي بخديثين من شفائي وسقمي
 ببلغِ الشمسِ أنّني لا أراها يومَ صحوّحي أرى وجهه نعيم
 قالت الشمسُ : صف لنا خلقتُ شمس هيئتَ وجنّداً بها ، فضوّعِ همي
 قلتُ : والله فيه أحسنُ تقويد هم ، فهذا في الوصفِ مبلغ علمي
 عادةً أكثرَ خِلافي^٣ فكانتُ نارَ حربٍ وكنتُ جنةً سلم
 وهي لمياءُ تمنعُ الريقَ صوناً وتروّي السواكَ منه برغمي

١ في ب : قفولك .

٢ في ب : رأيت .

٣ في ب : بلغت غاية الخلاف .

أَيَّ دُرٍّ مِنَ الْعَقِيقِ عَلَيْهِ خَاتَمٌ لَا يُفَكُّ^١ عَنْهُ بَلْثَمَ
 أَكْسَبَتَنِي جَفُونُهَا مِنْ سَقَامٍ^٢ عَرَضاً ضَاقَ عَنْهُ جَوْهَرُ جِسْمِي
 يَا قَتُولاً أَرَى لَهَا فِي نَضَالِي حَدَّ سَهْمٍ^٣ مِثْلَ مَا حَدَّ سَهْمِي
 أَدْرَكَ النَّارَ نَاطِرٌ لَكَ مُرْدٍ^٤ مِنْ لِسَةِ نَاطِرٍ لَخْدَكَ مُدْمِي

٢٧٩

وقال أيضاً [يتغزل ويصف عزمه واعتسافه البيد]^٥

أَقُولُ لِبَرْقِ شِمْسُهُ فِي غَمَامِهِ : أَشَامَكَ مِنْ أَشْبَهَتْ حُسْنَ ابْتِسَامِهِ
 وَهَلْ بَتَ مِنْهُ مُسْتَعِيرًا أَنَامِلًا تَشِيرُ إِلَيْنَا حُمُرَهَا بِسَلَامِهِ
 وَكَيْفَ يَشِيمُ الْبَرْقَ مَنْ بَاتَ جَفْنُهُ إِلَى الصَّبْحِ مَكْحُولًا بِطُولِ مَنَامِهِ
 أَمَنْ بَرَدَتِ أَنْفَاسُهُ مِنْ سُلُوكِهِ كَمَنْ حَمِيَّتْ أَحْشَاؤُهُ مِنْ غَرَامِهِ
 غَزَالَ سَقِيمٍ الطَّرْفِ أَفْنِيَتْ صَحْتِي وَلَمْ تَغْنِ شَيْئًا^٦ فِي عِلَاجِ سَقَامِهِ

١ في ب : لا يفض .

٢ في م : فكستني . . . بسقام ، وما أثبتته هو رواية ف . .

٣ كذلك في ب ، وفي ف و م : « سهماً » .

٤ في ب : مدم .

٥ ما بين مقفين زيادة من ب .

٦ في ب : يغن شيء .

وَغَضَنْ ، ذَبُولِي فِي الْهَوَىٰ بِاخْضَرَّارِهِ
 وَلَوْ شِئْتُ عَقَدْتُ الْخَصِرَ مِنْهُ لِحَضَّتِي ١
 يَصْدُ بوردٍ فوقَ خَدٍّ كَأَنَّهُ
 وَمُسْتَوِطْنِ كُورَ النَّجِيبِ بِعِزِّهِ
 تَزَاحِمُ هِمَاتُ الْعُلَا فِي فُؤَادِهِ
 وَفِي الْمَيْسِ مَيَّاسٌ بِلِيَجَافِ سَيِّرِهِ
 إِذَا ثَارَ صَكُّ الصَّدْرِ بِالْخَفِّ شِرَّةٌ ٥
 فَمَا زَالَ سَهَبٌ ٢ الْأَرْضَ قُوْتًا لِأَرْضِهِ
 وَأَعْمَلَتْهُ بِدَرَأٍ وَلَكِنْ رَدَدَتْهُ
 وَمَرَّتْ بِطُولِ سَفَرِهِ بِنَفَاذِهِ
 إِذَا صَرَصَ الْأَرْوَاحُ أَغْشَتَهُ صَرَّهَا
 وَبَدْرٌ ، مُحَاقِي بِالضَّنَا مِنْ تَمَامِهِ
 عَلَيْهِ تَشَنَّى ٣ خِيزَرَانٍ قَوَامِهِ
 يَقْبَأُ صَدْعٌ بِعِطْفَةٍ لَامِهِ
 فَرِحَلَتْهُ فِي ظَهْرِهِ بِمُقَامِهِ
 وَغُرَّ الْمَعَانِي فِي فَصِيحٍ ٤ كَلَامِهِ
 رَجُومٌ بِأَجَوَازِ الْفِلَا بِلُغَامِهِ
 وَطَارَ بِهِ فِي الْقَفْرِ وَحْيٌ زِمَامِهِ ٦
 وَلَا انْفَكَ قُوْتُ الرَّحْلِ شَحْمَ سَنَامِهِ
 هَلَالًا ، مَشَى فِيهِ مُحَاقُ الْمَهَامِهِ
 أَتِيحَ لَهُ مُسْتَنْجِدٌ بِاعْتِزَامِهِ ٨
 شَوَى الْوَجْهَ مِنْهَا حَرَّةٌ بِاحْتِدَامِهِ

١ في ف : ولو عقد الخصر منه ، وهو ناقص .

٢ هذه رواية ب وفي م : « بشى » .

٣ في ب : نقي .

٤ في ب : لأجواز .

٥ في ب : سيره .

٦ أي إذا هزرت له الزمام هذا خفيفاً كالإيحاء طار في القفر .

٧ في ب : قوت .

٨ المرت : الصحراء ، ويطول السفر : يعجزهم أن ينفذوا فيه ؛ وفي ف : مطول .

يَبْلُ صَدَى الْأَرْمَاقِ فِي الْقَيْظِ رَكْبُهُ ۚ بِمُلْتَقَطِ الْيَثَنِ الْقَطْمَا عَنْ جِدَانِهِ
تُسْرِقُ عَنْهُ الْكَفُّ جَلْبَابَ عَرْمَضٍ ۚ فَيَبْدُو كَنُورِ الصَّبْحِ تَحْتَ ظِلَامِهِ

٢٨٠

وقال أيضاً

أَلَا رَبَّ كَأْسٍ تَقْتَضِي كُلَّ لَذَّةٍ ۚ أَكَلْتُمْ عَلَيْهَا ، طَوْلَ لِيَالِكُمْ ۚ لَحْمِي
بَلَى لَوْ قَدَرْتُمْ لَا تَخَذْتُمْ شَرَابَكُمْ ۚ دَمِي فِي كُؤُوسٍ وَهِيَ تُنَحْتُ مِنْ عَظْمِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَوْقِدُوا نَارَ حَرِّبِكُمْ ۚ فَإِنِّي مَفِضٌ مَاءَ سَلَسِيٍّ مِنْ حَلْدِي
فَللْحَمِّ عِنْدِي إِنْ [أَكَلْتُمْ] عَوَاقِبُ ۚ تُقَصِّرُ عَنْهُمْ [العَوَاقِبُ] لِلظُّلَمِ
وَلِي مِقْوَلٌ ۚ قَدْ أَطْلَقْتَهُ سَجِيَّتِي ۚ عَنِ الْحَمْدِ لَمَّا عَقَلْتَهُ عَنْ الدَّمِ

٢٨١

وقال أيضاً

وَجَدْتُ الْحَلْمَ يَنْصُرُنِي عَلَى مَنْ ۚ أَسْأَلُ لِحَرْبِهِ ظُبَّةَ الْحُمَامِ
وَلِي كَلِمٌ ۚ كَانَ اللَّفْظَ مِنْهَا يَرُشُّ السَّمْعَ مِنْهُ بِالسَّهَامِ

١ الملتقط : المنهل ، وهو من قول الراجز : ومنهل وردته التقاطا .

٢ في ب : فتبدو كنوز .

وَلَكِنِّي أَكْفَكْفُهَا بِحِلْمٍ يُلَاثُ الْبُرْدُ مِنْهُ عَلَى شَمَامٍ
وَلَسْتُ أُعِيدُ مِنْ حَنْقٍ عَلَيْهِ مَخَاطِبَةً لَتَجْدِيدِ الْخَصَامِ
وَيَقْصُرُ فِي الْحَقِيقَةِ كُلُّ شَيْءٍ تَسَنَّيْتُ جَمِيعَهُ غَيْرَ الْكَلَامِ

٢٨٢

وقال مجيباً^٢

شَدَدْتُ عَلَى صَدْرِ الزَّمَاعِ حِزَامِي وَجَرَدْتُ مِنْ عِزِّي شَقِيقَ حُسَامِي
وَقَمْتُ نَهْوضَ الْعَوْدِ حُلَّ عِقَالِي فَأَقْعَدَنِي الْمَقْدُورُ عِنْدَ قِيَامِي
إِذَا صَاحَ بِي أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ صِيحَةً رَجَعْتُ وَرَائِي ، وَالْحَبِيبُ أُمَامِي
وَكَيْفَ أَرَى لِي قَصْدَ وَجْهِي إِلَيْكُمْ إِذَا كَانَ فِي كَفِّ الْقَضَاءِ زَمَامِي
وَمَا دِي إِلَّا غَرِيبَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ أَرَى الشَّيْخَ فِيهَا بَعْدَ سِنٍّ غَلَامِ
كَأَنَّ قَدَالِي بِالْقَتِيرِ مَحْوُوضٌ قَبِيلَةَ سَامٍ مِنْ قَبِيلَةِ حَامِ
وَمَا شَيْبَ الْإِنْسَانِ مِثْلُ تَغَرُّبٍ يَمُوتُ عَلَيْهِ الْيَوْمُ مِنْهُ كَعَامِ
وَهَلْ رَحْتُ إِلَّا طَالِباً بِالنَّوَى عُمَى كَأَنِّي مِنْهَا لِلنَّجُومِ مُسَامِ

١ أي هو حلم راجح كأنه في رجحانه شمام .

٢ أي مجيباً عن رسالة بعث بها إليه ابن عمته أبو الحسن يقتضيه فيها العودة إلى أهله .

ولاني لَسَهُمْ في نفاذي وليتي يُهدَّبُ بي دارَ الأحبةِ رام

* * *

أبا الحسن اسمعُ عذرةً قد بعثتها — فلا زلتَ في عزِّ قرينِ دوام —
إذا لم تُطِيقْ عن أرضِ قومٍ ترحلاً — فرزقك ما استوعبته بمقام
[و] أعربتُ^١ عن نفسٍ إليّ مشوقةٍ — كأنَّ كلاماً منك طيَّ كلام
أتاني كتابٌ منك نمتقتُ خطه — كما دبَّجَ الروضَ انسجامُ غمام
تناولتهُ من كفِّ مُهَيِّدٍ كأنما — برَدْتُ بعذبِ الماءِ حرَّ أوام
مَشَى في ضميري بالسرور كما مشى — صلاحُ شفاءٍ في فسادِ سقام
كأنَّ كتابي باليمين أخذتهُ — وقيل لي : ادخلُ جنةً بسلام

* * *

فلا تحسبوني قد تَسَلَّيتُ عنكم بطيبِ سَسَاعٍ أو بكأسِ مُدام
ولا ضحككتُ سي، وهل ضحككتُ وما وضعتُ على فُضِّ الدموعِ ختامي
متى كنتُ مختاراً على الوصلِ فُرقةً — تُطِيلُ إلى وِرْدِ اللِّقَاءِ هيامي
ولا تحسبوني خائفاً^٢ قطعَ مَهْمَةٍ — يدومُ . وأخفافُ المطيِّ دوام
تَنَفَّسَ منه الحرُّ في حرِّ وجنتي — تَنَفَّسَ قَيْنٌ في صقيلِ حسام

١ في ف و م : عرست .

٢ كذا في م ، وهي غير واضحة في ف ويمكن أن تقرأ : آيياً .

ولا ساكناً في ليلةٍ مُدْلِهِيَةٍ ۚ
 إذا ما رغا في الجوّ فحلُّ^١ سحابها
 ألمُ أُرْكَبِ النَّفْسَ اشْتِاقاً إِلَيْكُمْ
 ألمُ ألكُ في الغَرْقى مُشِيراً بِراحتي
 ألمُ أَفْقِدِ الشَّمْسَ الّتي كان ضوءُها
 طمعتُ بهذا كلّه في لقاءكم^٢
 سرى ركبها فيها اصطلاءً ظلام
 حكى الثلجُ من شذقيه جَعَدَ لغام
 غواربٍ مُضَرَّ الغواربِ طام
 فلم أنجُ إلا من لِقَاءِ حِمَامِي
 يُجَلِّتِي عن الأجفانِ كلَّ ظلام^٣
 لَتَغْرَمَ نَفْسٌ أُتْلِفَتْ بغرام

* * *

بقيةَ أحبّابي الذين حَوَتْهُمْ
 أخذتُ ذمامي مِنْ زَمَانِي عَلَيْكُمْ
 تفرّقْتُمْ في البينِ ، في كلِّ وَجْهَةٍ
 فحزبٌ يكفّ الدهرُ عنه عزيزي
 سأعطي بشيراً قال لي : قد تجمّعوا
 وأرْقُبُ يوماً فيه بالوَصْلِ تَلْتَمِي
 متى آتاكم يُشَشِّرُ لَكُمْ من ضريحه^٣
 مضاجعُ لم يُضْجَعْ بها لنام
 فما كان إلا غادراً بذمامي
 نشرَ جُمانٍ ، في انقطاعِ نظامِ
 وحزبٌ تردّ الرومُ عنه مَرَامِي
 ثوابَ صلاتي طائعاً وصيامي
 سجامُ دموعٍ بيننا بسِجَامِ
 دفينُ اغترابٍ لا دفينُ رغام

١ في ف و م : إذا ما رعى في الجو محل . . .

٢ لعله يشير هنا إلى غرق « جوهرة » ، الّتي رثاها في قصائد أخرى .

٣ في ف و م : ضريحكم .

وقال يمدح المعتمد ويذكر الواقعة التي كانت بينه وبين الفنش عند جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من أرض سبتة بجنده ، وهزيمة الفنش بجنوده وقتل أكثرهم ، وادّراع الفنش ثوب الليل ، ونجاته بنفسه في سرية قليلة ، وكانت تلك الواقعة في موضع يقال له الزلاّقة من إقليم بطليّوس :

تخرّجها : في الوافي منها ٤٣ ، ٤٤

خلعتُ على بُنيّاتِ الكرومِ	محاسنَ ما خُلِعْنَ على الرسومِ
أخذتُ بمذهبِ الحكّميّ فيها	وكيفَ أُميلُ عن غرضِ الحكيمِ ^١
وما فضلُ الطلولِ على شَمُولٍ	تمجّ المسكُ في نَفَسِ النسيمِ ^٢
يُجددُ حبّها في كلّ قلبٍ	إذا صقاته من صدىِ الهومِ
وكنْتُ على قديمِ الدهرِ أصبو	إلى اللّذاتِ بالقصرِ القديمِ
تُرَدّ إذا ظمئتُ عليّ كأسِي ^٣	كما رُدّ اللبانُ على الفطيمِ ^٤
وما استنطقْتُ من طَلَلٍ صَموتٍ	كأنّ له إشاراتِ الكليمِ
بل استنطقْتُ بالنغماتِ عوداً	تَسبّهَ مُطَرِّباً في حجرِ ريمِ

١ في ب : عن سنن الحكيم ؛ والحكي : هو أبو نواس ، أي هو على مذهبه في تفضيل وصف الخمر على وصف الطلول .

٢ في ب : من نفس الشميم .

٣ في ب : قطعت علي راحي .

٤ هذه هي رواية ب ، وفي ف و م : كما رد الفطيم على البطيم .

وربّ منيمة الندماء سُكُراً نفيتُ بها المنامَ عن النديم
فقامَ ومُقَلَّةُ الإصباحِ فيها بقيةُ إثمِدِ الليلِ البهيم
كأنَّ الصبحَ معترضاً دجاءُ خصيمٍ يستطيلُ على خصيم
كأنَّ الشرقَ في هذا وهذا مَصَفٌّ فيه زَنَجِيٌّ ورومي
وليلٍ شقٍّ فيه ضياءُ صُبْحٍ كأدهمَ ، في إغارتهِ ، لطيم^٢
قطعنا تحت غيبيه عَراءَ بعاريةِ العظامِ من اللحوم
وداميةٍ مناسِمُها رَسَمُنا لها قَطَعَ المَهايمِ بالرَّسيم
وطُفُنَا في البلاد طوافَ قَومٍ يريح نفوسَهم تَعَبُ الجُوم
وفي مغنى ابنِ عبادٍ حَلَلْنَا وقد نِلنا المني غند العَزم
بَحِثْ يَغْضُضْ أَبْصاراً ملوكُ تُعْظَمُ هِيَّةَ الملكِ العظيم
تُنْظَمُ^٣ في مراتبِهِ المعالي فتَحْسِبُها نجوماً للنجوم
وتهمي من أناميلِهِ العَطَايا فتَحْسِبُها غيوماً للغيوم
وتصدُرُ عن ندى يده الأمانِي ، إذا وردتهُ هِيماً ، غير هيم
إذا نسيَ الكرامُ أنابَ ذكراً يسافرُ في فَمِ الزَمَنِ المقيم

١ في ب : مقتضياً .

٢ اللطيم من الخيل : الذي سالت غرته في أحد شقي وجهه .

٣ في ب : ترفع .

٤ في ب : أناف .

تَسَاجِيهَ فِرَاسَةً نَاطِرِيَهٗ بِمَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ الْكَتُومِ
فِيَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ لَحْمٍ ، وَلَحْمٌ بِدَوْرٍ مَطَالَعِ الْحَسْبِ الصَّمِيمِ
إِذَا جَادُوا فَأَنْوَاءُ الْعَطَايَا وَإِنْ حَلَمُوا فَأَطْوَادُ الْحُلُومِ
وَأَحْرَمَ فِي يَمِينِكَ مَشْرِفِيْ أَدَمْتَ بِبَذْلِهِ صَوْنَ الْحَرِيمِ
وَمُعْتَرَكٍ تَلَقَّى الْفَنَشُ فِيهِ غَرِيماً مَهْلِكاً نَفْسَ الْغَرِيمِ
تَسْتَرَّ بِالظَّلَامِ وَفَرَّ خَوْفًا بَرَّوْعٍ شَقَّ سَامِعِيْ ظَلِيمٍ^٢
وَذَاقَ يُّوسُفَ ذِي الْبَأْسِ بُؤْسًا^٣ فَمَرَّرَ عِنْدَهُ حُلُوَ النَّعِيمِ
وَقَدْ نَهَشْتُهُ حَيَاتُ الْعَوَالِي سَلَوْا اللَّيْلَ السَّلِيمَ عَنِ السَّلِيمِ
ثَنَى تَوْحِيدُكَ التَّثْلِيثَ مِنْهُ يَعْصُ عَلَى يَدَيَّ فَرْعٍ كَظِيمِ
رَأَاكَ وَأَنْتَ مَبْتَسِمٌ كَضَارٍ ثَنَاءَبَ عَنْ نَوَاجِذِهِ شَتِيمِ
غَدَاةٌ أَتَى بِصَلْبَانٍ أَضَلَّتْ^٤ عُلُوجًا أَبْرَمُوا كَيْدَ الْبَرِيمِ^٥
كَأَنَّهُمْ شَيْطَانِينَ وَلَكِنْ رَمَيْتَهُمْ^٦ بِمَحْرَقَةِ النُّجُومِ

١ في ب : بقرعه .

٢ أي بفزع صارخ بلغ من شدته أن سمعه الظليم وهو موصوف بالصمم .

٣ في ب : وضاق ييوسف في الناس بؤساً .

٤ في ب : أظلت .

٥ البريم : الجيش فيه أخلاط من الناس .

٦ في ب : قدقتهم .

علوج^١ قُمْصُ حَرْبُهُمْ حَدِيدٌ يُعْبَرُ عَنْهُمْ سَهَكَ النسيم
 يقودهم^٢ حينهم^٣ ظلوم^٤ لأنفسهم^٥ ، فويل^٦ للظلوم
 رعى نَبَتَ الوشيج بهم^٧ فمادوا وأوردتهم^٨ حياضاً في المواضي
 ولما أن^٩ أذاك^{١٠} بقوم عادٍ أتيت^{١١} بصرص^{١٢} الريح العقيم
 وقد ضرمت^{١٣} نارَ الحرب حتى حَكَتْ زفراتها قِطْعَه^{١٤} الجحيم
 وثارَ بركضِ شُرْبِهَا قَتَامٌ خَلَعْنَ^{١٥} به الصريم على الصريم
 فثوبُ الجوّ مُغْبَرَّ الحواشي ووجهُ الأرض حمراً^{١٦} الأديم
 وقد سَكِرَتْ صِعَادُ الخَطِّ حتى تَأَوَّدَ^{١٧} كل^{١٨} لَدُنِ مستقيم
 وما شربت^{١٩} سوى خمرِ التراقي ولا انشقت^{٢٠} سِوَى وَرْدِ الكلوم
 فصل^{٢١} لربك المعبودِ وانخرُ قُرُوماً^{٢٢} منهم^{٢٣} بَعْدَ القروم
 وَعَيْدُ^{٢٤} بالهدى لا وأَعِدْ^{٢٥} عليهم^{٢٦} عذابَ الحرب بالآلم^{٢٧} الأليم

١ في ب : جنود .

٢ في ب : لحربهم .

٣ في ب : حميم ؛ والجحوم : البثر الكثيرة الماء .

٤ في ب : أضمرت .

٥ في ب : نار .

٦ الوافي : ولا نشقت .

٧ في ف : بالهني ، والتصويب عن ب .

وقال يمدح المنصور بن الناصر بن علناس

أمدامٌ عن حَبَابٍ تبتسمُ أمٌ عَفِيقٌ فوقه دُرٌّ نُظِمُ
أعلى الهممُ بعثنا كأسنا أم بنجمِ الأفقِ شيطانٌ رُجِمُ
أظلامٌ لضياءِ طَبَقُ أم على الكافورِ بالمسكِ خُتِمُ
أندى في الزهرِ أم ماءُ الهوى حارَ في أعينِ حُورٍ لم تنمُ
أعمودُ الصبحِ في الغيبِ أم غُرَّةُ الأشقرِ في الغيمِ الأحَمُ
أمِراً أم غديرٌ دائمٌ مقشعرٌ الجلدِ بالقرِّ شَبِمْ
قدَرتُ منه الصَّبَا سرداً فما رَفَعَتْ عنه يداً حتى انفصمُ
كلٌّ ذا يدعو إلى مشمولةٍ فذرِ اللومَ عليها أو فُلْمُ
واغتنمِ من كلِّ عيشٍ صَمَوَهُ فالدَّ العيشُ صفوٌ يُغْتَنَمُ
واشكِلِ الأوتارَ عن نغمتها لا تسوغُ الخمرُ إلا بالنغمِ
ومسدامٍ قدُمْتَ فهيَ إذا سئِلْتُ تخبرُ عن عادٍ لارمِ
سكنتُ أجوفَ في جوفِ الثرى نَسَجَ الدهرُ عليه ورَقَمِ
خالفتُ أفعالها أعمارها فأتَتْ قوتُها بَعْدَ الهرمِ

فهي في الراوقِ إن رَوَّقْتَهَا^١ لَهْبٌ جَارٍ وماءٌ مُضطَرم
 أَفْنَتِ الأحقابُ منها جوهراً ما خلا الجزءَ الذي لا ينقسم
 فهي مما أفرطت رَقَّتْهَا^٢ تجدُ الريَّ بها وهي عَدَم
 لا ينالُ الشَّرْبُ من كاساتها غيرَ أوْنٍ يُسرِعُ السَّكْرَ وشم
 وكأنَّ الشمسَ في ناجودِها من سوادِ القارِ في قُمْصٍ ظلم
 فأدِرُ للروحِ أُخْتًا والزرا جينَ بنتاً وسرورِ النفسِ أُم^٣
 فهي مفتاحُ للذاتِ لنا ويدُ المنصورِ مفتاحُ الكرم
 حلَّ قصرَ المجدِ منه مَلِكٌ^٤ بُدِءَ المجدُ به ثم خُتِمَ
 يحتبي في الدستِ منه أَسَدٌ وهلالٌ وسحابٌ وَعَلَمُ
 يتركُ النِّقْمَةَ في جانبهِ وإذا عاقبَ في الله انتقم
 وإذا قال : نعم ، وهي له عادةٌ ، أسِغَ بالبذل النِّعَمُ
 ذو أياديَ بأيادي وُصِّلَتْ كتوالي دِيَمٍ بَعْدَ دِيَمٍ
 وإذا ما بَخِلَ الغيمُ سخا وإذا ما عَبَسَ الدهرُ بَسَمَ
 تنتخي^٤ السادات عزاً [فإذا] قَرُبَتْ من عنده صارتُ خَدَمُ

١ في ف : فرقها ، وبهامشها : إن رنقتها أو إن روقتها .

٢ في ف و م : ريقها .

٣ الزراجين : جمع زرجون وهو قضيب الكرم .

٤ في ف و م : ينتحي .

لست أدري أيمنٌ قبَلتُ منه في تسليمها أمْ مُستَلِم
يذعرُ الجبارُ منه فعلى شَفَةِ يمشي إليه لا قدم
فالقُ الهامُ ، إذا كرّ سطا مِسْعَرُ الحَرْبِ ، إذا همّ اعتَزَم
كلما أوطأ حرباً سنبكاً حميَّ الرَوْعُ^١ وشَبَ المقتحم
وإذا حاولَ في طعنِ الحَكلى صَرَفَ اللَهْدَمَ تصريفَ القلم
يطأُ الهامُ اتى فلقَها بلُهامٍ للاءادي مُلتهم
يُرْجِعُ الليلَ نهاراً بالطِّبَا ويعيدُ الظُّهرَ بالنقع عَتَمُ^٢
فضياءُ الشهبِ في قسْطِلِه ويعيدُ الظهرَ دِيالَ في نيم^٢ [كذا]
إنما حَمِيرُ أسدٍ لم تَزَلْ من قناها ساكناتٍ في أجَم
كلَّ شَهمِ القلبِ مرهوبِ الشبا مُرتضى الأخلاقِ محمودِ الشيم
يستظَلّون بأوراقِ الطِّبَا وأوارُ الرَوْعِ فيهم مُحْتَدَم
وعروسٍ لك قد أهدَيْتُها تَكَلَّمُ الحُسَادُ منها بالكَلِم
في تقاصيرَ من الدَّرِّ إذا حاولوا تحصيلها فهي حِكَم
يضربُ الأمثالَ فيها بِكُمْ أُمَمٌ في المدح منْ بعد أُمَم
أسكنتُ ذكركَ حُكماً خالداً أبداً بُنيانُهُ لا ينهدِم

١ في ف و م : شبكاً ، حمي المذع .

٢ لم أوفق لتصحيحه ، ويبدو أن الناسخ أخطأ إذ التقط نظره عجز البيت السابق واضطرب عليه الأمر .

وقال يصف شمعة

خليفةُ الملك ترى عنده خليفةَ الشمس تجلّي الظلمِ
 ذابلةٌ ، في الصُّفْرِ مركوزةٌ لها من النَّارِ سِنانٌ خديم
 تُبْدي من الشمع قرأ مُدْمَجاً لولا نُخاعُ القُطْنِ لم يَسْتَقِمِ
 فجسمها من ذهبٍ جامدٍ يُذِيهُ روحٌ له^١ مُضْطَرِم
 تَقْطُفُ من هامتها فَضْلَةً قطفك بالمقراض رأسَ القلم
 فنورها^٢ من ذاك مُسْتَأْنَفٌ كأنه الصِّحَّةُ بعدَ السَّقَمِ^٣
 يأكلها وهي غداءٌ له ، منها لسانٌ وهو^٤ في غير فم
 كأنها راقصةٌ بيننا لم تنتقل^٥ في الرِّقْصِ منها قدم
 قائمةٌ في ملبَسٍ^٦ أَصْفَرٍ قد حرّكت منه لنا فرْدَ كُمِ

١ في ب : وروحها من ذهب .

٢ في ب : فعيثها .

٣ في ب : ما أحسن الصحة بعد الألم .

٤ في ب : وهي .

٥ في ب : ينتقل .

٦ في ب : مجسد .

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز

عسى للصبا عِلْمٌ^١ برَّسَمِ المعالمِ فتَبَرِدَ حَرّاً من صَبَابَةِ هائم^١
 ربوع^٢ رُبَعْتُ اللّهُوَ والكاسَ والصِّبَا بها مُكْرَمًا^٢ بالوصلِ عند الكرائمِ
 لياليَ تعذّيبِي من الوجدِ مقلقي^٣ ورشفي اللمى من عذبة الرِّيقِ غارمي
 وقد كان في محلِّ الهوى وانتجاعه^٤ مُنْدَيَّ في وَرْدِ الحدودِ النّواعِمِ
 فيا رِيحُ إنَّ الرّوحَ فيكَ فعلّلي به ساهراً ، وقفاً على ذِكْرِ نائمِ
 تطيّبتِ بالأرضِ التي طابَ تَرْبُهَا وَمَجَّ نداها النَّدَّ في أنْفِ لائمِ
 وأذكرتني عَصَرَ الصبا فكأنما تَحَدَّثُ منه العينُ عن طَيْفِ حالمِ
 أعيدي حديثاً عنده مَوْرَدُ^٥ ، لنا وَقُوعُ^٥ عليه ، بالقلوبِ الحوائِمِ
 وهاتي جهامَ السُّحْبِ أملؤها حيّاً بدمعي لسقيا أَرْبُعي ومعالي
 سرتَ موهناً تمشي على الماءِ بالهوى وبالمِسكِ من أنفاسِها في النّمائمِ^٥

١ في ف و م : عائم .

٢ في م : سكر ما ؛ والتصويب من ف .

٣ في ف و م : ملتقى ؛ وربما قرئت : متلفي .

٤ في ف و م : الدين .

٥ في ف : النمائم ؛ والنمائم : ما تم بالرائحة الطيبة .

وليس حديثُ الريحِ إلا تبسّماً يفتَ حصاةَ القلبِ بين الحيازِمِ
وكم من بلى صَبَرٍ تَهَبُّ به أَسَى وتجديدِ شوقٍ من هوى متقدِّمِ
وأسطارِ حزنٍ يملأُ الخدَّ خَطُّها جراحاً ، بأقلامِ الدموعِ السواجمِ
فَمَنْ غريبٍ مُذهَّبٍ شَطَرَ عُمُرِهِ طِلابُ المعالي وارتكابُ العزائمِ
ذوى عُدُوهُ وانحطَّ في العمرِ إذ رَقَى إلى سِنٍّ مَن أَفنى ثلاثَ عمائمِ
لقد صَرَمَتْ حُبلى طباءُ الصرائِمِ وجازَتْ مودَّاتِ الهوى بالسخائمِ
وأعرَضَ عن ذكرِ الحسانِ^٢ وطالما نَقَشْنَ كَلَامِي في فُصُوصِ الخواتِمِ
وكنْتُ أعاديها على فَرَسِ الصبا مغيراً ، فتغدو غُرَّها^٣ من غنائمي
كَأَنِّي لَمْ أَشْغَفْ بِزَهْرٍ بِرَاقِعٍ يقصِّرُ عن رِيّاهُ زَهْرُ الكمامِ
تَرى نرجسَ الأَجفانِ مِنْه كَلَامٍ يشيرُ إلى ما في أَقاحِ المباسمِ
لياليَ يشدونِي على كَأْسِ قَهْوَةٍ قِيانُ العذارى أو قِيانُ الحمائمِ
وصفراءَ في جِسمِ الزَّجاجِ تَمَيَّعَتْ تَأَلَّقَ بَرَقٍ في الغمامِ لَشَائِمِ

١ يشير إلى قول الشاعر :

يا من لشيخ قد تخدد لحمه أبلى ثلاثَ عمائمِ ألوانا
سوداء حالكه وسحق مفوف وأجد لوناً بعد ذاك هجانا
والبيت محرف في ف فقد ورد هنالك : في العمدِ إذ رمى . . . من أبنا ثلث .
وفي ف : أبنا ثلث كذلك ؛ ولعل أبنا تقرأ : أبلى .

٢ كلمة « الحسان » سقطت من ف وبهاشبا : لعلها « الحسان » .

٣ في ف و م : غيرها .

تري الشمس منها وَسَطَ هَالَةٍ أَنْجُمٍ
وكم غَادَةِ زَارَتْ عَلَى خَوْفِ رِقْبَةٍ
فَبَاتَ يَشُبُّ النَّارَ فِي الْقَلْبِ حُبُّهَا
وَيَدٍ تَرَى ذَاتَ السَّنَابِكِ فِي السَّرَى
بِهَا مِنْ قَبِيلِ الْإِنْسِ جَنَانُ مَهْمَةٍ
وَكُلُّ أَضَاةٍ لَا مَغَاصَ¹ لِلْهَذْمِ
وَكُلُّ عُقَابٍ جَانِحٍ بِقَوَادِمِ
كَأَنَّ الرِّيحَ الْهَوَجَ رَاضُوا شِدَادَهَا
إِذَا مَا انْتَضَوْا لِلْحَرْبِ مَا فِي غَمُودِهِمْ²
وَتَعْجَبُ مِنْهُمْ مِنْ فَصَاحَةِ أَلْسُنِ
وَحُضْرٍ خَلَايَاهُنَّ تَجْرِي كَمَا ارْتَمَتْ
كَأَنَّ جِبَالَاً بِالْعَوَاصِفِ فَوْقَهَا
كَأَنَّ مَغَاصَ الدَّرِّ فِي قَعْرِهَا بَدَتْ
كَأَنَّ عَلَى الْأَفْلَاقِ مَسْبَحَ فَلَكِهَا
إِلَى ابْنِ تَمِيمٍ أَسْنَدَتْ كُلَّ مَنَكِبٍ³
وَلَا فَلَكَ إِلَّا بَنَانُ الْمُنَادِمِ
وَلَمْ يَتْنِهَا عَنْ زُورْقِي لَوْمٍ لَائِمِ
عَلَى أَنَّهَا كَالْمَاءِ فِي فَمِ صَائِمِ
مُسْلِمَةً⁴ فِيهَا لَذَاتُ الْمُنَاسِمِ
صَعَالِكُ إِلَّا مِنْ قَنَا وَصَوَارِمِ
عَلَى الذَّمِّ فِيهَا يَوْمَ طَعْنِ الْحِيَازِمِ
مُعَقَّ⁵ بِطَرْفٍ ، سَابِحٍ بِقَوَائِمِ
أَمَا رَكَبُوهَا وَهِيَ لَيْنُ الشَّكَاثِمِ
رَعَوْا بِوَجِيعِ الضَّرْبِ مَا فِي الْعَمَائِمِ⁶
وَمَا صَحَبُوا فِي الْقَفْرِ غَيْرَ الْبَهَائِمِ
بِقَاعِ سَرَابٍ مُجْفَلَاتُ النَّعَائِمِ
مُسَيَّرَةٌ⁷ مِنْ مَوْجِهَا الْمُتَلَاطِمِ
فَرَاثِدُهُ⁸ أَوْ مَنَشَرًا⁹ لِلدَّرَاهِمِ
إِذَا طَلَعَتْ زَهْرُ النُّجُومِ الْعَوَائِمِ
إِلَى مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ غَيْرَ مَزَاحِمِ

١ في ف و م : مصاص ، والأضائة الدرع وهي من الإحكام بحيث لا يجد فيها اللهزم مفاصاً .

٢ معق : مرتفع حائم كالعقاب ؛ وفي ف و م : معشى .

٣ في م : الغنائم ، وفي ف : الغنائم .

وجدنا جميع الأرض في أرض حمة
همام صريح العزم سل سيفه
تلوذ المنايا منه ، والدهر عابس
تحل بنو الآمال منه بساحة
وتمشي بذئ الإكبار جبهة ساجد
حمتي ملكتي يحيى ولولاه ما احتنى
وحكم في الجود العفاة ، وهكذا
تشيم به صباحاً من العدل مشرقاً
ويجري لك المعروف من كف واهب
إذا رحلته همة أدرك العلى
ولا عجب أن علم الجود باخلا :
يسوس الورى من بين بر وفاجر
وتطوي سراياه السرى وهبائه
ومن يُمض أمر الملك بالبأس والندى
وفي قصدنا يحيى جميع المكارم
فدبت ضراباً عن خدور المحارم
بأروع عن ثغر الرئاسة باسم
بها يقف الجبار وقفة واجم
إليه [و] فوق التراب أو فم لاثم
وهل يحتمي غيل بغير ضبارم
يحكم أطراف الظبا في الجماجم
إذا كنت في ليل من الجور فاحم
إذا جمّد المعروف من كف حارم
وحط رحال العز فوق النعائم
يضل أخو جهل ، ويهدى بعالم
بلطف صفوح منه ، أو عفو ناظم
فأي انتباه للعيون النوائم
يجز حكمه في الأرض طيبة حاتم

١ في م : صداداً . واقرأ : ذباداً .

٢ في ف و م : راحم .

٣ النعائم : منزلة من منازل القمر فيها ثمانية كواكب .

فما راحةٌ لا راحةٌ للندى بها ومالٌ عليه البذلُ ضربةٌ لازم
 له في مكرِّ الخيلِ قسوةٌ قاهرٍ وعند مَجَرِّ الذيلِ رافةٌ راحم
 وعِفَّةٌ سيفٍ ، ليس يترقُّ بالردى إذا سلتهُ ، إلا على رأس ظالم
 يفضُّ ختامَ الهامِ قطعاً عن الطلى [يسرى] إذ اليمنى قبيعةٌ صارم
 نمتُهُ من الأملاكِ صيدٌ تقدَّمت لهم قدَّمُ الإعظامِ عند الأعظم
 بهاليلٍ من حيٍّ لِقاحٍ سمَّوا على أعاربَ من أهلِ العلى وأعاجم
 مجالسُهُم في الحرب والسلم لم تزل دسوتَ المعالي أو سرَّوجَ الصلادم
 بنو الحرب تُخشى صولةُ البأس منهم وحربُ القنا في نافذاتِ اللهازم
 لهم كلُّ مولودٍ على فِطْرةٍ الوغى تُراعُ به شبلاً أسودُ الملاحم
 وتحسبُهُ سيفاً على عاتقِ العلى ولا حليةٌ إلا منوطُ التمام
 ولم يدرِ من قبلُ السيوفَ وإنما حكى القين^٣ فيها ما لهم من عزائم
 فيا جاعلاً من عقوهِ وانتقامهِ جنى النحل طعميهِ وسمَّ الأراقم
 لأذكيتَ نارَ العِزِّ وهي التي بها وضعتَ سماتِ الدلِّ فوقَ المخاطم
 سيوفُك أبقتَ في الأعادي أبدتَهُم ماتمَ أحزانٍ بغيرِ مآثم

١ في م : إذا ليمايه ؛ والتصحيح من ف مع زيادة ما بين معقفين .

٢ في م وف : تدر ، والضمير يرجع إلى المولود .

٣ في ف و م : العين .

كَانَ حُرُوفَ اللَّيْلِ كَانَتْ رُؤُوسَهُمْ ۖ فَلَاقَيْنِ حَدْفًا مِنْ وَقُوعِ الْجَوَازِمِ
 وَجِيشُكَ هِنْدِيَّ الْخَوَافِي ، بِهَزْهِ ۖ جَنَاحِي عَقَّابٍ ، سَمَهْرِي الْقَوَادِمِ
 وَزُرْقُ ذَبَابٍ فِي الثَّعَالِبِ أَجْدَبَتْ ۖ وَمَا انْتَجَعْتُ إِلَّا نَجِيعَ الضَّرَاغِمِ
 فَيَا دَوْلَةً قَعَسَاءَ دَرَّتْ فَأَرْضَاعَتْ ۖ ثُدِيَّ الْمَنَايَا أَوْ ثُدِيَّ الْمَكَارِمِ
 حَلُمْتُ فَمَا تُشْنِي عَلَى حِلْمٍ أَحْنَفٍ ۖ وَجَدْتُ فَمَا تُصْنِي إِلَى جُودِ حَاتِمِ
 فَهَنَنْتُ عِيدًا يَقْتَضِي كُلَّ عَوْدَةٍ ۖ إِلَيْكَ ، بَعَزٍ ثَابِتِ الْمَلِكِ دَائِمِ

٢٨٧

وقال أيضاً يمدحه

أَوْمِضُ الْبَرْقِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ۖ أَمْ آيَاةُ الشَّمْسِ فِي كَأْسِ النَّدِيمِ
 فَتَلَقَّ^١ الرُّوحَ مِنْ رِيحَانَةٍ ۖ حَيَّتِ الشَّرْبَ بِهَا رَاحَةُ رِيمِ
 عَصِرَتْ وَالْدَهْرُ يَوْمٌ مُفْرَدٌ ۖ كَقَسِيمٍ لَمْ تُجِزْهُ بِقَسِيمِ
 جُنَيْتَ أَعْنَابُهَا مِنْ جَنَّةٍ ۖ نُقِلْتُ مِنْهَا إِلَى حَرِّ الْجَحِيمِ
 فَلَبَّسُ^٢ النَّارِ فِيهَا بَسْكَةً^{٢٥} ۖ حَكَمْتَ لِلشَّرْبِ مِنْهَا بِالنَّعِيمِ

١ في ف و م : فتلقى .

٢ في ب : الدهر فيها شكة .

كَفَّ حَكْمُ الْمَاءِ مِنْهَا سُورَةٌ تُسَكِّرُ الصَّاحِي مِنْهَا بِالشَّمِيمِ
وَكَأَنَّ الْكَأْسَ تَاجٌ كُتِلَتْ جَنَبَاتٌ مِنْهُ بِالذَّرِّ النَّظِيمِ
وَقَوَارِيرُ حَبَابٍ سَبَحَتْ مِنْ سُلَافِ الْكَرَمِ فِي مَاءٍ كَرِيمِ
فَهِيَ الدَّرِّيَاقُ مِنْ سَمِّ الْأَسَى حَيْثُ لَا يَشْفِيكَ دَرِيَاكُ الْحَكِيمِ
أَقْبَلَتْ تَسْعَى بِهَا خُمْصَانَةٌ عَمَّ مِنْهَا حُسْنُهَا خُلُقًا عَمِيمِ
كَلِمَا قَامَتْ تَثْنَى خَلَعَتْ^١ مِيلَ الْتِيهِ عَلَى خُوطٍ قَوِيمِ
سِحْرُ هَارُوتٍ وَمَارُوتٍ بِهَا فِي فَتُورِ اللَّحْظِ وَاللَفْظِ الرَّخِيمِ
تَوَدَّعُ الْكَفَّ شَهَابًا مُحْرَقًا كُلَّ شَيْطَانٍ مِنْ إِهْمٍ رَجِيمِ
فِي ظِلَامٍ بَرَقَ الصَّبْحُ لَهُ^٢ فَتَوَلَّى عَنْهُ إِجْفَالُ الظُّلُمِ
وَحَكَّتْ جَوَازِئُهُ سَاقِيَةً بِنِطَاقٍ شَدَّ فِي خَصْرِ هُضِيمِ
وَكَأَنَّ الشَّهْبَ كَاسَاتٌ لَهَا شَارِبٌ فِي الْغَرْبِ لِلشَّرْبِ مَدِيمِ^٣
وَكَأَنَّ الصَّبْحَ كَفَّ أَخْرَجَتْ لَكَ مِنْ جَيْبِ ابْنِ عِمْرَانَ الْكَلِيمِ
وَكَأَنَّ الشَّرْقَ فِيهِ رَافِعٌ حُجْبًا عَنْ وَجْهِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمِ
مَلِكٌ فِي الْمَلِكِ يُبْدِي فَخْرَهُ جَوْهَرًا فِي حَسَبِ الْمَجْدِ الصَّمِيمِ

١ في ب : جعلت .

٢ في ب : به .

٣ في ب : بالشرب يهيم .

ذائدٌ بالسيفِ عَنْ دِينَ الهدى سالكٌ فيه سراطاً مستقيم
 أحلّمُ الأملاكِ عن ذي زَلّةٍ سَبَقَ السيفَ له عَدْلُ الحليم
 وسليمُ العِرْضِ تَلَقَى مَالَهُ أبدأ من بذله غَيْرَ سليم
 ذو إباءٍ من عِذاهُ نَاقِمٌ ورووفٌ برعاياهُ رَحِيم
 من أراحَ الفقرَ إِذْ أسدى الغنى وأباحَ الوَفَرَ إِذْ صانَ الحريم
 من له طيبُ ثناءٍ أَرَجٌ راجلٌ في مِقْوَلِ الدهرِ مقيم
 مَنْ له القِدْحُ المَعْلَى في العلى فائزٌ في الملكِ بالخطِّ العظيم
 مُنْعِمٌ ، نَبَتْ مغانيه الغنى أفلا يعلم فيهنّ العديم
 لم تَزَلْ تُرْضِعُ أخلافَ الندى يَدُهُ^٢ العافينَ مُذْ كان فطيم
 ماءُ نعماهُ نَمِيرٌ لا صَرَى^٣ وَمُنْدَاهُ خَصِيبٌ لا وخيم
 لا جمودُ القطرِ في المحلِّ ولا خَلَبُ البرقِ بَعِثْنِي مَنْ يَشِيم
 كم له من حُجّةٍ بالغةٍ في لسانِ السيفِ تُودِي بالخصيم
 يَغْمُرُ الحربَ بِجيشِ أرضه من دمِ الأعداءِ حمراءُ الأديم

١ في م : بين .

٢ في م : ثديه .

٣ الصرى : الماء الذي طال استنقاؤه .

٤ في ب : محل .

٥ في ب : الأرض وفي ف : يغمر .

يقتضي الذَّمُّ من الذَّمِّ بها روحه ، فالذَّمُّ للذَّمِّ غريم
وكانَ الشمسَ من قَسَطِلِهِ فوقه تنظرُ من طَرْفٍ سقيم
دَقَّ فيه السَّمَرُ طعناً وثقى ورقَ الفولاذِ بالضربِ هشيم
كيفَ لا يُفَتِّي عِدَاهُ^١ في الوغى ملكٌ يغدو^٢ له الموتُ خديم
كم فلاةٍ دونه يدفعُها سُنْبُكُ العدوِ إلى خفِّ الرسيم
لابن آوى وَسَطَها وَعَوَعَة^٣ تُوحِشُ الإنسَ ، ولليومِ نعيم
وعظيم الهولِ لولا آية^٤ لم يكنْ رَاكِبُهُ إِلَّا أثيم
لم تزلْ عينيَ أو أذني به تؤذِنُ القلبَ بخوفٍ لا يُنيم
قد جَمَمْتُ العزمَ ما بينهما بالسَّرى والنجمِ بالليلِ البهيم^٥
ووردتُ النِّيلَ من نَيْلٍ يدٍ ترتوي الآمالُ منها وهي هيم
يا أبا الطاهر جَدَّدْتَ على نبي أزمانِ العليِّ المُلْكِ القديم
لستَ كالبحرِ فَمِلَحْ ماؤه^٦ لا ولا كالليثِ ، فالليثُ شتيم
بل حباكَ الله بأساً وندى خلُقاً منك على أكرمِ خيم

١ في ف و م : يغنى غداه .

٢ في ب : عداه ملك ، في الوغى .

٣ في ف : والسرى . . . والليل .

٤ في ب : زاكياً .

وقال أيضاً بمدحه

رَعَى مِنْ أَخِي^١ الْوَجْدَ طَيْفٌ ذَمَامَا فَحَلَّلَ مِنْ وَصَلَ سَلَمَى حَرَامَا
تَحَمَّلَ مِنْهَا بَرِيًّا الْعِيرَ وَمِنْ أَرْضِهَا بِأَرْيَجِ الْخَزَامَى
تَعَرَّضَهُ سُورٌ قَصِيرٌ فَطَارَ وَسَاوَرَهُ^٢ مَوْجٌ بِخَرِ فَعَامَا
مَشَى بِالتَّوَاصِلِ بَيْنَ الْجُفُونِ وَدَاوَى السَّلِيمَ ، وَأَهْدَى السَّلَامَا
وَمَثَلَ لِلصَّبِّ فِي نَوْمِهِ ضَجِيعًا ، إِذَا أَرَقَّ الصَّبُّ نَامَا
وَمِنْ صَوْرِ الْفِكْرِ^٣ مَحْبُوبَةً يَعُودُ عَلِيلًا بِهَا مُسْتَهَامَا
لَهَا عَنَمٌ فِي غُصُونِ الْبَنَانِ يَعْلُ نَدَى أَقْحُوَانٍ بِشَامَا
تَرَى نَضْرَةَ الْحُسْنِ فِي خَدَّهَا تَمِيعُ مَاءٍ وَتَذْكِي ضِرَامَا
تَرْتَجُ بِالْبَدْرِ غُصْنًا رَطِيًّا وَتَرْجُ فِي السَّيْرِ دِعْصًا رَكَامَا
فَأَمْسَيْتُ مِنْهَا بِمَاءِ اللَّمَى أُرَوِّي أَوَامًا ، وَأَشْفِي سَقَامَا

١ في ف : أرمى .

٢ في م : وصادره .

٣ في ف و م : الكفر .

٤ في م : وترمج في الكبد عضاً ركاما ، وهو شديد التصحيف ، وكلمة السير غير واضحة تماماً في ف . وكلمة : وترج ربما قرئت « وترجح » .

حلاً لي وأسكرني ريقها فهل خامر الأري منه المداما
 تلاقت صواعيد أنفاسها فمازج منها السلو الغراما
 ولا عجب أن ضماتنا جبرن القلوب وهضن العظاما
 بأرض دحاهم الكرى بيننا نال الأماني فيها احتكاما
 فلا بسط الصبح فيها الضياء ولا قبض الليل عنها الظلاما
 فلو عاين الأمر حل الجواد وشد الحزام وسل الحساما
 وأقبل بالريح نحو السحاب يظن سنا البرق منها ابتساما
 ولما أتانا من الإنباه دخلنا له بالوصال المناما
 جعلنا تراورنا في الكرى فما نتقي من مكموم ملاما
 ومرت لطائف أرواحنا بلغو الهوى حيث مرت كراما
 وطام كجيش الوغى لا تخوض به غمرة الموت إلا اقتحاما
 تباري عليه الدبور الصبا ، مناقضة ، والشمال النعاما^١
 إذا ما ارتمى فيه قرم الردى ركبنا له وهو يرغو سناما
 وردنا فراتاً ينيل الحياة^٢ ومن كف يحى انتجعنا الغماما
 لدى ملك جاد بالمكرمات تلاقيه في كل فضل إماما

١ النعامي : من أسماء الريح الجنوبية .

٢ في م : ورحنا فراقاً بليل الحياة ؛ وهو مصحف كثيراً .

أشْمُ قَدِيمُ تَرَاثِ الْعُلَى يَرَاوِجُ بِالْحَلَمِ مِنْهُ شَمَامَا
إِذَا قَرَّ فِي دَسْتِهِ جَالِسًا رَأَيْتَ الْمُلُوكَ لَدَيْهِ قِيَامَا
بِنَادٍ تَرَى فِيهِ سَمَتَ الْوَقَارِ يَزِينُ عَظِيمًا أَيْيًا هُمَامَا
يَقْلُ فِي الْجَفْنِ عَنْهُ اللَّحَاطَ وَيَبْعُثُ بِالْوِزْنِ فِيهِ الْكَلَامَا
تَعَلَّمَ عِفْتَهُ سَيْفُهُ^١ فَلَيْسَ يُرِيقُ نَجِيمًا حَرَامَا
وَمَا زَالَ دِينَ الْهَدَى فِي الْخُطُوبِ يَشْدُ عَلَيْهِ يَدِيهِ اعْتِصَامَا
وَلَا عَجَبٌ أَنْ صَرَفَ الزَّمَانَ تُصَرِّفُ يُسْرَاهُ مِنْهُ زَمَامَا
أَمَّا مَهْدَ الْمَلِكِ يَحْيَى ، أَمَّا أَرَاكَ لِكُلِّ اعْوِجَاجٍ قَوَامَا
أَمَّا نَشَأَتْ مِنْهُ سَحْبُ النَّدَى سَوَاكِبَ تَهْمِي ، وَكَانَتْ جَهَامَا ؟
أَمَّا ذِكْرُهُ ذِكْرُ [مَنْ] يُتَّقَى [يَدَا] ، وَيَكُونُ كَلَامٌ كِلَامَا ؟
يَبِيدُ الْعَدَا بِلُهَامٍ يَرِيكَ رَدَاءً عَلَى مَنْكِيهِ الْقَتَامَا
بِعِزْمٍ يُجَرِّدُ مِنْهُ السُّيُوفَ وَرَأْيِي يَفُوقُ مِنْهُ السُّهَامَا
يَعُدُّ مِنَ الصَّيْدِ آبَائِهِ كُفَاةً حُفَاةً^٢ وَغُرًّا كَرَامَا
مَجَالِسُهُمْ فِي الْحُرُوبِ السُّرُوجُ إِذَا قَعَدَ الْمَوْتُ فِيهَا وَقَامَا
تُحْمَرُّ حَمِيرُ أَرْضِ الْوَعَى وَتَفْلُقُ بِالْبَيْضِ بَيْضًا وَهَامَا

١ في م : شقرة . ولعلها : شفرة .

٢ حفاة : أي شديده الحفاوة .

تَكْهَلْ مُلْكُهُمْ وَالزَّمَانُ يُصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيْهِ غَلَامَا
وَجَيْشٍ يَجِيشُ بِأَبْطَالِهِ كَمَا مَاجَ مَوْجُ الْعِبَابِ التَّطَامَا
بِنَفْعٍ يُرِيكَ نَجُومَ السَّمَاءِ إِذَا الْجَوُّ مِنْهُ عَلَى الشَّمْسِ غَامَا
إِذَا هُمْ بِالْفَتْكِ فِيهِ الشَّجَاعُ وَحَامَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَوْتُ خَامَا
غَدَا ابْنُ تَمِيمٍ بِهِ قَسُورًا وَقَدْ لَيْسَ الْبَدْرُ مِنْهُ التَّمَامَا
فِيَا مَنْ تَسَامَى بِهِمَاتِهِ فَنَالَ بِهَا لِلثَّرِيَا مَصَامَا
مَلَأَتْ الزَّمَانَ عَلَى وُسْعِهِ أَنَاةٌ وَبَطْشًا ، فَرَاضًا الْأَنَامَا
وَحِلْمًا مَفِيدًا ، وَرَوْعًا مَبِيدًا ، وَعِيشًا هَنِيئًا ، وَمَوْتًا زَوَامَا
وَقُضْبًا بِضَرْبِ الطَّلَى مَقْطَرَاتٍ وَقُبًّا عَلَى الْهَامِ تَعْدُو هِيَامَا
جَعَلْتَ لِكُلِّ مَقَالٍ فَعَالًا وَلَمْ تَحْتَقِبْ فِي صَنِيعٍ أَثَامَا
لِيَهْنِكَ عَوْدَةُ عَيْدٍ مَشَى إِلَيْكَ عَلَى جَمْرَةِ الشُّوقِ عَامَا
وَأَوْدَعَ فِي كُلِّ لَحْظٍ رَنًا إِلَيْكَ ، وَفِي كُلِّ لَفْظٍ سَلَامَا
وَحَجَّ بِرَبْعِكَ بَيْتَ الْعَلَى وَطَافَ بِهِ لَا يَمْلُ الزَّحَامَا
وَمَنْ لَثَمَ يَمْنَاكَ ، لَوْلَا النَّدَى رَأَى حَجَرَ الرُّكْنِ يُغْشَى اسْتِلَامَا
حَمَيْتَ حِمَى الْمُلُوكِ بِالْمُرْهَقَاتِ وَدُمْتَ لَهُ فِي الْمَعَالِي دَوَامَا

وقال يمدحه ويذكر هدايا أهديت إليه من المغرب ومن قبل ملك قسطنطينة ،
 صحبة رسول منه بخطاب يستعفي به من غزوه بلادده ، سنة تسع وخمسمائة :

أَعْطَيْتَ حُكْمَكَ فِي الْأَيَّامِ فَاحْتَكِمِ وَإِنْ تَمَلَّكَتَ رَقَّ الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ
 وَحَالَفَتْكَ سَعُودٌ لَوْ يُخَصَّصُ بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ لَمَا أَفْضَى إِلَى الْهَرَمِ
 إِنَّ الزَّمَانَ لَيَجْرِي فِي تَصَرُّفِهِ عَلَى مُرَادِكَ مِنْهُ غَيْرَ مُتَّهِمِ
 فَمَا هَمَّتْ بِأَمْرٍ أَوْ أَشْرَتْ بِهِ إِلَّا وَقَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ
 إِنَّ الْقُسْطَيْنِيَّةَ الْكُبْرَى مُمَلَّكَتُهَا قَدْ اتَّقَى مِنْكَ حَدَّ السَّيْفِ بِالْقَلَمِ
 وَخَافَ قَدْحَ زَنَادِ أَمْرِهِ عَجَبٌ يَرْمِيهِ فِي الْمَاءِ ذِي التِّيَّارِ بِالضَّرَمِ
 وَرَامَ حَقْنَ دِمَائِ الرُّومِ مَعْتَمِدًا عَلَى وِفَاءٍ وَفِيَّ مِنْكَ بِالذَّمِّ
 فَكَفَّ عَزَمَ كِفَاةَ صَدَقُ بِأَسِيهِمْ مُسْتَأْصِلٌ نِعَمَ الْأَعْدَاءِ بِالنِّقَمِ
 وَأَقْبَلْتُ مَعَ رُسُلٍ مِنْهُ مَأَلَكَةً تَأْسُو كُلَّوَمَكَ فِي الْأَعْلَاجِ بِالْكَلَمِ
 رَأَيْتُ بِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ مِنْ جَزَعٍ فِي دَسْتِ مُلْكٍ عَلَيْهِ هَيْبَةُ الْعِظَمِ
 مُطَيَّبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا مُوَاصِلُهُ كَأَنْتُمْ عَرَفْتُمْ مَسْكَ بَكْلٍ فَمِ
 مَشَى إِلَيْكَ بِتَدْرِيجٍ عَلَى شَفَةِ مِنْ لَثَمِ أَرْضٍ عَظِيمِ الْمُلْكِ ذِي هَمِّ

مقدّمًا كلّ علقٍ^١ من هديته كروضةٍ فوقتها راحةُ الدّيمِ
 في زاخِرٍ من بحورِ الرومِ ، عادتهُ^٢ ألا يزال مشوبًا منهمُ بدم
 لولا النّواقي^٣ وأثقالُ لها ، حُمِلَتْ من البطاريقِ ، إجلالاً ، على القمم
 فعاد بالسلم من حرب سلاهبها دُهمٌ بأرجلها تَغْنَى عن اللّحم
 ومنشآتٌ إذا ريحٌ لها نشأتُ جرّين في زاخِرٍ بالموت ملتطم
 راحتُ من الشّحم فوق القارِ لابسةً فيه ، تأزّرَ أنوارٍ على ظُلُم
 تبدي سواعدَ أكمامٍ تُريكَ بها مَشْيَ العقاربِ في ألوانها السّخم
 من كلّ مدرّعٍ بالخزم ذي جلدِه لا يشتكي في أليم الضرب من ألم
 وما رأيتُ أسوداً قبلهم فَتَحَتْ مدائنًا نازَلَتْها وهي في الأجْم
 سُدَّتْهم وجدَّتْهم فأوطان النجوم لكم مراتبٌ من علوّ القدرِ والهمم
 وأرضُ بُنْصُرٍ قد أهْدَى غرائبها لملكهم مَلِكُها في سالف القدم
 قل للعفاة أديموا قصد [ساحته] إن نمتُم عن نداء الغمرِ لم ينم
 لولا مكارمُ يحيى والحياةُ بها ما رُدَّ روحُ الغنى في ميتِ العدم

١ في ف و م : علو .

٢ فوقتها : نسجتها .

٣ في ف و م : عادية .

٤ في ف و م : التناوي .

٥ في ف و م : خلد .

مَلِكٌ إِذَا جَادَ جَادَ الْغَيْثُ مِنْ يَدِهِ فَمَسَقَطُ الْقَطْرِ مِنْهُ مَنَنْتُ النِّعَمَ
إِذَا أَثَارَ عَجَاجَ الْحَرْبِ أَحْلَفَهَا لَيْلًا بِهِمًا بَكَرَ الْخَيْلَ بِالْبُهَمِ
أَنْسَيْنَا بِأَيَادٍ مِنْكَ نَذَكْرَهَا خَصِيبَ مِصْرٍ وَمَا أَسْدَاهُ لِلْحَكْمِيِّ
وَقَدْ طَوَيْتَ مِنَ الطَّائِيِّ مَا^٢ نَشَرْتَ مِنَ الْمَفَاخِرِ عَنْهُ أَلْسُنُ الْأُمَمِ
هَدَيْتَ مِنْ ضَلٍّ عَنْ مَجْدٍ وَعَنْ كَرَمٍ بِمَا^٣ تَجَاوَزَ قَدَرَ النَّارِ وَالْعِلْمِ
خُصِّصْتَ بِالْجُودِ وَالْبَاسِ الْمَنُوطِ بِهِ وَالْجُودُ وَالْبَاسُ مُوَلَّدَانِ فِي الشِّيمِ
وَلَوْ رَأَى زَهِيرٌ فِي الْعُلَى لَثْنِي لِسَانَهُ فِي كَرِيمِ الْمَدْحِ عَنْ هَرَمِ
فَاشْرَبْ خَبِيثَةَ دَنٍّ أَظْهَرْتَ حَبِيبًا لَلثَمِ مِنْهُ ثَغْرِ مَبْتَسِمِ
لَهَا تَأَلَّقَ بَرْقٍ ، كَيْفَ قَبْدَهُ فِي الْكَأْسِ سَاقٍ يُنِيلُ الْوَرْدَ فِي عَنَمِ
وَكَيْفَ تُسْمِعُ فِي هَامٍ تَفَلَّتْهَا صَهِيلَ صَمِصَامِكَ الْمَاضِي لِذِي الصَّمَمِ

١ الحَكْمِيُّ : أَبُو نَوَاسٍ ؛ وَالْخَصِيبُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَمِيرُ الْخُرَاجِ بِمِصْرَ وَقَدْ قَصَدَهُ أَبُو نَوَاسٍ وَمَدَحَهُ .

٢ فِي فَوْمٍ : بِمَا ؛ وَالطَّائِيُّ : حَاتِمُ .

٣ فِي فَوْمٍ : بِمَا .

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ويذكره بدخول العام

قالوا : صَبَا ، يا مَنْ رأى مستهامٌ حِجَاهُ كَهْلٌ وَهَوَاهُ غُلَامٌ
لَعَلَّهُ صَادَقَ ، ولم يعلموا ، رثماً ، حلالٌ صِيدُهُ لا حرام
أو زاره طيفٌ خفيّ الهوى يَطْرُقُهُ في الوهم لا في المنام
كَأَنَّ تَمَثَّلَ سليمى اجتلى عليه منها خَفَرًا واحتشام
وربما هاجَ اشتياقَ الفتى تَأَلَّقُ البرقِ وسجعُ الحمام
أو نفحةٌ تعبقُ من روضةٍ تُحيي من الصَّبِّ رَمِيمَ العظام
غزالةُ السرب التي جسمها مَعَانٌ مُسَكٌّ ما علاه ختام
لله ما صَوَّرَ في فكري بردُ المني منها وحرّ الغرام
تمشي ، وسكْرُ التيه في عطفها يُميلُ منها باعتدال القوام
يا من رأى في غُصْنٍ روضة يسمعُ منها للأفاحي كلام
يخبرُ من فاز بتقيلها عن بَرْدٍ تنبعُ منه مُدام
أذكى من المنديلِ في نارِهِ ما سَاكَتِ الدَّرَّ به مِنْ بشام

كأنّ في فيها عيراً إذا تفجّر النورُ وغار الظلام
جسمُ بلجينِ ناعمٌ لَمَسُهُ لصفرةِ العسجدِ فيه اتهام
قد حازها البعدُ فَمِنْ دونها ركوبُ طامٍ موجهُ ذو سنام
تسافرُ الأرواحُ ما بيننا والسرّ فيما بيننا ذو اكتنام
كأنّما تحملُ أنفاسُها لطائماً ضُمّنَ مسكَ السّلام
وهي من العفة لم تدّر مَنْ فتاةٌ باللّحظِ وراحمتا
كأنّما علّمهُ فتكّه سيفُ عليّ يومَ تَفْلِقِ هام
مُملّكٌ في ملك آبائه أيُّ كريمٍ أنجبه كرام
ذو مبيّةٍ تحسّبُ في دسّته قسورةِ الغيلِ وبَدَرَ التمام
مُترجِمٌ عنه لسانُ العُلَى فيما عَنَاهُ أو لسانُ الحسام
وكلّ جبارٍ أتى أرضه مُقبَلٌ بالرّغمِ منه الرّغام
يُقدِّمُ ما بين العوالي إذا ما نكلَ المقدامُ عنه وَحَام
يملاً جنباً القرنِ من طعنة نَجلاءَ يرغُو شِدْقُها وهو دام
مؤيّدٌ بالله ذو عِصْمَةٍ للدينِ تأييدٌ به واعتصام
أسنةُ الأعداءِ في حربه أظعنُ منها لِبَرٍّ في ثمام

١ في ف : كما .

٢ في ف : حب .

ذا كعبةُ الجودِ الذي كفهُ
 لا تحسبوها حجراً إنها
 يَمُدُّهُ المَدْحُ لبذلِ الندى
 وتقبضُ الحرمانِ منه يدُ
 للبحر بالريحِ عُبَابُ كذا
 إن سابقَ القُرَحِ أبصرتهُ
 إنَّ الأنابيبَ لمأمومةٌ
 لا يَغْتَرِرُ¹ بالعفو من سلمه
 أخافُ ، والموتُ بهم واقعٌ ،
 يُمْلِي لمن يُغَرِّى به نعمةٌ :
 إذا نَحِيرْنَا فقولوا لنا :
 لو رَكَنَ الباغي إلى عزه
 منفردٌ بالبأس في نفسه
 كأنه جيشٌ لهامٌ حدا
 أثوابُهُم² فيه وتيجانُهُم³

١ في ف : تغترر .

٢ في ف : في الحرب .

٣ التريكة : البيضة .

من كل فتاك بأقرانه له حياة تَغْتَنِي بالحِمام
فَصِيْحَةُ الرَّوْعِ وطعمُ الرّدى لديه كالشّدو على شربِ جام
إنّ ابن يحيى من وكوف الحيا في زَمَنِ المحل ليهمي^١ انسجام
فمن حياءٍ لا ترى وجهه^٢ إلا وللغيم عليه لثام
لئن تراحمنا بساحاته « فالمرّدُ العذبُ كثير الزحام »
نطولُ من ساعات أفراحه بالسعد ما يقصرُ عنه الأنام
أقسمتُ ما بهجة أيتامه في عبّسة الأيام إلا ابتسام
يا من إذا مالَ زمانُ بنا عن حكمنا قومه فاستقام
لك المذاكي والمواضي التي تَمِيعَ الماءُ بها في الضرام
من كل يعبوبٍ كريح الصبا يطير جرياً ما أراد اللجام
وكل ماضي الحدة في جفنه عينُ الردى ساهرة لا تنام
أنصفتَ هماتك ، أعظيمُ بها لم يُنْصِفِ الهَمَّاتِ مثلُ الحمام
قابلك العامُ الذي تشتهي فابقَ لنا من بعده ألفَ عام
إنّ المنى في سلكه نُظِمَتْ وإنه أوّلُ درِ النظام
فقارنِ السعدَ على أفقهِ وأنتَ في العمرِ فرينُ الدوام

١ في ف و م : ركوب .

٢ في ف : لا يهي .

موشحٌ شبلِك في عِزَّةٍ قِساءَ مرماها بعيدُ المِرامِ
والجُودُ في يَمناكَ منه حيا واليُمنُ في يُسْرَأكَ منه زمام

٢٩١

وقال يمدحه ويصف فتحه حصناً يقال له الأجم

يُمضي لك السيفُ ما تَنوِيهِ والقلمُ وَيَسْتَقِيلُ برضوى هَمِّكَ الجَمَمُ
لو شئتَ أغناكَ جدَّ عن مَحْجَلَةٍ^١ شعارُ فرسانها الإقدام والقهم
تَحْطُمُ السمرَ في الأبطال إن طَعَنْتَ وساقها للمنايا سائقٌ حُطَم
لكنَّ عزمك عن حزم يثورُ به : بالقَدَحِ يَظْهَرُ ما في الزندِ يَنكُتِمْ
وليس يدرك نفساً منك صابرةً فيما يسوم العدا منه الردى سأم
وإن أرضَكَ لو ألقى تعزَّزها منها رغماً على أرض العدا رَغَمُوا
هذا الأجم رَمَتْهُ حَمَّةٌ^٢ بشبا عزمٍ أباحَ حِمَاهُ فهو مُهْتَزَمٌ^٣
ووجهتْ نحوه بالنصرِ جيشَ وغى يبحره ظلَّ وجهُ الأرض يلتطم

١ في ف : مجلعة ، وهي الشديدة السير والإقدام ، وبهامش ف : لعله « محجلة » .

٢ في ف و م : فيها .

٣ الأجم : البنيان الذي لا شرف له ، وهو هنا يعني حصناً معيناً ، وحمّة : اسم البلد الذي صدر عنه المدح ، والحمّة أيضاً : المنية .

طِرْفُ جُمُوحٍ عَلَى الرُّوَاضِ مِنْ قِدَمٍ .
أُضْحَتْ سِوْفُكَ فِي تَجْرِيدِهَا عَوْضاً
أَجَدْتَ بِالْقَهْرِ عَنْ عِلْمٍ رِياضَتَهُ
أَحَلَّ مِنْكَ رَكُوباً ذُلُّ شِرَّتِهِ
حَصْنٌ بَنَتْهُ لِيَصُونِ الْمَلِكُ كَاهِنَهُ
وَأَفْرِغَتْ فِيهِ^١ مِنْ تَدْبِيرِهَا الْحِكَمَ
تِلْكَ الْبُعَاثُ وَهَذَا الْأَجْدَلُ الْقَرَمُ
فَنظَرَةً^٢ مِنْهُ فَوْقَ الْأَرْضِ تُغْتَنَمُ
عَلَى الْعَجَائِبِ بِالْأَلْحَاضِ تَزْدَحِمُ
لِفَتْحِهِ قَبْلِهَا ، عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ
بِمِثْلِهِ الْعُصْمُ فِي الْأَطْوَادِ تَعْتَصِمُ
بَيْنَ الْبُرُوجِ بَعْرَيْنِ لَهُ شَمَمُ
طَوْدٌ^٣ ، لَنَكَبَ عَنْهُ ، وَهُوَ مُسْتَلَمُ
وَلِلْأَسْوَدِ الضَّوَارِي تَرْجِعُ الْأَجَمُ
كَانَتْ مَغَانِيهِ فِي صَدْرِ الزَّمَانِ لَكُمْ^٤

١ كلمة « فيه » ساقطة من ف .

٢ في ف و م : فقطرة .

٣ مارد : قصر أو حصن وفيه المثل « تمرد مارد وعز الأبلق » .

٤ في ف و م : ضد الزمان .

زَارَتْ رَوَادَةً^١ فِيهِ كُلُّ دَاهِيَةٍ
 ذَاقُوا بِهِ كُلَّ ضَيْقٍ لَا انْفِسَاحَ لَهُ
 جَهَّزَتْ حَزْماً إِلَيْهِمْ كُلَّ ذِي لُجْبٍ
 عَرَمَرَمٌ مُقَدِّمُ الْفِرْسَانِ تَحْسِبُهُ
 تَعْلُو الْأَسْوَدُ رِيحاً يَطْرِدُنَ بِهِ^٣
 وَالْحَرْبُ تَحْرِقُ حَوْلِيهِ نَوَاجِذَهَا
 مِنْ كُلِّ مَاضِي شَبَا الْكَفَّيْنِ قَسُورَةً
 مَا جَاءَ فِي دَرْعِهِ يَعْدُو بِحَدِّتِهِ^٤
 وَلَا مَجَانِيقَ إِلَّا ضُمُرٌ جُعِلَتْ
 تَرْمِي قُلُوبَهُمْ بِالرَّعْبِ رَوَيْتُهَا
 كَأَنَّمَا الْحَصَنُ مِنْ خَوْفٍ أَحَاطَ بِهِمْ
 وَمَعْلَمَاتِ طُلُوعِ النَّبْعِ حَيْثُ هَا
 كَأَنَّمَا تَسْمُ الْأَعْدَاءَ أَسْهَمُهَا
 مِنْ الرَّدَى بِسَمَاتٍ ، وَيَنْحَ مَنْ تَسْمِ

١ يبدو أنها اسم القبيلة التي كانت تسكن ذلك الحصن ولم أجد في أسماء قبائل البربر وأقرب الأسماء إليها زواوة .

٢ أي لقلعة الماء تصافنوه والمعنى أنهم اقتسموه بأن وضعوا حصاة في الإناء وصبوا عليها من الماء ما ينمرها . والطرق : الماء الذي سقط فيه البحر وغيره ؛ وفي ف و م : طوق .

٣ في م : تعلق الأسد أرياحاً لطردته ، وما أثبتته أقرب إلى رواية : ف .

٤ في ف : وحده ، وفي الهامش بحدته .

تطيرُ بالريش والفلواز واردةً
فإن خَشَوْا غَرَقًا عَنْوَانُهُ بَلَلٌ
من كلِّ عارض نَبَلٍ غيرِ منقشٍ
حتى إذا أصبحوا جرحى وقد طمعتْ
نادَوْا بعفوك عنهم فاستجابَ لهمْ
أَفَضْتَ طَوْلًا عليهم بالندى نِعْمًا
ولو تمادَوْا على الرأي الذميرِ ولم
إنَّ الصوارمَ في فتح الحصون لها
إنَّ ابنَ يحيى عليًّا بدرُ مملكةٍ
ساسَ الأمورَ فشعبُ الكفرِ مفترقٌ
محاولٌ في كميِّ الرُّوع طعنته
معظمُ الجود في الإملاك ، لَدَتُهُ
لا يتقي العُدْمَ في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ
وليس يشكو حروراً لَدَعُهُ وَهَجٌ
وما وَجَدْتُ عليلًا عنده أُملي

من النحور حياضاً ماؤهنَّ دم
هلا [خشوا را] جمات حَشَوْها ديم
في القَطْرِ منه شرارُ الموت يضطرم
في أَكْلٍ قتلهمُ العقبانُ والرخم
على إساءَتِهِم من فِعْلِكَ الكرم
من بعد ما واقَعَتْهُمْ بالرّدى نقم
يُسَلِّمُوا لك أَمْرَ الحصن ما سلموا
ضربٌ به تُخْتَلَى الأجياد والقمم
لِصَيْدِ آبائِهِ الإقدامُ والقِدم
بالبأس منه ، وشِعبُ الدينِ ملتئم
نجلاء يشفق منها بالحِمام فم
في بدل مالٍ لهم من بذله أَلَم
مَنْ صَافَحَتْ كَفَّهُ من كَفِّهِ ذِمَم
مَنْ مَدَّ ظِلًّا عليه باردًا عِلَم
فهو الكريمُ ، على العلات ، لا هرم

قد أَشْرَبَ اللهُ في قلبي مَحَبَّتَهُ فشبَّ في مدحه طبعي وبني هَرَمَ
يا واحدَ الجود والبأس الذي اتفقتُ بلا اختلافٍ على تفضيله الأَمَمِ
زدْ زادك الله في صَوْنِ الهدى نَظَرًا إِنَّ الصليبَ ليشقى منك والصنم

٢٩٢

وقال يمدحه ويهنئه بصومه وبلوله من مرض أصابه

صُمْتُ لله صَوْمَ خِرْقٍ هُمَامٍ مُفْطِرِ الكَفِّ بالعطايا الحسامِ
أطلعَ الله للصيام هلالاً ولنا من علاك بدرَ تمامِ
وشفاكَ الإلهُ من كلِّ داءٍ صحَّ منه الجلالُ بعد السقامِ
كان يومَ السرور منك ركوبٌ أرحَلَ الهمَّ عن قلوب الأنامِ
إذ شكا من شكاتِكَ الناسُ والبا سُوطِ القنا وضرب الحسامِ
ثم ضجّوا لما رَأَوْكَ صحيحاً والعلی منك ثَغْرُهُ ذو ابتسامِ
مرَضٌ منك قبلَ الكَفِّ شوقاً ثم ولّی بنجلةٍ واحتشامِ
حَجَبَ الغيمُ منه في الأفق بدرأً وانجلی عن ضيائه بسلامِ
واقضى الشهرُ من معاليك صنعاً مُعلِياً منه همّةٌ باهتمامِ :
قَطَعَ ضوءَ النهار صوماً وبرأً ودجی الليل بالسرى والقيامِ

وسجوداً من نور وجهك طوعاً
وخشوعاً يعلوه منك وقاراً
طابَ بينَ الملوكِ ذكركَ كالمسكِ
فهو ما بينهم به سمرُ اللبِّ
فلك الله من كريم السجايا
ذِمْرُ حَرْبٍ ، له اقتحامُ هزبرٍ ،
بائنُ الخطتين ، نخشى ونرجو
قام لله ذو انتصارٍ لدينٍ
ورمى ثغرةَ العدوِّ بسهمٍ
باعتزامٍ ككوكبِ الجوّ يرمي
وبِحَرَبِيَّةٍ لها نِفْطُ حَرْبٍ
ترتمي في مَلَوْنَاتٍ لُبُودٍ
فهي تجلو عرائسَ الموت سوداً
يا لها من جحافلٍ زاحفاتٍ
وذبالٍ على القنا مُشْعَلَاتٍ
وندى فاضٍ من بنانٍ كريمٍ
ليس يُفْنِي بيوتَ مالٍ عليّ
ما أطالَ السجودَ وجهُ الظلامِ
مُعْرِبٌ عن رَجَاحَةٍ من شَمَامِ
لكِ إذا فُضَّ عنه طيبُ الختامِ
لِ شَدَوٍ على كوؤوسِ المدامِ
معرقِ المجدِ في الملوكِ الكرامِ
وجوادٌ ، له يمينُ غَمَامِ
رَيْثَ غَفْرِ له ، وبطشَ انتقامِ
رامتِ الرّومُ منه كلَّ مرامِ
وثنى سَهْمَهُ عن الاسلامِ
منهمُ كلَّ مارِدٍ بضرامِ
يحرقُ الماءَ تارةً باضطرامِ
كرياضٍ نَوْرُنَ فوق إكامِ
هَوَلَتْ في عبابِ أخضرٍ طامِ
بضواري الأسود في الآجامِ
مطفئاتِ الأرواحِ في الأجسامِ
[غيرِ] مُصْغٍ في بَذْلِهِ للملامِ
طولُ إنفاقها بكرَ الدوامِ

كيف يُقْنِي الشُّمُوسَ ما اقْتَبَسَتْهُ
 مَلِكٌ قد علا مَصَّامَ الثَّريَّا
 من ملوكٍ لهم سحائبُ أيدي
 إن دعاهم مُثَوِّبُ الموتِ خاضوا
 أو رماهم إقدامُهُمُ بكلومٍ
 وإذا جرّدوا السيوفَ لضربٍ
 لبسَ البشرُ منهم قَسَمَاتٍ
 يا ابن يحيى الذي [أبى] عزّه أنْ
 أنا أثني عليك جهدي وعند الد
 لي إلى الغيثِ من نذاك انتجاعٌ
 تحسبُ الريحَ جِنَّةً تعتريه
 في حشا رادة كأمّ رثالٍ
 بنتُ برٍّ في البحرِ تركبُ منها
 ذاتُ وصلٍ تجرّها جِرّ ذيلٍ
 تتقي من جنوبها وقع سوط
 وحديثُ السّماعِ عنك عريضٌ
 لو لمستَ الجَهمَ بالكفِّ أضحي
 من سنا نورها عيونُ الأنام
 ليس فوق الثرى له من مُسام
 بالندی والردى هوامٍ دوام
 في حشا الحرب بالخميس اللّهام
 قَطَرَتْ منهم على الأقدام
 وَلَغَتْ في الدماء ، لا من أوام
 مائعٌ فوقهن ماءُ القَسَامِ
 يَقْعُدُ العزمُ عنده عن قيام
 ه يُثني عليك شهرُ الصيام
 في خِصَمٍ آذِيهٍ في التطام
 فهو كالقَرَمِ شِدْقُهُ ذو لغام
 ما لها في نِفارها من مقام
 كلكلاً يا لموجه من سنام
 وهي تقتادُنا كوحى زمام
 فهي كالسهم طارَ عن قوسِ رام
 ضاقَ عن بعضه فسيحُ الكلام
 عند ربي العطاشِ غيرَ جهام

أو منحت الكهام منك مضاءً فلقَ الهام وهو غيرُ كهام
 أو جعلت الحِمامَ قِرْنَكَ^١ في الحرِّ ب بحرِّعتهُ مذاقَ الحِمام
 فابقَ في خُطّةِ العلى ما تَغْنَى في غُصُونِ الأراكِ ورُقُ الحِمام

٢٩٣

وقال يمدحه مهنئاً له بالعيد

تخريجها : في الخريدة الأبيات : ١٧ ،
 ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ .

أذاعَ منه لسانُ الدَّمْعِ ما كتما لم يَبْكِ حتى رأى شيئاً له ابتسما
 لله^٢ بالعيدِ ييُضُّ الغيدِ نافرةً أهْيَ الحمام شامتٌ أشهباً قرماً
 لا تعجبَنَّ للدمعِ بلَّ وجنَّتهُ لا بدَّ للقطرِ من أرضٍ إذا انسجما
 صدَّتْ سليماً فما تأتي معاتبةً ولا عتابَ إذا حبلُ الهوى انصرما
 وأورثَ الموتَ سرُّ البين حين فشا عندي وعند حبيبٍ أورثَ الصمما
 ريحانةً في لطيفِ الروح قد غُرِسَتْ لها النسيمُ الذي تُحيي به النّسما
 كطينةِ المسكِ لا تخليكَ من أرجِ إذا تنسّمَ رِيّاها امروء فغما

١ في ف و م : الجهام مزك .

٢ في ف : له .

لها نظيرُ أقاحٍ ما به صدأ
 لا تنكرِ الظلمَ من خودٍ مدلّلةٍ
 يسمو بها عن صفاتِ العينِ أن لها
 وهل لعينٍ مهابةٍ الرملِ من سقمٍ
 يا هذه ، إن أراكِ الدهرُ في بلى
 إن الشبيبةَ في كفيك عاريةُ
 أصابَ فؤدي بسهمٍ يا له عجباً
 فشيْبُ رأسي من قلبي الذي ازدحمتُ
 كأنَّ سِقْطَ زنادٍ كان أولُّهُ
 وبلدةٌ لَطَمَتْ أيدي القلاصِ بنا
 إذا رميتُ بلحظِ العينِ ساريها
 ساريتُ فيها هداةٌ^٢ خلَّتْهُمُ ركبوا
 شَقَّوْا بها جُنْحَ ليلٍ أليْلٍ رَحَلُوا
 حادَتْ بهم عن بَقاعِ المحلِ جاحِحةٌ^٣
 مملّكٌ في رُواقِ الملكِ^٣ محتَجِبٌ

يأسحلٍ زار من أطرافها عنما
 في ظلمِها الدرُّ بالمسواكِ قد ظلما
 عَيْنًا يُسَقِّهُ مِنَّا سحرُها الحُلُما
 يُهْدِي لكلِّ صحيحٍ في الهوى سقما
 فجدةُ الثوبِ تَبْلَى كلما قدما
 فإن وجدت لها رَدًّا فلا جرمًا
 رمى المشيبَ، ومن جُولِ الطوي رَمَى
 فيه صروفُ همومٍ تُعْشِرُ الهمما
 لما تغدَى بِعُمُرِي في الوقودِ نما
 منها وجوهَ قفارٍ بُرِّقَتْ ظُلُما
 حسبتهُ بين أجفانِ الدجى حلُما
 رُبْدَ النفاقِ فيها أينقأ رُسُما
 عن غُرَّةِ الصبحِ من ديجوره غُصَما
 ومن بنانِ عليٍّ زارتِ الديما
 له تَبَرَّجُ نَعْمَى تَغمرُ الأمما

١ في ف و م : جوف .

٢ الحريدة : سراة .

٣ الحريدة : برواق المجد .

ترعى سجاياهُ من قُصَّاده ذِمِّماً
 لئن تأخَّرَ عنه كلُّ ذي همٍّ
 تُكاثِرُ القطرَ في الجدوى مكارمهُ
 إن الذي بَدَّلَ الأموالَ ذو هِمٍّ
 ومَدَّ ظلاً على دينِ الهدى خَصِيراً
 لا يقدحُ العفوُ في تمكينِ قدرته
 ما زال يهشمُ من أسيافهِ ورَقاً
 من كلِّ برقٍ له بالقرعِ صاعقةٌ
 ماءٌ ونارٌ منايا الأُسْدِ بينهما
 في كلِّ جيشٍ تثيرُ النقعَ ضُمُّرُهُ
 من كلِّ مُقْتَحِمٍ الهِجاءِ يوقدها
 إن ضاقَ خطوُ عبوسِ الأُسْدِ من جزعٍ
 ما الليثُ يرتدُّ للخطيِّ في أجَمٍ
 يا ابنَ الملوكِ ذوي الفخرِ الألى ملكوا
 كم من عُدَاةٍ وسَمْتُمُ بالمنون لهمُ
 وليس يرعى لِمَالٍ بَدَلُهُ ذِمِّماً
 فالله قَدَّمَ منه في العلى قدما
 وهي البحورُ ، فمن ذا يشتكي العَدَمَا
 سلَّ الذكورُ فصانَ الدينَ والحُرَّما
 لما تَلَطَّى حرورُ الكفرِ واحتدما
 ولا يواقعُ ذنباً كلَّما انتقما
 من عهدِ حميرٍ خضراً تحصدُ القِمَما
 على الأعادي بِضَرْبِ القَطْرِ منه رمى
 ما سُلَّ للضربِ إلا سالَ واضطرما
 يا جُنْحَ ليلٍ بهيمٍ ظَلَّلَ البُهَما
 كَمِيسَعِ النارِ أنَّى همٌ واعتزما
 مَشَى إليه فسيحَ الخطوِ مبتسما
 إلا كطبي كناسٍ عنده بَغَما
 رقَّ الزمانُ وسادوا العُربَ والعجما
 يوماً فشيَّبَ من ولدانهم لِمَما

أصبحت في الملك ذا قدرٍ إذا طمحتُ عينُ المُسامي إليه فاتتها وسَمَا
 إِنَّا أَنَاسٌ بما نُثني عليك به نُهدي إليك رياضاً نورَتْ كَلِمَا
 من كلِّ ناظمٍ بَيْتٌ لا شبيهَ له فليس يُنثرُ منه الدهرَ ما نظما
 مستغرقِ الذوقِ للأسماعِ يحسبه من قالبِ السحرِ منه أفرغَ الحكما
 فأنعمْ بعيدٍ سعيدٍ قد بَسَطْتَ له للمعتفين يميناً تَبَسَّطُ النعما

٢٩٤

وقال يمدحه

أبكاهُ شيبُ الرأسِ لما ابتسمُ وعادَهُ في السقمِ طيفُ أَلَمٍ
 من عادةٍ في وصلِ هجرانها يَقْنَعُ منها بوصولِ الحُلُمِ
 صَوَّرَ منها شَوْقُهُ صورةً في فكرةٍ ساهرةٍ لم تَنَمِ
 فالقلبُ يذكي جذوةً تلتظي والعينُ تُذري عِبْرَةً تنسجمِ
 غيداءُ تاجُ الحسنِ من غيرها يُضحي لديها وهو نَعْلُ القدمِ
 أثمرَ بالرَّمانِ من قَبْدِها غُصْنٌ ومن أطرافها بالعَنَمِ
 لمياءُ تبدي الدرَّ من أَشْنَبِ يحرق بالأنوارِ جُنْحَ الظُلَمِ
 يُبرِدُ حرَّ الشوقِ ترشافُهُ عنكَ بمعسولِ الثنايا شَبِمْ

٤٧٣

كأنما برقٌ ومسكٌ به إليه يدعوك بِشِيمٍ وَشَمٌ
والصبحُ في مشرقه هازمٌ والليلُ في مغربه منهزم
أرى اختلافَ الناسِ دانوا بهِ في صيدِ عُرْبٍ منهمُ أو عجم
وابنُ عليٍّ حسنٌ سيّدٌ بلا خلافٍ في جميعِ الأمم
مُملِكٌ في كفه صارمٌ عزّ به دينُ الهدى واعتصم
مُبدّدٌ المعروف من كفه وللعلى شملٌ به منتظم
مُنقذُ الأمرِ كريمٌ إذا قالَ : نعم فابشِيرْ بنيلِ النعم
ومُرْهَقُ الحِدِّ إذا سلّتهُ سال إلى ضربِ الطلي واضطرم
يخطفُ رأسَ الذميرِ قطفاً به كَحذفِ حرفِ اللينِ جزماً بلم
يصرفُ الرمحَ على طولهِ كأنما صُرفَ منه قلم
لئن هبى من راحتيهِ الحيا فالبدرُ منه يحتسبي بالديم
يُهدى به مَنْ ضلَّ في ليله توقّدَ النارِ برأسِ العلم
تُقبَّلُ الآمالُ منه يداً فهي لأفواهِ الورى مُستلَم
منتصرٌ بالله في حربهِ لله من أعدائه منتقم
في ربّعهِ الرحبِ سماءُ العلى طوالعٌ فيها نجومٌ الهمم

١ في ف و م : يحذف ؛ ولعلها « يحذف » مبنية للمجهول ، والجملة مستأنفة .

كم ضربةٍ أوسعها سيفهُ فهو لسانٌ ناطقٌ وهي فم
تعدو سراحينُ الوغى حوله مجلّحاتٍ بأسودِ الأجَم
يا من وجدنا الجودَ من بذله ملءَ الأمانى ، وعدمنا العدم
بقيتَ في الملكِ لصونِ العلى ونصرةِ الدينِ ، ورعيِ النزم

٢٩٥

وقال يهنئه بالعام

وفدّت عليكِ سعادةُ الأعوامِ لعلّ يدكِ ونُصرةُ الإسلامِ
وبطولِ عمرٍ يعمُرُ الرّتبَ التي يختطّها الخطيّ وهي سَوَام
عامٌ أتاكَ مُبشّراً برياسةٍ أبديةٍ الإجلالِ والإعظامِ
لك في ابتداءِ العمرِ عزمٌ مؤيّدٍ وأناةٌ مقتدرٍ ، وعدلٌ إمام
صدقُ المخايلِ في حداثةِ سنّه والشبلُ فيه طبيعةُ الضرغامِ
كم قائلٍ لنموّ قدرك في العلى هذا الهلالُ ينيرُ بدَرِ نَمَام
تُردي عُدّةَ الله منك إشارةً والسَّقَطُ يحرقُ كثرةَ الآجامِ
وكأنّما الإيمانُ في حربِ العدا يمينه منك انتضاءُ حسامِ

١ كذا في ف و م ولعله : يصير .

حَسُنْتَ بِسَعْدِكَ لِلخَلَائِقِ كُلِّهِمْ^١ لَمَّا وَلِيْتَ خَلَائِقُ الْأَيَّامِ
فَانْصَبْتَ الْأَرْزَاقُ بَعْدَ جُودِهَا وَأَضَاءَتِ الْآفَاقُ بَعْدَ ظِلَامِ
وَتَنَفَّسَتْ مِنْ رَوْضِ خَلْقِكَ نَفْحَةً^٢ صَحَّتْ^٣ بِهَا الْأَمَالُ بَعْدَ سِقَامِ
كَمْ قَالَ مِنْ حَيٍّ لَمِيتٍ قُمْ^٤ تَرَى فَرَحَ الْوَرَى بِالْأَمْنِ وَالْإِنْعَامِ
هَذَا هُوَ الْحَسَنُ الَّذِي حَسَنَاتُهُ^٢ قَعَدَتْ لَدَى الْكِرْمَاءِ بَعْدَ قِيَامِ
أَنْظَرُ إِلَى الْقَمَرِ الَّذِي فِي دَسْتِهِ^٢ فِيمِينُهُ تَنْدَى بِصَوْبِ غَمَامِ
مُتَخَتِّمٌ لِعُفَاتِهِ وَعُودَاتِهِ^٢ بِالْجُودِ أَوْ بِقَبِيْعَةِ الصَّمْصَامِ
خَلَعَ اللِّوَاءُ عَلَيْكَ عِزَّ مُمْلَكِكَ^٢ تَخَشَّى سَطَاهُ أَجِنَّةُ الْأَرْحَامِ
تَخَذَ^٣ الْجُنُودَ مِنَ الْأَسْوَدِ فَوَارِساً مِينَ ضَارِبٍ أَوْ طَاعِنٍ أَوْ رَامِ
فِي كُلِّ خَضِرَاءٍ الْجَبَائِكِ فَاضَةً^٢ فَاضَتْ عَلَى قَدَمٍ مِنَ الْأَقْدَامِ
وَكَأَنَّ أَحْدَاقَ الْجَرَادِ تَبَرَّقَتْ^٢ مِنْهَا لِعَيْنِكَ فِي سَرَابٍ مُوَامِي^٢

١ في ف و م : ضبت .

٢ في ف : لإحسانه .

٣ غير معجمة في ف .

٤ في ف و م : مرَام .

وقال أيضاً

لسانُ الفتيِّ عبدٌ له في سكوته ومَولىٌ عليه جائرٌ إنْ تكلّما
فلا تُطلّقنّه واجعل الصمتَ قيدَه وصيرْ إذا قيّدتهُ سجنَهُ القما

قال يرثي زوجته التي كانت أم ولديه أبي بكر وعمر ، وصنعها على لسان
عمر ، رحمهم الله تعالى :

أيّ خطبٍ عن قوسه الموتُ يرْمِي وسهامٌ تصيبُ منه فتُصْني
يسرعُ الحيّ في الحياة براءِ ثم يُفْضي إلى المماتِ بسقمٍ
فهو كالبدْرِ ينقصُ النورُ منه بمحاقٍ وكانَ من قبلُ ينمي
كلّ نفسٍ رَمِيَّةٌ لزَمانٍ قدرَ سهمٍ له ، فقلّ : كيف يرْمِي
بيضُ أَيْامها وسودُ ليلِها لها كشهبٍ تكرّرَ في إثرِ دُهمٍ
وهي في كرها عساكرُ حربٍ غُرٌّ مَنْ ظنّها عساكرَ سلمٍ
بَدَرَ الموتُ كلَّ طائرٍ جَوٍّ في مَفازٍ وكلّ سابعٍ يَمّ

رَبِّ طَوْدٍ يَرِيكَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ شَمَّ السَّمَاءِ أَنْفُ أَشَمَّ
جَمَعَ الْمَوْتُ بِالْمَصَارِعِ مِنْهُ بَيْنَ فَتْخٍ مَحَلَّاتٍ وَعُصْمٍ
كَمْ رَأَيْنَا وَكَمْ سَمِعْنَا الْمَنَايَا غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يُصِمُّ وَيَعْمِي
أَيْنَ مِنْ عَمَّرَ الْيَابَ ، وَجِيلٌ لَبَسَ الدَّهْرَ مِنْ جَدِيسٍ وَطَسَمِ
وَمُلُوكٌ مِنْ حِمِيرٍ مَلَأُوا الْأَرْضَ ضَ ، وَكَانَتْ مِنْ حَكْمِهِمْ تَحْتَ خَتَمِ
وَجِيُوشٌ يُظِلُّ غَابُ قَنَآهَا أَسْدًا مِنْ حُمَاةِ عُرْبٍ وَعَجَمِ
كَشَّرَ الدَّهْرُ عَنْ حِدَادِ نَيُوبٍ أَكَلَتْهُمْ بِكَلِّ قَضْمٍ وَخَضْمِ
وَمُحُوا مِنْ صَحِيفَةِ الدَّهْرِ طُرًّا مَحَوْ هُوجَ الرِّيحِ آيَاتِ رَسْمِ
أَفَلَا يُتَّقَى تَغْيِيرُ حَالٍ فَيَدُ الدَّهْرِ فِي بِنَاءٍ وَهَدْمِ
وَالرِّزَايَا فِي وَعْظِهِنَّ الْبَرَايَا فِي الْأَحَايِنِ نَاطِقَاتُ كِبَكِمِ
وَالَّذِي أَعْجَزَ الْأَطِبَّاءَ دَاءٌ فَقَدُ رُوحٍ بِهِ وَوَجْدَانُ جَسَمِ
لَوْ بَكَى نَازِرِي بِصَوْبِ دِمَاءٍ مَا وَفَى فِي الْأَسَى بِحَسْرَةِ أُمِّي
مَنْ تَوَسَّدَتْ فِي حَشَايَا حَشَاهَا وَارْتَدَى اللَّحْمُ فِيهِ وَالْجِلْدَ عَظْمِي
وَضَعْتِي كَرَهًا كَمَا حَمَلْتَنِي وَجَرَى ثَدْيُهَا بِشَرْبِي وَطُعْمِي
شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهَا لِي فَأَشْهَى مَا إِلَيْهَا إِحْضَانُ جَسْمِي وَضْمِي
بَحْنَانٍ كَأَنَّهَا فِي رِضَاعِي أَمْ سَقَبٍ دَرَّتْ عَلَيْهِ بِشْمِ

يا ابن أمي إني بحكمك أبكي فقَدَ أمي الغداة فابكِ بحُكمي
قُسِمَ الحُزْنُ بَيْنَنَا فثِيرٌ لك قسمٌ، وَيَذُبُّلٌ منه قسَمي
لَمْ أَقُلْ وَالْأَسَى يُصَدِّقُ قولي جمدتُ^١ عبرتي فلذت بحلمي
ولو أَنِي كَفَفْتُ دَمْعِي عَلَيْهَا عَقَّتِي بَرِّهَا فَأَصْبَحَ خَصَمِي
أُمِّتَا هَلْ سَمَعْتَنِي مِنْ قَرِيبٍ حيثُ لي في النِّياحِ صَرَخَةٌ قُرم
كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ لو تَخَيَّلْتُ^٢ فِي مُصَابِكِ هَمِّي
كَمْ خِيَالٍ يَبِيتُ يَمْسَحُ عَظْفِي لكِ يَا أُمِّتَا وَيَهْتَفُ بِاسْمِي
وَبَنَاتٌ عَلَيْكَ مُتَحَبَّاتٌ بَخْدُودٍ مَخْدَرَاتٍ بِلَطَمِ
بِئْسَ يَمْسَحُنَ مِنْكَ وَجْهًا كَرِيمًا بوجوهٍ مِنْ المَصِيبَةِ قُتْمِ
وَيَنَادِينَ بِالتَّفَجَّعِ أُمًّا يَا فِدَاءً لَهَا إِبْجَابَةٌ غُتْمِ^٣
بِأَبِي مِنْكَ رَافَةٌ أَسْنَدُوهَا فِي ضَرْيَحٍ إِلَى جَنَادِلَ صُمِّ
وَعَفَافٌ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ عَادَتٌ كُلَّ عَظْمٍ مِنَ الدِّفِينِ وَلَحْمِ
وَصِيَامٌ بِكُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ قِيَامٌ بِكُلِّ مَطْلَعِ نَجْمِ
وَلِسَانٌ دَعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ لِي أَوْدَعْتُهُ الرِّغَامَ بَرِغْمِي

١ في م : حملت .

٢ في م : تخليت .

٣ الغتم والأغتام : الذين في منطقتهم عجمة ، أي فداؤها هؤلاء .

وحفير من الصباية فيه في حجاب التقى سريرة كم
كم تكفّلت من كبيرة سن وتبنّيت من صغيرة يُثم
' فأضاعت يداك من صدقات كان يُحيا بهنّ ميتُ عدُم
كان بين الأناس عُمركِ حمداً قد تبرّأت فيه من كلّ ذم
أنت في جنةٍ وروضٍ نعيم لم يَسِمْ أرضها السحابُ بوسم
يا أبا بكر : المصابُ عظيم فهو يُبكي بكلّ سَحٍّ وسَجَم
أنت في الودّ لي شقيقُ وفاء ومصابي إلى مصابك يَسْمِي
أنت من صفوة الأفاضل ندب في نِصابِ كريمٍ خالٍ وعم
بات من طبعك المفجع طبعي ربّ سهمٍ أُعيرَ صارمٍ شهم
تركت بيت يوسفٍ للمعالي أسفاً ينحر العيون فيدمي
دوحةُ المجد بالمخار جناها يافعٌ فهي في البلى تحت ردم
فسقى التربة التي هي فيها عارضٌ منه رحمةُ الله تَهْمِي
ولبست الغزاء يا خير فرع قد بكى حسرةً على خير جِذْم

وقال أيضاً

تخریجها : في الفخري : ١٥٠ البيتان
٢٠١ (دون نسبة) .

يعيدُ عطايا سُكرِهِ عندَ صَحْوِهِ ليُعَلِّمَ أنَّ الجودَ منه على عِلْمِ
ويسلمَ في الإنعام من قول قائلٍ تَكْرَمُ لما خامرتُهُ ابنةُ الكرمِ
فقد حَضَّهُ سُكرُ المدام على الندى . ولكنه حَضُّ بريٍّ من الدَّمِ

كان عبد الجبار ربّما جلس ببجاية عند رجل يقال له أحمد الخراط ، وكان
لهذا الرجل طبع في الشعر . فصنع يوماً عبد الجبار هذين البيتين في إكرام الصديق :

تخریجها : معاهد التنصيص : ١٦٢ والطراز : ٢٢١

أَكْرَمَ صديقك عن سوءاً لك عنه واحفظ منه ذِمَّةَ
فلربما استخبرت عند له عَدَوَّةٌ فسمعتَ ذِمَّةَ

فصنع أحمد الخراط عند ذلك هذين البيتين :

لا تسألنَّ عن الصّديـق ق وسلّ فؤادك عن فؤاده
فلربما بحث السّوء لُ على فسادك أو فساد

٣٠٠

وقال في العصا أو أنشد فيها

تخرّيجها : الخريدة والطرّاز : ٢٢٠ وكتاب
العصا لأسامة : ٢١٠ (نوادير المخطوطات) .

ولي عصا من طريق الدمّ أحْمَدُهَا بها أَقْدَمُ في تأخيرِها قَدَمِي
كَأَنَّهَا^١ وهي في كَفِّي أَهْشَ^٢ بِهَا على الثمانين^٣ عاماً لا على غَنَمِي
كَأَنَّني قوسُ رامٍ وهي لي وتَرٌّ أرمي عليها رميَّ الشيب والهَرَم

٣٠١

وقال في آخر عمره ، في السنة التي توفي فيها ، وهي سنة سبع وعشرين
 وخمسمائة ، يرثي القائد أبا الحسن علي بن حمدون الصنهاجي ، وهو رئيس بني
عبّاد ، ويرثي السادة النجباء ، القائد أبا محمد ميمون والقائد أبا الفضل والفقير
أبا عبد الله :

رمى الموتُ في عين^٣ التَّصَبَّرِ بالدَّمِ وقال لحسن الصبر : بين الحشا دُمَ
على القائد الأعلى الذي قُلَّ عزمه كما قُلَّ عن ضرب الطلى حَدٌّ مخدَم

١ مصححة عن الطراز والخريدة ، وفي م : كأنما .

٢ الطراز والخريدة : ثمانين .

٣ في م : أي الموت أعين .

أرى زَمَنَ الدُّنْيَا يُنْقَلُ أَهْلُهَا
وَحَانَ أَمِينَ الْمَلِكِ فِيمَا انطوى له
وصادره الحُتْفُ الَّذِي حَطَّهُ إِلَى
وَمَا شَاءَهُ ذُو الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
فَمَا دَفَعَتْ عَنْهُ جُنُودُ جُنُودِهِ
وَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا الضَّرْبُ مِنْ كُلِّ مَرْهَفٍ
بِأَيْدِي كَمَا مِنْهُمْ كُلُّ مُقَدِّمٍ
وَيُقْبِلُ فِي فَضْفَاضَةٍ فَارِسِيَّةٍ
عَلَى بَنِ حَمْدُونَ الَّذِي كَانَ حَمْدُهُ
خَلَّتْ مِنْهُ يَوْمَ الرُّوْعِ كُلِّ كَنِيَّةٍ
كَأَنَّ عَلَيْهَا لِلْعَجَاجِ مَلَأَةٌ
مَتَى تَعْبَسِ الْهَيْجَا لَهُ فِي لِقَائِهِ
تَنْقَلُ مِنْ سَرَجِ الْكَمِيِّ بِحُتْفِهِ
وَكَمْ مُكْرَمٍ بِالْعَزِّ فَوْقَ أَرِيكَةٍ
وَكَمْ كَرَمٍ تَنْهَلُ جَدْوَى يَمِينِهِ
كَأَنَّ صَفَاءَ الْجَوِّ يَوْمَ عَطَائِهِ
فَطَلَلْتُ مِنْهُ فِي تَوْحَشٍ غُرْبَةٍ
إِلَى دَارٍ أُخْرَى ، مِنْ غِيٍّ وَمَعْدَمٍ
عَلَى حَفْظِ أَسْرَارِ الْجَلَالِ الْمَكْتَمِ
حَشَا الْقَبْرِ ، عَنْ صَدْرِ الْحَمِيسِ الْعَرَمِ
يَدُقُّ وَيَخْفَى عَنْ خَفِيِّ التَّوَهُّمِ
عَلَى أَنْتَهَا فِي الْقَرَبِ كَالْيَدِ لِلْقَمِ
وَلَا نَافَذَاتُ الطَّعْنِ مِنْ كُلِّ لَهْذَمٍ
بِأَقْدَامِهِ يَحْمِي حِمَاهُ وَيَحْتَمِي
تَحَدَّثُ عَنْ أَبْطَالٍ عَادٍ وَجُرْهُمِ
تُرْفَعُ مِنْهُ هِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِ
وَكَمْ عَمِرَتْ مِنْ بَأْسِهِ بِالتَّقَدُّمِ
مُطَيَّرَةً فِي الْجَوِّ مِنْ كُلِّ قَشْعَمِ
رَأَتْ مِنْهُ فِي الْإِقْحَامِ سِنَّةٌ تَبْسَمُ
إِلَى حُفْرَةٍ فِي جَوْفِ الْحَدِّ مُسْتَمِّمِ
يَصِيرُ إِلَى بَيْتِ الْعَلَى الْمُتَهَدِّمِ
لَأَيْدِي عَفَاةٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمَحْرَمِ
مَشُوبٌ بِشَوْبِوبِ الْغَمَامِ الْمَدِيمِ
بِظِلِّ جَنَاحٍ بَيْنَ غِبَرَاءِ مَظْلَمِ

وأَرْضَعَنِي ثَدْيِي الْمُنَى فَكَأَنِّي
وَمَا أَبْتُ عَنْ جَدَوَاهُ إِلَّا مُشِيعًا
فِي سَيِّدَا زُرْنَاهُ حَيًّا وَمَيِّتًا
نَرُدُّ تَسْلِيمًا عَلَيْكَ حَبَّةً
وَذِي خَفَقَاتٍ بِالْقُرَى تَسْحَقُ الْحَصَى
وَرَاجِي النَّدَى مِنْ غَيْرِهِ كَمَعُوضٍ
وَيَبْدِي عِلَاهُ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهَهُ
وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْبَشْرُ مِنْهُ مُبَشِّرًا
وَمَا زَالَ مِيَالًا إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى
تَتَقَلَّلُ وَالْإِكْرَامُ مِنْ رَبِّهِ لَهُ
لَهُ كُلَّ نَادٍ بِالْوَقَارِ مُكْرَمٌ
وَصَفْحٌ عَنِ الْجَانِي بِشِيمَةٍ صَفْحِهِ
وَمَدْرَسَةٌ أَبْنَاؤُهَا فَفُقَهَاؤُهَا
ضِرَاعُهُ فِي الْجَيْشِ اللَّهَامِ وَإِنَّمَا
وَقَدْ كَانَ فِي نَصْرِ الشَّرِيعَةِ مُشْرَعًا
أَرَى قَائِدَ الْقَوَادِ أَعْطَى مَقَادَةَ
وَأَسْلَمَ لِلْحَتَفِ الْمَقْدَرِ نَفْسَهُ

وَلَيْدٌ أَتَى عِمْرَانَ شَيْخَ التَّقْدَمِ
بِإِفْضَالِ ذِي فَضْلٍ وَإِنْعَامٍ مِنْهُمْ
فَمَا زَالَ فِي هَذَا الْجَنَابِ الْمُعْظَمِ
وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرُدُّ سَلَامَ الْمُسْلِمِ
لَهْنًا اجْتِرَاءً مِنْ حَدِيدِ التَّحَدُّمِ
مِنَ الْمَاءِ ، إِذْ صَلَّى ، تَرَابَ التَّيَمُّمِ
سَنَاءً نَسِيمَ الْخَيْرِ لِلْمَتَّوَسِّمِ
بِأَكْبَرِ مَأْمُولٍ وَأَوْفَرِ مَغْنَمِ
تَقَى نَقَى الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ مَآثِمِ
إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا لَهُ دَارٌ مُكْرَمِ
بَغِيرِ وَقُورٍ مِنْهُ يَقُولُ أَبْكُمْ
وَحَلِمٌ حَكِي فِي الْغَيْظِ هَضْبٌ يَلْمُ
فَمِنْ عَالِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ مُتَعَلِّمِ
فَوَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ ضَيْغَمِ
عَنِ الْحَقِّ مَا يَشْفِي بِهِ كُلَّ مُسْلِمِ
لِحُكْمِ قَضَائِهِ فِي الْبِرَايَا مُحْكَمِ
وَقَدْ كَانَ لَا يَرْقَى إِلَيْهِ بِسُلْمِ

إذا الملكُ ناجاه بوحى إشارة
فستهدفُ الأغراضَ آراؤه كُنا
وتهدي له كفُّ تصولُ على العدا
أبناؤه أنتمُ سراة أكابرٍ
وأنتمُ سيوفٌ للسيوفِ مواضياً
عزاءٌ جميل في [المصاب] فإنكم
فدام لكم في العزّ شملٌ منظّمٌ
رأيتَ له نهضَ العقابِ المحرّم
تقرّطيسُ أغراضاً صوائبُ أسهم
إلى كفّ ميمون المضاءِ المصمّم
فكلكمُ من مُكرّمٍ وابن مكرم
وأيمانكم فيها ذوات تَختم
جبالُ حلومٍ بل طوالعُ أنجم
وشملُ الأعادي منه غير منظّم

هرف النون

٣٠٢

وقال يتنزل

يا بني الحرب ما بنو الحب إلا^١ مثلكم في لقاءِ صَرْفِ المنونِ
أنتمُ بالكفاحِ صَرْعَى العوالي^٢ وهمُ بالملاحِ صَرْعَى العيونِ
فسيوفُ القيونِ ، أقطَعُ منها بين أهلِ الهوى ، سيوفُ الجفونِ

٣٠٣

وقال أيضاً

أدِمِ المروءةَ والوفاءَ ولا يكنِ^١ حبلُ الديانةِ منك غيرَ متينِ
والعزَّ أبقى ما تراه لمكرم إكرامه^٢ لمروءةٍ أو دينِ

١ في ب : المنايا .

وقال يتغزل

وذاثِ عَيْنٍ من الغزلانِ فاترةٍ كأنما السحرُ فيها همٌّ بالوسنِ
 لها سنانٌ من الألاحظِ صعدتهُ غُصْنٌ يَمِيسُ برمانٍ من الفتنِ
 حُسَّانةُ^١ الجِئِدِ في خلقتي تقومُ به فتعجبُ الشمسُ من تقويمه الحسنِ
 هنتُ بلحظٍ ولفظٍ فاهوى بهما يخوض قلبي من عيني ومن أذني
 تَيَّاهةُ الدلِّ لا تنفكُ في فرحٍ إذا رأيتني من الهجرانِ في حزنِ
 تحركي وسكوني عن إرادتها كأنَّ روحَ هواها مالكُ بدني

وقال أيضاً يتغزل

رَدَدْتُ الملامَ على العاذلينَ وَحَقَّقْتُ شَكَّهُمْ باليقينِ
 وقلتُ : سيغفرُ ربُّ العبادِ ذنوباً تُعَدُّ على المذنبينِ

١ في ف و م : حسادة .

فكَلَلْتُ رَوْضَ الشَّتَابِ الْأَنِيقِ بَرُوضٍ نَضِيرٍ وَمَاءٍ مَسِينِ
وَرَاحٍ تَرَى نَارَهَا فِي الْمَزَاجِ تَصَوُّغٌ مِنَ الْمَسَاءِ صُغْرَى الْبُرَيْنِ^١
لِيَالِي تَمَرَحُ فِي دُهُمِهَا مَرَاخَ السَّوَابِقِ بِالْمَوْجِفَيْنِ^٢
وَدَاجِيَّةٍ خَلَتْهَا كَحَلَّتْ بِكُحْلٍ الدَّجَى أَعْيُنَ النَّاطِرِينَ
طَمَا بَحْرُهَا فَرَكِبْتُ الْكُؤُوسَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهَا سَفِينِ
وَتَحَسَّبُ ظِلْمَةَ أَحْشَائِهَا تُجِنُ مِنَ النُّورِ عَنَّا جَنِينَ
كَأَنَّ نُجُومَ دِيَاجِيرِهَا أَقَاحِي رِيَاضٍ عَلَى الْأَفْقِ غِينِ
كَأَنَّ لَهَا أَسْدًا^٣ مَخْرَجًا لَعِينِكَ جَبْهَتَهُ مِنْ عَرِينِ
وَحَمَرَاءَ تَنْشُرُ رِيًّا الْعَبِيرِ وَفِي طَيْهِ فَرَجٌ لِلْحَزِينِ
مَعْتَقَةً شَقَّ عَنْهَا الثَّرَى وَحَيَّ السَّرُورَ بِهَا فِي دَفِينِ
تَرَبَّتْ مَعَ الشَّمْسِ فِي عَمْرِهَا مُنْقَلَةً فِي حُجُورِ السَّنِينِ
رَكَضَتْ بِهَا اللَّيْلَ فِي نَشْوَةٍ أَصَلَّتِي لَهَا بِسُجُودِ الْجَبِينِ
هَنَّاكَ ظَفَرْتُ بِهَا رَيْبَةً بِصَيْدِي حُورَاءَ مِنْ سَرَبِ عَيْنِ
تَنَفَّسْتُ فِي نَحْرِ كَافُورَةٍ تَضَمَّخُ بِالطَّيِّبِ فِي كُلِّ حِينِ

١ في ف و م : قارها . . . اليمين .

٢ في ف و م : المرجفين .

٣ في ف و م : أميراً

وَقَبَلْتُ خَدًّا تَرَى وَرْدَهُ نَضِيرًا يَشْقَى عَنْ الْيَاسَمِينَ
 وَلَمَّا وَشَتْ بِحِمَامِ الدَّجَى حِدَائِمُ يَنْدُبْنَهُ بِالرَّئِينَ
 تَحَيَّرْتُ وَالصَّبَّ ذُو حَيْرَةٍ إِلَى أَنْ حَسِبْتُ شِمَالِي الْيَمِينَ
 وَخَاضَ بِي الْحَزَنُ بَحْرَ الدَّمْعِ فَأَرْخَضْتُ دُرَّ الْمَاقِي الثَّمِينَ
 وَقَدْ عَجَبَ اللَّيْلُ مِنْ مُغْرَمٍ بِكِي مِنْ تَبَسَّمٍ صُبْحٍ مُبِينٍ

٣٠٦

وقال أيضاً في صباه

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ بِالْمَسْكِ ذَابَتْ بَلَغْتُ بِهَا الْمُنَى وَهِيَ التَّمَنَّى
 مُنْعَمَةٌ لَهَا إِعْزَازُ نَفْسٍ يُصْرَفُ دَلُّهَا فِي كُلِّ فَنٍ
 شَمُوسٌ مِنْ مَلُوكِ الرُّومِ قَامَتْ تَدَافَعُ فَاتِكَا عَنْ فَتَحِ حِصْنٍ
 بِخَدِّ لَاحٍ فِيهِ الْوَرْدُ غَضًّا وَغَضْنٍ مَاسٍ بِالرَّمْتَانِ لَدُنْ
 فَطَالَتْ بَيْنَنَا حَرْبٌ زَبُونٌ بَلَا سَيْفٍ هُنَاكَ وَلَا مَجْنٍ
 وَفَاضَتْ نَفْسُهَا الْحَمَاءُ مِنْهَا وَسَالَتْ نَفْسِي الْبَيْضَاءُ مِنِّْي

٣٠٧

وقال يصف النيلوفر

كَأَنَّمَا النيلوفر الْمُجْتَنَى^١ وقد بدا للعينِ فَوْقَ البَنَانِ
مِلاهُنُ الياقوتِ مُحَمَّرَةٌ قد ضُمِنَتْ شَعْرًا من الزَّعْفَرَانِ

٣٠٨

وقال يصف سحابة

وَمُدِيمَةٌ لَسَمْعِ البروقِ كَأَنَّمَا هَزَّتْ من البَيْضِ الصَّفاحِ متونا
وسرت بها الرِّيحُ الشَّمالُ فكم يدِ كانت لها عند الرِّياضِ يمينا
صَرَخَتْ بِصَوْتِ الرَّعْدِ صَرْخَةً حَامِلَ مَلَأَتْ بها^٢ اللَّيْلَ البَهِيمَ أَنِينَا
حتى إذا ضاقتْ بمَضْمَرِ حَمَلِهَا أَلْقَتْ بِحَجَرِ الْأَرْضِ مِنْهُ جَنِينَا

٢ في ب : المجتبى .

٢ كلمة « الرعد » سقطت من ف وبها مشأ لعله : مثل .

٣ في ب : ملأت دجى .

قطراً تَنَائَرَ حَبَّهُ فلو أَنَّهُ دُرٌّ تَنظَّمَهُ لكان ثميناً
وكانتْما عُمِّي الرِياضُ^١ بدمعه كُسيَتْ مِنْ الزَّهْرِ^٢ الأنيقِ عيوناً

٣٠٩

وقال أيضاً يتغزل

ومطلعةِ الشَّموسِ على غصونٍ مُضْأَحِكَةٍ عن الدَّرِّ المصونِ
كَأَنَّ السَّحَرَ جِيءَ بِهِ طَبِيباً لِيُبرِئَهُنَّ مِنْ سَقَمِ العيونِ
فلَمَّا لم يجدْ فيها علاجاً أَقامَ مُحَيَّراً بين الجفونِ
ولم أَرَ قَبْلَها مُقَلَّلاً مِرَاضاً مُحَرَّكَةَ المَلاحَةِ بالسَّكونِ
تُنفَّذُ في القلوبِ لها سَهامٌ مُنْصَلَّةٌ بفولاذِ المَنُونِ

١ في ب : النصون .

٢ في ب : النور .

وقال أيضاً يتغزل

عَذَّبْتَنِي بِالْعُنْصُرَيْنِ بلظى حشاي وماء عيني
 أَلْبَسْتَنِي سَقَمًا أَرَا كِ لَبِيسَتِهِ فِي النَّاظِرِينَ
 جَسْمِي هُوَ الطَّيْفُ الَّذِي يُدْنِيهِ مِنْكَ طِلَابُ دِينِي
 وَلَقَدْ خَفِيتُ مِنَ الضَّنَا وَأَمِنْتُ لِحِظَةِ الْكَاشِحِينَ
 وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى فَلَأَنَّهُ لَمْ يَدِرْ أَيْتِي

وقال أيضاً يتغزل

لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ وَقَدْ سَلَا عَنِّي فَالذَّنْبُ مِنْهُ وَضِدَّةُ مِنِّي
 قَمَرٌ ، مَلَا حَاتُ الْوَرَى جُمِعَتْ فِي خَلْقِهِ فَنَاءً إِلَى فَنٍّ
 قَدْ كَانَ يَبْلُغُ مِنْ مَوَاصِلِي ظَنِّي وَفَوْقَ نَهَايَةِ الظَّنِّ
 وَيُضِيفُ زَيْقَتَهُ بَقْبَلَتِهِ كإِضَافَةِ السُّلُوى إِلَى الْمَنِّ
 فَالْيَوْمَ يَنْفَرُ مِنْ مَلَا حِظِي كَنِفَارِ إِنْسِيٍّ مِنَ الْجَنِّ

وقال أيضاً يتغزل

ومُسْتَحْسَنٍ في كلِّ حالٍ دلالُها كبيرٌ هواها وهي في صِغَرِ السنِّ
تُرَاعِي بعينٍ تغمزُ الناسَ في الهوى وتقرأُ منها السحرَ في مَرَضِ الحُفْنِ
كَأَنَّكَ منها ناظرٌ إنْ تَبَسَّمتَ إلى بَرْدٍ تجلوهُ بَارِقَةُ الدَّجْنِ
تَرى قَدَّها في نشوةٍ من رَشَاقَةٍ فهلْ خَلَعَتْ منه على الغُصْنِ اللدن؟
بنفسي من جِسمي حديثٌ بحبِّها وطَرَفِي منها رائدٌ روضةُ الحسنِ

وقال أيضاً

يا صورةَ الحُسْنِ التي طَلَعَتْ بالشمسِ في خُوطٍ^٢ من البانِ
ما بالُ بَلْقِيسٍ حُسْنِكَ لا يَحْنُو على وَجْدِي السُّلَيْماني
لَمَّا وَجَدْتُ هَوَاكَ خَامَرَنِي أيقنْتُ أنَّ هَوَاكَ روحاني

١ في ب : زائر زهر .

٢ في ب : غُصْن .

لا تنكري داءً نَحَلْتُ به فيسُقِّم طرفك سُقِّم جثماني
يا كيفَ أَكْتُمْتُ حَبَّ فاتِكَةٍ يديه^١ إسراري وإعلاني
لُنْسِيَّةٌ ذكرى محبَّتِها جنيَّةٌ بالشَّوقِ تَغْشاني
ولقد يخامرني بها شَغَفٌ لا يُفْتَدَى منه بسلواني
يا من يجازيني بسيِّئَةٍ أكذا يكون جزاءُ إحساني
وأبي هواءٍ وما حلفتُ به إلّا وكانَ الصَّدَقُ من شاني
لا طابَ لي طيبُ الحياة ولا خَطَرَ الكرى بضميرِ أجفاني
حتى أرى ، والوَصلُ^٢ يجمعنا ، إنسانَ عينك نُصِبَ إنساني

٣١٤

وقال يمدح المنصور بن الناصر بن علناس

تخریجها : في النفع والنهاية الأبيات ١٧ - ٣٣

أعليتَ بين النجم^٣ والدِّبرانِ قصراً بناه^١ من السعادة بانِ
فَضَحَ الحورَنقَ والسديرَ بحسنه وسما بقمَّتِه غلى الإيوانِ
فلِذَا نَظَرْتُ إلى مَرَاتِبِ مُلْكِهِ وبدتُ إليك شواهدُ البرهانِ

١ في ب : فائنة أبداه .

٢ في ب : والحب .

٣ النجم : الثريا ؛ وفي ف و م : المجد .

أَوْجَبَيْتَ لِلْمَنْصُورِ سَابِقَةَ الْعُلَى
قَصْرٌ يَقْصُرُ ، وَهُوَ غَيْرُ مَقْصَرٍ ،
وَكَأَنَّهُ مِنْ دُرَّةٍ شَفَافَةٍ
لَا يَرْتَقِي الرَّاقِي إِلَى شَرُفَاتِهِ
عَرَجٌ بِأَرْضِ النَّاصِرِيَّةِ كَيْ تَرَى
فِي جَنَّةٍ غَنَاءَ فِرْدَوْسِيَّةٍ
وَتَوَقَّدَتْ بِالْخَمْرِ مِنْ نَارِنَجْهَا
وَكَأَنَّهُنَّ كِرَاتُ تَبْرِ أَحْمَرٍ
إِنْ فَاخِرُ الْإِتْرَجِ قَالَ لَهُ : ازْدَجِرْ
لِي نَفْحَةٌ الْمَحْبُوبِ حِينَ يَشْمَنِي
مَنْتِي الْمَصْبَغُ حِينَ يَبْسُطُ كَفَّهُ
وَالْمَاءُ مِنْهُ سَبَائِكُ فَضِيَّةٍ
وَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مُشْطَبٌ
كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يَطِيلُ تَعَجُّبًا
عَجَبًا لَهَا تَسْقِي الرِّيَاضَ يَنْبَعًا

١ النهاية والنفع : درحات .

٢ النهاية : الروع .

خَصَبَتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنْ لَهَا
 قُسَّ الطُّيُورِ الْخَاشِعَاتِ^١ بِلَاغَةٍ
 فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ
 وَكَأَنَّ صَانِعَهَا اسْتَبَدَّ بِصُنْعِهِ
 أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا
 فَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا
 وَزُرَافَةٍ فِي الْخَوْفِ مِنْ أَنْبُوبِهَا
 مَرْكُوزَةٍ كَالرَّمْحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ
 وَكَأَنَّهَا تَرْمِي السَّمَاءَ بِنَدَقٍ
 لَوْ عَادَ ذَاكَ الْمَاءُ نَفْطًا أَحْرَقَتْ
 فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا
 نَزَعَتْ إِلَى ظَلَمِ النُّفُوسِ نَفُوسَهَا
 وَكَأَنَّ بَرْدَ الْمَاءِ مِنْهَا مُطْفِئٌ
 وَكَأَنَّهَا الْحَيَاتِ مِنْ أَفْوَاهِهَا
 وَكَأَنَّهَا الْحَيَاتَانِ^٣ إِذْ لَمْ تَخْشِهَا

١ النهاية : الساجعات .

٢ النهاية : غدران .

٣ النهاية : الحيوان .

كم مجلسٍ يجري السرور مسابقاً منه خيولَ اللهو في ميدان
يجلو دماؤه على الحدود ملاحهً فكأنه المحراب من غمدان
فسمائه في سمكها علويةً وقبابه فلكيةُ البنيان

٣١٥

وقال في فرس أدهم فيه شعرات بيض

أدهم كالظلام تشرق فيه شعراتٌ منيرةٌ للعيون
كأنّذي يخضب المشيب ويبقي شاهدات بهنّ نفي الظنون

٣١٦

وقال يصف ناراً غراء ارتفعت له ليلاً وهو مع رفقة من الغرر^١
في ياب العرب :

لله شمسٌ كان أولها السّها كحلّ الظلام بنورها أجفاني
جاد الزناد بعشوة فتخيرت قصر الحفيفة بعد طول زمان^٢
شعواءً باتت ترمحُ الريح التي أمست تجاذبها شليل دخان

١ الغرر: السادة ، وانظر البيت : ٧ .

٢ العشوة : النار : القصر : التبن ؛ الحفيفة : النبتة اليابسة ؛ قلت ، والبيت كثير التصحيف في ف وم .

وكانتُما في الجوّ منها رايةٌ
أقبلتها من وجه أدهم غُرّةٌ
في ظلّ منسدل الدجى جارتُ به
للّه واصفةٌ مُعرّسَ سادةٍ
نزلوا بأوطان الوحوش وما نبا
خطّافة الحركات ذات مساعٍ
كالبحر أعلاها اللهبُ وقعرها
تَشوي اللّطاة على سواحل لجها
من كلّ منسكب السماحة يلتظي
وإذا ابن آوى مدّ ذات رنوّه
متوسّدين بها عباب دروعهم
يننازعون حديث كلّ كريهةٍ
صرعوا الأوابد في الفدافد بالقنا
من كلّ وحشيّ يُسابقُ ظلّه
صيدٌ إذا شهدوا النديّ همى الندى
من كلّ صَبّ بالحروبِ حياتهُ
في متن كلّ أقبّ تحسبُ أنّه

وإذا تَضَرَّمتِ الكريهة واتقى
لِفحاتِها الفرسان بالفرسان
وثنى الجريحُ عنانه فكأثما
خُلِعتْ عليه معاطفُ النشوان
وعلى الجماجم في الأكفّ صوارمُ
ففراشها بالضرب ذو طيران
قدّوا الدروعَ بقضبهم فكأثما
صَبَّوا بها خُلُجاً على غدران
وأروكَ أنّ من المياه مناصلاً
طُبِعتْ مضاربها من النيران

٣١٧

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ، ويذكر رده أهل سفاقس إلى
أوطانهم ورجوع الآباء منهم إلى أبنائهم :

أخذتُ سفاقسُ منك عهدَ أمانٍ
وَرَدَدْتَ أهلِها إلى الأوطانِ
أطلقتُ بالكرم الصريح سراحَهُمْ
فرعوا بقساعِ العزّ بعد هوان
وعطفتَ عطفةَ قادمٍ أسيافهُ
غُمِدَتْ على الجانين في الغفران
كم من مُسيءٍ تحتَ حكمك منهمُ
قَلَدَتْهُ مِنناً من الاحسان
ومروّعٍ وقع الردى في رُوعِهِ
أطفأتَ جَمْرَةَ جَوْفِهِ بأمان
كان الزّمانُ عدوهم فثَنِيَّتُهُ
وهو الصّدّيقُ لهم بلا عدوان

١ في ف : تخوفت .

أَمْسَى وَأَصْبَحَ طِيبُ ذِكْرِكَ فِيهِمْ^١
وَلَقَدْ يَكُونُ مِنَ الضُّلُوعِ حَدِيثُهُمْ
يَا يَوْمَ رَدَّهِمْ^٢ إِلَى أَوْطَانِهِمْ
نَزَلْتُ بِكَ الْأَفْرَاحُ فِي عَرَصَاتِهِمْ
فَلِدُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْقُلُوبِ تَرَاجَعْتُ
وَالْأَمْهَاتُ عَلَى الْبَنَاتِ عَوَاطِفُ
سُرَّ الْقَرَابَةُ بِالْقَرَابَةِ مِنْهُمْ
وَتَزَاوَرَ الْأَحْبَابُ بَعْدَ قَطِيعَةٍ
فِي كُلِّ بَيْتٍ نِعْمَةٌ وَمَسْرَّةٌ
وَدُعَاؤُهُمْ لَكَ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ
كَحَجَّجٍ مَكَّةَ فِي ارْتِفَاعِ عَجِيجِهِمْ
صَيَّرْتَ فِي الدُّنْيَا حَدِيثَكَ فِيهِمْ
فَخَرُّ يَقِيمُ إِلَى الْقِيَامَةِ ذِكْرُهُ
لَكَ يَا ابْنَ يَحْيَى فِي عِلَائِكَ مُرْتَقَى
إِنْ كُنْتَ فِي الْإِيمَانِ أَشْرَعْتَ الْقَنَا

١ الملوان : الليل والنهار .

٢ في ف و م : كيسان .

أَوْ كَانَ فَضْلُكَ لَيْسَ يُجْجِدُ حَقَّهُ فَعَلَيْهِ مُتَّفِقٌ ذُو الْأَذْيَانِ
أَوْ كُنْتَ مَرْهُوبَ الْأَنَاةِ فَكَأَمِنْ فِيهَا وَثُوبُ الضَّيْغِمِ الْغَضْبَانِ
لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ وَقَعَ صَوَارِمُ نَامَتْ مَنَايَاهُنَّ فِي الْأَجْفَانِ
فَلَهَا انْتِبَاهٌ فِي يَدَيْكَ وَإِنِّهَا لَقَطُوفُ هَامَاتِ الْجُنَاةِ جَوَانِ
كَمْ لِلْعَدَى فِي الرُّوعِ مِنْ خَرَسٍ إِذَا نَطَقَ الرَّدَى لَهُمْ مِنَ الْخُرْصَانِ
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ هُمَامٍ حَازِمٍ يَرْضَى وَيَغْضَبُ فِي رَضَى الرَّحْمَانِ
لِلَّهِ أَمْنٌ جَمِيلٌ صَنَعَ سَائِحُ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ حَدِيثٌ كُلُّ لِسَانِ
سَرَّحْتَ مَالِكَ مِنْ يَمِينٍ سَمِيحَةٍ وَالْمَالُ فِي الْيَمْنِ السَّمِيحَةِ عَانِ
إِنِّي أَمْرٌ أَبْنَى الْقَرِيضَ وَلَا أَرَى زَمَنًا يَحَاوِلُ هَدْمَ مَا أَنَا بَانِي
صَنَعَ بِتَحْبِيرِ الثَّنَاءِ وَحَوْكِهِ فَكَأَنَّمَا صَنَعَاءُ تَحْتَ لِسَانِي
وَأُفِيدُ نَوَازَ الْبَدِيعِ تَضَوُّعًا مُتَنَسِّمًا بِدَقَائِقِ الْأَذْهَانِ
وَالشَّعْرُ يَسْرِي فِي النُّفُوسِ وَلَا كَمَا يَسْرِي مَعَ الصَّهْبَاءِ وَالْأَلْحَانِ
وَلَقَدْ شَاوَتْ الرِّيحُ فِيهِ مُسَابِقًا مِنْ بَعْدِ مَا أَمْسَكْتُ فَضْلَ عِنَانِي
وَطَعَنْتُ فِي سَنِّ الْكَبِيرِ وَمَا نَبَا عَنْ طَعْنِ شَاكِلَةِ الْبَسْدِيعِ سَنَانِي
وَلَوْ أَنَّي أَصْفَيْتُ^١ مِنْهُ لَوَلَدْتُ عَلَيْكَ فِي فِكْرِي ضُرُوبَ مَعَانِي

١ أصفى : أجبل ونضبت فريخته الشعرية .

فافخرْ فَإِنَّكَ مِنْ مُلُوكِ لَمْ يَزَلْ^١ لَهُمْ قَدِيمٌ مَفَاخِرِ الْأَزْمَانِ
ولقد عكفتَ على مواصلةِ الندى فكأنَّه حُبٌّ بلا سلوان
وغمرتَ بالطَّوْلِ الزَّمانَ فقلْ لَنَا أَهْوَاَ الهَوَاءِ يعمُّ كُلَّ مَكَانِ
نُفْسِي مَدَائِحِنَا عَلَيْكَ لِأَنَّهَا سَقَيْتَ ظَمَاءَ مَنْكَ مَاءَ بَنَانِ
والرَّوْضُ إِنْ رَوَّى الغمامُ بَقَاعَهُ^٢ أَتْنِي عَلَيْهِ تَنْفَسُ الرِّيحَانِ

٣١٨

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى وأنشده إياها بسفاقس

سَنَحْتُ فِي السَّرْبِ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ^١ ظَلِيَّةٌ تَبَسُّمُ عَنْ سِمِطَيَّ جُمانِ
وَكأَنَّ الْعَيْنَ مِنْهَا تَجْتَلِي بَرْدًا ، لِلْبَرْقِ فِيهِ لَمَعَانِ
بَنْتُ سَبْعٍ وَثَمَانٍ وَجَدْتُ^٢ عُمْرِي ضَرْبَكَ سَبْعًا فِي ثَمَانِ
فِي شَبَابٍ بِهِجٍ وَفَى لَهَا وَثْنِي رِيْعَانَهُ عَنِّي فَخَانِ
يَسْتَبِي النَّاسُكَ مِنْهَا نَظَرٌ^٣ سَاحِرُ الطَّرْفِ عَلِيلُ اللَّحْظَانِ
وَأُثِيتُ ذُو عَقَاصٍ غَيِّمَتْ^٤ فِيهِ لِلْمَنْدَلِ أَنْفَاسُ دُخَانِ
يَا لَهَا مِنْ جَنَّةٍ رَمَانُهَا^٥ مَا دَرَتْ مَا لَمَسَهُ رَاحَةُ جَانِ

١ في م : عليك .

يا عليل القلب كم ذا تشتهي سوسن النحر وعناب البنان
وأوان الحجر لا يجتنى به ثمر كان لها الوصل أوان
إذ شبابي غصة أوراقه وحديثي تحف بين الحسان
وقطوف اللهو من قاطفها دانيات بينات الدنان
كل عذراء عجوز قد علا رأسها في الدن شيب القمحان^١
وكان الكف من حمرتها غمست أنملها في الأرجوان
صرفها يقسو فيدي غضباً فإذا أرضيته بالمزج لان
ربة القرط الذي أحسبه راش للقلب جناح الخفان
إن يكن سحرك قد خُصَّ به لحظ طرف منك أو لفظ لسان
فعلي بأسه خُصَّ به حد سيف منه أو حد سنان
منعم تهوى القوافي مدحة أو ما ناظم معناها معان
معرق في المجد من آبائه أسد الرّوع وأملاك الزمان
جل من شبل أبوه قسور ، بطل الحرب بكفيه جبان
إن تلا يحيى علي في العلى فيما دان من الاحسان دان
كل يوم في المعاني قدره بسماء الملك ينمي للعيان

١ القمحان : البياض الذي يتغشى دن الخمر ؛ وقد ذكره النابغة الذبياني في شعره ، وقيل : لم يذكره أحد غيره .

وهلالٌ أولُ البدرِ الذي يرتدي بالنور منه الأفقان
كم طريدٍ مُستقِرٍّ عندهُ من حرورِ الخوفِ في ظلّ أمان
وفقيرٍ مُعسِرٍ قد صانهُ من مهينِ الفقرِ بالمالِ المهان
كان في غيرِ حماه غرضاً لِسِهَامٍ فُوقَتِ^١ بالحدثان
في جفافِ العُدْمِ حتى غرقتُ من يديه في الغنى منه يدان
يشترى بالحمدِ فقراً كيف لا يُشترى باقٍ معَ الدَّهرِ بفان
جادَ حتى قيلَ هلْ أُمُوالُهُ عندَ أهلِ القصدِ في صَوْنِ اختران^٢
وإذا الهيجاءُ شَبَّتْ نازهاً بالرقاقِ البيضِ والسُّمْرِ اللدان
وأثارتُ شُرْبُ الجُرْدِ بها عثيراً يَسودُّ منه الخافقان
فكأنَّ الليلَ مما أظلمتُ جُنَّ أو ألقى على الأرضِ جِران
صادَ بالبأسِ عليّ صيدها وثنى منها عن النصرِ عِنان
ييمينِ صَبَرَتْ خاتمها تاجَ عَضْبٍ يتطفُّ الهامَ يمان
وكانَ اللَّيْثُ من صَعْدَتِهِ بفؤادِ الذَّمْرِ يعني أفعوان
يسرقُ^٣ المهجةَ من عامِلِهِ في أضواءِ الدرعِ للنارِ لسان

١ في ف : قومت .

٢ في ف : أخزان ، وفي م : خزان .

٣ في ف : يشرف .

لست ادري أدمٌ في ربحه من جنانِ الدهرِ أم وردِ الجنانِ
يا ابن يحيى أنتَ ذو الطَّوْلِ الذي أولٌ نائله ، والبحرِ ثانِ
فابقَ للمعروفِ في الغزِّ ودُمُ من علوِّ القدرِ في أعلى مكانِ
وعلى وجهك للبشرِ سنا وعلى قصْدِكَ للنَّجْمِ ضَمَانِ

٣١٩

وقال يمدحه

إِنْ بَكَتْ ورقاءُ في غُصْنِ بانٍ تصدَّعتْ منك حصاةُ الجنانِ
وأذكرتهُ من زمانِ الصِّبا طيبَ المغاني والغواني الحسانِ
كيفَ رَمَتْ بالنارِ أحشاءَه ذاتُ هديلٍ في رياضِ الجنانِ
يُرتَحُ الغُصْنُ نسيمٌ بها مُعانقٌ بين الغصونِ اللِّدانِ
ومقلتاها لو بكَّتْ عنهما^١ فاللؤلؤُ الرطبُ له مقلتانِ
ما ذاك إلا لنوى غربةٍ قسا عليها الدهرُ فيها ولانِ
حمامةَ الأيكِ أبني لنساء^٢ من أين للعجماءِ نطقُ البيانِ

١ في هامش ف : لعله عينها .

٢ في هامش ف : لنا أنبي .

هل خائفك المخزون^١ من دمع^٢ بكى بها عندك فمن خان هان
 يا ليلة^٣ عنت^٤ لعيني شج^٥ للدمع ما بينهما لختان
 سوداء^٦ تخفي بين أحشائها من فلق^٧ الإصباح طفلاً هيجان^٨
 كأنما قرط^٩ الثريا له في أذن^{١٠}ها خفق^{١١} فؤاد^{١٢} الجبان
 كأنما فوق^{١٣} قنـال^{١٤} الدجى^{١٥} للجم^{١٦} طريف^{١٧} ما له من عنان
 كأنما الإظلام^{١٨} بحر^{١٩} طما والشرق^{٢٠} والغرب^{٢١} له ساحلان
 كأنما الخضراء^{٢٢} من زهرها روضة^{٢٣} خرق^{٢٤} نورها أقحوان
 كأنما النسران^{٢٥} قد حلقا كي^{٢٦} يبصيرا^{٢٧} حرباً^{٢٨} تثير^{٢٩} العشان^{٣٠}
 كأنما انقضّا^{٣١} وقد آنسا مصارع^{٣٢} القتلى التي^{٣٣} ينعيان
 كأنما الجوزاء^{٣٤} مختالة^{٣٥} تسحب^{٣٦} فضلاً^{٣٧} من رداء^{٣٨} العنان
 كأنها راقصة^{٣٩} صوبت^{٤٠} وزاحم^{٤١} الغرب^{٤٢} بها منكبان
 كأنما شدت^{٤٣} نطاقاً^{٤٤} فما تبدو لها تحت^{٤٥} ثياب^{٤٦} يدان
 كأنما الشهب^{٤٧} التي غربت^{٤٨} شهب^{٤٩} خيول^{٥٠} في استباق^{٥١} الرهان

١ هجان : يغلب عليه البياض .

٢ الخضراء : السماء .

٣ العشان : اللهبان .

٤ عنت : كآتمة .

٥ صوبت : انحدرت .

كأنّما الصّبحُ له راحةٌ تلقط في الآفاق منها جمان
نَكَبْتُ عن ذِكْرِ الهوى والمها ونفيها للشيخ غير الهوان
واهاً لأَيّامِ الشابِ الذي ظلّ به يحلم حتى اللّسان
سأني عن الدّنيا فعندي لها في كلّ فنّ خَبَرٌ أو عِيَان
فما على الأرض عليمٌ بما تجتمع الشهبُ له في القِران
ولا مكانٌ تتجارى به خيلُ القواني غيرُ هذا المكان
ولا ندّى فيه ضروبُ الغنى إلا ندى هذا ، ملكِ الزّمان
هذا عليّ نجل يحيى الذي في قصّده نيلُ المني والأمان
هذا الذي في الملك أضحى له عِرْضٌ مصونٌ، ونوالٌ مُهان
هذا الذي شامَ لنصرِ الهدى من غيرِ شَمّ كلّ عَضْبٍ يمان
مَنْ بَشَرُهُ تَرَجَّمَ عن جودهم والجودُ في البشر له ترجمان
من تلزمُ الناسَ له طاعةٌ قد أمرَ الله بها في القرآن
فَمَشْرِقًا الأرضِ على فضله لمغربيها أبداً حاسدان
القاتلُ الفقرَ بسيفِ الغنى بحيثُ حدّاهُ له راحتان
والثابتُ الحلمِ إذا ما هَفَّتْ له من الحلم هضابُ الرّعان
لا يَعْرِضُ المَطلُ لانبجازه ولا يشين المنّ منه امتنان
تمنّ ما شئتَ على فضله من الأماني وعليه الضمان

مُمْلَكٌ تَخْفُقُ رَايَاتُهُ فَيَتَّقِيهِ مَنْ حَوَى الْخَافِقَانِ
لِقَاؤُهُ مُرْدٍ لِأَقْرَانِهِ إِذَا تَلَاقَتْ حَلَقَاتُ الْبَطَانِ
يَبْنِي بِرُكُضِ الْجُرْدِ مِنْ أَرْضِهِ سَمَاءَ نَقَعَ يَوْمَ حَرْبٍ عَوَانِ
يَكْرُ كَاللَّيْثِ مُبِيداً إِذَا مَا عَرَدَ النَّكْسُ وَخَامَ الْهَدَانِ
ضَرْباً وَطَعْناً بِشِبَا مُنْصُلٍ كَأَنَّهُ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَانِ
نُورٌ هُدًى فِي الصَّدْرِ مِنْ دَسْتِهِ وَنَارٌ بِأَسَى فَوْقَ ظَهْرِ الْحَصَانِ
لَا تَخْشَى مِنْ كَيْدِ عَدُوِّ الْهَدَى إِنَّ عَلِيّاً لَعَلَيْهِ مُعَانِ
عَانِي خِدَاعِ الْحَرْبِ طِفْلاً فَمَا يُقْعَقِعُ الْقِرْنَ لَهُ بِالْشَنَانِ
حَمَى حِمَى الْإِسْلَامِ مِنْ ضَيْمِهِ وَاسْتَنْصَرَ الْحَقَّ بِهِ وَاسْتَعَانِ
يَقْدُمُ الْأَبْطَالُ فِي جِحْفَلٍ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ لَهُ جِحْفَلَانِ
مَعْتَادَةً أَكَلَ لَحُومَ الْعَدَى غَدَتِ خِمَاصاً ثُمَّ رَاحَتِ بَطَانِ
مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مَأْوِ عُقَابٍ لَهُ كُلٌّ مَكْرٍ . فِيهِ شُلُوْ خِيَوَانِ
مِنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ الشَّدَا مُقْدَمٍ بَرْدٌ عَلَيْهِ حَرٌّ لَدَعِ الطَّعَانِ
يَغْشَى بِهِ الطَّرْفُ صُدُورَ الْقَنَا فَهُوَ سَلِيمٌ الرَّدْفِ دَامِي اللَّبَانِ
إِذَا التَقَى الْجَمْعَانِ فِي مَازِقٍ وَقَلَّ بِالطَّعْنِ سَنَانٌ سَنَانِ

١ عرد : فرز وهرب . النكس : الجهاب . خام : حاد وجين . الهدان : الأحقق الثقيل في الحرب

يا من يُفيضُ العرفَ من راحةٍ مفاتحُ الأرزاقِ منها بنان
بقيتَ للجودِ حليفَ العُلى فأنتَ والجودُ رضيعا لبان
وإن تلاكَ العيدُ في بهجةٍ فأنتَ عيدُ أولٍ ، وهو ثان

٣٢٠

وقال يمدح أبا يحيى الحسن بن علي بن يحيى

أرأيتَ لنا ولهم ظُعُنًا وصنيعَ البين بهمُ وبنا
أرأيتَ نشاوى قد سَكروا بكوؤسِ نوى مُلئتْ شجنا
ومهاً نظرتَ ونواظرها وَصَلتْ دمنًا ، وجفت دمننا
رحلوا فأنارَ رحيلُهُمُ من حرِّ ضلوعك ما كمننا
وحسبتُ سرابَ تتابعهمُ لِحجاً وركائبهمُ سَفُنَا
ومهاً نظرتَ ونواظرها خَلِقتَ لنواظرنا فتننا
من كلِّ مُودَّعةٍ نَطَقَتْ بالسِّرِّ مدامعُها علَّنا
سُفرتْ لوداعك شمسَ ضحىٍ وَثَّنتْ بكثيبِ نقا غُصْنَا
ورمَّتْكَ بمقلةٍ خاذلةٍ هَجَرْتِكَ وعَاودتِ الوَسْنا
وترى للسحر بها حركاً فبه تؤذيك إذا سكنا

كثرتُ في الحبِّ بها علي
يا وجدي كيف وجدتُ^١ به
روحِي وغدوتُ^٢ له بدنا
ودَعُ ذكرَ نَزْوَحٍ عنك نأى
وتَبَدَّلُ من سَكَنٍ سَكَنًا
ونزولَ هَواكَ بمنزلةٍ
واخضَبُ يَمناكَ بِقَانيَّةٍ^٣
وتريكَ نَجْوماً في شَقَقٍ
من كَفِّ مَطَرُفَةٍ عَنما
بالعَدَلِ ، وإن خَلَعَ الرِّسْنا
إني استوليتُ على أَمدي
وسبقتُ فَمَنْ ذَا يُلحِقني
نَالَتُ بيمينيه المَننا
وَقُرِنتُ بِالْيُمْنِ نَقِيبَتُهُ^٤
فَظْهَرْتُ أَسَىً وخَفِيتُ ضَنِي
كالبدرِ بَدَا والرَّئِمِ رنا
ووطئتُ بِفِطْنِي الفِطْنَا
كَالشَّمسِ نَأَتْ عن مبصرها
وَالْعَفْوُ بِقُدْرَتِهِ قُرْنَا
بُعْدًا وَسَناها مِنْه دنا

١ في ف : وجدته .

٢ في ف : وعدت .

٣ في ف و م : بقضية .

٤ في ف و م : بالعدل . . . الرضا .

٥ في ف : بقيته .

من صانَ الدينَ بِصَوْلَتِهِ وَأَذَلَّ بعزَّتِهِ الوَثَنَا
 من يَحْدِرُ فقراً^١ عنكَ إذا فاضَتْ نعماهُ عليكِ غِنَى
 ورأى مَنْ ضنَّ فضائلَهُ فسَخا ، وتَشَجَّعَ مَنْ جَبُنَا
 وإذا ما أَمَّ له حرماً مَنْ خافَ مِنَ الدُّنيا أَمِنَا
 ولئنْ هدمَ الأموالَ فَقَدَّ شادَ العلياءَ بها وبني
 إن صانَ العِرْضَ وأَكْرَمَهُ فَقَذالُ الوفرِ قد امتَهَنَا^٢
 وكأنَّ الحِجَّ لساحته في يومٍ نداءهُ يومُ مِني
 ولنا من فَضْلِ مَذاهِبِهِ آمالُ نَبْلُغُها ومُني
 وصَوَّارِمُ لَلْأَقْدَارِ فلا تَقفُ الكُفَّارُ لها جُنُنَا
 تَشْدُوهُ إذا سكرتْ بدمٍ في ضربِ جماجمهم غِنَا^٣
 يَتَنَبَّعُ ماءُ تَأَلَّقَها فيقالُ : أفي سَكَنٍ سَكُنَا
 لا رَوْضَ ذَوَى منها قِداماً بالدَّهْرِ ولا ماءُ أَسْنَا
 ونَسيلُ سيولُ جحافلِهِ فحقائقُها تنفي الظَّنَّ
 وإذا ما هَبَّتْها كَثُفَتْ تَجِدُ العقبانُ بها وَكُنَّا

١ في ف : من يجد فقير .

٢ في ف و م : ما ضاق . . . كقذال الوفر إذا

٣ أي بأصوات فيها ترخيم نحو الخياشيم .

٤ السكن : النار ، أي يتساءل المتسائل : هل يمكن للماء - ماء السيوف - أن يقر في النار ؟

إن ابن عليّ حازَ عليّ فالفعلُ له والقولُ لنا
 قمرٌ تُستَمطرُ منه يدٌ فتجودُ أناملُهِ مِرْنا
 بنحو الآراءِ بفكرته فيصيبُ لها نُقباً بهينا
 من غلبِ أسودٍ ما عمروا إلا آجامَ ظباً وقنا
 وكانَ الحربَ إذا فتحتُ تبدي لهمُ مرأى حسنا
 وتخالهمُ فيها ادرعوا يسْلوق^١ وقد سلّوا اليمنا
 وكانَ سوابغهمُ حَبَبٌ قد جاشَ بهم ماءٌ أجينا
 يغشى الإظلامَ بها الضرغا مٌ فتجعلُ مقلتهُ أذنا
 ولهمُ بإزاءِ قرابتهم أسماءٌ نُعْظِمُها وكُنَى
 شَجَرٌ بالبرِّ مورقةٌ ننتابُ لها ظلاً وجنى^٢
 وإذا متحتُ مُهجاً يدهُ جعلَ الخطيَ لها شطنا
 وكفاه الرمحُ فعَالَ السيف فقيلَ أضرِبُ مَنْ طَعَنَا
 يا من أحيا بالفخر له بمكارمه أدباً دُفِنَا
 فأفادَ الشعرَ مُنقَّحه وأصابَ بمنطقهِ اللسنا
 أشبهتَ أبالكَ وكنتَ بما أشبهتَ معاليه قمنا

١ سلوق : قرية باليمن تنسب إليها الدروع السلوقية ، وقال بعضهم إنها بالشام .

٢ في ف و م : هبات لها مطلقات جنا ، والتصحيح فيه ظاهر .

وحصاةُ أناتك لو وُزِنَتْ أنستَ برجاحتها حصناً
أنشأتَ شوانيَ طائِرةً وبنيتَ على ماءٍ مُدُنًا
بيروجِ قتالٍ تحسبها في شَمٍّ شواهقها قُننًا
ترمي بيروجٍ ، إنْ ظَهَرَتْ لعدوٍّ محرقةً ، بطنًا
وبنفطٍ أبيضٍ تحسبُه ماءً وبه تذكى السكنا
ضمينَ التوفيقُ لها ظفراً من هُلكِ عداتك ما ضمنا
أنا منْ أهدى لك مُمتدحاً دُرراً أغليتُ لها ثمنا
وقديمُ الوردِ جديداً الحمْدِ هناك أفوهُ به وهنا
ومدحتُ غلاماً جدَّ أبيك وها أنذا شيخاً يَفننا
وتخذتُ تَجِنَّةَ لي وطناً وهجرتُ صقليةً وطناً
لَقِيتُكَ عُداتِكَ صاغرةً ترجو من نوءِ يَكْ^٣ الهدنا
فسحابُ نذاك هَمَّتْ مِنحاً وسماءُ ظباك هَمَّتْ مَحناً
وبقيتَ بقاءَ مجاهدة وسلكتَ لكلِّ علَى سُفُنًا

١ حُصْنٌ : جبل في ديار بني عامر ، يقال في المثل : « أنجد من رأى حُصناً » .

٢ تَجَنَّةٌ ، وتكتب « تاجنة » : مدينة صغيرة بإفريقية بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق إبراهيم مرحلة .

٣ في م : دنوبك .

وقال في كبوة الجواد به

لا ذَنْبَ لِلطَّرْفِ فِي مَعْدَاهُ يَوْمَ كَبَا بِالْبَحْرِ وَالطَّوْدِ وَالضَّرْعَامِ مِنْ حَسَنِ
وَالْبَدْرِ إِذْ فِي يَدَيْهِ لِلنَّدَى سَحْبٌ سَوَاكِبُ عَشْرُهَا تَنْهَلُ بِالْمَيْنِ
وَنَفْسٍ مَلِكٍ عَظِيمٍ قَدْرُهَا ، رَجَحَتْ بِأَنْفُسِ الْخَلْقِ مِنْ قَيْسٍ وَمَنْ يَمَنِ
وَكَيْفَ يَحْمِلُ هَذَا كُلَّهُ فَرَسٌ لَوْ أَنَّهُ مَا رَسَا مِنْ هَضْبَتِي حَضَنِ
لَعَلَّاهُ فِي سَجُودِ يَوْمٍ كَبَوْتِهِ لَدَيْهِ لَمَّا عَلَاهُ سَيِّدُ الزَّمَنِ
يَا مُسْذِيًّا مِنْ نَدَاهُ كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَجَرِيًّا فِي مَدَاهِ شُرْبِ الْحُصْنِ
كَأَنَّ رُمُوحَكَ فِي تَصْرِيفِهِ قَلَمٌ مَجَاوِلًا بِطَوِيلِ الذَّابِلِ الْيَزَنِ
تَقْتَادُ جَيْشَكَ لِلْهَيْجَاءِ مَعْتَزِمًا وَالْعَزَّ مِنْكَ وَنَصْرُ اللَّهِ فِي قَرَنِ
وَتَلْقَطُ الرَّمْحَ مِنْ أَرْضِ الْوَعْيِ بِيَدٍ وَالطَّرْفُ يَجْرِي كَلِمَحِ الْبَرْقِ فِي الْحَزَنِ
وَيَلْتَقِي طَرْفَاهُ إِنْ هَزَزْتَهُمَا كَأَنَّمَا طَرْفَاهُ مِنْهُ فِي غَصَنِ
لَمَّا سَلِمْتَ طَفِقْنَا فِي تَضَرُّعِنَا نَدْعُو لَكَ اللَّهَ فِي سَرٍّ وَفِي عِلَنِ
وَأَنْتَ لِلْخَلْقِ رَأْسٌ^٢ قَدْ سَلِمْتَ لَهُمْ فَلَيْسَ يَشْكُونَ مِنْ سَقَمٍ عَلَى بَدَنِ

١ في ف و م : علاك .

٢ في ف : وأنت رأس للخلق ، ولا يصح به الوزن .

٣٢٢

وقال أيضاً

وما أنا ممّن يرتضي الهَجْوَ خُطَّةً على أنّ بَعْضَ الناسِ أَصْبَحَ يَهْجُونِي
أَسَالِمُ مَنْ أَلْفَيْتُ قَدْرِي كَقَدْرِهِ وأَعْظَمُ مَنْ فَوْقِي وَأَحْقَرُ مَنْ دُونِي
واوْ شَتُّ يَوْمًا لَانْتَصَرْتُ بِمِقْوَلٍ يُحِيلُ عَلَى الْأَعْرَاضِ حَدَّ السَّكَائِينِ

٣٢٣

وقال أيضاً

يا أَيُّهَا الْمَعْرُضُ الَّذِي رَقَدَتْ أَجْفَانُهُ عَنْ سَهَادِ أَجْفَانِي
لِلسَّحْرِ عَيْنٌ ، سُبْحَانَ خَالِقِهَا وَأَنْتَ مِنْ خَلْقِهِ بِهَا رَانِ
يا ثَانِيَ الْبَدْرِ فِي تَكَامُلِهِ هَا أَنَا فِي الْقَسَمِ لِلشُّهُ ثَانِ

وقال أيضاً

سَلِّمِ الْأَمْرَ مِنْكَ لِلَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَدْ قَضَى بِهِ سَيَكُونُ
وَإِذَا صَحَّ ذَاكَ عِنْدَكَ فَافْهَمْ أَنَّ شُغْلَ الضَّمِيرِ مِنْكَ جُنُونٌ
هَلْ نَقِيزُ السَّكُونِ إِلَّا حَرَكَهُ وَنَقِيزُ الْحَرَكَ إِلَّا السَّكُونُ
هَكَذَا يَنْقُضِي الزَّمَانُ إِلَى أَنَّ تَشْمَلَ الْعَالَمِينَ فِيهِ الْمُنُونُ
وَتَقُومَ الْمَوْتَى النَّيَامُ إِلَى مَا كُحِلَتْ بِالْحَيَاةِ مِنْهُ الْعَيُونُ
بِجَنَانٍ يُقِيمُ فِيهَا مُقِيمٌ أَوْ بِنَارٍ فِيهَا عَذَابٌ مُهِينٌ

حرف الراء

٣٢٥

وقال يرني جوهرة

يَهْدِمُ دَارَ الْحَيَاةِ بَانِيهَا فَأَيَّ حَيٍّ مُخَلَّدٍ فِيهَا
 وَإِنْ تَرَدَّتْ مِنْ قَبْلُنَا أُمَمٌ فَهِيَ نَفُوسٌ رُدَّتْ عَوَارِيهَا
 أَمَا تَرَاهَا كَأَنَّهَا أَجَمٌ أَسْوَدُهَا بَيْنَنَا دَوَاهِيهَا
 إِنَّ سَالَمَتٌ وَهِيَ لَا تَسَالَمْنَا أَيَّامُنَا ، حَارَبَتْ لِيَالِيهَا
 وَأَوْحَشَتْنَا مِنْ فِرَاقِ مُؤْنِسَةٍ يَمِيتُنِي ذِكْرُهَا وَيَحْيِيهَا
 أَذْكُرُهَا وَالدَّمْعُ تَسْبِقُنِي كَأَنِّي لِلْأَسَى أَجَارِيهَا
 يَا بَحْرُ أَرْخَصْتَ غَيْرَ مَكْرَثٍ مَنْ كُنْتُ لَا لِلْبَيْعِ أَغْلِيهَا
 جَوْهَرَةٌ كَانَ خَاطِرِي صَدَفًا لَهَا أَقْبَاهَا بِهِ وَأَحْمِيهَا
 أَبْتَهَا فِي حَشَاكَ مُغْرَقَةً وَبْتُ فِي سَاحِلِكَ أَبْكِيهَا

١ في ف : أبثها ، وفي الهامش لعله : أثبتها ؛ وما قدرته أقرب إلى صورة الكلمة في ف .

ونفحة الطيب في ذوائبها وصبغة الكحل في مآقيها
عائقها الموج ثم فارقها عن ضمة فاض روحها فيها
ويلي من الماء والتراب ومن أحكام ضدين حكما فيها
أماها ذا وذاك غيرها كيف من العنصرين أفديها

٣٢٦

وقال أيضاً

تخذت العصا قبل وقت العصا لكيما أوطيء نفسي عليها
ومن لي بإدراك عمر قضى^١ إذا أحوجتني الليالي إليها
إذا ماتت النفس بعد الحياة فماذا ترى^٢ حاصل في يديها
تسل بدنياك وانظر إلى نفوذ المقادير في عالمها
وإن لديها متاعاً قليلاً فكن زاهد النفس فيما لديها

١ في م : انقضى .

٢ في م : مما ترى .

وقال أيضاً

بكى الناسُ قبليَ فَقَدَ الشَّبابِ بدمعِ القلوبِ فما أنصَفوه
 وإني عَلَيهِ لَمُسْتَدْرِكٌ من البثِّ والحزنِ ما أهملوه
 لعمرُك ما الشيبُ إمّا بدا بفوديكِ إلّا الردى أو أبوه
 ألم ترَ أَنَّكَ بينَ الشبابِ كمن ماتَ أو غابَ [من] شبوه
 وإن أبصرتك الدّمي أنكرت^١ معارفَ وجْهِكِ منها الوجوهُ

١ في م : الدنيا أتركت .

حرف الواو

٣٢٨

وقال أيضاً

إني امرؤ لا ترى لساني مُنْظَمًا ، ما حيتُ ، هَجَوَا
كم شاتمٍ لي عَفَوْتُ عَنْهُ مُصَمَّمًا في اللِّسانِ نَهَوَا
وابْتَدَاهُ الْهَجْرَ فِي ظِلْمًا حَتَّى إِذَا لَمْ أُجِبهُ رَوَى
لَفْظَتُهُ زَلَّةٌ تُلَاقِي مِنْ لَفْظَتِي فِي الْخُطَابِ عَفَوَا
كم قائلٍ إذْ تَرَكْتُ عَنْهُ بَحْرِي بِرُكِّ الْجَوَابِ رَهَوَا
وَعَوَّعَ سَيِّدٌ عَلَى هَزَبٍ فَمَا رَأَاهُ الْهَزَبُ كُفَوَا
ولو سطا قادراً عليه لَمْ يُبْقِ لِلطَّيْرِ فِيهِ شِلَوَا
إنَّ مطايا القريض نَجِبٌ أَجِيدُ سَوْقًا لَهَا وَحَدَوَا
بمثل زأر المصورِ جَزَلًا أَوْ كِبْغَامِ الْغَزَالِ حُلَوَا

في ف : زهير وفي م : زهير .

لَوْ شِئْتُ صَيَّرْتُ بِالْقَوَافِي غَارَةَ هَجَوِي عَلَيْهِ شَعُوا
وَمَزَّقَ الْقَوْلُ مِنْهُ عِرْضاً لَا يَجْدُ الْمَدْحُ فِيهِ رَفْوَ

٣٢٩

وقال أيضاً يصف درعاً [دقيقة الحلق حصينة^١]

وفضفاضة خضراء ذات حباثك إذا لبست فاضت على بطل كُفُو
لها لين لمس^٢ لا يخاف خشونة تشافها من حدّ ذي شُطَبٍ مهُو^٣
على أنها من نسج داود نثرة أدقّ على الأبصار من أثر الرفو
تروك منها زُرقة فكانتها سماء بدت للعين في رونق الصحو
تردّ الردى عن ذمرها فكانتها تذرّع من سُخْطِ الأسنّة بالعفو

١ زيادة من ب .

٢ في ب : دقيقة سرد .

٣ مهُو : منقّص .

٤ في ب : لها زُرقة مألوفة .

٥ في ب : في ريق .

حرف الباء

٣٣٠

وقال يرثي أباه [وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضه على البر ويتشوقه] ١ :

يدُ الدهرِ جارحةٌ آسِيَهْ ودُنْيَاكَ مُفْنِيَهْ فَانِيَهْ
 وربِّكَ وارثُ أربابِها ومُحْيِي عظامهمُ الباليه
 رأيتُ الحِمَامَ يبيدُ الأَنَامَ ولَدَغَتْهُ ما لها راقيه
 وأرواحنا ثَمَرَاتٌ له يَمُدُّ إليها يداً جانيه
 وكلَّ امرئٍ قد رأى سَمْعُهُ ذهاباً منَ الأَمَمِ الماضيه
 وعاريهٌ في القِي روحُهُ ولا بدَّ من رَدِّه العاريه
 سقى الله قبر أبي رحمةً فسقياهُ رائحةً غاديه
 وسيرَ عن جسمه روحه إلى الرُّوحِ والعيشة الرّاضيه
 فكم فيه من خُلُقٍ طاهرٍ ومن همّةٍ في العُلَى ساميه

١ ما بين معقنين زيادة من ب .

ومن كَرَّم في العُلَى أَوَّلُ وشمسُ النَّهَارِ لَهُ ثَانِيَه
 ولو أنَّ أَخْلَاقَه لِلزَّمانِ لكانتْ مَواردُهُ صَافِيَه
 أَتاني بدارِ النُّوى نَعِيَه فيا روعةَ السَّمعِ بالداهِيَه
 فحَمَّرَ ما ابْيَضَ من عَبرتي وبَيَّضَ لِمَتِّي الداجِيَه
 بدارِ اغْتِرابٍ كأنَّ الحَيَاةَ لذكرِ الغريبِ بها ناسِيَه
 فمَثَلْتُ في خُلدي شَخْصَه وقَرَّبْتُ تربتَه القاصِيَه
 ونُحِتْتُ كَثْكَلى على ما جَدِ ولا مُسْعِدٌ لي سِوى القاصِيَه
 قَدِيمُ تَراثِ العَلَى سَيِّدُ على النِّجْمِ خُطَّتُهُ سامِيَه
 مَضَى بالرتْجَاحَةِ من حِلْمِهِ فما سَيَّرَ المَضْبَعَةَ الراسِيَه ؟
 وما أنْسَ لا أنْسَ يَومَ الفِراقِ وأَسرارُ أَعْيُننا فاشِيَه
 ومَرَّتْ لَتودِيعِنَا ساعَةٌ بلوْلُو أَدْمُعِنَا حَالِيَه
 ولي بالوقُوفِ على جَمَرها وإنْضَاجه قَدَمٌ حافِيَه
 ورحْتُ إلى غَربَةٍ مُرَّةٍ وراحَ إلى غَربَةٍ ساجِيَه
 وَقَدْ أَوْدَعَتْنِي آراؤُهُ نَجوماً طَوالْعُها هادِيَه
 سَمِعْتُ مَقالَةَ شَيْخِي النّصِيحِ وأَرْضِي عَن أرضِهِ نائِيَه

كَأَنَّ بِأُذُنِي لَهَا صَرْخَةً^١ أَرَادَ بِهَا عُمَرُ سَارِيه
مَضَى سَالِكًا سُبُلَ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ الْغُرَرِ الْمَاضِيهِ
كَرَامٌ تَوَلَّوْا بَرِيبَ الْمَنُونِ وَأَبْقَوْا مَفَاخِرَهُمْ بِأَقْيَسِهِ
مَضَى وَهُوَ مَنِّي أَخُو حَسْرَةٍ تُمَارِجُ أَنْفَاسَهُ الرَّاقِيَةَ
تَجُودٌ بِدْفَعِ الْأَسَى وَالرَّدَى عَلَى خَدِّهِ عَيْنُهُ الْبَاكِهِ
وَإِنِّي لَذُو حَزَنٍ بَعْدَهُ شُؤُونُ الدَّمْعِ لَهُ دَامِيَّةٌ
بَكَيْتُ أَبِي حَقْبَةً وَالْأَسَى عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ بَادِيهِ
وَمَا خَمَدْتُ لَوْعَةً تَلْتَظِي وَلَا جَمَدَتْ عِبْرَةٌ جَارِيهِ
وَنَفْسِي وَإِنْ مُدَّتْ فِي عُمَرِهَا لَمَّا لَقِيَتْ نَفْسَهُ لَاقِيهِ

٣٣١

وقال أيضاً [يمدح يحيى بن تميم]

شَفَائِي مِنَ الْآلَامِ فِي الشَّقَةِ اللَّمِيَا بِرِيقَتِهَا أَحْيَا وَإِلَّا فَلَا مَحْيَا
وَكَيْفَ وَرِيًّا لَا تَجُودُ بِرِيقَةٍ إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي الْمَاءِ مِنْ ظِلِّ رِيًّا
فَتَاةٌ تَدِيرُ السَّحَرَ مِنْ لَحْظِ مُقْلَةٍ [.]

١ في ب : وكانت بأذني لها صرخة .

وتعرضُ إعراضَ المنى في صدودها ولو أقبلتْ بالوَصْلِ أقبلتِ الدنْيَا
وما بالها لم تُعطِ مِنْ سيفِ جفنها أماناً وقد أعطاه من سيفه يحيى
حمى ابنُ تميمٍ بالظبا ملّةَ الهدى وأضحى زمامُ الملكِ في يده العليا
وإنْ أجدبتْ آمالنا فهباته حدائقُ لم تعدمْ لأنملِه سقينا

٣٣٢

وقال يرثي القائد عبد الغني ابن القائد عبد العزيز الصقلي

هل أقالَ الحِمَامُ عَثْرَةَ حَيٍّ أم عدا سهمُهُ فَوَادَ رَمِيٍّ
هلْ أدامَ الزَّمانُ وَصَلَ خَلِيلٍ فَوَفَى ، والزَّمانُ غيرُ وفِيٍّ
وهو كالفكرِ بينَ غَشٍّ عَدُوٍّ لبنيه ، وبينَ نُصْحٍ وليٍّ
قد رأينا حالاً نوولُ إليها^١ ووعظنا بحالنا الأوليٍّ
غيرَ أنا نرنو بأعينِ رشديٍّ كُحِلَتْ من هوىِ النفوسِ بغِيٍّ
أين ما كان خَلَقه من ترابٍ لم يكنْ بدءُ خَلَقه من مَنِيٍّ
واغتذى عند مولد الروح فيه من تُدِيّ الحياةِ أوَّلَ شَيٍّ
قد دُفِعْنَا إلى حياةٍ وموتٍ ونشورٍ إلى الإلهِ العَلِيِّ

١ في ف : كالبكر .

٢ في ف : نومل إليها .

ودوامُ البقاءِ في دارٍ أخرى ومجازاةُ فاجرٍ وتقيٍّ
 كم ملكٍ وسوقةٍ وشُجاعٍ وجبانٍ وطائعٍ وعَصِيٍّ
 نَشَرَتْهُمْ حَيَاتُهُمْ أَيَّ نَشْرِ وطواهُمُ حِمَامُهُمْ أَيَّ طِيٍّ
 فهِمُ في حشا الضريحِ سواءُ ولقد كان ذا لذا غَيْرَ سِيٍّ
 لك يا مَنْ يموتُ شخصٌ وفِيَّءٌ ثمَّ شخصٌ في القبرِ من غيرِ فَيٍّ
 أَيُّ فِيءٍ لمن يصيرُ تَرايًّا مُحِيتَ مِنْهُ صُورَةُ الْبَشَرِيٍّ
 كيفَ تنجو على مَطِيَّةٍ دُنْيَا وهي تَشْحَوُا بِالْجَانِبِ الْوَحْشِيٍّ
 تطرُحُ الراكِبَ الشَّدِيدَ شَمُوساً وركوبُ الشَّمُوسِ فعلٌ غَبِيٍّ
 غُرٌّ مَنْ ظَنَّ أن يَصَافِي دَهْرًا وهو للأَصْفِيَاءِ غَيْرُ صَفِيٍّ
 كلَّ لاهٍ عما يطيلُ شِجَاهُ يملأُ العَيْنَ من رِقَادٍ خَلِيٍّ
 والرَّدَى يشملُ الأَنَامَ ومنه عَرْضِيَّ يَجِيءُ من جَوْهَرِيٍّ
 ومميتُ الحراكِ منه سكونٌ مظهرٌ فعَلَهُ بِسَرٍّ خَفِيٍّ
 وهو يرمي قوائمَ الأعصمِ الضَّرِّ بِ وَيَلْسُوِي قَوَادِمَ الْمَضْرَحِيٍّ
 لا يهابُ الحِمَامُ مَلَكًا عَظِيمًا يَحْتَبِي يومَ جُودِهِ بِالْحَبِيٍّ
 ينطقُ الموتُ من ظباهِ فَيَمْضِي حُكْمُهُ في الْوَرَى بِأَمْرِ وَحِيٍّ

لا ولا مُرْهَفَ المَدَى بين فَكَيِّ
 ومَتَى هَابَ موقِداً نارَ حَرْبٍ
 للردِّنيّ مِنْهُ رِيّ مُعَادٍ
 أيّ رزءٍ جَاءَتْ بِهِ الرِّيحُ في الما
 ومصابٍ أَصابَ كُلَّ فِؤادٍ
 قائِداً قَادَهُ إلى المَوْتِ عِزٌّ
 فارسُ الما والثرى والفتى المح
 ورثَ العِزَّ مِنْ أبيه كَشِبِلٍ
 جَمْرَةُ البأسِ أَخمدتْ عن وقود
 وحسامُ الجِلادِ قُلَّ شِباهُ
 حاسِرٌ درعه ، تَضَرَّمْ قَلْبُ
 يَتَّقِي حَدَّ سِيفِهِ كُلَّ عِلْجٍ
 مَقْبِلاً لا مَوْلياً بالأَماني
 وَكَأَنَّ الإِثْناءَ مالَ عَليهِ
 سَلَبُوا سِيفَهُ وفيهِ نَجِيعٌ
 ورَأَوْا كُلَّ مُهْجَةٍ مِنْهُمْ سا
 زَوَّدُوا كُلَّ ضَرْبَةٍ [مِنْهُ] كالأخدو
 باطشِ البرثنَيْنِ وَرَدِي جَرِي
 فارساً في المَضاعِفِ الفارسيّ
 من نَجِيعِ العِدا كَحَرْفِ الدَّوِيِّ
 وَأَفْشَتَهُ مِنْ لِسَانِ النّعِسيّ
 في ابنِ عبدِ العَزيزِ عبدِ الغي
 باقْتِحامٍ كَهْلٍ وَعِزِّمْ فَيّ
 ضُوضُ وصنُو المِروءةِ الأَريحيّ
 أَخَذَ الفَتكَ عَنْ أبيه الأَبِيّ
 بِنَفوسِ العِداةِ مِنْ كُلِّ حِيّ
 بِشِبا المَوْتِ عَنْ قِراعِ الكَمي
 [خافقٍ] في حِشا فَيّ شَمَريّ
 بِحِيكِ المِأَذِيّ في الآذِيّ
 عَنْ كِفافِ العِدا وبالسْمِهرِيّ
 يَوْمَ مَدَّوا إِلَيْهِ سُمْرَ القَنيّ
 مِنْهُمْ كَالشَّقِيقِ فَوْقَ الآثِيّ
 لَتَ عَلَى صَدْرِ رُمَحِهِ الزَراعِبيّ
 دِ تَرُدِي وَطَعَنِي كَالطَوِيّ

كلّ نارٍ كانت من الغزو تذكي
صافح الموت والصنائح غَضَبِي
مُشْعِراً بالسيوف كالحدي تُهْدِي
فهو نعم العروسُ حَشَوُ ثيابٍ
طيبُهُ من نجيعه . وهو مسكٌ
يا شهيداً في مشهد الحرب ملقى
وسخياً بنفسه للعوالي
كَمْ ضَرُوبٍ ضاربتَه وجليدٍ
وأخي وفَضّةٍ كَأَمْ ولودٍ
كَمْ صَدِيقٍ بكاك مثلي بدمعٍ
تذرف العين منه جرية ماءٍ
وثكالى يَتَدُبُّنَ منك بحزنٍ
حاسراتٍ يَتَحَنُّنَ في كلِّ صُبْحٍ
ليس يلدي امرؤ أجَزَّ نواصٍ
سُودَتِ بالمِدادِ بيضُ وجوه
ولبسنَ المسوحَ بعد حريقٍ
كلّ نواحةٍ عليك حشاها
خميدت في حسامه المَشْرِفِي
ولَغَت منه في دماءِ رَضِي
كلّ حوريةٍ إليه هَدِي
قائناتٍ من كلِّ عِرْقٍ ضَرِي
في عِذارِي مُهَدَّبٍ لَوَذَعِي
وسعيداً بكلِّ علجٍ شَقِي
في رَضَى اللهِ فعلٌ ذاك السخي
وقريبٍ طاعنته وقَصِي
ما أصابتك من بنات القسي
طائعٍ من شؤونِه لا عصي
تطأ الحدَّ وهي جمرَةٌ كي
خَيْرَ نَدْبٍ مُهَدَّبٍ أَلْمَعِي
بلّهُ دمعها وكلّ عشي
كانَ منهنّ أم حَصَادُ نَصِي
فهِي في كلِّ برقعٍ حَبْشِي
شرّ زيٍّ أرتك من خيرِ زيٍّ
حَشَوُهُ منك كلّ داءٍ دَوِي

يتلقَى بنفسجٍ اللطمِ منها ذابلَ الورد فوق [ورد^١] جني
 يا خليلاً أخلّ بي فيه دهرٌ لوفاءِ الأحرار غير وفي
 أنْتَ بالموْت غائبٌ ، ومثالُ في ضمير الفؤادِ منك نجبي^٢
 إنَّ أرضاً غودرتَ فيها لتهدّي ريحُها منك عَرَفَ مسكٍ ذكي
 فسَقَى شلوْكَ الممزّقَ فيها خيرٌ وسميَ رحمةٍ وولي
 لم أكنْ إذ نَظَمْتُ تأيّنَ ميّتٍ لكَ اختارُهُ على مدحٍ حيّ
 أنا أبكي عليكَ ما طال عمري شَرِقَ العين من دموعِ بري
 وستبكيكَ بعد موتي القوافي في نياح من لفظها معنوي

٣٣٣

وقال أيضاً

غَزَوْتَ عدوَّكَ في أرضه ففرّ إلى طرفِ الناحية
 فعَاجَلْتَهُ ثمّ بالمهلكاتِ كما يُقتلُ الشاهُ في الزاوية

١ سقطت من متن ف وأثبتت في الهامش .

٢ في ف : سمّي وفي م : يحي .

وقال أيضاً

كيفَ تَرجو أنْ تكونَ سعيداً وأرى فعلك فعلَ شَقِيٍّ
فاسألِ الرحمةَ ربّاً عظيماً وَسِعَتْ رحمتهُ كلَّ شيءٍ

ولما خُلِعَ محمد بن عباد من ملكه وعدّي به إلى طنجة ثم وقع منها إلى أغمات
سجنه يوسف بن تاشفين فأقام في سجنه مدةً يسيرة فكتب إليه عبد الجبار هذه
القصيدة يقول :

تخرّجها : نسخة غوطة ١ - ٣ ، ٥ - ١٠ ،
١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٣٠ - ٣٢ ، ٣٤ - ٣٦ والوافي
١٩ ، ٢٠ .

أبادَ حياتي الموتُ إن كنتُ ساليا وأنتَ مقيمٌ في قيودك عانيا
وإنْ لمْ أبارِ المِزْنَ قطراً بأدمعٍ عليكَ فلا سُقِّيتُ منها الغواديا
تعريتُ من قلبي الذي كان ضاحكاً فما ألبَسُ الأجنفانَ إلا بواكيا
وما فرّحي يومَ المِسرّةِ طائعا ولا حزني يومَ المِساءةِ عاصيا

وهل أنا إلا سائلٌ عنك سامعٌ
 قيودك صيغتُ من حديدٍ ولم تكنُ
 تعينك من غير اقتراحك نعمةٌ
 كشفتَ لها ساقاً^١ وكنتَ لكشفها
 وقفنَ ثقلاً لم تُسحِ لك مشيةٌ
 قعاقعُ دُهمٍ أسهرتكَ وطالما
 وما كنتُ أخشى أن يقالَ : محمدٌ
 حسامٌ كفاحٍ باتَ في السجنِ مغمداً
 وليث حروبٍ فيه أعدوا برقه
 فيا جبلاً هددَ الزمانُ هضابهُ
 قصرتَ ولما تقصَّ حاجتكَ التي
 وقد يعقلُ الأبطالَ خوفُ صيالها
 أقولُ وإني مُهْطِعٌ خوفَ صيحةٍ
 أحاديثَ تبكي بالنَّجيعِ المعاليا
 لأهلِ الخطايا منك إلا أياديا
 فتقطعُ بالابراقِ فينا اللياليا
 تحزُّ الهوادي أو تجزُّ النواصيا
 كأنك لم تُجِرِ الخفاف المذاكيا
 أنامتكَ بيضُ^٢ أسمرتكَ^٣ الأغانيا
 يميلُ عليه صائبُ^٤ الدهرِ قاسيا
 وأصبحَ من حُلِّيِ الرياسةِ عاريا
 وقد كان مقداماً على الليث عاديا
 أما كنتَ بالتمكينِ في العزِّ راسيا
 جرى^٤ الدهرُ فيها راجلاً لك حافيا
 وبُحكمُ تثقيفِ الأسودِ ضواريَا
 يُجيبُ بها كلُّ^٤ إلى الله داعيا

١ في ب : سري .

٢ في غ : أسمعتك .

٣ كذا ولعلها : جانب .

٤ في غ : مشى .

أَسِيرَ جبالٍ وانتشارَ كواكبٍ دنا من شروطِ الحشرِ ما كان آتيا^١
كأنك لم تجعل قنالكَ مَراوداً تَشْتَقُّ من الليل البهيم مآقيا
ولم تزد الاظلام بالنقع ظلمة^٢ إذا بَيَضَ الإصباحُ^٣ منه حواشيا
ولم تن^٤ ماء البيض بالضرب آجناً إذا صُبَّ في الهيجا على الهام صافيا
ولم تُصْدِرِ الزَّرْقَ الإلالَ نواهلاً إذا وَرَدَتْ ماءَ النحورِ صوافيا
وخيلٍ عليها كلَّ رامٍ بنفسه رضاك إذا ما كنتَ بالموت راضياً
وقد لبسوا الغدرانَ وهي تموجتُ دروعاً وسلّوا المرففاتِ سواقيا
وكم من طغاةٍ قد أخذت نفوسهم وأبقيتَ منهم في الصدورِ العواليا
بمعترك بالضرب والطعن جُرْدُهُ تمرّ على صرعى العوادي عواديا
مضى ذاك أيام السرور وأقبلتُ مناقضةً من بعده هي ما هيا
إذِ المُلْكُ يمضي فيه أمرُك بالهدى كما أعلمتَ يمينك في الضرب ماضيا
وإذ أنتَ محجوبُ السرادقِ لم يكن له كلماتُ الدهرِ إلا تهانيا
أمرُ بأبوابِ القصورِ وأغتدي لمن بانَ عنها في الضميرِ مناجيا

١ في غ : نائيا .

٢ مصححة عن الوافي وفي م : يطرد . . . بالنقص .

٣ مصححة عن الوافي وفي م : البيض للإصباح .

٤ مصححة عن غ ، وفي م : يشن .

وأنشد لا ما كنت فيهنّ منشداً « ألا حيّ بالزُّرقِ الرسومِ الخواليا »
وأدعو بنيتها سيّداً بعد سيّدٍ ومن بعدهم أصبحتُ همّاً مواليا^١
وأحداث^٢ آثار إذا ما غشيتها فجرتُ عليها أدمعي والقوافيا
مضيتَ حميداً كالغمامةِ أقشعتُ وقد ألْبستُ وشيَّ الربيعِ المغانيا
سأدمي جفوني بالسهاد عقوبةً إذا وقفتُ^٣ عنك الدموعَ الجواريا
وأمنعُ نفسي من حياةٍ هنيئةٍ لأنّكَ حيٌّ تستحقُّ المراثيا

٣٣٦

وقال عبد الجبار : اجتمعت مع أبي الفضل جعفر بن المقترح الكاتب
[بسبته] فذكر لي قول حسن بن رشيق يصف البحر^٤ :

البحرُ صعبُ المذاقِ مرّ لا رجعتُ حاجتي إليه
أليسَ ماءً ونحنُ طينٌ فما عسى صبرُنا عليه

فقال لي : يا أبا محمد ، تقدّر على اختصار هذا المعنى ؟ فقلت : نعم ، وأنشدته :
لا أركبُ البحرَ خوفاً عليّ منه المعاطب

١ في غ : ومن فقدهم أصبحت رميّاً بواليا .

٢ في ب : وأحداث .

٣ في غ : أوقفت .

٤ انظر النهاية ، والنفع والمعاهد : ٣٨٠ (أو ٢ : ٢٥) والثاني من البيتين في الطراز : ٢٢٠ ،
وانظر التنف من شعر ابن رشيق : ٨٥ .

طينٌ أنا وهو ماءٌ والطينُ في الماء ذائب

[فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عني أياماً ثم اجتمعت به ^١]
فأنشدني لنفسه في المعنى :

إن ابنَ آدمَ طينٌ فالبحرُ ماءٌ يُذِيبُه
لولا الذي فيه يُتلى^٢ ما جاز عندي ركوبه

فأنشدته لي :

وأخضر لولا آيةٌ ما ركبتهُ والله تصريفُ القضاءِ كما شاءَ
أقول حذاراً من ركوب عبابه أيا ربَّ إن الطينَ قد ركبَ الماءَ

١ زيادة من المعاهد .

٢ يعني قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله بحريها ومرسأها » .

ذيل الديوان

٣٣٧

وقال أيضاً

تخرجها : معاهد التنصيص : ٣٧٢

يا سالباً قمرَ السماءِ جمالَهُ البستني للحزنِ ثوبَ سماءِهـ
 أضرمّت قلبي فارتى بشارهـ وقعتُ بخدك فانطقت من مائهـ

٣٣٨

وقال

تخرجها : الأبيات في الذخيرة ومنها
 في المسالك : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ،
 ١٣ ، ١٥ ، ١٦ . وفي الغيث : ١ ، ١٩٥ ،
 الأبيات : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، والغيث : ١ ، ٨٢
 البيتان ١٥ ، ١٦ .

أمطنتك همّتكَ العزيمةَ فاركبِ لا تلقين عصاك دون المطلبِ
 ما بال ذي النظرِ الصحيح تقلبتُ في عينه الدنيا ولم يتقلبِ
 فاطوِ العجاجَ بكلِّ يعملةٍ لها عومُ السفينةِ في سرابِ السببِ
 شرّقْ لتجلو عن ضيائكَ ظلمةً فالشمسُ يمرّضُ نورُها بالمغربِ

والماءُ يَأْجَنُ في القَرَارَةِ رَاكِدًا فإذا عَلَتَكَ قَدَاتُهُ فَتَسَرَّبْ
طَالَ التَّغَرَّبُ في بِلَادٍ خُصِّصَتْ بوخامةِ المرعى وَطَرَقَ المَشْرَبْ
فَطَوَيْتُ أَحْشَائِي عَلَى الأَلَمِ الَّذِي لم يَشْفِهِ إِلَّا وَجُودُ المَذْهَبِ
إِنَّ الخَطُوبَ طَرَفَنِي في جَنَّةٍ أَخْرَجَنِي مِنْهَا خُرُوجَ المَذْنَبِ

ومنها

من سَأَلَمَ الضَّعْفَاءَ رَامُوا حَرْبَهُ فالبسْ لِكُلِّ النَّاسِ شِكَّةَ مَحْرَبِ
كُلُّ لَأَشْرَاكِ التَّحِيلِ نَاصِبٌ فاخلبْ بِنِي دُنْيَاكَ إِنْ لَمْ تَغْلِبِ
من كُلِّ مَرْكُومِ الجَهَالَةِ مُبْنِهِمْ فكأنَّما هُوَ قِطْعَةٌ من غَيْبِ
لَا يَكْذِبُ الْإِنْسَانُ رَائِدُ عَقْلِهِ فامرُرْ تَمَجَّ وَكُنْ عَذُوبًا تُشْرَبِ
وَلَرَبِّ مُخْتَقِرٍ تَرَكْتُ جَوَابَهُ والليثُ يَأْنِفُ عَنْ جَوَابِ الثَّعْلِبِ
لَا تَحْسَبْنِي فِي الرِّجَالِ بُعَاثَةً إني لَأَقْعَصُ كُلَّ لَقْوَةٍ مَرْقَبِ
أَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَبْلَى غَمْدَهُ طُولُ اعْتِقَالِ نَجَادِهِ بِالمَنْكَبِ
إِنْ يعلُّهُ صَدَأُ فَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ مصقولةٍ للماءِ تَحْتَ الطُّحْلِبِ

ومنها

كَمْ مِنْ قَوَافٍ كَالشَّوَارِدِ صِرْتُهَا عَنْ مِثْلِ جَرَجَرَةٍ الْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ
وَدَقَاتِقٍ بِالفِكْرِ قَدْ نَظَّمْتُهَا وَلَوْ انْتَهَنَ لَأَلَى لَمْ تُنْقَبِ
وَصَلَتْ يَدِي بِالطَّبْعِ فَهُوَ عَقِيدُهَا فَقَلِيلُ إِبْجَازِي كَثِيرُ المُسْنَبِ

نَفَثَ البَدِيعُ بِسَحْرِهِ فِي مِقْوَلِي فَنَطَقْتُ بِالْجَادِيَّ وَالْمُتَنَدِّبِ
لَوْ أَنَّنَا طَيْرٌ لَقِيلَ لْخَيْرِنَا غَرْدٌ وَقِيلَ لْشَرِّنَا لَا تَنْعَبِ
وَإِذَا اعْتَقَدْتَ الْعَدْلَ ثُمَّ وَزَنْتَنِي رَجَحْتُ حَصَاتِي فِي الْقَرِيضِ بِكَبْكِ
إِنِّي لِأَعْمَدُ مِنْ لِسَانِي مُنْصُلًا لَوْ شِئْتُ صَمَمَ وَهُوَ دَامِي الْمَضْرَبِ

٣٣٩

وقال

تخریجها : فی الذخيرة ، ومنها فی المسالك :
١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ وفي معاهد
التنصيص : ٢٦٧ البيتان ٢١ ، ٢٢ .

بلى جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا فَتَصَابِي وَأَوْجَفَ خَيْلًا فِي الْهَوَىٰ وَرُكَابَا
قَصَرْتُ زَمَانِي بِالشُّمُولِ مُسِنَّةً وَبِالرَّوْضِ كَهَلًا ، وَالْفَتَاةِ كَعَابَا

ويقول فيها

وَأَقْصُرُ أَيَّامَ الْفَتَى يَوْمُ لَدَّةٍ صَبَا مَا صَبَا بِالْعِيشِ فِيهِ فُطَابَا
لِيَالِي لَا تَرْمِي الرَّمِيَّ وَإِنْ تُصِيبُ بِسَهْمِكَ خُودًا فَالشَّبَابُ أَصَابَا
وَعَصْبَةُ لَهْوٍ غَادِرُوا الْهَمَّ جَانِبًا فَلَمْ يَأْلَفُوا إِلَّا السَّرُورَ جَنَابَا

١ انظر القصيدة رقم ٣٥ من هذا الديوان .

يدبرونها راحاً كأنّ بكأسِها إذا لبستُ درعَ الحَبَابِ حُبَابَا
تَسَافِرُ لِمَسِّ الْمَاءِ وَهُوَ يَرُوضُهَا كَمَا تَفَرِّكُ الْبَكْرُ الْفَرُوقُ لُعَابَا
وَأَحْسِبُ بِذَلِكَ الْعَيْشِ عَيْشاً ذَكَرْتُهُ وَبِالْعَصْرِ عَصراً وَالصَّحَابِ صَحَابَا
وَلَيْلٍ تَخُوضُ النِّيَرَاتُ ظِلَامَهُ كَأَوَّجِهِ غَرَقَى يَقْتَرِقْنَ عُبَابَا
سَرِيتُ بِمَحْبُوكٍ مِنَ الْقَسْبِ كُلَّمَا دَعَا شَأْوَهُ وَهِيَ الْعِنَانِ أَجَابَا
مِنَ الْجِنِّ فَاسْتَمُ اللَّهُ إِمَا وَضَعْتَهُ مَكَانَ قَطِيعٍ طَارَ عَنْكَ وَغَابَا
تَرَى ضَحِيكَ الْإِصْبَاحِ فَوْقَ جَبِينِهِ وَقَمَّصَ مِنْ لَيْلٍ الْمُحَاقِ إِهَابَا
تَخَالُ الثَّرِيَا رَأْسَهُ وَهُوَ مُلْجَمٌ إِذَا الْجَرِيُّ لَمْ يُلْبِسْ طُلَاهُ سِخَابَا
يُحَرِّفُ بِالتَّأَلِيلِ أَذْنًا كَأَنَّمَا تَرَى قَلَمًا مِنْهَا يَخْطُ كِتَابَا
سَمَا الدَّبْرُ فِي أُرْسَاغِهِ عَنْ زَبَرَجَدٍ يَغَادِرُ بِالْوَطءِ الصَّخُورَ تَرَابَا
هُوَ الطَّرْفُ فَارَكَبُ مِنْهُ فِي ظَهْرِ طَائِرٍ تَنْلُ كُلَّ مَا أَعْيَا عَلَيْكَ طَلَابَا
إِلَى قَمَرٍ تَسْرِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا عَلَيْهِ سَمَاءُ اللَّهِ تُنَلِّقُ بَابَا
كَأَنِّي سَرٌّ فِي حِشَا اللَّيْلِ دَاخِلٌ عَلَى حَبَّةِ الْقَلْبِ الْمَصُونِ حِجَابَا
فَبْتُ مُرَوِّى مِنْ مُجَاجَةٍ بَارِدٍ غَذَا ذَكَرُهُ قَلْبُ الْغَيُورِ فَدَابَا
كَأَنَّ قَطَافَ الثَّمِّ مِنْ ثَغْرِ رَوْضِهِ تَكَسَّبَ مِنْ طَلِّ النِّعَمِ رِضَابَا

ومنها

ولم أرَ كالدُّنْيَا خَوْناً لِصَاحِبٍ وَلَا كَمُصَابِي بِالشَّبَابِ مُصَابَا
فَقَدْتُ الصَّبَا فَايُضُّ مُسَوِّدَ لَمْتِي كَأَنَّ الصَّبَا لِلشَّيْبِ كَانَ خُضَابَا

تخريجها : الأبيات الثلاثة في الذخيرة
و ١ ، ٣ في المسالك .

ما زلتُ أَشْرَبُ كَأْسَهُ مِنْ كَفِّهِ ورضابُهُ نُقْلٌ عَلَى مَا أَشْرَبُ
[حتى انجلى الإصباحُ عن إظلامه كالستر يُرْفَعُ عَنْ مَلِكٍ يَحْجُبُ]
والشهبُ فِي غَرْبِ السَّمَاءِ سَوَاقِطٌ كَبْنَاتِ مَاءٍ فِي غَدِيرٍ تَرْسُبُ

تخريجها : الأبيات في الذخيرة ، والمسالك .

مُصْفَرَّةُ الْجَسْمِ وَهِيَ نَاحِلَةٌ تَسْتَعْدِبُ الْعَيْشَ مَعَ تَعَدِّيْهَا
تَطْعَنُ صَدْرَ الدَّجَى بِعَالِيَةٍ صُنُوبِرِيَّ لِسَانُ كُوكِبِهَا
إِنْ تَلَفَّتْ رُوحُ هَذِهِ اقْتَسَمَتْ^١ مِنْ هَذِهِ فَضْلَةٌ تَعِيشُ بِهَا
كَحَيَّةٍ بِاللِّسَانِ لَاحِصَةٍ مَا أَدْرَكَتْ مِنْ سَوَادٍ غِيْبِهَا

١ في الذخيرة : اقتبست .

وقال

تخریجها : الأبیات فی الذخیرة ؛ والبیتان
٨ ، ٩ فی المسالك .

قَبَسَ بِكفٍ مَديرها أم كوكبُ يَنشَقُّ منه عن الصِّباحِ الغيِّبُ
وأريجُ مسكِ فاحٍ عن نفحاتها فدوائِبُ الظِّلماءِ منه تَطَيِّبُ
قالوا: الصُّبوحُ، فقلتُ: قَرَّبُ كَأْسَهُ إِنِّي لِمُهْدِيها بها أَتَقَرَّبُ
لا تسقني اللبنَ الحليبَ فَإِنَّ لي في كلِّ دالِيَةٍ ضروعاً تحلبُ
وذخيرةً للعيشِ مَرَّ لِعمرها عَدَدٌ يَشَقُّ على يَدَيَّ من يحسبُ
دَبَابَةٌ في الرَّأسِ يَصْعَدُ سُكْرُها فتجدُ منا بالعقولِ وتلعبُ
دارتُ بعقلي سَوْرَةً من كَأْسِها حتَّى كأنَّ الأرضَ تحيُّ لولبُ
باكرتُها والليلُ فيه حُشاشَةٌ يستلِّها بالرفقِ منه المغربُ
والجوَّ أَقْبَلَ في تراكبِ مُزْنِهِ قُرْحٌ بعطفَةٍ قَوْسِهِ يَتَنَكَّبُ
صابتُ فأضحكتِ النديمَ بأَكْوَسِ عَهْدِي به من نقطهنَّ يُقَطِّبُ
والبشرُ في شربِ المدامةِ فارتقبُ منها سرورَ النفسِ ساعةً تَعْدُبُ

تخريجها : من الخريدة .

تخالفَتِ النياتُ يومََ تحمَلُوا فركبُ إلى شرق وركبُ إلى غربِ
وما قُدَّ قَدَّ السيرِ بالسيرِ بينهمُ ولكنما المنقَدَّ بينهمُ قلبي

تخريجها : من النفع وبدائع البدائه : ٩٧

قال عبد الجبار بن حمديس الصقلي : أقمت بإشييلية لما قدمتها على المعتمد بن
عباد مدة لا يلتفت إليّ ولا يعأ بي ، حتى قنطت لخيتي مع فرط نعبي وهممت
بالنكوص على عقبي ، فلإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا بغلام معه شمعة
ومركوب ، فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني
على مرتبة فنك وقال لي : افتح البطاق التي تليك ، ففتحتها فإذا بكور زجاج على
بعد ، والنار تلوح من بابه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ، ثم دام سدّ
أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتُهما قال لي أجز :

انظرهما في الظلام قد نجما فقلت : كما رنا في الدجّة الأسد

فقال : يفتح عينيه ثم يطبقها » فعل امرىء في جفونه رمد

» فابتره الدهر نور واحدة » وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنينة وألزمني خدمته .

٣٤٥

وقال

تخريجها : من الذخيرة .

وَكأَئِذَا شَمَسُ الظَّهِيرَةُ نَارُهُ وَكَأَئِذَا شَجَرُ البَسيطَةِ عُوْدُهُ .

٣٤٦

وقال

تخريجها : من مطالع البدور ٢ : ٢٠١ .

وَكأَئِذَا نَوْنٌ تُسَطِّعُ وَعَيْنُهَا مِمْ لَطُولٍ نَحْوَهَا بِالْفَدْفِدِ
كَحَلَّتْ جُفُونُ الصَّبْحِ مِنْهَا بِالسَّري وَتَكَحَلَّتْ مِنْهُ بِلَوْنِ الإِثْمِدِ
فَلَجَسَمَهَا وَالصَّبْحُ يَتَّبِعُ نَوْرَهُ مِنْ جَفْنِ لَيْلَتِهَا انْسِلَالُ المَرُودِ
يَا لَيْلَتِهَا كَأَنْتِ سَفِينَةٌ زَاجِرٍ فَتَخَوَّضَ بِي مَدَّ العِبَابِ المَزْبَدِ
فَأَرَى ابْنَ حَمْدَانَ^١ وَنَوْرَ جَبِينِهِ يَجْلُو سَنَاهُ قَذَى جُفُونِ الأَرْمَدِ

١ قلت : لعلها ابن حمدون ، أو تكون الأبيات مما نحل لابن حمديس ، وليست له .

٣٤٧

تخريجها : من الذخيرة .

جناحيّ محلولٌ وجيديّ مطوّقٌ فرّوضيّ مطلولٌ فما لي لا أشدو

٣٤٨

تخريجها : أخبار الملوك ونزعة المالك
والمملوك : ١٦٨ .

وناهدةٍ لما تنهّدتُ أعرضتُ فراحتُ وقلبي في ترائبها نهّدتُ

٣٤٩

وقال يصف داراً بناها المنصور بن أعلى الناس [علناس] ببجاية :

تخريجها : النفع والنهاية ١ - ٣ ، ٥ ،
٤ ، ٦ - ٨ ، ١١ - ٢٠ ، ٣٦ - ٤٣ ،
٤٥ - ٤٨ والمطالع ، ١ : ٣٦ ، الأبيات
٢ - ٣٥ .

واعمرُ بقصرِ الملّك ناديكَ الذي أضحي بمجدك بيته معمورا
قصرٌ لو أنّك قد كحلتَ بنوره أعمى لعادَ إلى المقام بصيرا

واشتقّ من معنى الحياة^١ نسيمه
 نُسيّ الصبيح مع المليح^٢ بذكره
 ولو أنّ بالألوان قوبلَ حسنه^٣
 أعيت مصانعه^٤ على القُرسِ الألى
 ومضت على الروم^٥ الدهورُ وما بنوا
 أذكرتَنَا الفردوس حينَ أَرَيْتَنَا
 فالمحسون تزَيّدوا أعمالهم^٦
 والمذنبون هُدوا الصراطَ وكفّرت
 فلَكَ من الأفلاكِ إلّا أنّه
 أبصرتهُ فرأيتُ أبدعَ منظرٍ
 وظننتُ أنّي حالمٌ في جنّةٍ
 وإذا الولائدُ فتحتْ أبوابه
 عَصّت على حلقاتهنّ ضراغم^٦
 فيكادُ يُحدِثُ للعظام نُشورا
 وسما ففاقَ خورنقا وسديرا
 ما كان شيءٌ عنده مذكورا
 رفعوا البناء وأحكموا^٤ التدويرا
 لملوكهم شَبَهًا له ونظيرا
 غُرَفًا رفعتَ بناءَها وقصورا
 ورَجَوًا بذلك جنّةً وحريرا
 حسنا^٦تهممُ لذنوبهم تكفيرا
 حَقَرَ البدورَ فأطلعَ المنصورا
 ثم انشيتُ بناظري محسورا
 لما رأيتُ الملكَ فيه كبيرا
 جعلتَ ترحّبُ بالعُفاةِ صريرا
 فغَرتَ بها أفواهها تكسيرا^٦

١ النفع : الجنان .

٢ النفع : النصيح .

٣ النهاية : مطالعه .

٤ النهاية : فأحكموا .

٥ النهاية : القوم .

٦ النفع : تكفيرا .

فكأنّهما لبَدَتْ لتهصرَ عندها من لم يكنْ بدخوله مأمورا
تجري الخواطرُ مطلقاتٍ أَعْنَى فيه فتكبو عن مداه قصورا
بدرخَم الساحتِ تحسبُ أنّه فُرِشَ المَها وتَوَشَّحَ الكافورا
ومحصَّبٍ بالدرّ تحسبُ تربيّه مسكاً تَضَوَّعَ نشره وعيرا
يستخلفُ الإصباحُ^٢ منه إذا انقضى صباحاً على غَسَقٍ^٣ الظلام منيرا
وضراغمُ سَكَنَتْ عرينَ رئاسةٍ تركتْ خريراً الماء فيه زئيرا
فكأنّما غَشَى النَّصارُ جُسُومَهَا وأذابَ في أفواهِها البلّورا
أُسْدٌ كأنَّ سكونَها متحرّكٌ في النفس لو وجدتْ هناك مثيرا
وتذكرتْ فتكاتِها فكأنّما أقيتْ على أدبارها لتثورا
وتخالُها ، والشمسُ تجلو لونَها ناراً وألْسُنُها اللواحسَ نورا
فكأنّما سُلَّتْ سيوفُ جداولٍ ذابتْ بلا نارٍ فَعُدُنَ غديرا
وكأنّما نَسَجَ النسيمُ لمائه درعاً فَقَدَّرَ سرّدها تقديرا
وبديعةِ الثمراتِ تعبُرُ نحوها عيناى^٤ بحرَ عجائبٍ مسجورا
شجريةٍ ذهبيةٍ نزعَتْ إلى سحر يُوَثِّرُ في النهى تأثيرا

١ النهاية : البها .

٢ النفخ : تستخلف الأبصار .

٣ النفخ : عتق .

٤ مطالع : عيناك .

قد صَوَّلَجَتْ أَغْصَانَهَا فَكَأَنَّمَا قَنَصَتْ لَهَا^١ مِنْ الْفَضَاءِ طَيُورًا
 وَكَأَنَّمَا تَأْبَى لَوَاقِعَ^٢ طَيْرِهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرَا
 مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَلَسَالِ اللَّجِينِ نَمِيرَا
 خُرُسٌ^٣ تُعَدُّ مِنَ الْفَصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ جَعَلَتْ تَغَرَّدُ بِأَلْيَاهِ صَفِيرَا
 وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غَصْنٍ فَضَةٌ لَأَنْتَ فَأَرْسِلْ خَيْطَهَا مَجْرُورَا
 وَتَرِيكَ فِي الصَّهْرِيجِ مَوْقِعَ قَطْرِهَا فَوْقَ الزَّبَرْجَدِ لَوْلُؤًا مَثُورَا
 ضَحِكْتُ مُحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا جَعَلَتْ لَهَا زُهْرُ النُّجُومِ ثُغُورَا
 وَمَصْفَحِ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا بِالنَّقْشِ بَيْنَ شُكُولِهِ تَنْظِيرَا
 تَبْدُو مَسَامِيرُ النُّضَارِ كَمَا عَلَتْ فَلَكَ الْنُهُودُ مِنَ الْحَسَنِ صَدُورَا
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ غُلَاثِلًا وَرَسِيَّةً شَمْسٌ^٤ تَرْدُ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرَا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غُرَائِبِ سَقْفِهِ^٥ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرَا
 وَعَجِبْتَ مِنْ خُطَافِ عَسْجَدِهِ الَّتِي حَامَتْ لَتَبِي فِي ذِرَاهِ وَكُورَا
 وَضَعْتَ بِهِ صِنَاعَهُ أَقْلَامَهَا فَأَرْتِكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصُورَا
 وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ مَشَقُّوْا بِهَا التَّزْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَا

١ النفع : قبضت بهن .

٢ النفع : لوقع .

٣ النهاية : حسنة .

وَكَاثِمًا لِلْأَزَوَرْدِ مُخَرَّمٌ^١ بِالْخَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سَطُورًا
وَكَاثِمًا وَشَوًّا عَلَيْهِ مَلَاءَةٌ^٢ تَرْمُكُوا مَكَانَ وَشَاحِيهَا مَقْصُورًا
يَا مَالِكَ الْأَرْضِ الَّذِي أَضْحَى لَهُ مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْعِدَاةِ نَصِيرًا
كَمْ مِنْ قُصُورٍ لِلْمُلُوكِ تَقَدَّمَتْ^٣ وَاسْتَوْجَبَتْ لِقُصُورِكَ^٤ التَّأْخِيرًا
فَعَمَرَتْهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِئَاسَةٍ مِنْهَا وَدَمَّرَتْ الْعِدَاةَ تَدْمِيرًا

٣٥٠

وقال في وصف الأسد

تخريجها : نهاية الأرب ٩ : ٢٣٨

وَلَيْثٌ مَقِيمٌ فِي غِيَاضٍ مَنِعَةٍ^١ أَمِيرٌ عَلَى الْوَحْشِ الْمَقِيمَةِ فِي الْقَفْرِ
يُوسِّدُ شَبْلِيهِ لِحُومَ فَوَارِسٍ^٢ وَيَقْطَعُ كَاللَّصِّ السَّبِيلَ عَلَى السَّفْرِ
هَزْبَرٌ^٣ لَهُ فِي فِيهِ نَارٌ وَشَقْرَةٌ^٤ فَمَا يَشْتَوِي لَحْمَ الْقَتِيلِ عَلَى الْجَمْرِ
سَرَاجَاهُ عَيْنَاهُ^٥ إِذَا أَظْلَمَ الدَّجَى فَإِنْ بَاتَ يَسْرِي بَاتِ الْوَحْشُ لَا تَسْرِي
لَهُ جَبْهَةٌ^٦ مِثْلَ الْمَجْنُونِ وَمَعْطَسٌ^٧ كَأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهِ صَبْغَةَ الْخَبَرِ

١ النهاية : فرشوا .

٢ النفع والنهاية : بقصورك .

يصلصلُ رعدٌ من عظيم زئيره ويلمع برقٌ من حماليقهِ الحمر
له ذنبٌ مُستنبطٌ منه سوطُهُ ترى الأرض منه وهي مضروبة الظهر
ويضربُ جنبيه به فكأنما له فيهما طبلٌ يحضّ على الكرّ
ويضحك في التعيس فكّيه عن مدى نيوبٍ صلابٍ ليس تُهتَمُ بالفهر
يصولُ بكفّ عرض شبرين عرضها خناجرها أمضى من القُضْبِ البتر
يجردُ منها كلّ ظُفْرِ كأنه هلالٌ بدا للعينِ في أوّلِ الشهر

٣٥١

وقال من أخرى

تخريجها : وردت في الذخيرة ومنها في
المساك الأبيات : ١١ ، ٦ ، ٤ ، ٢

تظنّ مزارَ البدرِ عنها يعزني إذا غابَ لم يبعد على عينٍ مُبْصِرِ
وبينَ رحيلي والايابِ لحاجيها من الدهر ما يُبْلي رتيمةَ خنصر
ولا بُدّ من حملي على النفس خُطّةً تعلّقُ وردي في اغترابي بمصدري
وتطرّخي بالعزم من غيرِ فترةٍ سفائنُ بيدٍ في سفائنِ البحرِ
وما هي إلا النفسُ تغني حياتها مُصرّقةً في كلّ سعيٍ مُقدّر

أغرّكِ تلويحٌ بجسمي وإنّتي لكالسيف يعلو منه غينٌ جواهر
وما هي إلا لفحةٌ من هواجرٍ تخلّصتُ منها كالتنّصار المسجّر
وأنكرتِ الملامّ المشيبِ بلمّتي وأيّ صباحٍ في دجى غيرِ مسفر
وما كان ذا حذرٍ غرابٌ شبيّتي فلم طارَ عن شخصي لشخص مُنفر
وأبقتِ صروفُ الدهرِ منّي بقيّةً مذكرةً مثلَ الحسام المذكر
وما ضعضعتني للحوادثِ نكبةٌ ولا لان في أيدي الحوادثِ عنصري

ومنها

وحمراءَ لم تسمعْ بها نفسٌ بائعٍ لسومٍ ولم تظفرْ بها يدُ مُشتري
أقامتْ مع الأحقابِ حتّى كأنّها خبيثةٌ كسرى أو دفينَةٌ قيصر
فلم يبقَ منها غيرُ جزءٍ كأنّه توهُّمٌ معنّى دقّ عن ذهنٍ مُفكرٍ
إذا قهقهةَ الإبريقِ للكأسِ خلّتهُ يرجعُ صوتاً من عُقابٍ مُصرّصر
وطافَ بها غمرُ الوشاحِ كأنّما يقلّبُ في أجفانه طرْفَ جوّذر
قصرتُ بكلِّ كلّ يومٍ لهوئُهُ ومهما يطبّ يومٌ من العيش يقصرُ

٣٥٢

تخریجها : معاهد التنصيص : ٤٢٠

أبرُوقُ تَلَأَلَتْ أُمُ ثُغُورُ وِلْيَالٍ دَجَتْ لَنَا أُمُ شُعُورُ
وَعَصُونُ تَأَوَّدَتْ أُمُ قَدُودُ حَامِلَاتُ رَمَانِهِنَّ الصَّدُورُ

٣٥٣

تخریجها : روض الآداب لشهاب الدين
الحجازي : الورقة ١٧٠ ب .

سَأَلْتُهَا أَنْ تُعِيدَ لَفْظًا قَالَتْ : أَصَمَّ دَعُوهُ يَعْذِرُ
حَدِيثُهَا سَكْرٌ شَهِيٌّ وَأَطِيبُ السَّكْرِ الْمُكَرَّرُ

٣٥٤

وقال

تخریجها : الخريدة .

ولو أنَّ عَظْمِي مِنْ يِرَاعِي ، وَمِنْ دَمِي مَدَادِي ، وَمِنْ جِلْدِي إِلَى مَجْدِهِ طِرْسِي
وَحَاطَبَتُ بِالْعِلْيَاءِ لَفْظًا مَنَقَّحًا وَخَطَطْتُ بِالظُّلُمَاءِ أَجْنَحَةَ الشَّمْسِ

لكان حقيراً في عظيم الذي له من الحقّ في نفس الجلال فدع نفسي
 ومالكة نفسي ملكتُ بها المني وقد شَرَّدَتْ عني التوحش بالأنس
 وقابلتُ منها كلّ معنى بعده يلوّح نفس الوهم في دُهمة النفس
 كأنتي في روض أنزه ناظري جليل معانيه يدقّ عن الحس
 مقلتُ بعيني منه خطّ ابن مقلّة وفَضّ على سمعي الفصاحّة من قُس
 وخفتُ عليه عين سحرِ تُصيبه فصيرتُ تعويذي له آية الكرسي

٣٥٥

تخريجها : المسالك (وينسبان لابن قلاؤس
 في بعض المراجع) .

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةَ رَيْشِهِ الطَّاوُوسُ
 وَكَأَنَّ هَاتِكَ الشَّقَائِقَ قَهْوَةً وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كَوْوَسُ

٣٥٦

وقال

تخريجها : جامع الفنون : ١٨ .

أَنْظِرْ إِلَى حَسَنِ هَلَالٍ بَدَا يَهْتِكُ مِنْ أَنْوَارِهِ الْحِنْدُسَا
 كَيْنَجَلٍ قَدْ صَبَغَ مِنْ عَسَجِدٍ يَحْصُدُ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيِّ نَرْجِسَا

٥٥٣

٣٥٧

وقال

تخریجها : الذخيرة والمسالك .

ومشمولةٍ راحٍ كأنَّ حبابها إذا ما بدا في الكأسِ درُّ مجوَّفٍ
لها من شقيقِ الرّوضِ لونٌ كأنّما إذا ما بدا في الكأسِ منه مُطرَفُ

* * *

سَرَيْتُ على برقٍ كأنَّ ظلامه إذا احمرَّ ليلٌ أسود باتَ يعرف

٣٥٨

تخریجها : الحريدة .

لو كنتِ زائرتي لراعكٍ منظرِي فرأيتِ بي ما يصنعُ التفريقُ
ولحالٍ من دمعي وحرّ تنفسي بيني وبينكِ لحظةٌ وحريقُ

وقال

تخريجها : من الذخيرة والبيتان ٥ ، ٦ في الغيث ١ : ١٧٢

نفوسُنَا بالرجاءِ مُسْتَسَكَّةٌ والموتُ للخلقِ ناصبٌ شَرَكَةٌ
تبرمُ أجسامنا وتنقضها طبائعٌ في المزاجِ مشتركة
لولا انتشاقُ الهوا لمتَ كما نموتُ مع فَقْدِ مائها السمكة
نُنشأُ بالبعثِ بعدَ ميئتنا أما يُعيدُ الزجاجَ مَنْ سبَّكه
ما أغفلَ الفيلسوفُ عن طُرُقِ ليستَ لأهلِ العقولِ منسلكه
مَنْ سَلَّمَ الأمرَ للإلهِ نجا ومن عدا القصدَ واقعَ الهلكه

وقال

تخريجها : من الذخيرة .

يومٌ كأنَّ نسيمةً نفحاتُ كافورٍ ومسكٍ
وكانَ قطَرَ سمائه دُرٌّ هوى من نظم سيلكٍ

مُسْتَغَيَّرٌ غِيناً وَصَحْداً وِأَمْثَلُ مَا حَدَّثْتُ عَنْكَ
كَالْطِفْلِ يُسَمِّحُ ثُمَّ يُنْمِ نَعُ ثُمَّ يَضْحَكُ ثُمَّ يَبْكِي

٣٦١

وله ويشتمل على حروف المعجم

تفريجهما : الكشكول : ٥٤ : ومعاهد
التنصيص : ٤٩٣ .

مُزْرَفَيْنُ الصَّدْغِ يَسْطُو لِحْظُهُ عِبْثاً بِالْخَلْقِ جَذْلَانِ إِنْ تَشْكُ الْهَوَى ضَحْكَا

٣٦٢

تفريجهما : من الذخيرة .

سَكَنَ الْقَلْبَ هَوَى ذِي صَلَفٍ زَادَهُ فِيهِ سَكُوناً حَرَكَهُ
فَهُوَ كَالْمُرْكَزِ يَبْقَى ثَابِتاً كُلَّمَا دَارَ عَلَيْهِ فَلَدَكُهُ

قال السلفي في معجمه (الورقة : ١٣٧) أنشدني أبو محمد عبد الله بن عبد
الحق بن تيفا الحلواني التونسي بالاسكندرية ، قال أنشدني عبد الجبار بن حمديس
الصقلي بتونس لنفسه :

يا عَقْرَبَ الصَدغِ المعنبرِ طيها قلبي لَسَبَّتِ فأين مَن يرقيكِ
وحللتِ في القَسَرِ المنيرِ فكيف ذا وحلولُهُ أبدأ أراهُ فيكِ
لا تحسبيني أشتكي لِعَواذلي آلامَ قلبي منك ، لا وأبيكِ

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا

تخرجها : أبياتها في الذخيرة ومنها في
المسالك الأبيات : ٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ .

لكلِّ حَبِّ نَظَرَةٍ تَبَعْتُ الهوى ولي نَظَرَةٍ نَحَوَ القَتول هي القتلُ
تَرَدَّدَ بالتكريةِ رُسُلُ نواظري ومن شيمِ الانصافِ أن تكرمَ الرُّسل

ومنها

ركبتُ نَوَى جَوَابَةِ الأرض لم يعيشُ لراكبها عيسٌ تخبُّ ولا رجل
أسألكُ عن دارِ السَماحِ وأهلِهِ ولا دارَ فيها للسَماحِ ولا أهل

ولولا ذُرَى ابنِ القاسمِ الواهبِ الغنى
تُخَفِّضُ أَقْدَارُ اللثامِ بلوئهم
فتى لم يُفَارِقْ كَفَّهُ عَقْدُ مِنَّةٍ
له نِعَمٌ تَخَضَّرَ منها مَوَاقِعُ
وَرَحْبُ جَنَابٍ حينَ يَتَزَلُّ للقِرَى
وَوَجْهٌ جَدِيلُ الوجهِ تحسبُ حرَّه
مُرُوعَةً أُمُوالُهُ بَعَطَائِهِ
وَأَيُّ أَمَانٍ أَوْ قَرَارٍ لِحائِفِ

ومنها

لقد بَهَرَتْ شَهَبَ الدَّراري منيرةٌ
ورثتمْ تَراثَ المَجدِ من كلِّ سَيِّدٍ
فمن قَمَرٍ يُبْقِي على الأفقِ بَعْدَهُ
وأصَبَحَ منكمْ في سَلا الجورِ أخرساً
ملكْتُ القوافي إذ توخيتُ مدحكمْ
مآثرُ منكمْ لا يَكَاثِرُهَا الرَّمْلُ
على منكبِهِ من حَقوقِ العَلا ثَقُلَ
هَلالاً ومن لَيْثِ خَليفَتِهِ شَبَلُ
وقام خَطيئاً بالَّذي فيكمْ العَدَلُ
ويا رَبِّ أَذْوَادٍ تَسَلِّكُهَا فَحْلُ

٣٦٥

وقال

تخریجها : الحريدة والمسالك والوافي .

زَادَتْ على كَحْلِ العيونِ تَكَحُّلاً
ويسمُ نَصْلُ السَّهْمِ وهو قَتول

٣٦٦

وقال

تخريجها : من الذخيرة .

قد طيّبَ الآفاقَ طيبُ ثنائِهِ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ تَذْكِي المَندَلَا

٣٦٧

وقال

تخريجها : من الخريدة .

لَهُمْ رِياضٌ حَتُوفٍ فَالذَّبَابُ بِهَا تَشْدُوهُمْ فِي الهَوَادِي كُلَّمَا اقْتَحَمُوا
بَيضٌ تَصِفُ المَنَايَا السُّودَ صَارِخَةً وَهِيَ الذُّكُورُ الَّتِي انْقَضَتْ بِهَا القَمَمُ

٣٦٨

وقال في وصف حمام

من الذخيرة ، والأبيات ١ - ٣ في
الشريشي (١ : ٧٨) غير منسوبة .

وحمامٌ سوءٍ وخيمِ الهواءِ قليلِ المياهِ كثيرِ الزحامِ

فما للقيامِ قعودٌ به ولا للقعود به مِن قيامِ
 حَيَاتُهُ قَانَصَاتٌ لِنَفْسِي وَقَطَرَاتُهُ صَائِبَاتُ السَّهَامِ
 ذَكَرْتُ بِهِ النَّارَ حَتَّى لَقَدْ تَخَيَّلْتُ إِيقَادَهَا فِي عِظَامِي
 فَيَا رَبَّ عَفْوِكَ عَنْ مُذْنِبٍ يَخَافُ لِقَاءَكَ بَعْدَ الْحِمَامِ

٣٦٩

وقال في مصلوب

تخریجها : معاهد التنصيص : ٢٠٠ رالغیث ١ : ١٧٩

ومرتفعٍ في الجذعِ إِذْ حُطَّ قَدْرُهُ أَسَاءَ إِلَيْهِ ظَالِمٌ وَهُوَ مُحْسِنٌ
 كَذِي غَرَقٍ مَدَّ الذَّرَاعِينَ سَابِحاً مِنْ الْجَوْ بِحَرّاً عَوْمُهُ لَيْسَ يُمَكِّنُ
 وَتَحْسَبُهُ مِنْ جَنَّةِ الْخُلَسْدِ دَانِياً يِعَانِقُ حُوراً لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُ

٣٧٠

تخریجها : من الحریدة

طَبَّارَةٌ وَلَهَا فَرْخَانِ وَأَعَجَبَا إِذْ لَا تَزُفُهُمَا حَتَّى تَرَقَّاهَا
 كَذَلِكَ أَمَّا الْبَحْرُ عَيْنٌ وَهِيَ أَسْوَدُهَا فَسَبَّحُهَا فِيهِ ، وَالْعَبْرَانِ جَفْنَاهَا

الفهارس

- ١ ملحق ببعض التخریجات
- ٢ فهرست الأعلام وأسماء الأماكن والقبائل
- ٣ فهرست القوافي
- ٤ تصویبات أجريت في « م » لم تذكر في الهوامش
- ٥ تنبيهات وتصویبات

١ - ملحق ببعض التخریجات

القصيدة	الآیات	المرجع
٣	٢٤١	روض الآداب (٢٠٠ ب) ورايات المبرزین : ١١٢
٥٦	١	الرايات : ١١٢
٥٨	٧٤٦	الغيث ١ : ١٨٢ والرايات .
٨٠	٣	الغيث ٢ : ٢٤٤
٨٩	٣٤٢	الرايات : ١١٢
١١٠	٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٥٥	الغيث ١ : ٧٠
١١٤	٣-١	الغيث ١ : ٢٧ والرايات
١٥٢	٥-٣	الغيث ١ : ١٧٦
٢٢١	٥-٣	الغيث ٢ : ٢٧٠
٢٧٣	٢	الغيث ٢ : ٢٤٤

٢ - فهرست الأعلام واسماء الأماكن والقبائل

١

إبراهيم القائد : ٢٦٢

الأبلى الفرد : ٤٦٤

ابن حمدان (حمدون ؟) : ٥٤٤

ابن حمديس : (انظر عبد الجبار)

ابن رشيق : ٥٣٣ ، ٨٩

ابن زياد (زيان ؟) : ٢٥٦

ابن عمار : ١١٠

ابن مقله : ٥٥٣

أبو بكر بن عبد الجبار بن حمديس : ٤٧٧ ،

٤٨٠

أبو اسحاق : ٢٥٤

أبو عبد الله الفقيه : ٤٨٢

أبو الفضل القائد : ٤٨٢

أبو نواس الحكمي : ١٦٠ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨

أبو هاشم بن المعتد : ٤٢٤ ، ٤٢٥

الأجم (حصن) : ٤٦٣

أحد : ١٧١

أحمد الخراط : ٤٨١

أحمد بن إبراهيم بن أبي بريدة : ٣٩٨ ،

٣٩٩ ، ٤٠١

أحمد بن عبد العزيز بن خراسان : ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٣٣

أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل الصنهاجي : ١٦٨

أحمد بن علي الفهري الصقلي : ١٦٦

الأحنف : ٤٤٨

الأخطل : ٢٥١

أدريس بن اليمان الياشي : ٤٢١

الاسكندرية : ٥٥٧

اشبيلية : ١١٠ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، (حصن) ،

١٩٤ ، ٤٢٤ ، ٥٤٣

أغمات : ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٥٣٠

أفريقية : ١٦٧ ، ٢١٢ ، ٢٩٤ ، ٥١٣

أقبال الدولة (علي بن مجاهد العامري) : ٤٢١

الحفش : ١٧٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٤٢٦ ،

٤٣٥ ، ٤٣٧

امرؤ القيس : ٦٢ ، ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٣٨٢ ،

٣٩٢ ، ٤١٠

المرية : ١٩٤

الأندلس : ١٣٣ ، ٢١٢ ، ٢٩٤ ، ٤٣٥

إيوان كسرى : ٤٩٤

ب

بجاية : ٤٨١ ، ٥٤٥

البربر : ٢٩٤ ، ٤٦٥

ح

حاتم : ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨

حام : ٤٣٢

حبيب بن أوس : ٦٢

الحجون : ٦٣

حسان : ٤٢١

الحسن بن علي بن يحيى بن تميم : ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٩ ، (١٤٩) ، ١٥١ ، (١٥٤) ،

١٥٥ ، ١٥٧ ، (١٥٨) ، ١٦٠ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، (٢٥٨) ،

٢٦٠ ، (٤٧٣) ، ٤٧٤ ، (٤٧٥) ،

٤٧٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٤

حضن : ٥١٣

حمة : ١٥١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٣

حمير : ٤٧ ، ١٠١ ، ١٥٢ ، ٢١١ ،

٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧ ،

٤٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨

خ

الخصيب بن عبد الحميد : ٤٥٨

الخليل (بن أحمد) : ٤٠٤ ، ٤١٩

الخورتق : ٤٩٤ ، ٥٤٦

خيبر : ١٩٤

د

دارين : ١٨١

الديماس : ٥٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤

بظليوس : ٤٣٥

بنو ثعل : ٣٩٢

بنو دهمان : ٢٥٦

بنو زيد : ٢٥٦

بنو عامر : ٥١٣

بنو ماء السماء : ٢٦٧ ، ٣٧١

ت

تجئة (تاجنة) : ٥١٣

تميم بن المعز : ٢٨ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٥١ ،

١٥٢

تنسر : ٥١٣

توضح : ٤١٠

تونس : ٥٥٧

ث

ثبير : ٢٦٩

ج

جربة : ٢٢٤ ، ٢٢٥

جروول (الخطيئة) : ٢٤٨

جرير : ١٨٤ ، ٢٤٨

جعفر بن المقترح أبو الفضل : ٥٣٣

جوهرة : ٢١٣ ، ٣٢٤ ، ٤٣٤ ، ٥١٧

ذ

ذو الرمة : ٣٩٥

ر

رجار : ٢٥٥

الرشيد بن المعتد : ٨٩ ، ٩١ ، ٣٧٧

رضوى : ٢٦٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٣

الروم : ٢٨ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ (بنو الأصغر) ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ ،

٣١٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ،

٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤ ،

٤٣٦ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٨ ، ٤٨٩ ،

٥٤٦

ز

الزاهر : ٢٦٨

الزاهي : ٢٦٨

زواوة (روادة ؟) : ٤٦٥

الزرق : ٥٣٣

الزكري أبو حفص عمر : ٢٩٤ ، ٢٩٥

الزلاقة : ٤٢٤ ، ٤٣٥

الزنج : ٤٠٧ ، ٤٣٦

زهير : ٤٥٨

زويلة : ٢١٨

س

سارية : ٥٢٤

سام : ٤٣٢

سبتة : ٤٣٥

سحبان وائل : ٣٩٧

سدير : ٤٩٤ ، ٥٤٦

سرقوسة : ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٤١٢

سفاحس : ٣٤ ، ٣٥ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،

٢٥٠ ، ٣٩١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢

سقط اللوى : ٤١٠

سلا : ٥٥٧

السلفي : ٢٩٤ ، ٥٥٧

سلوق : ٥١٢

سوق ابراهيم : ٥١٣

ش

الشام : ٥١٢

الشحر : ٢١٥

شمام : ٤٦١

ص

صقلية : ٣ ، ٢٨ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ٢٣٦ ،

٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٣٣ ،

٤١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٢

صنماء : ٥٠١

صنهاجة : ١٧٤

ط

طنجة : ٥٣٠

ع

عبد الجبار بن حمديس الشاعر : ١٦٧ ، ١١٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٦٧ ، (٢٦٨) ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٤٨١ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٥٧

عبد الجليل بن وهبون المرسى : ١٦٨
عبد الغني بن عبد العزيز القائد : ٥٢٧ ، ٥٢٥
عبد الله بن عبد الحق الحلواني : ٥٥٧
علي بن أحمد الصقلي الفهري : ١٦٤ ، ١٦٣ ، ٢١٨ ، ١٦٥
علي بن حسين بن أبي الدار (أبو الحسن) : ٣٤ ، ٣٧ ، ١٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣
علي بن حمدون الصنهاجي : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

علي بن القاسم قاضي سلا : ٥٥٨ ، ٥٥٧
علي بن يحيى بن تميم : ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، (٢٢٨) ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، (٢٣٢) ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، (٢٤٤) ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦

٣٨٨ ، (٣٩١) ، ٣٩٢ ، (٣٩٤) ، ٣٩٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، (٤٦٧) ، ٤٦٨ - ٤٧١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ - ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨

عمر (بن الخطاب) : ٥٢٤
عمر بن عبد الجبار بن حمديس : ٤٧٧
عين ضارج : ٤١٠

غ

غالب بن رباح أبو تمام : ١٦٩
الغريض : ١٢٦

ف

الفرزدق : ١٨٤
الفرس : ٥٤٦
فهر : ١٦٥

ق

قابس : ٢٣٦
قرطبة : ١١٠
قس (بن ساعدة) : ٥٥٣
قسنطينة : ٤٥٦
قصريني : ٢٧٦
قلورية : ٢٧٥

١٣٤ ، ١٣٦ - ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
٢٠٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣٦٧ ،
٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٤٢٤ ،
٤٢٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ،

٥٤٣

المعتضد : ١٤٠

المعري : ٣٥٨

المعز (بن ياديس) : ٤٧ ، ١٥٢

المغرب : ٢٧ ، ٤١٢ ، ٤٥٦

مكة : ٦٣ ، ٥٠٠

منى : ٦٣ ، ٥١١

المنصور بن الناصر بن علناس : ٢١١ ، ٤٣٩ ،

٤٤٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٤٥ ،

٥٤٦

المهدية : ٢٨ ، ٢٣٦

المهديتان : ٣١ ، ٦٠ ، ١٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٥

ميمون بن حمدون الصنهاجي : ١٧٥ ، ٤٨٢

ميورقة : ٣٣٠

مهييب بن عبد الحكم الصقلي : ٦٣ ، ٦٥

ن

ناصر الدولة (مبشر بن سليمان) : ٣٣٠

الناصر : ٢١١

قوصرة^١ : ٢٥٥

قيصر : ٢٣٥ ، ٥٥١

ك

كسرى : ٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٣٧٨ ، ٤٩٥ ،

٥٥١

ل

لبيط : ١٩٤ ، ١٩٥

لحم (قبيلة) : ٤٣٧

م

مارد (حصن) : ٤٦٤

محمد بن علي الفهري الصقلي : ١٦٦

المرابطون : ١٩٤

مسيئة : ٢٥٥

مصر : ٢٧ ، ٤٥٨

مطرف بن حمدون الصنهاجي : ١٧٥

معبد (المغني) : ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤١ ،

٤٢٠ ، ٤٥٤

المعتمد بن عباد (محمد أبو القاسم) : ١١٠ ، ١٠٨ ،

١ قوصر : سقط تمام التعريف بها في هامش ص : ٢٥٥ وإليك ما قاله ياقوت في معجم البلدان :

« قوصرة : قال الليث القوصرة وعاء الثمر ومنهم من يخففها ، وهي جزيرة في بحر الروم بين

المهدية وجزيرة صقلية وأثبتها ابن القطاع بالألف : قوصرا » .

الناصرية : ٤٩٥

نوطس : ٣٣

هـ

هرم (بن سنان) : ٤٥٨ ، ٤٦٦

و

وائل : ٣٨٢ ، ٣٩٧

ي

ياقوت : ٢٩٤

يثرب : ٩٣

يحيى بن تميم بن الممز : ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ،

١٧٥ ، ٢١٤ - ٢٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٩٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ،

(٤٥٢) ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ،

٤٥٧ ، ٥٠٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥

اليمن : ٥١٢

يوسف (?) : ٤٨٠

يوسف بن تاشفين : ٤٢٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ،

٥٣٠

٣ - فهرست القوافي

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
١٤	وافر	الخطابا		١	
٢٠	منسرح	طربه			شاء
٢٦	خفيف	كثيبه	٥٣٤	طويل	أخشاء
٤٠	مقارب	الذاهبه	٣	مقارب	أعدائي
٣٨	طويل	قريب	١	بسيط	سمائه
٤٢	طويل	يجيبها	٥٣٧	كامل	خضراء
٢٥	بسيط	الحبب	٥	سريع	
٨	كامل	القلب		ب	
٥٢٤	كامل	الغيب			تضطرب
٥٤١	كامل	أشرب	٢٥	طويل	العنب
١٨	طويل	صب	٤٥	رمل	باجتناب
١٩	»	السحب	٦٣	رمل	الخطوب
٢٢	»	الصب	٤٤	سريع	طيب
٢٧	»	سحائبه	٢٤	سريع	عاب
٢٨	»	فحارب	٩	سريع	لُهب
٣٤	»	الحرب	٢٤	مقارب	المعاطب
٦٧	»	القلب	٥٣٣	مجتث	صبا
٥٤٣	»	غرب	٥٠	طويل	وركايا
١٧	بسيط	حسب	٥٤	طويل	وركايا
٦٨	بسيط	لضربي	٥٣٩	طويل	فالتبها
٥٣٧	كامل	المطلب	٩	بسيط	جلبايا
٢١	»	حياب	٧	كامل	

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٨٩	سريع	الصباح	٢٦	كامل	و القلب
٩٨	سريع	الملاح	٥٨	»	ونحيبي
٩٤	متقارب	المديح	١٠	»	تعذيه
٨٥	رجز	وقدح	٨	وافر	خطوبه
١١٠	طويل	صحا	٦٧	»	الشباب
٨١	طويل	لائحه	٦٨	»	الذنوب
٨٠	كامل	جناحا	٦	سريع	بذيب
٩٤	كامل	رياحا	١٢	متقارب	ركوب
١٠٨	مبحث	شرا	٥٤١	منسرح	تعذيتها
١٠٦	طويل	يجمع	٢٣	مبحث	قلبك
١٠٧	طويل	أربع	٦٦	مبحث	حبيب
١٠٢	كامل	جناح		ت	
١٠٨	وافر	شرح			
٧٨	طويل	الضح	٧٢	كامل	تموت
٩٣	»	الصيح	٦٩	كامل	بالنغمة
١٠٩	»	مفتح	٧٠	كامل	سلت
١١١	»	نياحه	٧٤	سريع	الحكمة
١٠٧	خفيف	جرحي	٧٠	منسرح	دمت
٧٩	منسرح	البرح	٧١	متقارب	حلبته
	خ			ج	
١١٢	طويل	تضمخ	٧٥	طويل	أجاج
			٧٧	خفيف	ولوح
	د		٧٧	طويل	داج
١١٦	كامل	وحد		ح	
١١٧	رمل	جمد	٨٢	رمل	صباح
١٥٤	رمل	الصدود	٩٥	رمل	الملاح

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٥٤٤	كامل	بالفدند	١٦٩	رمل	جمد
١٣٨	رمل	الحد	١٢٥	خفيف	مجرد
١١٤	متقارب	عودي	١٤٤	طويل	مفردا
١٥٨	خبيب	الأسد	١٦٣	طويل	هدا
			١٦٧	بسيط	مقصده
	د		١٧٠	بسيط	بعدا
٢٦٥	طويل	فانشرها	١٤٣	كامل	اخمادا
٥٥٢	بسيط	يعذر	١٦٩	متقارب	فاقده
١٩٧	رمل	الخمور	١٢٧	رجز	تبدي
١٨٥	خفيف	تتحدر	١٧٣	طويل	الحد
٢٠٤	خفيف	المشجر	٥٤٥	"	نهد
٢٤٣	طويل	كره	٥٤٥	"	أشدو
٢١١	بسيط	النظرا	١٢٦	كامل	يزبد
٢١٢	"	نثرأ	٥٤٤	كامل	عوده
٥٤٥	"	معمورا	٥٤٣	منسرح	الأسد
١٨٠	كامل	خضرا	١٣٢	طويل	عندي
٢٣٢	كامل	المتحدرا	١٣٣	طويل	حد
١٨٠	متقارب	انذارها	١٣٤	طويل	والمعاهد
١٨٣	متقارب	مستديره	١٤٩	طويل	بالوجد
٢٦٦	متقارب	النهار	١٣٤	بسيط	الجسد
١٧٧	طويل	الفجر	١١٣	كامل	الصدود
١٨٠	طويل	زهر	١١٩	"	فؤادي
٢٤٠	"	صفر	١٢٩	كامل	وقود
٢٥٢	"	الكفر	١٤٣	"	صدها
٢٦٣	"	أحور	١٤٥	"	هواد
٢٦٨	طويل	تجبر	١٦٧	"	اليد
٢٠٣	بسيط	النظر	١٧٢	"	بمحمد

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٢٠٩	كامل	زائري	٢٢١	بسيط	قمر
١٩٩	خفيف	غدرك	٢٤٩	»	والبشر
٢٢٨	»	العذار	٢٦٣	»	يسترها
٢٦٥	»	عذري	١٩٩	كامل	الذمر
١٧٩	مقارب	العير	١٩٤	»	تقصّر
٢٦٤	مقارب	البدور	٢١٨	»	بشر
١٨٨	رجز	الازار	٢٥٨	»	وقار
	س		٢٣٦	وافر	نفار
			٢٤٤	خفيف	النفور
٢٧٤	طويل	اليسابسا	٥٥٢	خفيف	شعور
٢٨٢	»	النفسا	١٨٦	طويل	ضميره
٥٥٣	سريع	الحندسا	١٨٧	»	الفجر
٢٧٣	طويل	التنفس	١٩٢	»	الزهر
٢٧٧	»	أنفس	١٩٣	»	السكر
٢٧٩	»	تكلس	٢١٤	»	الفجر
٢٨٠	»	ترس	٢٢٤	»	والنصر
٢٨٢	كامل	نكس	٢٧١	»	ذكر
٥٥٣	كامل	الطاووس	٥٤٩	»	القفر
٢٧٧	طويل	الشمس	٥٥٠	»	مبصر
٢٨٠	»	عنسي	١٧٦	بسيط	نظري
٢٨١	»	نفسى	١٩٢	»	بشائره
٢٨٦	»	الشمس	٢٠١	»	بأسجاري
٥٥٢	»	طرسي	٢٠٤	»	والخفر
٢٧٣	بسيط	الآسي	٢٦٤	»	النظر
٢٨٣	»	الباس	٢٧٢	»	البصر
٢٨٤	»	الأنس	١٧٦	كامل	والقمر
٢٧٨	مقارب	الميس	١٧٨	»	تصبري

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٣١٢	بسيط	لسعا	٢٨٧	ش	قفشي
٣٠٢	طويل	منوع		بسيط	
٣٠٧	طويل	السجع	٢٨٨	ص	ناقصا
٣١٣	كامل	يروعه		كامل	
٢٩٩	طويل	انقطاعها	٢٨٩	طويل	رخص
٣٠٣	»	مودع	٢٩٠	بسيط	الرخص
٣١١	»	المسج	٢٨٩	كامل	تنقص
٣١١	بسيط	روعي	٢٩٠	سريع	حرصه
٣٠٠	رجز	مسمعي	٢٩٢	ض	اعترض
ف				متقارب	
٣١٧	طويل	فأنصفا	٢٩٦	بسيط	وفضه
٥٥٤	طويل	مخوف	٢٩١	طويل	تتبعض
٣١٥	بسيط	والأسف	٢٩٦	منسرح	ونقاص
٣١٦	»	يألفه	٢٩٦	كامل	الأرض
٣١٥	كامل	الآلاف	٢٩٤	وافر	وفيضي
٣١٦	طويل	الوكف	ط	طويل	والوخط
٣٢٠	»	خلف			
٣٢٠	بسيط	تقف	٢٩٨	»	أخطي
ق			ع	خفيف	منوع
٣٢٣	متقارب	متفق			
٣٢٩	طويل	خلقا	٣٠٤	طويل	جازعا
٣٣٦	بسيط	الفسقا	٣١٢		
٣٣٩	وافر	ينقى			
٣٣٥	بسيط	إيراق			
٣٢٨	كامل	وثاقها			

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٣٤٤	كامل	هلك	٥٥٤	كامل	التفريق
٥٥٧	»	يرقيق	٣٣٣	وافر	العقوق
٥٥٥	»	ومسك	٣٢١	خفيف	أرق
٣٤٤	خفيف	مسك	٣٢٥	سريع	عبق
	ل		٣٢٤	بسيط	الفرق
			٣٢٤	»	يقق
٣٦٢	متقارب	الأسل	٣٢٦	كامل	بالدرىاق
٤٠٢	»	الأم	٣٢٩	»	عقيق
٣٧٥	طويل	جهلا	٣٣٠	»	الخالق
٣٨٣	»	تحتلى	٣٣٢	خفيف	وريق
٣٨٣	»	أولى	٣٣٥	سريع	مشرق
٣٨٦	كامل	وصالا	٣٢٢	متقارب	عشاقها
٥٥٩	»	المندلا	٣٢٧	متقارب	الذليق
٣٥٠	خفيف	اختلالا		ك	
٣٦٠	منسرح	ولها			
٣٥٤	طويل	القال	٣٤٣	رمل	يديك
٥٥٧	»	القتل	٣٤٦	»	عليك
٣٥١	بسيط	الأم	٣٤٥	سريع	وجنتيك
٣٥٣	»	تبليله	٣٤٢	متقارب	كذلك
٥٥٨	كامل	قتول	٣٤٨	رجز	مضجعك
٣٦٣	رمل	دله	٣٤٦	طويل	الشركا
٣٥٣	خفيف	طل	٥٥٦	بسيط	ضحكها
٣٩٨	»	تحول	٣٤٩	وافر	الشكوكا
٣٥٠	طويل	المثل	٥٥٥	منسرح	شركه
٣٥٢	»	بتدلل	٣٤٠	طويل	سالكة
٣٥٢	»	السهل	٣٤٧	بسيط	هلك
٣٦٠	»	نصال	٥٥٦	رمل	حركه

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٤٨١	كامل	ذمه	٣٦١	طويل	جدول
٤٥٢	متقارب	حراما	٣٦٤	»	فنستحلي
٤٠٨	منسرح	علمه	٣٦٧	»	قنابله
٤٠٨	طويل	فتحرم	٣٨٠	»	تسهل
٤٠٦	»	نجم	٣٩٤	»	المخايل
٤١٢	»	يسم	٣٩١	بسيط	البخل
٤٦٣	بسيط	الجم	٤٠١	»	تقل
٥٥٩	بسيط	اقتحموا	٣٦٣	كامل	ويلى
٤١٨	متقارب	والمعصم	٣٧١	»	العذل
٤٨٢	طويل	دم	٣٨٢	»	وكواهل
٤٨١	»	علم	٣٨٤	»	الصيقل
٤٠٧	»	المتنعم	٤٠٣	رمل	وطلولي
٤١٦	»	المعجم	٤٠١	خفيف	سيل
٤٢٩	»	ابتناسمه	٣٨٣	متقارب	جدول
٤٣١	»	لحمي			
٤٣٢	»	حسامي			
٤٤٣	»	هائم			
٤٢١	بسيط	فمه	٤٣٩	رمل	نظم
٤٥٦	»	والكرم	٤٤٨	»	النديم
٤٨٢	»	قديمي	٤٢٤	متقارب	كريم
٤٠٥	كامل	سلمي	٤٧٣	سريع	ألم
٤٧٥	كامل	الإسلام	٤٥٩	»	غلام
٤٣١	وافر	الحسام	٤١١	»	بالمستهام
٤٣٥	وافر	الرسوم	٤٤٢٠	»	الظلم
٤٢٣	خفيف	جسمه	٤٢١	رجز	سقم
٤٢٨	»	وسقيمي	٤٢٥	طويل	راغما
٤٦٧	»	الحسام	٤٧٧	طويل	تكلمنا
٤٧٧	»	فتصمي	٤٧٠	بسيط	ابتسما

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٤٩١	وافر	المصون	٤٠٧	سريع	أسقامي
٤٨٦	خفيف	المنون	٥٥٩	متقارب	الزحام
٤٩٧	خفيف	للعيون	ن		
٥١٥	منسرح	أجفائي			
	هـ				
٥٦٠	بسيط	يزفاها	٥٠٢	رمل	جمان
٥١٧	منسرح	فيها	٤٨٧	متقارب	باليقين
٥١٨	متقارب	عليها	٤٩٠	سريع	البنان
	و		٥٠٥	سريع	الحنان
			٤٩٠	كامل	متونا
			٥٠٩	خبيث	وبنا
			٥٦٠	طويل	محسن
			٥١٦	خفيف	سيكون
٥١٩	متقارب	أنصفوه	٤٩٣	طويل	السن
٥٢٠	بسيط	هجوا	٥١٥	»	يهجوني
٥٢١	طويل	كفر	٤٨٧	بسيط	بالوسن
	ي		٥١٤	»	حسن
			٤٨٦	كامل	متين
			٤٩٢	»	عيني
٥٢٤	طويل	محيا	٤٩٢	»	مني
٥٣٠	طويل	عانيا	٤٩٣	»	البان
٥٢٩	متقارب	الناحية	٤٩٤	»	بان
٥٢٢	متقارب	فانيه	٤٩٧	»	أجفائي
٥٣٠	مديد	شقي	٤٩٩	كامل	الأوطان
٥٢٥	خفيف	رمي	٤٨٩	وافر	التمني

٤ - تصويبات أجريناها في « م » ولم نشر إليها في الهوامش^١

القصيد	البيت	الخطأ	التصويب
١	٩	قد عاق بعد ضياع نقص خرقاء	قد عاد بعد صناع نقص خرقاء
٤	١	كالنفس	كالنفس
٤	١١	حبابه	عبابه
٧	٣	ما الصبر	بالصبر
٧	٤	في العير	في العين
١٠	٣	لسمع	والسمع
١٠	٣	قلبه	قلبه
١١	٣	كفاني	كبا بي
١١	١٢	فباكر	تباكر
١١	١٢	الزبيب	الديب
١١	١٤	عوضة	غوضة
١١	٢٤	بهن	بهب
١٢	١٧	يمر وفي	تمرر في
١٢	٢٧	ويجبرني	وينجديني
١٣	٩	ضرعاً	ذرعاً
١٣	١١	قابل	قاتل
١٤	١	وقاتلني	وقاتلتي
١٤	٣	تريد اندماجاً	تزيد اندياحاً
١٩	٧	صنعة	صيفة
٢٧	٦١	البنت	النيب

١ هناك تصويبات أخرى لم أشر إليها في هذا الجدول ، لأنها من الأخطاء الواضحة .

المكرمات	المعلومات	٣٠	٢٨
والتقت	والتقى	٤٤	٢٨
السقيا	السقي	٥٤	٢٨
الحدي	الحزني	٥٤	٢٨
غرايب	غرائب	١٢	٢٩
بلى	بكى	١	٣٥
مثل	صيل	٢٨	٣٥
القبس	العيش	١٧	٤٧
تتح	يبح	٤	٤٩
دماج	زجاج	٩	٤٩
حي	حتى	١	٥٢
مفطوماً عن	معطوفاً من	٤	٥٤
إلا شميماً كان هما	إلا شميماً كان ما	٥	٥٤
فعد عن	فعد عن	٢	٥٥
وكاه مردياً	أكان مداوياً	٨	٥٧
لم يغتبق	ليعتبق	٢٤	٥٧
يقبض	يفيض	٢٥	٥٧
هاتها	هاكها	١	٥٨
خصر ا	أخضرا	١١	٦٢
مروية	مرونة	١٩	٦٣
ألم	أطم	٤٧	٦٣
شهم	منهم	٤٠	٦٤
منأ	يمنأ	٥٤	٦٤
وسقيتي	وشفيتني	٥٥	٦٤
فينغر	فينغر	١	٦٦
كنك	كبل	٣	٦٦
بعطفها	بعطفها	٢	٧٠
جاذب	حادث	٣	٧٠

أشقت	سقت	٥	٧٠
قرا النهر	قرى النهر	١١	٧٥
الخرد	الحدد	٤	٧٧
يبيل	تبك	٢٤	٧٨
حتى أوسد في	حتى توسد بي	٢٦	٧٨
يجذ	يجد	٢٩	٧٨
بين	من	٥٧	٧٨
الممدود	المهدود	٦٢	٧٨
بحسرة	لحرة	٦٧	٧٨
فتلت	قبلت	٧١	٧٨
ومضمن	ومضمر	١	٨٠
وكلمت	وكلفت	٢٠	٨٢
للليل	الليل	٣١	٨٢
أيا	ألا	١١	٨٦
لغراريه	لغواريه	٤٢	٨٨
ظليته	ظلياه	٤٣	٨٨
تفتدي	القدفد	٤٦	٨٨
الفتاء	الفتاة	٧	٩٠
الذكر	البكر	٧	٩٠
زبد علته سفته	أيد عليها مشيه	٢٦	٩٢
الاغريض	الاعراض	١٩	٩٣
الشيح	النياح	٦١	٩٣
أين مني	أيرقني	١	٩٤
أو رجي نيل صاد للمي	أو قانحي بال صاد للمي	٦	٩٤
سبوع	سبوع	١٩	٩٤
النرى	الكري	٥٨	٩٤
ضلوعي	طلوحي	١٥	٩٥
الفلك	الملك	٣٥	٩٥

فت	بتوا	٤٩	٩٥
يلبك	تلبك	٥٤	٩٥
زفرات أسي	رفلت رأسي	٦٣	٩٥
أذا البدر	أألبدر	١	٩٦
لعيني شاهد	لعيش شاهد	١٧	١٠١
الثرى	الذي	١٩	١٠١
الند	البدر	٢١	١٠١
كبخار . . . بالمواصف	كبچار . . . العواصف	٤	١٠٢
صدعت	صرعت	٧	١٠٢
أعطى	أعلا	٧	١٠٢
الجواد	الحراب	١١	١٠٢
لذي فتك	لدا قتل	١٢	١٠٢
منطقة	معطقة	١	١٠٤
تنطق	تمطف	٢	١٠٤
وقد	وهل	١	١٠٦
بهن سرور	لهن خدود	٥	١٠٦
يكشر	يكثر	٣٥	١١٦
يعقف	يعنف	٣٦	١١٦
جشجات إلى عراد	جشحات إلى عوار	٤٤	١١٦
تطرف	تطرق	١٠	١١٩
القصيم	العظيم	٣٤	١٢٠
بروطنهن	يلوطنهن	٣٣	١٢٠
جني رمان	جنى رمينات	٣	١٢٢
بهجرك	وهجرك	٥	١٢٢
هواك وماله	هواءك ماله	٧	١٢٣
مقة	ثقة	١٧	١٢٣
الهواء . . . حجر	الهذاب . . . مجر	٣	١٢٥
الحروف	الخدود	٤	١٢٥

يفك	يفل	٦	١٢٥
تستلين	تسلبن	٣٤	١٢٧
ذل	قل	٤١	١٢٧
نثير	قتير	٨	١٢٩
شdq	شرف	٩	١٢٩
مؤيد	مهيد	٢	١٣٠
أطلقن	أطلعن	٧	١٣٠
أسرك	أشرك	١٦	١٣١
معتبة	معتقة	٢٠	١٣١
سمرڪ	سهرڪ	٢٢	١٣١
انهمام	إبهام	٢٣	١٣٢
بالخزر	والخزر	٢٣	١٣٢
مكاثرة	مكابرة	٣٤	١٣٢
للأعمار	للأعمار	٣٥	١٣٢
إقحامه مهج	إقحام بهج له	٣٦	١٣٢
على مذلوقة	على دلالة	٣٦	١٣٢
تصيح	يصيح	٥٦	١٣٢
مهاجر	بهاجر	٥٨	١٣٢
راب	ركب	٢١	١٣٣
تبرج	تنزح	٢٦	١٣٣
خفر	حفر	٢٦	١٣٣
جيشا	جيش	٩	١٣٤
لم يغنيا عنه لا عز يدل	لم يغن عنه ولا عز يدل	١١	١٣٤
نعى	بغى	٢٤	١٣٤
غائباً	غائباً	٤٠	١٣٥
منحتها	تنحتها	١٠	١٣٦
الفض	الفص	١٧	١٣٦
محرب	محرف	٤٧	١٣٦

وتمعرا	وتنفرا	٣٢	١٣٧
ودثرا	ودثرا	٤٣	١٣٧
أنت تستبين ذا العفاف ببدل	أنت (لا) تستبي ذا العفاف ببدل	٣	١٤١
مل	هل	٨	١٥٠
مفرقة بحري	معروفه بحري	٤	١٥٢
تياً	فيها	٩	١٥٢
ملكك جانبي	ملك حسابي	١٠	١٥٢
أشدوك	أشدوك	١٣	١٥٢
لقدرت	تعوذت	٦	١٥٧
غيببت	عشت	٢٦	١٥٧
أسرها	أسدها	٦	١٦١
بكفي المعاصي	بكفي للمعاصي	٣	١٦٤
عانية	عانية	١٣	١٦٦
مرقلة	من تلة	٢١	١٦٨
فكي	فكراي	٣١	١٦٨
أقتل	أقبل	٣٣	١٦٨
الأجسام	الحسام	٨	١٧٣
المعل كبر	المعل كبير	٢٢	١٧٩
قصار	فصار	١	١٨٢
وآثار	وآباز	٥	١٨٢
حتى متى بين اللوى فالأجرع	حتى عسى بين الهوى فالأجرع	١	١٨٥
تنشره	لنشره	١٣	١٨٥
مدوس	مدرس	١٩	١٨٥
يقبض	يفتض	٢٦	١٨٥
عدا	غضا	٢٩	١٨٥
المزمع	المرصع	٣٠	١٨٥
يصلك	يصل	٣١	١٨٥
بالرياح	بالريح	٣٢	١٨٥

الأنسج	اللسع	٣٣	١٨٥
بعضه	نفضة	٣٤	١٨٥
فؤول	أفول	٣٥	١٨٥
وبغيب	ونعيب	٤	١٨٨
طمني الحنى	تظمن الحى	٧	١٨٨
تترقع	تتبرقع	١٧	١٨٨
محل زبر . . . أقرع	ز مخري . . . أقرع	١٨	١٨٨
رفع	رافع	١٩	١٨٨
يا الذي	ما الذي	٢١	١٨٨
جفاف	جفال	٢٦	١٨٨
غمر . . . الغمر	غمر . . . الغمر	٢٩	١٨٩
كالنار	للنار	١	١٩٠
للشمس	كالشمس	٢	١٩٠
تغيب	تعبث	٢	١٩١
الفارين	الفادين	٢	١٩٣
مغلظ	ملغظ	٧	١٩٣
فضلاء	لقضباء	١٤	١٩٤
عبق	عنق	١٥	١٩٤
ذبلت	بذلت	١	١٩٦
مرقفا	قرقفا	٤	١٩٩
والساكنين	والساكنيه	١٢	١٩٩
مجاب الغيث	حجاب الغيب	٣٤	١٩٩
عليهم	عليهم	٣٧	١٩٩
حاسداً	حاسراً	٣٨	١٩٩
رهفا	أو هفا	٤٠	١٩٩
رفا	مرفا	٥٠	١٩٩
آخر	أحن	١	٢٠١
١	مصور . . . غصب . . . وعزيز كهصور . . . غضب . . . وغرير	١	٢٠٢

لشج	شيج	٧	٢٠٣
يعتق شطه	يعتق وسطه	١	٢١٠
أشداقها	أشواقها	٢	٢١٠
بمجانس	بمحاسن	٥	٢١٣
الجالال	الحلال	٨	٢١٣
لناشق	كناشق	١٠	٢١٣
وشدوق . . . نقائق	وشروق . . . نقائق	٢١	٢١٣
الأناء	الإناء	٨	٢١٥
فيها يفيق	وبها تفيق	١٨	٢١٥
باطلاً	باطل	٣١	٢١٨
الرحائل	الرحال	٤٣	٢١٨
عني	عنهم	١٤	٢٢٠
وما	ويا	٣	٢٢١
عجبي	عجبتني	٤	٢٢٤
غصنه	غصنك	٤	٢٢٥
إلا حسدا دملجيك	إلا حداد فلجيك	٥	٢٢٥
نفى	فنى	١٠	٢٢٧
نصيحاً . . . فريكاً	نصيحاً . . . مريكاً	٤	٢٣٠
ذو تباريح	در بتأريج	١	٢٣٦
تأملت في	فأملت من	١٤	٢٤٥
عمر	عصر	١٤	٢٤٥
والحقها	والحقها	٢٠	٢٤٥
فنحت	محيث	٢٥	٢٤٥
والنفل	والنفل	٢٧	٢٤٧
يدب	يرثب	١٧	٢٤٨
جذلى	جزلا	٤٥	٢٤٨
ألحق . . . وأجاب . . . المعطل	ألحق . . . وأجاب . . . المعطل	٥	٢٥٣
يختل . . . يختلي	يختال . . . يختلي	١٢	٢٥٣

فجیل	محیل	۱۱	۲۵۷
خضر	حضر	۵	۲۶۲
بألیلی	یا لیل	۶	۲۶۲
علیل بملیل	علیلا بفلیل	۱۱	۲۶۲
القور	القدر	۱۱	۲۷۰
والحلم	والحلم	۱۹	۲۷۰
الریق	الدين	۶	۲۷۸
یغنی عداہ	یغنی غداہ	۳۶	۲۸۷
أخی	أری	۱	۲۸۸
وساورہ	وصادرہ	۳	۲۸۸
الغراما	القراما	۱۲	۲۸۸
الهرم	الدهم	۲	۲۸۹
مملکہا	مملکہ	۵	۲۸۹
یطرقة	بطرقہ	۳	۲۹۰
جریاً	حرباً	۵۳	۲۹۰
مجانیق	مجانین	۳۰	۲۹۱
فلك الله	تلك الله	۱۵	۲۹۲
مصنع فی بذله	مصنع فی بر له	۲۶	۲۹۲
لیس فوق	فا فوق	۲۹	۲۹۲
قرما	ضرما	۲	۲۹۳
قفما	قعما	۷	۲۹۳
رمى	رأى	۱۴	۲۹۳
أشم	بشم	۸	۲۹۷
أین من . . . وجیل	أیمن . . . رحیل	۱۱	۲۹۷
جمدت	حملت	۲۶	۲۹۷
مراح . . .	مراحي . . .	۵	۳۰۵
النعي	التقي	۲۸	۳۳۲
دهر	دهري	۶۰	۳۳۲

٥ - تنبيهات وتصويبات

- ١ بلغ الترقيم للقوائد رقم : ٣٧٠ ولكن الديوان يحتوي ٣٦٨ قصيدة ومقطوعة لأن رقمي ٨٦ ، ٨٧ هما قصيدة واحدة وكذلك ١٢٨ ، ١٢٩
- ٢ ألفت انتباه القارئ إلى أن القوائد : ٣٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ إنما هي في مدح الحسن بن علي ، وأن القصيدة رقم ٢٥٣ في مدح علي بن يحيى لا في مدح يحيى كما هو مثبت في العنوان .
- ٣ بعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية التي عثرت عليها أثناء المراجعة :
 - ص : ٥٥ : س : ٣ ذبابا اقرأ : ذنابي
 - ص : ١٧٨ : ١٤ اقرأ :
 - أبجحة الفردوس أح رم شرب ماء الكوثر
 - ص : ٢٤٦ : ٥ اقرأ :
 - وهو ضار آجامه ذبل الخ ط على مقتضى العلى وقصور
 - ص : ٢٥٥ : ١٢ اقرأ : وقوصرة
 - ص : ٣٠٠ : ١٠ ووجع اقرأ : ذو وجع
 - ص : ٣٢٣ : ٤ بالحدق اقرأ : بالحرق
 - ص : ٣٣٨ : ٥ لهما اقرأ : لها
 - ص : ٣٤٣ : ٥ سقيت اقرأ : سقيت ، القاف مشددة مكسورة
 - ص : ٤٨٢ : ١٣ دم اقرأ : دم
 - ص : ٥٦٠ : ٧ رالفيث اقرأ : والفيث
 - ص : ٥٦٠ : ١٣ ترقاها اقرأ : يزفاها

مجموعة ديوان العرب ظهر منها

ديوان المتنبي	١
» ابن الفارض	٢
» عبيد بن الأبرص	٣
» امرئ القيس	٤
» عنبرة	٥
» عبيد الله بن قيس الرقيات	٦
شرح المعلقات السبع للزوزني	٧
سقط الزند لأبي العلاء المعري	٨
ديوان أبي فراس الحمداني	٩
» عامر بن الطفيل	١٠
» الحنساء	١١
» زهير بن أبي سلمى	١٢
» النابغة الذبياني	١٣
» ابن زيدون	١٤
» ابن حمديس	١٥
» جرير	١٦
» الفرزدق	١٧
» الأعشى	١٨
» الشريف الرضي	١٩
» حسان بن ثابت الأنصاري	٢٠
جمهرة أشعار العرب	٢١

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com